ذيل طبقات الحنابلة

لابن رجب الحنبلي رحمه الله

الجزء الأول

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات، أمهات المؤمنين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
قال الشيخ الإمام، العالم المقرىء، العامل الزاهد، الحافظ المحدث، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الزاهد، الإمام العالم المقرىء، شهاب الدين، أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب- رحمهم الله تعالى برحمته-: هذا كتاب جمعته، وجعلته ذيلاً على كتاب طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى. رحمهم الله تعالى.
وابتدأت فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى. وجعلت ترتيبه على الوفيات. والله المسؤول أن ينفع به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

وفيات المائة الخامسة

من سنة 460 ه إلى سنة 500 ه

علي بن أبي طالب بن زِبِبْيَا البَغدادي، أبو الغنائم

من قدماء أصحاب القاضي أبي يعلى، تفقه عليه.
قال القاضي أبو الحسين: كان يدرس في الحريم بالمسجد المقابل لباب بدر، له أيضًا حلقة بجامع المهدي. وقرأ عليه أبو تراب بن البقال، وأبو الحسين بن الفاعوس وغيرهما. نسخ بخطه كثيراً من تصانيف القاضي، كالخلاف الكبير، نسخه مرتين، والعدة، وأحكام القرآن، والجامع الصغير. وغير ذلك.
وهو أولى من توفي من أصحاب القاضي أبي يعلى بعده بنحو سنة. ودفن قريبًا منه. رحمه الله.

ذكره ابن النجاد قال: كان من أعيان أصحاب القاضي أبي يعلى، وله حلقة بجامع المهدي للمناظرة. روى عن أبي الحسين بن بشران، ونصر بن محمد بن علي الآمدي. روى عنه القاضي عزيزي بن عبد الملك الجيلي. ثم أرّخ وفاته يوم الخميس ثاني عشرين شهر ربيع الآخر سنة ستين وأربعمائة. وصُلي عليه من الغد بجامع القصر. وكان له جمع كثير.
و "زِبِبْيَا" قيّده ابنُ نقطة: بكسر الزاي، وكسر الباء المعجمة بواحدة بعدها باء أخرى مثلها ساكنة، وياء مفتوحة معجمة من تحتها باثنتين.
وقال ابن عقيل: كان من أصحاب القاضي أبي يَعْلَى أرباب الحلق: ابن الباز كردي، وابن زِبِبْيَا، فقيهان مفتيان، ولهما حلقتان بجامع الرصافة، يقصَّان الفقه شرحًا للمذهب على وجه ينتفع به العوام.

عليّ بن الحسن القرميسيني أبو منصور:

ذكره أبو الحسين، وقال: أحد من علق عن الوالد من الخلاف والمذهب. وسمع منه الحديث، وزوَّج ابنته لأبي علي بن البناء، وأولدها أبا نصر.
وتوفي في رجب سنة ستين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة، ودفن بباب حرب.

عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن توبة العكبري:

الخياط الأديب الكاتب، أبو محمد.
روى عن الأحنف العكبري من شعره. روى عنه الخطيب.
وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشر محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة.
ذكره ابن البناء في تاريخه، وقال: هو صاحب الخط والأدب.

عبد الله البرداني، أبو محمد الزَّاهد:

كان منقطعًا في بيت بجامع المنصور، يتعبد خمسين سنة.
قال ابن البناء: كان من خيار المسلمين، لا يقبل من أحد شيئًا، مع الزهادة والعبادة. روى عنه أبو بكر المَرْزَفِيّ الفرضي أنه قال:

رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا عبد الله، مَنْ تمسَّك بمذهب أحمد في الأصول سامحتُه فيما اجترح- أو فيما فرَّط- في الفروع.
وذكر ابن البناء، عمن يثق به: أنه رأى في منامه، في حياة البَرَداني- هذا- مَلَكَين قد نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: فيم جئتَ؟ قال: جئتُ أخسف بأهل بغداد، فإنَه قد عمَّ فيها الفساد! فقال له الملك الآخر: كيف تفعل هذا، وفيها عبد الله البرداني؟ قال ابن البناء: توفي عبد الله البرداني الزاهد الحنبلي يوم السبت سادس ربيع الأول، سنة إحدى وستين وأربعمائة.
وصلى عليه بجامع المنصور. وكان خلقًا عظيمًا. دُفن في مقبرة الإمام أحمد، وتولّى غسلَه والصلاةَ عليه الشريفُ أبو جعفر.
رحمه اللّه تعالى.

علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي

أبو الحسن المعروف بالآمدي ويعرف قديمًا بالبغدادي: نزل ثغر آمد. وهو أحد أكابر أصحاب القاضي أبي يعلى.
قال ابن عقيل فيه: بلغ من النظر الغاية، وكانت له مروءة. يحضر عنده الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وأبو الحسن الدَّامَغَاني- وكانا فقيهين- فيضيفهما بالأطعمة الحسنة، وكان يتكلم معهما إلى أن يمضي من الليل أكثره.
وذكر أنه كان هو المتقدم على جميع أصحاب القاضي أبي يعلى.
قال ابن عقيل: وسمعتُ المتولي لما قَدم: يذكر أنه لم يشهد في سفره أحسن نظرًا من الشيخ أبي الحسن البغدادي بآمد.
قال القاضي أبو الحسين، وتبعه ابن السَّمعاني: أحد الفقهاء الفضلاء، والمناظرين الأذكياء. وسمع الحديث من أبي القاسم بن بشران، وأبي إسحاق البرمكي، وأبي الحسن بن الحراني، وابن المذهب وغيرهم. وسمع من القاضي أبي يعلى، وأبي الحسن بن الحراني، وابن المذهب وغيرهم. وسمع من القاضي أبي يعلى، ودرس عليه الفقه، وأجلس في حلقة النظر والفتوى بجامع المنصور في موضع ابن حامد. ولم يزل يدرّس ويفتي ويناظر إلى أن خرج من بغداد، ولم يحدّث ببغداد بشيء، لأنه خرج منها في فتنة البَسَاسِيرِي، في سنة خمسين وأربعمائة إلى آمد، وسكنها

واستوطن بها، ودرس بها الفقه إلى أن مات في سنة سبع- أو ثمان- وستين وأربعمائة. وقبره هناك مقصودٌ بالزيارة. وكان يدرس في مقصورة بجامع آمد.
وله هناك أصحاب يتفقهون عليه. وبرع منهم طائفة.
وله كتاب: "عمدة الحاضر وكفاية المسافر" في الفقه، في نحو أربع مجلدات، وهو كتاب جليل يشتمل على فوائد كثيرة نفيسة.
ويقول فيه: ذكر شيخنا ابن أبي موسى في الإرشاد، فالظاهر: أنه تفقه عليه أيضًا. وسمع منه بآمد: أبو الحسن بن الغازي السُّنةَ للخلاّل عن أبي إسحاق البرمكي، وعبد العزيز الأزَجي.

محمد بن عمر بن الوليد الباجسرائي

الفقيه، أبو عبد الله: قال أبو الحسين: كانت له حلقة بجامع المنصور، تردد إلى مجلس الوالد السعيد الزمان الطويل، وسمع منه الحديث والدرس.
ومات سنة سبع وستين وأربعمائة، وكان قد بلغ من السن خمسًا وتسعين سنة. رحمه الله تعالى.

محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر، أبو بكر الخيّاط، المقرىء البغدادي

ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وقرأ على أبي أحمد الفرضي، وأبي الحسين السَّوسَنْجِرْدي، وبكر بن شاذان، وأبي الحسن الحمامي، وغيرهم. وسمع الحديث من ابن الصَّلت المُجَبّر، وأبي عمر بن مهدي، وخلق مِنْ طبقتهما. ورأى أبا عبد الله بن حامد.
كان يتردَّدُ إلى القاضي أبي يَعلى، ويَسمَعُ درسه، ويحضر أماليه، واشتغل بإقراء القرآن، ورواية الحديث في بيته ومسجده وجامع المنصور. وكان يحضره خلق كثير.
وقرأ عليه خلق، منهم: القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يَعلى، وأبو عبد الله البارع، وأبو بكر المزْرفي، وهبة الله بن الطبري.
وَحَدّث عنه جماعةٌ كثيرون، منهم: أبو بكر الخطيب في تاريخه، وأبو منصور القزاز، ويحيى بن الطراح، وغيرهم. وانتهى إليه إسناد القراءة في وقته.

قال ابن الجوزي: ما يوجد في عصره في القراءات مثله. وكان ثقة صالحًا.
وقال المؤتمن الساجي: كان شيخًا ثقةً في الحديث والقراءة، صالحًا، صبورًا على الفقر.
وقال أبو ياسر البرداني: كان من البكائين عند الذكر، أَثرت الدموع في خدّيه.
وقال ابن النجار: كان شيخ القراء في وقته، تفرد بروايات، وكان عالمًا، ورعًا متدينًا.
وذكره الذهبي في طبقات القُراء، فقال: كان كبير القدر، عديم النظير، بصيرًا بالقراءات، صالحًا عابدًا، ورعًا ناسكًا، بكاء قانتًا، خشن العيش، فقيرًا متعففاً، ثقة فقيهاً على مذهب أحمد. وآخر من روى عنه بالإجازة: أبو الكرم الشهرزوري.
قال ابن الجوزي: تُوفي ليلة الخميس ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة، ودفن في مقبرة جامع المدينة- يعني مدينة المنصور- قال غيره: صلَّى عليه أبو محمد التميمي في الجامع.

علي بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن جَدَا، أبو الحسن العكبري:

ذكره ابن شافع في تاريخه، فقال: هو الشيخ الصالح، الزاهد، الفقيه، الأمّار بالمعروف، والنهّاء عن المنكر.
سمع: أبا علي بن شاذان، والبرقاني، وأبا القاسم الخِرَقي، وأبا القاسم بن بُشْران. وكان فاضلاً، خيرًا ثقة، مستورًا صينًا، شديدًا في السنة على مذهب أحمد. رضي الله عنه.
وقال القاضي أبو الحسين، وابن السمعاني: كان شيخًا صالحًا، دينًا كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن، ذا لَسَن وفصَاحة، في المجالس والمحافل، وله في ذلك كلام منثور، وتصنيف مذكور مشهور.
وذكره أبو الحسين وابن الجوزي وقالا: سمع من أبي علي بن شهاب، وأبي علي بن شاذان، وكان فقيهًا صالحًا فصيحًا.
قال أبو الحسين: قرأ الفقه على الوالد السعيد، وله مصنف في الأصول. وتوفي فجأة في الصلاة في رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة، ودفن في مقبرة أحمد.

وذكر ابن شافع وغيره: أنه توفي يوم الأحد سابع عشر رمضان المذكور.
وقال ابن شافع: جَدَا- بفتح الجيم- كذا سمعتُه من أشياخنا، ورأيته مضبوطًا بخط أسلافنا.
وروى عنه القاضي أبو بكر، وأبو منصور القزاز، وسمع منه مكي الرُّميلي الحافظ وجماعة.
وقال ابن خيرون: حدث بشيء يسير، كان مستورًا صينًا ثقة.
وروى عنه الخطيب فقال: حدثني علي بن الحسين بن جَدَا العكبري قال: رأيتُ هبة اللّه الطبري في المنام، فقلت: ما فعل الله بك. قال: غفر لي. قلت: بماذا. قال: كلمة خفيفة: بالسنة.
قال الحافظ عبد القادر الرهاوي: أنبأنا أبو موسى المديني الحافظ قال: رَأيتُ بخط ابن البناء- وقرأته على ابن ناصر بإجازته من ابن البناء- قال: حكى أبو الحسن علي بن الحسين بن جَدا العكبري قال: سمعت أبا مسعود أحمد بن محمد البجلي الحافظ قال: دخل ابن فَورك على السلطان محمود، فتناظرا.
قال ابن فورك لمحمود: لا يجوز أن تصف الله بالفوقية، لأنه يلزمك أن تصفه بالتحتية. لأنه من جاز أن يكون له فوق جاز أن يكون له تحت.
فقال محمود: ليس أنا وصفته بالفوقية، فتُلْزِمني أن أصفه بالتحتية، وإنما هو وَصَفَ نفسه بذلك. قال: فَبهت.
أخبرنا محمد بن إسماعيل الصوفي- بالقاهرة- أخبرنا عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو علي بن الحريف أخبرنا القاضي أبو بكر بن عبد الباقي أخبرنا أبو الحسن بن جدا أخبرنا أبو القاسمة هبة الله بن الحسن الطبري الحافظ قال: ذكر أن فتى من أصحاب الحديثأنشد في مجلس أبي زرعة الرازي هذه الأبيات، فاستُحسنت منه:

دين النبي "محمد" أخـتـارُنعم المطية للفتـى الآثـار
تغفلنَّ عن الحديث وأهلهفالرأيُ ليلٌ، والحديثُ نهارُ
ولَرُبَّما غلط الفتى إِثْرَ الهدىوالشمسُ بازغةٌ لها أنـوارُ

عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء، أبو القاسم بن القاضي أبي يعلى:

ذكره أخوه في الطبقات، وأنه ولد يوم السبت سابع شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وقرأ بالروايات على أبي بكر الخياط، وابن البناء، وأبي الخطاب الصوفي، وأحمد بن الحسن اللحياني، وغيرهم. وسمع الحديث من والده، وجده لأمه جابر بن ياسين، وأبي محمد الجوهري، وغيرهم، وابن المهتدي وابن النَقُور، وابن الآبنوسي، وابن المسلمة، وابن المأمون، والصَريفيني، وغيرهم، ورحل في طلب الحديث والعلم إلى: واسط، والبصرة، والكوفة، وعكبرا، والموصل، والجزيرة، وآمد، وغير ذلك.
وقرأ بِآمد من الفقه على أبي الحسن البغدادي قطعة صالحة من الخلاف والمذهب. وكان قد علق قبل سفره على الشريف أبي جعفر، وكان قد حضر قبل ذلك عرس والده وعلق عنه.
وكان يحضر مجلس النظر في الجُمَع وغيرها، ويتكلم في المسائل مع شيوخ عصره. وكان والده يأتم به في صلاة التراويح إلى أن تُوفي. وكان أكبر ولد القاضي أبي يعلى، وهو الذي تولى الصلاة عليه بجامع المنصور. وكان ذا عفة، وديانة وصيانة، حَسَن التلاوة للقرآن، كثير الدرس له، مع معرفته بعلومه. وله معرفة بالجرح والتعديل، وأسماء الرجال والكنى، وغير ذلك من علوم الحديث، حسن القراءة، وله خط حسن.
ولما وقعت فتنة ابن القشيري: خرج إلى مكة، فتوفي في مضيه إليها بموضع يُعرف بمعدن النقِرة، أواخر ذي القعدة سنة تسع وستين وأربعمائة، وله ست وعشرون سنة وثلاثة أشهر ونيف وعشرون يومًا تقريبًا. رحمه الله وعوضه الجنة.

محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسين بن هارون، أبو الحسن البَرَداني الفرضي الأمين:

والد الحافظ أبي علي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.
وُلد بالبردان سنة ثمان وثمانين- وقيل: سنة ثمان وسبعين- وثلاثمائة. ونشأ بها ثم انتقل إلى بغداد سنة ست وأربعين وأربعمائة واستوطنها. وسمع الكثير من أبي الحسن بن رزقويه، وأبي الحسين بن بشران، وأخيه أبي القاسم، وأبي الفضل التميمي، وأخيه أبي الفرج، وأبي الحسن بن مخلد، وأبي علي بن شاذان، البرقاني،

وخلق.
وروى عنه ولداه: أبو علي، وأبو ياسر، والقاضي أبو بكر بن عبد الباقي وغير هم.
قال القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى: صحب الوالد، وتردد إلى مجالسه في الفقه وسماع الحديث، وكان رجلاً صالحًا.
قال ابن النجار: وكان رجلاً صالحًا صدوقًا، حافظًا لكتاب الله تعالى، عالمًا بالفرائض وقسمة التركات. كتب بخطه الكثير، وخَرَّج تخاريج، وجمع فنونًا من الأحاديث وغيرها. وخطه رديء كثير السقم. وكان أمين القاضي أبي الحسين بن المهتدي. ثم ذكر عن ابنه أبي ياسر عبد اللّه: أن أباه أبا الحسن سرد الصوم ثلاثين سنة.
وذكر عن السلفي: أنه جرى ذكر ابنه أبي علي، فقال الحافظ أبو محمد السمرقندي: لو رأيت أباه وصلاحه لرأيت العجب. روى لنا عن ابن رزقويه وطبقته. وكان فقيهًا، وضيئًا محدثًا، مرضيًا.
وذكر عن ابن خيرون: أن البرداني كان رجلاً صالحًا ثقة.
وقال ابن الجوزي: كان له علم بالقراءات والفرائض. وكان ثقة، عالمًا صالحًا أمينًا.
توفي يوم الخميس ثامن عشرين في القعدة سنة تسع وستين وأربعمائة. ودفن يوم الجمعة بباب حرب. كذا ذكره ابن النجار.
وذكر ابن شافع: أنه توفي ليلة الجمعة تاسع عشرين ذي القعدة ثم قال: قرأت بخط ابنه أبي علي: أن أباه توفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة من السنة، قال: وصليتُ عليه يوم الجمعة في المقصورة. وتبعه خلق عظيم. رحمه اللّه تعالى قلتُ: له كتاب "فضيلة الذكر والدعاء" رواه عنه ابنه أبو علي.
أخبرنا محمد بن إسماعيل الأيوبي الصوفي- بالقاهرة- أخبرنا عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو علي الحريف أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي أخبرنا أبو الحسن البرداني أخبرنا أبو الحسن بن مخلد أخبرنا إسماعيل الصفار حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا المعتمر بن سليمان: سمعتُ عاصمًا الأحول يقول: حدثني شرحبيل أنه سمعَ أبا سعيد، وأبا هريرة، وابن عمر يُحدّثون أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذَهَبُ بالذهَبِ وَزْنًا بوزنٍ، مِثلاً بمثل. مَن زاد أو ازداد فقد أربى".
وأنبأناه عَاليًا أبو الفتح الميدومي أخبرنا عبد اللطيف بن عبد

اللطيف بن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو الفرج بن كليب أخبرنا أبو القاسم بن بيان أخبرنا ابن مخلد- فذكره.

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللّه بن معبد بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي العباسي:

و "أبو موسى" هو كنية جده الأعلى: عيسى بن أحمد بن موسى. هذا هو الصحيحُ في نسبه. وهو الذي ذكره صاحباه القاضيان: أبو بكر الأنصاري، وأبو الحسين بن القاضي، وابن الجوزي، وابن السمعاني، وغيرهم. فإن الشريف أبا جعفر هو ابن أخ الشريف أبي علي محمد بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى صاحب "الإرشاد".
ووقع في تاريخ ابن شافع وغيره: عبد الخالق بن أحمد بن عيسى بن أبي موسى عيسى بن أحمد، وهو وهَمٌ.
ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة.
قال ابن الجوزي: كان عالمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهداً، قوالاً بالحق، لا يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم.
سمع أبا القاسم بن بشران، أبا محمد الخلال، وأبا إسحاق البرمكي، وأبا طالب العُشاري، وغيرهم.
وتفقه على القاضي أبي يعلى، وشهد عند أبي عبد الله الدامَغَاني، ثم ترك الشهادة قبل وفاته. ولم يزل يدرس بمسجده بسكة الخرقي من باب البصرة وبجامع المنصور. ثم انتقل إلى الجانب الشرقي، فدرس في مسجدٍ مقابل لدار الخلافة، ثم انتقل- لأجل ما لحق نهر المعلّى من الغرق- إلى باب الطاق، وسكن عرب الديوان من الرُّصَافة، ودرس بمسجد على باب الدرب، وبجامع المهدي.
وذكر القاضي أبو الحسين نحو ذلك، وقال: بَدَأَ بِدَرسِ الفقه على الوالد من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسين، يقصد إلى مجلسه ويعلق، ويعيد الدَّرس في الفروع وأصول الفقه. وبرع في المذهب، ودَرَّس، وأفتى في حياة الوالد.
وكان مختصر الكلام، مليح التَّدريس، جيد الكلام في المناظرة،

عالمًا بالفرائضِ، وأحكام القرآن والأصول. وكان له مجلسٌ للنظر في كل يوم اثنين ويقصده جماعة من فقهاء المخالفين. وكان شديد القول واللسان على أهل البدع ولم تزل كلمته عالية عليهم، ولا يَردُّ يَده عنهم أحد. وانتهى إليه في وَقتهِ الرحلة لطلب مذهب الإمام أحمد. وذكره ابن السمعاني فقال: إمام الحنابلة في عصره بلا مدافعة. مليح التدريس، حسن الكلام في المناظرة، ورع زاهد، متقن عالم بأحكام القرآن والفرائض، مَرْضِي الطريقة. ثم ذكر بعضَ شيوخه، وقال: روى لنا عنه أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار، ولم يحدثنا عنه غيره.
وقال ابن خيرون: مُقدم أهل زَمانه شرفًا، وعلمًا وزهدًا.
وقال ابن عَقيل: كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم في علم الفرائض.
وكان عند الإمامِ- يعني الخليفة- معظمًا حتى إنه وَصَّى عند مَوته بأن يغسله، تبركًا به. وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه. وكان ذلك كفايةَ عُمره فوالله ما التفتَ إلى شيء منه، بل خرج ونَسِيَ مئزره حتى حُمل إليه. قال: ولم يُشهد منه أنه شرب ماء في حلقة على شدة الحر، ولا غمس يده في طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.
قلتُ: وللشريف أبي جعفر تصانيفُ عِدة، منها "رؤوس المسائل" وهي مشهورة، ومنها "شرح المذهب" وصل فيه إلى أثناء الصَّلاة، وسلك فيه مسلك القاضي في الجامع الكبير. وله جزء في أدب الفقه، وبعض فضائل أحمد، وترجيح مذهبه. قد تفقه عليه طائفةٌ من أكابر المذهَب، كالحلواني، وابن المُخَرَّمِي، والقاضي أبي الحسين.
وكان معظمًا عند الخاصة والعامة، زاهداً في الدنيا إلى الغاية، قائمًا في إنكار المنكرات بيده ولسانه، مجتهدًا في ذلك.
قال أبو الحسين، وابن الجوزي: لما احْتُضِر القاضي أبو يعلى أوصى أن يُغَسله الشريف أبو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر اللّه قال: يغسلني عبد الخالق، ففعل، ولم يأخذ مما هُناك شيئًا. فقيل له: قد وصى لك أميرُ المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذَ. فقيل له: فقميص أمير المؤمنين تتبرك به فأخذ فوطة نفسه، فنشفه بها، وقال: قد لَحِقَ هذه الفوطَة بركةُ أميرِ المؤمنين. ثم استدعاه

في مكانه المقتدي، فبايعه منفردًا. قال: وكان أولَ من بايع، وقال الشريف: لما بايعتُهُ أنشدتُهُ:

إذَا سَيّدٌ مِنا مَضَى قَام سَيِّدٌ

ثم أُرتِجَ عليَّ تمامه، فقال هو:

قَؤولٌ لما قَالَ الكِرَامُ فَعولُ

قال: وأنبأنا ابن عبد اللّه عن أبي محمد التميمي قال: ما حسدتُ أحدًا إلاَّ الشريف أبا جعفر، في ذلك اليوم، وقد نلتُ مرتبة التدريس والتذكير والسفارة بين الملوك، ورواية الأحاديث، والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام. فلمَّا كان ذلك اليوم خرج الشريفُ علينا، وقد غسل القائم عن وصيته بذلك. ثم لم يقبل شيئًا من الدنيا، ثم انسل طالبًا لمسجده، ونحنُ كلٌّ منا جالسٌ على الأرض متَحَفٍّ، متغيرٌ لونُه، مخرقٌ لثوبه، يهوله ما يَحدث به بعد مَوت هذا الرجل على قدر ما له تعلق بهم، فعرفت أن الرجل هو ذلك.
قال القاضي أبو الحسين- أي ابن أبي يعلى-: قلتُ له- أي قلتُ لعبد الخالق- بعد اجتماعه معه: أينَ سهمنا مما كان هناك. فقال: أحْيَيْتُ جَمَالَ شيخنا والدك الإمام أبي يعلى. يُقال: هذا غلامُهُ، تنزه عن هذا القدر الكثير، فكيف لو كان هو؟ وفي سنة أربع وستين وأربعمائة: اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر، وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه. وطلبوا من الدولة قلع المواخير، وتتبع المفسدين والمفسدات، ومنْ يبيعُ النبيذ، وضربَ دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة. فتقدم الخلفية بذلك. فهرب المفسدات، وكُبِسَت الدور، وأريقت الأنبذة. ووعدوا بقلع المواخير، ومكاتبة عضد الدولة برفعها، والتقدم بضرب الدراهم التي يتعامل بها. فلم يقنع الشريف ولاأبو إسحاق بهذا الوعد. وبقي الشريف مدة طويلة متعتبًا مهاجرًا لهم.
وحكى أبو المعالي صالح بن شافع عمن حدَّثه: أن الشريف رأى محمدًا وكيل الخليفة حين غرقت بغداد سنة ست وستين، وجرى على دار الخلافة العجائب، وهم في غاية التخبط. فقال الشريف أبو جعفر: يا محمد، يا محمد، فقال له: لبيك يا سيدنا، فقال له: قل له: كتبنا وكتبتم، وجاء جوابنا قبل، جوابكَم، يشير إلى قول الخليفة: سنكاتب في رفع المواخير، ويريد بجوابه: الغرق وما جرى فيه.
وفي سنة ستين وأربعمائة كان أبو علي بن الوليد- شيخ المعتزلة- قد عزم على إظهار مذهبه لأجل موت الشيخ الأجل أبي منصور بن

يوسف، فقام الشريف أبو جعفر، وعبر إلى جامع المنصور، هو وأهل مذهبه، وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث، وبلغوا ذلك. ففرح أهل السنة بذلك، وقرأوا كتاب التوحيد لابن خزيمة. ثم حضروا الديوان، وسألوا إخراج الاعتقاد الذي جمعه الخليفة القادر. فأجيبوا إلى ذلك. وقرىء هناك بمحضر من الجميع، واتفقوا على لعن من خالفه وتكفيره. وبالغ ابن فَورك في ذلك.
ثم سأل الشريف أبو جعفر، والزاهد الصحراوي: أن يسلم إليهم الاعتقاد، فقال لهم الوزير: ليس ههنا نسخة غير هذه. ونحن نكتب لكم به نسخة لتقرأ في المجالس. فقالوا: هكذا فعلنا في أيام القادر، قرىء في المساجد والجوامع. فقال: هكذا تفعلون، فليس اعتقاد غير هذا، وانصرفوا. ثم قرىء بعد ذلك الاعتقاد بباب البصرة، وحضره الخاص والعام.
وكذلك أنكر الشريف أبو جعفر على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وغيره، فاختفى مدة ثم تاب وأظهر توبته. وسنذكر مضمون ذلك في ترجمة ابن عقيل، إن شاء الله تعالى.
وآخر ذلك كله: فتنة ابن القشيري، قام فيها الشريف قيامًا كليًا، ومات في عقبها.
ومضمون ذلك: أن أبا نصر بن القشيري ورد بغداد، سنة تسع وستين وأربعمائة، وجلس في النظامية. وأخذ يذم الحنابلة، وينسبهم إلى التجسيم. وكان المتعصب له أبو سعد الصوفي، ومال إلى نصره أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الحنابلة، ويسأله المعونة. فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده، والإيقاع به، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومه إن وقعت. فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رماهم هؤلاء بالآجر. فوقعت الفتنة، وقتل من أولئك رجل من العامة، وجرح آخرون، وأخذت ثياب.
وأغلق أتباع بن القشيري أبواب سوق مدرسة النظام، وصاحوا: المستنصر بالله، يا منصور- يعنون العُبَيدي صاحب مصر- وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسي، وأنه ممالىء للحنابلة، لا سيما والشريف أبو جعفر ابن عمه.
وغصب أبو إسحاق، وأظهر التأهب للسفر. وكاتب فقهاءُ الشافعية نظام الملك بما جرى، فورد كتابه بالامتعاض من ذلك، والغَضَب لتسلط الحنابلة على الطائفة الأخرى. وكان الخليفة يخاف من

السلطان ووزيره نظام الملك ويداريهما.
وحكى أبو المعالي صالح بن شافع، عن شيخه أبي الفتح الحلواني وغيره، ممن شاهد الحال: أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه عند النظام أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما تنحسم به الفتنة. فاستدعى الشريف أبا جعفر بجماعة من الرؤساء منهم ابن جردة، فتلطفوا به حتى حضر في الليل، وحضر أبو إسحاق، وأبو سعد الصوفي، وأبو صر بن القشيري. فلما حضر الشريف عظّمه الوزير ورفعه، وقال: إن أمير المؤمنين ساءه ما جرى من اختلاف المسلمين في عقائدهم، وهؤلاء يصالحونك على ما تريد، وأَمَرهم بالدنوّ من الشريف. فقام إليه أبو إسحاق، وكان يتردد في أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ، فقال: أنا ذاك الذي تعرف، وهذه كتبي في أصول الفقه، أقول فيها: خلافًا للأشعرية، ثم قبل رأسه.
فقال له الشريف: قد كان ما تقول، إلاَ أنك لما كنت فقيرَاً لم تُظهِر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان والسلطان خواجا بُزُرْك- يعني النظام- أبديتَ ما كان مخفيًا.
ثم قام أبو سعد الصوفي، فقبّل يد الشريف، وتَلطف به، فالتفت مغضباً وقال: أيها الشيخ، إنّ الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، وأما أنت: فصاحبُ لهو وسَماع وتعبير ممَنْ، زاحمك على ذلك حتى داخلتَ المتكلمين والفقهاء، فأقمتَ سوق التعصب.
ثم قام ابن القشيري- وكان أقلَّهُم احترامًا للشريف- فقال الشريف: من هذا. فقيل: أبو نصر بن القشيري، فقال لو جاز: أن يشكر أحد على بدعته لكان هِذا الشاب لأنه باد هنا بما في نفسه، ولم ينافقنا كما فعل هذان. ثم التفت إلى الوزير فقال: أي صلح يكون بيننا. إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية، أو دنيا، أو تنازع في ملك. فأما هؤلاء القوم: فإنهم يزعمون أنَّا كفار، نحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كان كافراً، فأيُّ صلح بيننا. وهذا الإمام يصدع المسلمين، وقد كان جدَاه- القائم والقادر- أخرجا اعتقادهما للناس، وقرىء عليهم في دواوينهم، وحمله عنهم الخراسانيون والحجيج إلى أطراف الأرض، ونحن على اعتقادهما.
وأنهى الوزير إلى الخليفة ما جرى، فخرج في الجواب: عرف ما أنهيته من حضور ابن العم- كَثر اللّهُ في الأولياء مثلَه- وحضور من

حضر من أهل العلم. والحمد لله الذي جمع الكلمة، وضم الألفة، فليؤذن للجماعة في الانصراف، وليقل لابن أبي موسى: إنه قد أفرد له موضع قريبٌ من الخدمة ليراجَع في كثير من الأمور المهمة، وليتبرك بمكانه.
فلما سمع الشريف هذا قال: فعلتموها.
فحُمل إلى موضع أفرد له بدار الخلافة. وكان الناس يدخلون عليه مدة مديدة. ثم قيل له: قد كثر استطراق الناس دار الخلافة، فاقتصر على من تُعين دْخوله، فقال: ما لي غرض في دخول أحد عليّ. فامتنع الناس.
ثم إن الشريف مرض مرضًا أثر في رجليه فانتفختا. فيقال: إن بعض المتفقِّهة من الأعداء ترك له في مداسه سمًّا، والله تعالى أعلم.
ثم إن أبا نصر بن القشيري أخرج من بغداد، وأمر بملازمة بلده لقطع الفتنة وذلك نفي في الحقيقة.
قال ابن النجار: كوتب نظام الملك الوزير بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه، وقطع هذه الثائرة، فبعث واستحضره، وأمرَه بلزوم وطنه، فأقام به إلى حين وفاته.
قال القاضي أبو الحسين: أخذ الشريف أبو جعفر في فتنة أبي نصر بن القشيري، وحُبِس أياماً، فسَردَ الصوم ما أكل لأحد شيئاً.
قال: ودخلتُ عليه في تلك الأيام ورأيتُه يقرأ في المصحف، فقال لي: قال الله تعالى: "وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ" البقرة: 45، تدري ما الصبر؟ قلت: لا، قال: هو الصوم. ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضج الناس من حبسه. وأخرج إلى الحريم الطاهري بالجانب الغربي فمات هناك.
وذكر ابن الجوزي: أنه لما اشتد مرضه، تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة، فقال: جاء الموت، ودنا الوقت، ما أحبُّ أن أموتَ إلا في بيتي بين أهلي فأذن له. فمضى إلى بيت أخته بالحريم.
قال: وقرأتُ بخط أبي علي بن البناء قال: جاءتْ رقعة بخط الشريف أبي جعفر، ووصيته إلى أبي عبد الله بن جردة فكتبها.
وهذه نسختها: "ما لي- يشهد الله- سوى الحبل والدلو، وشيء يخفى عَليَ لا قدر له. والشيخ أبو عيد الله، إن راعاكم بعدي، وإلاَّ فالله لكم. قال الله عز وجل: "وَلْيَخْشَ الّذينَ لَوْ تَركوُا مِنْ خَلْفِهِم ذُرِّية ضِعافًا خَافُوا عَلَيهِمْ فَليتقُوا اللّه" ومذهبي: الكتابُ، والسنة، وإجماع الأمة، وما عليه أحمد، ومالك والشافعي، وغيرهم ممن يكثر

ذكرهم، والصلاة: بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم. ولا يعقد لي عزاء، ولا يشق عليَّ جيب، ولا يُلطم خد. فمن فعل ذلك فالله حسيبه". وتُوفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس سحرًا، خامس عشر صفر سنة سبعين وأربعمائة، وغسله أبو سعيد البرداني، وابن الفتى بوصية منه، وكانا قد خدماه طول مرضه.
وصُلي عليه يوم الجمعة ضحى بجامع المنصور، وأمَّ الناس أخوه الشريف أبو الفضل محمد. ولم يَسع الجامع الخلق وانضغطوا، ولم يتهيأ لكثير منهم الصلاة، ولم يبقَ رئيس ولا مرؤوس من أرباب الدولة وغيرهم إلا حضره إلا من شاء الله، وازدحم الناسُ على حَمْله. وكان يومًا مشهودًا بكثرة الخلق. وعظم البكاء الحزن.
وكانت العامة تقول: ترحَّموا على الشريف الشهيد، القتيل المسموم لما ذكر من أن بعض المبتدعة: ألقى في مداسه سمًا. ودفن إلى جانب الإمام أحمد.
قال ابن السمعاني: سمعت أبا يعلى بن أبي حازم بن أبي يعلى بن الفراء الفقيه الحنبلي- يوم خرجنا إلى الصلاة على شيخنا أبي بكر بن عبد الباقي، ورأى ازدحام العوام، وتزاحمهم لحمل الجنازة- فقال أبو يعلى: العوام فيهم جهل عظيم. سمعتُ أنه في اليوم الذي مات فيه الشريف أبو جعفر حملوه ودفنوه في قبر الإمام أحمد، وما قدر أحد أن يقول لهم: لا تنبشوا قبر الإمام أحمد، وادفنوه بجنبه.
فقال أبو محمد التميمي - من بين الجماعة- كيف تدفنونه في قبر الإمام أحمد بن حنبل وبنت أحمد مدفونة معه في القبر. فإن جاز دفنه مع الإمام لا يجوز دفنه مع ابنته. فقال بعض العوام: اسكتْ، فقد زوجنا بنت أحمد من الشريف، فسكت التميمي، وقال: ليس هذا يوم كلام.
ولزم الناس قبره، فكانوا يبيتون عنده كل ليلة أربعاء، ويختمون الختمات، ويخرج المتعيشون، فيبيعون الفواكه والمأكولات، فصار ذلك فرجة للناس. ولم يزالوا على ذلك مدة شهور، حتى دخل الشتاء ومنعهم البرد. فيقال إنه: قرىء على قبره في تلك المدة عشرة آلاف ختمة.
ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل الله بك? قال: لما وضعتُ في قبري رأيتُ قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، أدخل من أي أبوابها شئت.
ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل الله بك. قال: التقيتُ بأحمد بن

حنبل فقال لي: يا أبا جعفر، لقد جاهدتَ في اللّه حق جهاده، وقد أعطاك الله الرضى رضي الله عنه.
وقع لي جملة من حديث الشريف أبي جعفر بالسماع، فمنها: ما أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الصوفي- بالقاهرة- أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو علي بن أبي القاسم بن الحريف أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار أخبرنا أستاذي أبو جعفر عبد الخالق بن عيسى الهاشمي- بقراءتي عليه- قلت له: حدثكم أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الصواف حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن هارون وأبو عبد الرحمن قالا: أخبرنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يلجُ النارِ أحدٌ بكى مِن خشية الله، حتى يعودَ اللبنُ في الضرع، ولا يجتمع غُبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم في منخري امرىءٍ أبدًا".
وقرأت بخط ابن عقيل في الفنون قال: مما استَحسنتُه من فقه الشريف الإمام الزاهد أبي جعفر عبد الخالق بن عيسى بن أبي موسى الهاشمي رضي الله عنه وتدقيقه -وإن كان أكثر من أن يُحصى-: ما قاله في أوائل قدوم الغزالي بغداد، وجعلوا يأخذون من أموال الناس في الطرقات، وتقصر أيدي العوام عنهم، فقال: الذي نسبه من مذهب أبي حنيفة: أن تجري عليهم أحكام قطاع الطريق، وإن كان ذلك في الحضر. لأنهم عللوا بأن في الحضر يلحق الغوث، فلا يكون لهم حكم قطاع الطريق في الصحارى والبراري. وهذا التعليل موجود في الحضرة لأنه لا مغيث يغيث منهم، لقوتهم واستطالتهم على العوام.
قلت: هذا قريب من قول القاضي أبي يعلى. إن أصحابنا اختلفوا في المحاربين في الحضر: هل تجري عليهم أحكام المحاربين؟ فظاهر كلام الخرقي: أنها لا تجري عليهم. وقال أبو بكر: بل أحكام المحاربين جارية عليهم. وفَصَل القاضي بين أن يفعلوا ذلك في حَصَر يلحق فيه الغوث عادة أو لا. فإن كان يلحق فيه الغوث عادة: فليسوا بمحاربين، وإلا فهم محاربون. ومعلوم أن السلطان إذا امتنع من دفعهم- إمّا ضعفه وعجزه، وإما لكونه ظالمًا يسلط أعوانه على الظلم- تعذّر لحوق الغوث مع ذلك عادة. فيثبت لهم- على قوله-

أحكام المحاربين والله أعلم.
ونقلت من بعض تعاليق الإمام أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه اللّه. مما نقله من الفنون لابن عقيل: حادثة رجل حلف على زوجته بالطلاق الثلاث: لا فعلتِ كذا، فمضى على ذلك مدة، ثم قالت: قد كنتُ فعلتُه. هل تصدق مع تكذيب الزوج لها. أجاب الشريف الإمام أبو جعفر بن أبي موسى: تُصَدَّق ولا ينفعه تكذيبه. وأجاب الشيخ الإمام أبو محمد: لا تصدق عليه، والنكاح بحاله.
قلتُ: أبو محمد: أظنه التميمي. ومن الفنون أيضًا: مسألة، إذا وجد على ثوبه ماء واشتبه عليه: أمَذْيٌ أم مني؟ إن قلتم: يجب حمله على أقل الأحوال، من كونه مَذيًا، لأن الأصل سقوط غسل البدن: أوجبتم غسل الثوب. لأن المذي نجس، والأصل سقوط غسل الثوب متقابلاً. فقال الشريف أبو جعفر بن أبي موسى رضي الله عنه: لا يجب غسل الثوب ولا البدن جميعًا، لتردد الأمر فيهما. وأوجب غسل أربعة الأعضاء. لأن الخارج- أيَّ خارج كان- يوجب غسل الأعضاء.
وقد ذكر هذه المسألة ابن تميم في كتابه، من الفنون، وعزاها إلى ابن أبي موسى، فربما توهم السامع أنه ابن أبي موسى صاحب الإرشاد، وليس كذاك.
وهذه المسألة تشبه مسألة الرجلين إذا وجدا على فراشهما منيًّا ولم يعلما مَنْ خرج منه، أو سمعا صوتًا ولم يعلما صاحبه. وفي وجوب الغسل والوضوء عليهما روايتان لكن أرجحهما لا يجب. وعلى القول بانتفاء الوجوب، فقالوا: لا يَأْتَمُ أحدهما بصاحبه، ولا يُصافُّه وحده، لأنه يظهر حكم الحدث المتيقن باجتماعهما، ويعلم أن صلاة أحدهما باطلة. فتبطل الجماعة والمصافَّة.
ونظير هذا: ما قلنا في المختلفين في جهة القبلة: إنه لا يأْتَمُ أحدهما بصاحبه فإنه يتيقن باجتماعهما في الصلاة خطأ أحدهما في القبلة، فتبطل جماعتهما.
وكذلك ما ذكره أكثر الأصحاب: في رجلين علّق كل منهما عتق عبده على شرط، ووُجد أحد الشرطين يقينًا، ولا يعلم عينه أنه لا يحكم بعتق عبد واحدٍ منهما، ويستصحب أصل ملكه. فإن اشترى أحدهما عبد الآخر: أخرج المعتق منهما بالقرعة على الصحيح أيضًا.
فكذلك يقال ههنا: يستصحب أصل طهارةّ الثوب والبدن من النجاسة والجنابة، ولكن ليس له أن يصلي بحاله في الثوب كأنَّا نتيقن بذلك حصول المفسد لصلاحيته، وهو إما الجنابة وإما النجاسة.

ومن غرائب الشريف: ما نقله عنه ابن تميم في كتابه: أن المتوضىء إذا نوى غسل النجاسة مع الحدث: لم يجزه، وأن طهارة المستحاضة لا ترفع الحدث.
وذكر الشريف في رؤوس مسائله: أن القدر المجزِىء مسحه من الخفين: ثلاثة أصابع، وأن أحمد رجع إلى ذلك في مسح الخف ومسح الرأس. قال: كان شيخنا ينصر أولاً مسح الأكثر، ثم رأيته ماثلاً إلى هذا. وهذا غريب جداً.

عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن الوليد بن مَنْدَه بن بطة بن أسْتَنْدَار- واسمه الفيرزان- بن جهَارْبَخت، العبدي الأصبهاني الإمام الحافظ، أبو القاسم ابن الحافظ الكبير أبي عبد الله بن مَنْده

ومنْدَه لقب إبراهيم جده الأعلى: ذكره أبو الحسين، وابن الجوزي في طبقات الأصحاب في آخر المناقب.
وترجمه بن الجوزي في تاريخه، فقال: وُلد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.
وسمع أباه وأبا بكر بن مَردويه، وخلقًا كثيرًا. وكان كثير السماع، كبير الشأن، سافر في البلاد، وصنف التصانيف، وخرّج التخاريج.
وكان ذا وقار وسَمت وأتباع فيهم كثرة. وكان متمسكاً بالسنة، مُعرضًا عن أهل البدع، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم.
وكان سعيد بن محمد الزنجاني يقول: حفظ الله الإسلام برَجُلين، أحدهما بأصبهان، والآخر بهرَاة: عبد الرحمن بن منده، وعبد الله الأنصاري.
وقال ابن السمعاني: كان كبير الشأن، جليل القدر، كثير السماع، واسع الرواية.
سافر إلى الحجاز وبغداد وهمَذان، وخراسان، وصنف التصانيف.
وقال القاضي أبو الحسين: لم يكن في عصره وبلده مثله في ورعه وزهده وصيانته، حاله أظهر من ذلك. وكانت بينه وبين الوالد السعيد مكاتبات.
وقال غيره: سمع أبو القاسم من أبيه، وإبراهيم بن خرشيد قوله،

وإبراهيم بن محمد الجلاب، وأبي جعفر بن المرزبان، وأبي ذر بن الطبراني، وخلق بأصبهان، ومن أبي عمر بن مهدي، هلال الحفار، وغيرهما ببغداد، من ابن خزيمة الواسطي بها، ومن ابن جهضم بمكة، ومن أبي بكر الحيري، وأبي سعيد الصَيرفي بنيسابور، لكنه لم يروِ عن الحيري كما فعل الأنصاري، أجاز له زاهر السَّرخسي، وتفرد بذلك، ومحمد بن عبد الله الجوزقي، وعبد الرحمن بن أبي شريح.
وقال أبو عبد الله الدقاقّ الحافظ: فضائل ابن منده ومناقبه كثر من أن تعد- إلى أن قال: ومَنْ أنا لنشر فضله? كان صاحب خُلق وفتوة، وسخاء وبهاء، والإجازة كانت عنده قوية، وله تصانيف كثِيرة، ورُدُودٌ جَمَّة على المبتدعين والمنحرفِين في الصفات وغيرها.
قال: وكان جذعًا في أعين المخالفين، لا يخاف في الله لومة لائم- إلى أن قال: ووصفه أكثر من أن يُحصى.
وقال يحيى بن منده كان عمي سيفًا على أهل البدع، وهو أكبر من أن يثني عليه مثلي، كان والله آمرًا بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وفي الغدوّ والآصال ذاكرًا، ولنفسه في المصالح قاهرًا، أعقب اللهُ مَن ذكره بالشرِّ الندامة. وكان عظيم الحلم كثير العلم، قرأتُ عليه قول شُعبة: "من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد" فقال: "من كتب عني حديثًا فأنا له عبدٌ".
قلتُ: قد ذكر عن شيخ الإسلام الأنصاري أنه قال: كانت مضرته في الإسلام أكثر من منفعته. وعن إسماعيل التيمي أنه قال: خالفَ أباه في مسائل، وأعرض عنه مشايخ الوقت، وَما تركني أبي أسمع منه. وكان أخوه خيرًا منه.
وهذا ليس بقادح- إن صح- فإن الأنصاري والتيمي وأَمثالهما يقدحون بأدنى شيء ينكرونه من مواضع النزاع، كما هجر التيميُّ عبدَ الجليل الحافظَ كُوباه على قوله: "ينزل بالذات" وهو في الحقيقة يُوافقه على اعتقاده، لكن أنكر إطلاقَ اللفظ لعدم الأثر به.
قال ابن السمعاني: سمعتُ الحسين بن عبد الملك يقول: سمعتُ عبد الرحمن بن منده يقول: قد تعجبتُ من حالي مع الأقربين والأبعدين، فإني وَجَدتُ بالآفاق التي قصدتها أكثر من لقيتُه بها- موافقًا كان أو مخالفًا- دعاني إلى مساعدته على ما يقوله، وتصديق قولي، والشهادة له في فعله على قبولٍ ورضى. فإن كنت صَدَّقته: سماني مُوافقًا، وإن وقفت في حَرْفي من قوله، أو في شيء من فعله: سماني مخالفاً- وإن ذكرتُ في واحدٍ منهما أن الكتاب والسنة

بخلاف ذلك: سماني خارجياً. وإن روَيتُ حديثًا في التوحيد: سماني مشبهًا. وإن كان في الرؤية: سماني سالميًا. وأنا متمسك بالكتاب والسنة، مُتَبرىء إلى الله من التشبيه، والمثل والضد والند، والجسم والأعضاء والآلات، ومن كل ما ينسب إليَّ ويُدَّعى عليّ، من أن أقول في اللّه تعالى شيئًا من ذلك أو قلتُه، أو أراه، أو أتوهمه، أو أتخذه، أو أنتحله.
قال ابن السمعاني: وسمعتُ الحسن بن محمد بن الرضى العلوي يقول: سمعتُ خالي أبا طالب بن طَباطبا يقول: كنتُ أشتم أبدًا عبد الرحمن بن منده، فرأيتُ عمر رضي الله عنه في المنام، ويده في يد رجل عليه جبة صوف زرقاء، وفي عينيه نكتة، فسلمتُ عليه، فلم يردّ علي، وقال لي: لم تشتم هذا إذا سمعتَ اسمه? فقيل لي: هذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وهذا عبد الرحمن بن منده.
فانتبهتُ، فأتيتُ أصبهان، وقصدتُ الشيخ عبد الرحمن، فلما دخلتُ عليه صادفتُه على النعت الذي رأيتُ في المنام، وعليه جبة زرقاء.
فلما سلمتُ عليه قال: وعليك السلام يا أبا طالب، وقبلها ما رآني ولا رأيتهُ، فقال قبل أن أنطق: شيء حرمه الله ورسوله يجوز لنا أن نُحِلّه? فقلت: اجعلني في حلّ، وناشدتُه الله وَقَبّلتُ بين عينيه.
فقال: جعلتك في حل مما يرجع إلي.
حدَّث عن الحافظ أبي القاسم خلق كثير من الحفاظ، الأئمة، وغيرهم، مثل: ابن أخيه يحيى بن عبد الوهاب، وأبي نصر الغازي، وأبي سعد البغدادي، والحسين الخلال، وأبي عبد الله الدقاق، وأبي بكر الباغبان، وروى عنه بالإجازة مسعود الثقفي.
وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب "حُزمَة الدين" وكتاب "الرد على الجهمية" بين فيه بطلان ما روي عن الإمام أحمد في تفسير حديث "خَلَقَ اللّهُ آدَمَ عَلَى صُورَته" بكلام حسن. وله كتاب "صيام يوم الشك".
وبأصبهان طائفة من أهل البدع ينتسبون إلى ابن منده هذا، وينسبون إليه أقوالاً في الأصول والفروع، هو منها بريء.
منها: أن التيمم بالتراب يجوز مع القدرة على الماء.
ومنها: أن صلاة التراويح بدعة، وقد ردّ عليهم علماء أصبهان من أهل الفقه والحديث، وبيّنوا أن ابن منده بريء مما نسبوه إليه من ذلك.
تُوفي في شوال سنة سبعين وأربعمائة بأصبهان، وشيَّعه خلق كثيرٌ لا يحصيهم إلاَّ الله تعالى.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بمصر، أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان حدثنا محمد بن إبراهيم الحراني، حدثنا محمد بن سليمان لُوَين، حدثنا عبد الحميد بن سليمان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من امرىء يتصدق بصدقة من كسب طيّب- ولا يقبل الله إلاَّ طيبًا- حتى ولو بتمرة، إلاّ أخذها الله بيمينه، ثم رَبَّاها له كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله، حتى يوافيه يوم القيامة مثل الجبل العظيم.
قرأتُ بخط الإمام أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله: أن أبا القاسم بن منده كان من الأصحاب، وكان يذهب إلى الجهر بالبسملة في الصلاة.
وذكر أيضًا في مسائله الماردانيات: أن طائفة من الأصحاب لم يذهبوا إلى صيام يوم الغيم، منهم أبو القاسم بن منده.
وذكر أبر زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده قال: قال عمي الإمام- يعني أبا القاسم رحمه الله- علامة الرضا: إجابة الله تبارك وتعالى من حيث دعا بالكتاب والسنة. وعلامة الورع: الخروج من الشبهات بالأخبار والآيات. وعلامة القناعة السكوت على الكتاب والسنة في الوقوف عند الشبهة. وعلامة الإخلاص: زيادة السرّ على الإعلان في إيثار قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم على الأقاويل كلها بالإيمان والاحتساب. وعلامة الصبر: حبس النفس في استحكام الدرس بالكتاب والسنة. وعلامة التسليم: الثقة باللّه الحكيم في قوله، والسكن إلى الله العليم بقول رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأشياء.
وقال أبو القاسم بن منده في كتاب "الرد على الجهمية": التأويلُ عند أصحاب الحديث: نوع من التكذيب.

أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب الرزاز، المقرىء الزاهد، أبو بكر المعروف بابن حُمّدوه:

ذكره ابن الجوزي في الطبقات والتاريخ.

وُلد يوم الأربعاء لثماني عشرة خلت من صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.
وحدّث عن خلق كثير. منهم: أبو الحسين بن بشران، وابن الفوارس، وهو آخر من حدّث عن أبي الحسين بن سَمْعُون.
وتفقه على القاضي أبي يعلى، وكان ثقة، زاهدًا، متعبدًا، حسن الطريقة.
وقال القاضي أبو الحسين: تفقه على الوالد مع الشريف أبي جعفر، وكانا يصطحبان إلى المجلس. وكان كثير القراءة للقرآن والإقراء له، ختَّم خلقًا كثيرًا. وحدّث عنه الخطيب في تاريخه.
قال: وكان صدوقًا. وأبو الحسن بن مرزوق في مشيخته، وأبو القاسم بن السمرقندي، والقاضي أبو الحسين في طبقات الأصحاب، وغيرهم.

تُوفي ليلة السبت رابع عشرين في الحجة سنة سبعين وأربعمائة. ودفن من الغد بباب حرب.
قال السلفي: سألتُ أبا علي البرداني عن ابن حُمَّدُويه صاحب ابن سمعون فقال: هو بضم الحاء وتشديد الميم وضمه أيضًا، يعني وبالياء.

ذكره ابن نقطة. قال: وغيره يقول بخلاف قوله. منهم من يقول: حُمَّدُوَه بضم الحاء، وتشديد الميم وفتحها، بغير ياء بعد الواو.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم- بمصر- أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا عبد الوهاب بن علي الأمين، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حمدويه الرزاز، حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون، حدثنا أحمد بن سليمان بن ريان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين الأوزاعي، حدثنا الزهري، حدثني سالم عن ابن عمر أنه حدَّثه "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصدَّق على رجل بفرس له، ثم وَجَدها تباع في السُوق، فأراد عمر أن يشتريها، فأتى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال رسول اللّه صلى الله

عليه وسلم: لا ترتد في صدقتك".
قال الزهري: فكان ابن عمر يصنع في صدقته إن رَدَّها عليه الميراث يومًا لا يَحبسُها عنده.

?الحسن بن أحمد بن عبد اللّه بن البناء البغدادي، الإمام، أبو علي المقرىء

المحدِّث الفقيه الواعظ، صاحب التصانيف: ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة.
وقرأ القراءات السبع على أبي الحسن الحمامي وغيره. وسمع الحديث من هلال الحفار، وأبي محمد السكري، وأبي الحسن بن رزقويه، وأبي الفتح بن أبي الفوارس، وابن رزقويه، وأبي الحسين بن بشران، وأخيه أبي القاسم، وأبي علي بن شهاب، وأبي الفضل التميمي، وخلق كثير.
وتفقه أولاً على أبي طاهر بن الغباري، ثم على القاضي أبي يعلى، وهو من قدماء أصحابه. وحضر عند أبي علي بن أبي موسى وناظر في مجلسه. وتفقه أيضًا على أبي الفضل التميمي، وأخيه أبي الفرج.
وقرأ عليه القرآن جماعة، مثل أبي عبد اللّه البارع، وأبي العزّ القلانسي، وأبي بكر المزْرَفِيّ.
وسمع منه الحديث خلق كثيرٌ. وقرأ عليه الحافظ الحميدي كثيراً.
حدَّث عنه ولداه أبو غالب أحمد ويحيى، وأبو الحسين بن الفراء، وأبو بكر بن عبد الباقي، وابن الحَصين، وأبو القاسم بن السمرقندي وغيرهم.
ودرس الفقه كثيرًا وأفتى زمانًا طويلاً.
قال القاضي أبو الحسين: تفقه على الوالد، وعلق عنه المذهب والخلاف، ودَرس بدار الخلافة في حياة الوالد وبعد وفاته. وصنف كتبًا في الفقه والحديث والفرائض، وأصول الدين، وفي علوم مختلفات. وكان متفننًا في العلوم. وكان أديبًا شديدًا على أهل الأهواء.
وقال ابن عقيل: هو شيخ إمام في علوم شتى: في الحديث، والقراءات، والعربية، وطبقة في الأدب والشعر والرسائل، حسن الهيئة، حسن العبادة. كان يؤدب بني جردة.

وقال ابن شافع: كان له حلقتان، إحداهما: بجامع المنصور، وسط الرواق. والأخرى: بجامع القصر، حيال المقصورة، للفتوى والوعظ وقراءة الحديث. وكان يفتي الفتوى الواسعة، ويفيد المسلمين بالأحاديث والمجموعات وما يقرئه من السنن.
وكان نقي الذهن، جيد القريحة، تدل مجموعاته على تحصيله لفنون من العلوم، وقد صنف قديمًا في زمن شيخه الإمام أبي يعلى في المعتقدات وغيرها، وكتب له خطه عليها بالإصابة والاستحسان.
ولقد رأيتُ له في مجموعاته من المعتقدات ما يوافق بين المذهبين: الشافعي، وأحمد. ويقصد به تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، مما قد استقر له وجود في استنباطه، مما أرجو له به عند الله الزلفى في العقبى. فلقد كان من شيوخ الإسلام النصحاء، الفقهاء الألباء. ويبعد غالبًا أن يجتمع في شخص من التفنن في العلم ما اجتمع فيه.
وقد جمع من المصنفات في فنون العلم فقهًا وحديثًا، وفي علم القراءات والسير، والتواريخ والسنن، والشروح للفقه، والكتب النحوية إلى غير ذلك جموعًا حسنة، تزيد على ثلاثمائة مجموع. كذا قرأته محققًا بخط بعض العلماء.
وقال ابن الجوزي: ذكر عنه أنه قال: صنفتُ خمسمائة مصنف.
وقال أبو نصر بن المُجْلي، مما ذكره ابن شافع عنه: له مجموعات ومؤلفات في المذهب، وفيما سواه من المذاهب، وفي الحديث وغيره. وتراجم كتبه مسجوعة على طريقة أبي الحسين بن المنادي.
قال: وكتبت الحديث عن نحو من ثلاثمائة شيخ لم أرَ فيهم من كتب بخطه أكثر من ابن البناء.
قاد: وقال لي هو رحمه الله: ما رأيت بعيني من كتب أكثر مني.
قال: وكان طاهر الأخلاق، حسن الوجه والشيبة، محبًا لأهل العلم مكرمًا لهم.
توفي رحمه الله ليلة السبت خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وصلى عليه في الجامعين: جامع القصر، وجامع المنصور. وكان الجمع فيهما متوفرًا جدًا. أمَّ الناس في الصلاة عليه: أبو محمد التميمي، وتبعه خلق كثير، وعالم عظيم. ودفن بباب حرب.
وقد غمزه ابن السمعاني، فقال: سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول: كان واحد من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد بن

عبد الله النيسابوري. وكان قد سمع الكثير. وكان ابن البناء يكشط من التسميع بِوَرْي، ويَمُدّ السِّين، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد الله البناء، كذا قيل إنه يفعل هذا.
قال أبو الفرج بن الجوزي: وهذا القول بعيد الصحة لثلاثة أوجه.
أحدها: أنه قال: "كذا قيل" ولم يحك عن علمه بذلك. فلا يثبت هذا.
والثاني: أن الرجل مكثر، لا يحتاج إلى استزادة لما يسمع. والثالث: أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبي علي بن البناء. فأين ذكر هذا الرجل، الذي يقال له: الحسن بن أحمد بن عبد اللّه النيسابوري؟ ومن ذكره؟ ومن يعرفه؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لا يخفى، فمن هذا الرجل؟ فنعوذ بالله من القدح بغير حجة. 1ه.
وذكر السلفي عن شجاع الذهلي، والمؤتمن الساجي: أنهما غمزاه أيضًا. ولم يفسرا. وفسره السلفي بأنه كان يتصرف في أصوله بالتغيير والحكِّ.
وذكر ابن النجار: أن تصانيفه تدل على قلة علمه، وسوء تصرفه، وقلة معرفته بالنحو واللغة. كذا قال. وابن النجار أجنبي من هذه العلوم فما باله يتكلم فيها؟ وقد وقع لنا الكثير من حديثه عاليًا.
فمن ذلك: ما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم- بفسطاط مصر- قال: أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، أخبرنا أبو المعالي أحمد بن محمد بن الحسين المداري، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثني الوليد بن سفيان، حدثنا ابن أبي عَديٍّ عن شُعبة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر".
ذكر ما وقفت عليه من أسماء مصنفات ابن البناء: شرح الخرقي في الفقه، الكامل في الفقه، الكافي المحدد في شرح المجرد. الخصال والأقسام، نزهة الطالب في تجريد المذاهب، آداب العالم والمتعلم، شرح كتاب الكرماني في التعبير، شرح قصيدة ابن أبي داود في السنة، المنامات المرئية للإمام أحمد: جزء، أخبار الأولياء، والعُبَّاد بمكة: جزء، صفة العباد في التهجد والأوراد: جزء، المعاملات والصبر على المنازلات: أجزاء كثيرة. الرسالة في

السكوت ولزوم البيوت: جزء، سلوة الحزين عند شدة الأنين: جزء، طبقات الفقهاء، أصحاب الأئمة الخمسة، التاريخ، مشيخة شيوخه، فضائل شعبان، كتاب اللباس، مناقب الإمام أحمد، أخبار القاضي أبي يعلى: جزء، شرف أصحاب الحديث، ثناء أحمد على الشافعي، وثناء الشافعي على أحمد، وفضائل الشافعي، كتاب الزكاة وعقاب من فرط فيها: جزء، المفصول في كتاب اللّه: جزء، شرح الإيضاح في النحو الفارسي، مختصر غريب الحديث لأبي عبيد، مرتب على حروف المعجم.

ومن فوائد ابن البناء الغريبة: أنه حكى في شرح الخرقي عن بعض الأصحاب أنه يعفى عن يسير يغيّر رائحة الماء بالنجاسه، كقول الخرقي في التغير بالطاهرات.

وذكر في شرح المجرد: أن من أخر الصلاة عمدًا في السفر وقضاها في الحضر له القصر كالناسي.

قال: ولم يفرق الأصحاب بينهما. وإنما يختلفان في المأثم وعدمه. وهذا النقل غريب جدًا.

وقد ذكر نحوه القاضي أبو يعلى الصغير في شرح المذهب، ولا يعرف في هذه المسألة كلام صريح للأصحاب، إلا أن بعض الأئمة المتأخرين ذكر: أنه لا يجوز القصر للعامد، واستشهد على ذلك بكلام جماعة من الأصحاب في مسائل، وليس له فيما ذكره حجة. واللّه تعالى أعلم.

وذكر في هذا الكتاب: أن حكم اقتداء بعض المسبوقين ببعض فيما يقضونه من صلاتهم: لا فرق فيه بين الجمعة وغيرها. وأن الخلاف جارٍ في الجميع. وهذا خلاف ما ذكره القاضي وأصحابه موافقة للشافعية: أن الجمعة لا يجوز ذلك فيها وجهًا واحداً لأنها لا تقام في موضع واحد في جماعتين.

قال ابن البناء: وفي هذا عندنا نظر لأنه يجوز إقامتها مرتين، يعني للحاجة.

ومما أنشده السلفي عن ابن أبي الحسين الطيوري: أن ابن البناء أنشده لنفسه على البديهة:

غُيِّبْتْ أشباحنا كـان بـيننـا ... رسائل صدقٍ في الضمير تراسلُ
وأرواحنا في كل شرق ومغـرب ... تلاقَى بإخلاص الوداد تواصـلُ
أمور لو تحققتَ بعـضَ كنهـها ... لكنتَ لنا بالعذر فيها تُـقـابـل

وكم غائب والقلب منه مسـالـم زائرٍ في القلب منه بلابـلُ
فلا تجزعن يومًا إذا غاب صاحب أمين، فما غاب الصديق المجاملُ

حمزة بن الكيالي البغدادي، أبو يعلى الفقيه الزاهد:

ذكره أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه وعلق عنه، وسمع منه.
وقال في ترجمته: كان رجلاً صالحًا، تردد إلى الوالد زمانًا مواصلاً، وسمع منه علمًا واسعًا، وكان عبدًا صالحًا. وقيل: إنه كان يحفظ الاسم الأعظم.
وقال ابن خيرون: كان صالحًا زاهدًا، ملازمًا لبيته ومسجده، معتزل الخصومات والمراء.
وقال ابن شافع في تاريخه: كان رجلاً صالحًا، ملازمًا لبيته ومسجده، حافظًا للسانه، معتزلاً عن الفتن.
توفي يوم الأربعاء سابع عشر من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ودفن بمقبرة باب الدير.

أبو بكر بن عمر الطحان:

قال أبو الحسين: حضر درس الوالد، وعلق عنه. ومات في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.

عبد الباقي بن جعفر بن شَهْلَى

الفقيه الحنبلي، أبو البركات: قال ابن السمعاني: أحد المقلِّين. حدَّث بشيء يسير عن أبي إسحاق البرمكي، وروى عنه هبة الله السَقَطي في معجمه. وذكر القاضي أبو الحسين، في أسماء من تفقه على أبيه وعلق وسمع الحديث: أبا البركات بن شهلى، وهو هذا. رأيت ذلك في طبقة سماعه.
قال القاضي أبو يعلى: وهو ابن شَهلِي بالياء.

علي بن محمد بن الفرج بن إبراهيم البزاز، المعروف بابن أخي نصر العكبري

ذكره ابن الجوزي في الطبقات، وقال: سمع من أبي علي بن شاذان والحسن بن شهاب العكبري. وكان له تقدم في القرآن والحديث، والفقه والفرائض، وجمع إلى ذلك النسك والورع.
وذكر ابن السمعاني نحو ذلك، وقال: كان فقيه الحنابلة بعكبرا، والمفتي بها. وكان خيرًا، ورعًا متزهدًا، ناسكاً كثير العبادة. وكان له ذكر شائع في الخير، ومحلّ رفيع عند أهل بلدته

وتوفي في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.

وذكر ابن شافع وغيره: أنه حدث بشيء يسير، وأن وفاته كانت يوم الإثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة بعكبرا.

روى عنه إسماعيل بن السمرقندي، وأخوه عبد الله وغيرهُما. وسمع منه مكي الرُّميلي وجماعة. ومما أنشده لنفسه:

لمحتكر الدنـيا وبـانـيهـاقليل على كرهٍ يُخـلِّـيهـا
عواقب مفروحاتـهـا حَـزَنٌ أساءت في تقاضيهـا
من يُسـرُّ بـأيام تـسـيرُ بإلى الفـنـاء وأيام يُقَّـضـيهـا
قف في منازلَ أهل العزوانظرْ إلى أي شيءٍ صار أهلوها
معتبـراً
صاروا إلى جدث قَفرٍ،الثرى ودَوِيُّ الدُودِ يَعلوهـا
محاسنهـم

طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن القواس البغدادي

الفقيه الزاهدُ الوَرِعُ، أبو الوفاء: وُلد سنة تسعين وثلاثمائة. وقرأ القران على أبي الحسن الحمامي، وسمع الحديث من هلال الحفار، وأبي الحسين بن بشران، وأبي نصر بن الزينبي، وأبي الحسين بن الفضل القطان، وأبي سهل العكبري وغيرهم.
وتفقه أولاً على القاضي أبي الطيب الطبري الشافعي، ثم تركه وتفقه على القاضي أبي يعلى، ولازمه حتى برع في الفقه، وأفتى ودرس. وكانت له حلقة بجامع المنصور للفتوى والمناظرة. وكان يلقي المختصرات من تصانيف شيخه القاضي أبي يعلى درسًا،

ويلقي مسائل الخلاف درسًا. وكان إليه المنتهى في العبادة والزهد والورع.
ذكر ابن ناصر: أنه كان زاهد وقته في الطبقة الثانية عشرة.
وذكره ابن السمعاني في تاريخه، فقال: من أعيان فقهاء الحنابلة وزهادهم. كان قد أجهد نفسه في الطاعة والعبادة، واعتكف في بيت الله خمسين سنة، وكان يواصل الطاعة ليله بنهاره، وكان قارئاً للقرآن، فقيهًا ورعًا، خشن العيش انتهى كلامه.
وكانت له كرامات ظاهرة.
ذكر ابن شافع في ترجمة صاحبه أبي الفضل بن العالمة الإسكافي المقرىء: أنه كان يحكي من كرامات الشيخ أبي الوفاء أشياء عجيبة.
منها: أنه قال: كنت أحمل معي رغيفين كل يوم، فأعبر- يعني في السفينة- برغيف، وأمشي إلى مسجد الشيخ فأقرأ، ثم أعود ماشيًا إلى ذلك الموضع، فأنزل بالرغيف الآخر. فلما كان يوم من الأيام، أعطيتُ الملاح الرغيف، فرمى به واستقله، فألقيتُ إليه الرغيف الآخر، وَتشوش قلبي لما جرى، وجئت الشيخ، فقرأت عليه عادتي، وقمتُ على العادة، فقال لي:- قف- ولم تجر عادته قط بذلك- ثم أخرج من تحت وطائِه قرصًا، فقال: اعبُر بهذا. فلحقني من ذلك أمرٌ بانَ عليَّ، ومضيتُ فعبرتُ به. وكان ابن العالمة- هذا- قد قرأ على الشيخ أبي الوفاء القرآن بالروايات.
وقال أبو الحسين، وابن الجوزي في الطبقات: كانت له حلقة بجامع المنصور يفتي ويعظ، وكان يدرس الفقه، ويقرىء القرآن. وكان زاهدًا أمارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، أقام في مسجده نحوًا من خمسين سنة، وأجهد نفسه في العبادة وخشونة العيش.
قال ابن السمعاني: سمعتُ عبد الوهاب بن المبارك الحافظ يقول: سأل واحدٌ أبا الوفَاء بن القواس عن مسألة في حلقته بجامع المنصور، وكان الشيخ ممن قد رأى السائل في الحمام بلا مئزر، مكشوف العورة، فقال له: لا أجيبك عن مسألتك حتى تقوم ههنا في وسط الحلقة، وتخلع قميصك وسراويلك، وتقف عريانًا، فقال السائل: يا سيدنا، أنا أستحي، وهذا مما لا يمكن، فقال له: يا فلان، فهؤلاء الحضور، أو جماعة منهم الذين كانوا في الحمام، ودخلتَ مكشفًا بلا مئزر، إيش الفرق بين جامع المنصور والحمام؟
فاستحيى الرجل من ذلك. ثم ذكر فصلاً طويلاً في النهي عن كشف

العورة، وأجاب عن سؤاله.
وقال ابن عقيل: كان حسن الفتوى، متوسطًا في المناظرة في مسائل الخلاف إمامًا في الإقراء، زاهدًا شجاعًا مقدامًا، ملازمًا لمسجده، يهابه المخالفون، حتى إنه لما توفي ابن الزوزني، وحضره أصحاب الشافعي- على طبقاتهم وجموعهم- في فورة أيام القشيري وقوتهم بنظام الملك حضر، فلما بلغ الأمر إلى تلقين الحفار قال له: تنحّ حتى ألقنه أنا، فهذا كان على مذهبنا، ثم قال: يا عبد الله وابن أمته، إذا نزل عليك ملكان فظّان غليظان، فلا تجزع ولا تُرَعْ، فإذا سألاك فقل: رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً لا أشعري ولا معتزلي بل حَنبلي سُنِّي. فلم يتجاسر أحد أن يتكلم بكلمة ولو تكلم أحد لفَضَخ رأسَه أهلُ باب البصرة، فإنهم كانوا حوله قد لَقّن أولادهم القرآن والفقه، وكان في شوكة ومنعَة، غير معتمد عليهم، لأنه أمة في نفسه.
حدّث عن الشيخ أبي الوفاء جماعة، منهم: عبد الوهاب الأنماطي، وأبو القاسم ابن السمرقندي، وعليّ بن طِراد الزينبي، والقاضي أبو بكر الأنصاري، وغيرهم.
وتوفي يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة. ودفن إلى جانب الشريف أبي جعفر بدكة الإمام أحمد رضي اللّه عنه، ليس بينه وبينه غير قبر الشريف رحمه الله تعالى.
قرأ على أبي عبد اللّه محمد بن إسماعيل الأيوبي- بالقاهرة وأنا أسمع-: أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو علي بن أبي القاسم بن الحريف، أخبرنا القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أبو الوفاء بن القواس، أخبرنا أبو سهل العكبري، حدثنا إبراهيم بن أحمد الخرقي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن سابور، حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا الفضل بن حرب البجلي، حدثنا عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "لكل شيء حلية، وإنَّ حليةَ القرآن: الصوتُ الحسن".
ذكر أبو الحسن بن البناء في كتاب "أدب العالم والمتعلم": أنه حدث في زمانه مسألة، وهي: هل يجوز أن يقرأ على المحدّث الثقة كتاب، ذكر أنه سماعه، وليس هناك خط يشهد به من شيخ ولا غيره؟ وأن فقهاء عصرهم اتفقوا على جواز ذلك وكتبوا به خطوطهم، وذكر خلقًا ممن أفتى بذلك. أولهم: أبو محمد التميمي من أصحابنا. وقال:

الخط عادة محدثة، استظهرها المحدثون من غير إيجاب لها.
وكتب أبو إسحاق الشيرازي تحت خطه: جوابي مثله.
قال ابن البناء: وكتبتُ أنا: المحدث الثقة: القول قوله في ذلك، ولو رأوا سماعه في كتاب، حتى يقول المحدّث: "ما سمعته " لم يجز أن يقرأ عليه والسلف رضي الله عنهم، على هذا كانوا يحدثون بالأحاديث، وأكثرهم يذكرها من حفظه، ويسمعونها منهم، وإن لم يظهروا خط من حدّثهم به.
قاد: وبلغني أن الشريف الأجل أبا جعفر بن أبي موسى كذلك أفتى.
وذكر أجوبة كثيرة، منها: جواب ابن القواس. ولفظه: الظاهر العدالة، يقنع بمجرد قوله، ولا يطالب بخط من أسند عنه من شيوخه، وكتبه ابن القواس الحنبلي.
وذكر مثل ذلك عن قاضي القضاة أبي عبد اللّه بن الدامغاني وأبي نصر بن الصباغ، وأبي بكر الشامي وغيرهم.
وذكر أن مثل هذه المسألة وقع مرتين فيما تقدم، وأن الفقهاء والمحدثين اتفقوا على السماع بذلك، منهم: الحافظ أبو عبد الله الصوري قال: وامتنع من السماع بذلك نفر، لا يعتد بخلافهم. قال: ولا أعلم أحدًا يخالف في هذه المسألة من فقهاء العصر والمتقدمين قبلهم، من أئمة أصحاب الحديث: المتقدمين العلماء، والمتأخرين البلغاء
قلتُ: وقد وقع في المائة السابعة مثل هذه المسألة في صحيح مسلم لما قال القاسم الإربلي: سمعتُه من المؤيد الطوسي، فقُبل ذلك منه. وسُمع عليه الكتاب غير مرة، وسمعه منه الحفاظ والفقهاء. وأفتى بالسماع عليه جماعة، منهم: قاضي القضاة شمس الدين بن أبي عمر المقدسي.

عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن جلبة

البغدادي ثم الحراني الجزار، أبو الفتح قاضي حَرّان: اشتغل ببغداد، وتفقه بها على القاضي أبي يعلى، وسمع الحديث من البرقاني، وأبي طالب العشاري، وأبي علي بن شاذان، وأبي علي بن شهاب العكبري، والقاضي أبي يعلى، وغيرهم. ثم استوطن حران، وصحب بها الشريف أبا القاسم الزيدي، وأخذ عنه، وتولى بها القضاء.
قال ابن السمعاني: بغدادي سكن حران، وولي بها القضاء، وعمل المظالم، وكان فقيهًا واعظًا فصيحًا.

وذكره أبو الحسين في الطبقات، ونسبه إلى حران.
ورأيت بخط نفسه في نسبه "الحراني".
قال أبو الحسين: وقدم بغداد من ثغر حران قاصدًا لمجلس الوالد، وطالبًا لدرس الفقه عليه، فتفقه عليه، وكتب كثيرًا من مصنفاته.
وكان يلي قضاء حرّان من قبل الوالد، كتب له عهدًا بولاية القضاء بحران، وكان ناشرًا للمذهب، داعيًا إليه. وكان مفتي حران، وواعظها وخطيبها ومُدَرسها.
قلتُ: وله تصانيف كثيرة، قال أبو عبد الله بن حمدان: اختصر المجرد، وله: "رؤوس مسائل" و "أصول فقه" و "أصول دين".
وله أيضاً -مما لم يذكره ابن حمدان-: "كتاب النظام بخصال الأقسام".
وسمع منه الحديث جماعة، منهم: هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، ومكي الرُّمَيْلي، وغيرهما. وفي زمانه كانت حران لمسلم بن قريش صاحب الموصل، وكان رافضيًا، فعزم القاضي أبو الفتح على تسليم حرّان إلى "جبق" أمير التركمان لكونه سُنيًا، فأسرع ابن قريش إلى حران وحصرها، ورماها بالمنجنيق، وهدم سورها وأخذها، ثم قتل القاضي أبا الفتح وولديه، وجماعة من أصحابه، وصلبهم على السور سنة ست وسبعين وأربعمائة- وقبورهم ظاهرة بحران تُزار رحمة الله عليهم.
أنبأتني زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسي عن عبد الرحمن بن مكي الحاسب، أخبرنا جدي أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي قال: أخبرنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن حامد الأسدي الحراني- بماكِسينَ، وقد ولي قضاءها- قال: كتب إليَّ أبو طالب محمد بن علي بن الفتح الشعاري من بغداد. وحدثنا عنه أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد بن جلبة القاضي- بحران إملاء- حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الدقاق، حدثنا الحسين بن صفوان البرذعي حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، حدثنا محمد بن بشير، حدثنا عبد الرحمن بن جرير حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد.
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اتقى الله تعالى كَلَّ لسانُه ولم يشف غيظه".
ذكر أبو العباس أحمد بن تيمية في أول "شرح العمدة": أن أبا الفتح بن جَلَبة كان يختار استحباب مسح الأذنين بماء جديد، بعد مسحهما بماء الرأس. وهو غريب جدًا.

وذكر ابن حمدان عنه أنه قال: الحق أن الحروف كلها قديمة، وتركيبها في غير القرآن محدث، إن قلنا: اللُغة اصطلاح، وإن قلنا: توقيف، فقديمة.
قال يحيى بن منده في مناقب الإمام: وَجَدْتُ بخط المؤتمن البغدادي الشيخ الصالح الثقة المتدين رحمه الله، قال: قال أبو يعلى الحنبلي البغدادي: أخرج إليّ أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد الحراني صاحبنا هذه الأبيات، قال: وجدتها في كتاب المصباح، قال: أنشدني أبو منصور الفقيه لأحمد بن محمد بن حنبل رحمه اللّه:

يا طالبَ العلم، صارمْ كلَّ بطال ... وكل غادٍ إلى الأهواء مَيَّالِ

واعمل بعلمك سرًا أو علانية ... ينفعك يومًا على حال من الحالِ

خذ ما أتاك به ما جاء من أثر ... تميلَنَّ يا هذا إلى بدعتضل أصحابها بالقيل والقالِ

فكنْ أثريّاً خالصًا فهمًا ... شِبهًا بشبهٍ وأمثالاً بأمثالِ

ودَعْ آراء ضلاتعشْ حميدًا

"جَلَبَة" بفتح الجيم واللاّم والباء الموحدة- قيده ابن نقطة وغيره.
وقد روى هذه الحكاية ابن النجار من طريق أبي منصور الخياط، عن القاضي أبي يعلى، قال: أخرج إليّ أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد هذه الأبيات قال: وجدتها في كتاب المصباح.
قال: أنشدني علي بن منصور، ولم يذكر أحمد. وهذا هو الصحيح.

عبد الله بن عطاء بن عبد الله بن أبي منصور بن الحسن بن إبراهيم الإبراهيمي

الهروي، المحدث الحافظ، أبو محمد: أحد الحفاظ المشهورين الرحالين، سمع بهراة من عبد الواحد المليحي وشيخ الإسلام الأنصاري، وببوشنج من أبي الحسن الداودي، وبنيسابور من أبي القاسم القشيري، وأبي عثمان النميري وجماعة، وببغداد من أبي الحسين بن النقور وطبقته، وبأصبهان من عبد الرحمن وعبد الوهاب ابني منده، وجماعة.

وكتب بخطه الكثير، وخرج التخاريج للشيوخ، وَحَدث.

وروى عنه أبو محمد سبط الخياط، وأبو بكر بن الزعفراني. وآخر من روى عنه: أبو المعالي بن النحاس، ووثقه طائفة من حفاظ وقته في الحديث، منهم: المؤتمن الساجي.

وقال شهردار الديلمي عنه: كان صدوقًا حافظًا، متقنًا واعظاً، حسن التذكير.

وقال يحيى بن منده: كان أحد من يفهم الحديث ويحفظ، صحيح النقل، كثير الكتابة، حسن الفهم، وكان واعظًا حسن التذكير.

وقال خميس الجوزي: رأيته ببغداد ملتحقًا بأصحابنا، ومتخصصًا بالحنابلة، يُخرّج لهم الأحاديث المتعلقة بالصفات، ويرويها لهم. وأضداده من الأشعرية يقولون: هُو يضعها. وما علمتُ فيه ذلك. وكان يعرفه. انتهى.

وقد تكلم فيه هبة الله السقطي، والسقطي مجروح، لا يقبل قوله فيه مقابلة هؤلاء الحفاظ. وقد رد كلامه فيه ابن السمعاني وابن الجوزي وغيرهما.

وخرّج الإبراهيمي شيوخ الإمام أحمد وتراجمهم.

وتوفي في طريق مكة بعد عوده منها، على يومين من البصرة، سنة ست وسبعين وأربعمائة. رحمه الله تعالى.

أحمد بن علي بن عبد الله المقرىء

الصوفي المؤدب، أبو الخطاب البغدادي: وُلد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. قرأ على أبي الحسن الحمامي وغيره. تلا على الحمامي المذكور بالسبع. وقرأ عليه خلق كثير، منهم: أبو الفضل بن المهتدي، وهبة اللّه بن المُجْلي، وغيرهما.

وروى عنه الحديث أبو بكر بن عبد الباقي وغيره. وله مصنف في السبعة، وقصيدة في السنة، رواها عنه عبد الوهاب الأنماطي وغيره، وقصيدة في عدد الآي. وكان من شيوخ الإقراء ببغداد المشهورين بتجويد القراءة وتحسينها.

توفي يوم الثلاثاء سادس عشرين رمضان سنة ست وسبعين وأربعمائة. ودفن بباب حرب.
أَنبِئْتُ عن القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي، أنبأنا عمر بن محمد بن طَبَرْزَد، أنبأنا أبو عبد اللّه الحسين بن علي المقرىء قال: أنبأنا أبو الخطاب الصوفي قال: كنت على مذهب الإمام الشافعي، وكان عادتي: أن لا أرجّعَ في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. وكان عادتي أيضًا ليلة الغيم: أنوي من رمضان كما جرت عادة أصحاب أحمد، فلما كان في بعض الليالي: رأيت كأنني في دار حسنة جميلة، وفيها من الغلمان والخدم والجند خلق كثير، وهم صغار وكبار، والدخل والخرج، والأمر والنهي. فإذا رجل بهي شيخ على سرير، والنور على وجهه ظاهر، وعلى رأسه تاج من ذهب مرصع بالجوهر، وثياب خضر تلمع. وكان إلى جنبي رجل ممنطق يشبه الجند، فقلت له: بالله هذا المنزل لمَن?. قال لمن ضرب بالسوط حتى يقول: القرآن مخلوق. قلت أنا في الحال: أحمد بن حنبل? قال هو ذا. فقلت: واللّه إن في نفسي أشياء كثيرة، أشتهي أن أسأله عنها، وكان على سرير، وحول السرير خلق قيام. فأومأ إليّ أن اجلسْ، وسَلْ عما تريد. فمنعني الحياء من الجلوس. فقلت: يا سيدي، عادتي لا أرجِّع في الأذان، ولا أقنت في صلاة الفجر، غير أنني أجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم، وأخشع. فقال بصوت رفيع عال: أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أتقى منك وأخشع، وأكثرهم لم يجهروا بقراءتها. فقلت: عادتي ليلة الغيم أصوم، كما قال الإمام أحمد بن حنبل. فقال اعتقد ما شئت من أي مذهب تدين الله به، ولا تكن مَعْمَعِيًّا. وأنا أرعدُ. فلما أصبحتُ أعلمتُ من يُصَلي ورائي بما رأيتُ، ولم أجهر بعدُ، ودعاني ذلك إلى أن قلتُ هذه القصيدة وهي:

حقيقة إيماني: أقولُ لعلّي ... لتَسمعوا به يوماً إلى اللّه أرجع

إله غير ذي الطول وتعالى، بلا مثل، له الخلق خضع

وليس بمولود، وليس بوالد ... يرى ما عليه الخلق طرا، ويسمع

وذكر أبياتًا إلى أن قال:

وإن كتاب اللـه ليس بمحدثٍ ... ألسن تتلو، وفي الصدر يجمعُ

وما كتب الحفاظ في كلّ مصحفٍ ... كذلك إن أبصرتَ، أو كنت تسمعُ

وللجبل الرحمن لما بدا له ... تدكدك خوفاً كالشظى يتقطعُ

موسى ربه فوق عرشه ... على الطور تكليماً، فما زال يخضعُ

وذكر بقية الاعتقاد إلى أن قال:

مذهبي إن تسألوا فابنُ حنبلٍبه أقتدِي ما
دمتُ حياً أمتَّعُ

وذكر باقي القصيدة.

أحمد بن مرزوق بن عبد الله بن عبد الرزاق الزعفراني

المحدث أبو المعالي: سمع الكثير، وطلب بنفسه. وكتب بخطه.
قال أبو علي البرداني: كان همه جمع الحديث وطلبه. حدّث باليسير عن أحمد بن محمد بن عمر بن الأخضر، وأبي الحسين أحمد بن محمد بن الحسن العكبري، وأبي الفضل هبة الله بن محمد الأزدي.
روى عنه أبو علي البرداني، وقال: إنه مات ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. ودفن من الغد بباب حرب. وكان شابًا. انتهى.
وهو أخو أبي الحسن محمد الشافعي الذي هو من أصحاب الخطيب أبي بكر.

شافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجيلي، أبو محمد:

قدم بغداد بعد الثلاثين وأربعمائة. وسمع من أبي علي بن المذهب، والعشاري، وابن غيلان، والقاضي أبي يعلى، وعليه تفقه.

وكتب معظم تصانيفه في الأصول والفروع. ودرس الفقه بمسجد الشريف أبي جعفر بدرب المطبخ شرقي بغداد، وكان يَؤُم به أيضًا. وخَلَفَه أولاده من بعده في ذلك، حتى عرف المسجد بهم.
قال أبو الحسين، وابن الجوزي: كان متعففًا متقَشفًا ذا صلاح.

قال ابن السمعاني: كان ذا دين وصلاح، وتعفف وتقشف، حسن الطريقة، صحيح الأصول. كتب التصانيف في مذهب الإمام أحمد كلها. ودرس الفقه، وروى لنا عنه عبد الوهاب الأنماطي.

وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشرين صفر سنة ثمانين وأربعمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب رحمه الله تعالى.

عبد الله بن نصر الحجازي، أبو محمد الزاهد:

قال ابن الجوزي: سمع الحديث، وصحب الزهاد، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.
وكان خشن العيش متعبدًا. وحج على قدميه بضع عشر حجة.

وتوفي في ربيع الأول سنة ثمانين وأربعمائة. ودفن بباب حرب.

محمد بن علي بن الحسين بن القيم الخزاز الخريمي أبو بكر الحنبلي:

طلب الحديث. وسمع من أبي الغنائم بن المأمون، والجوهري، والعشاري، وغيرهم. وكتب بخطه الحديث والفقه. وأظنه جالس القاضي أبا يعلى.
وحدّث باليسير. سمع منه أبو طاهر بن الرحبي القطان، وأبو المكارم الظاهري.
توفي يوم الأحد سلخ ذي الحجة آخر يوم من سنة ثمانين وأربعمائة. ودفن بباب حرب. رحمه الله تعالى.

عبد اللّه بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مَتَّ الأنصاري

الهروي، الفقيه المفسر الحافظ، الصوفي الواعظ، شيخ الإسلام أبو إسماعيل: وهو من ولد أبي أيوب زيد بن خالد الأنصاري، صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: ولد في شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة.
ذكره عبد القادر الرهاوي في كتاب "المادح والممدوح" وهو مجلد ضخم يتضمن مناقب شيخ الإسلام الأنصاري وما يتعلق بها، قال: رأيته في تاريخ أبي عبد اللّه الحسين بن محمد الهروي الكتبي، الذي ذيل به على تاريخ إسحاق القَرَّاب الحافظ، وذكر: أنه سأل أبا إسماعيل عن سنه. فأخبره بذلك. وكذا ذكر ابن نقطة.
وهذا أصح مما ذكره ابن الجوزي: أنه وُلد في ذي الحجة سنة خمس وتسعين.

وذكر عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في ذيل تاريخ نيسابور: أنه ولد سنة ست وتسعين.
وسمع الحديث بهراة من يحيى بن عمار السجزي، وأخذ منه علم التفسير، وأبي منصور الأزدي، وأبي الفضل الجارودي الحافظ، وأخذ منه علم الحديث، وشعيب البوشنجي وغيرهم. وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي، وأبي نصر المفسر المقرىء، وأبي الحسن الطرازي، وجماعة من أصحاب الأصم. ورأى القاضي أبا بكر الحيري، وحضر مجلسه، ولم يسمع منه. وكان يقول: تركتُه للّه. وكان قد سمع منه في مجلسه ما ينكره عليه من مخالفة السنة. ذكره الرهاوي عن السلفي، عن المؤتمن الساجي، عنه.
وسمع بطوس وبسطام، من خلق يطول ذكرهم. وصحب الشيوخ، وتأدّب بهم. وخرج الأمالي والفوائد الكثيرة لنفسه ولغيره من شيوخ الرواة. وأملى الحديث سنين.
وصنف التصانيف الكثيرة، منها: كتاب "ذم الكلام" وكتاب "الفاروق" وكتاب "مناقب الإمام أحمد" وكتاب "منازل السائرين" وكتاب "علل المقامات" وله كتاب في "تفسير القرآن" بالفارسية جامع، و "مجالس التذكير" بالفارسية حسنة، وغير ذلك.
وكان سيدًا عظيمًا، وإمامًا عالمًا عارفًا، وعابدًا زاهدًا، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها. وجرى له بسبب ذلك محن عظيمةْ. وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد.
قال ابن السمعاني: سمعت أبا طاهر أحمد بن أبي غانم الثقفي، سمعت صاعد ابن سيار الحافظ، سمعت أبا إسماعيل عبد اللّه بن محمد الأنصاري الإمام يقول: "مذهبُ أحمد. أحمدُ مَذْهَب".
وقال محمد بن طاهر الحافظ في كتابه "المنثور من الحكايات والسؤالات": سمعت عبد الله بن محمد الأنصاري يقول: لما قصدت الشيخ أبا الحسن الجركاني الصوفي وعزمت على الرجوع وقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالري، وألتقي به. وكان مقدم أهل السنة بالري.
وذلك أن السلطان محمود بن سَبكْتَكِين لما دخل الرّيَّ قتل بها الباطنية ومنع سائر الفرق الكلام على المنابر غير أبي حاتم.
وكان من دخل الري من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه، فلما قربت من

الري كان معي في الطريق رجل من أهلها، فسألني عن مذهبي. فقلت: أنا حنبلي، فقال: مذهبٌ ما سمعتُ به، وهذه بدعة. وأخذ بثوبي، وقال: لا أفارقك حتى أذهب بك إلى الشيخ أبي حاتم. فقلت: خيرة فإني كنت أتعب إلى أن ألتقي به، فذهب بي إلى داره.
وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم، فقال: أيها الشيخ، هذا الرجل الغريب سألتُه عن مذهبه، فذكر مذهبًا لم أسمع به قط. قال: ما قال. قال: أنا حنبلي. فقال: دعْهُ، فكل من لم يكن حنبليًا فليس بمسلم، فقلت: الرجل كما وُصفَ لي. ولزمته أيامًا، وانصرفت. وإنما عُني أبو حاتم في الأصول.
وذكر عبد القادر الرهاوي: أخبرنا أبو سعد الصايغ: سمعت عبد الجبار بن أبي الفضل الصيرفي، سمعت جماعة من أصحاب شيخ الإسلام الأنصاري يقولون: سمعنا شيخنا شيخ الإسلام أبا إسماعيل يقول: فذكر أبياتًا بالفارسية تفسيرها بالعربية:

إلهنا مَرْئِيٌ على العرش مُستوٍ
كلامُه أزلي رَسُوله عَربيّ
كل من قال غير هذا أشْعَرِيّ
مَذهبُنا مَذهَبٌ حنبلي

قال عبد القادر: سمعت أبا عروبة عبد الهادي بن محمد الزاهد بسجستان يقول: سمعت شيخ الإسلام أبا نصر هبة الله بن عبد الجبار بن فاخر يقول: قال لي شيخ الإسلام- يعني الأنصاري- كيف تفعلون في القنوت؟ قلت: أوصاني أبي أن أقنت في الوتر. قال: وما قال لك: لا تقنت في الصبح. قلت: لا. قال: فما أنصفك.
وذكر ابن طاهر الحافظ في كتابه المذكور قال: سمعت الإمام عبد اللّه بن محمد الأنصاري يُنشد على المنبر في يوم مجلسه بهراة:

حنبليٌّ ما حييت وإن أمفَوَصِيتي للناس أن يَتَحَنْبَلُوا

وَلشيخ الإسلام قصيدة نونية طويلة مشهورة ذكر فيها أصول السنة ومدح أحمد وأصحابه. وقد أنبأتني بها زينب بنت أحمد، عن عجيبة بنت أبي بكر، عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن الحسن الصيدلاني. قال: أنشدنا شيخ الإسلام فذكر القصيدة إلى أن قال:

وإماميَ الـقَـوّام لـلـه الّـذِي حَميدَ الشأن في بـغـدانِ
التقى والزهد في دُنـياهـم بعـد طـهـارة الأردانِ
النبي، وصيرفيُّ حـديثـه أعرافَـهـا بـمـعـانِ
العراق، ومحنةٌ لذوي ببغضته ذَوُو الأضغـانِ

الهدى فاختار ثوبي نُصرَة بمُهجتِه عُرَى عِرفـانِ
عُرِضَتْ له الدنيا فأعرض كفعل الراهب الخمصـانِ

عليه نفسُه في دِينهِ الإمامُ الدينَ بالجثمانِ
لقي ابن حنبلَ صابرًا وينصره بلا أعوانِ
حنبلي ما حييت وإن أهُوصيّتي ذاكم إلى إخواني
دِينه ديني وديني دينُه كنت إمّعَةً له دينانِ

وقال ابن طاهر: سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصاري بهراة يقول: عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت.
قال: وحكى لنا أصحابنا أن السلطان "ألب أرسلان" حضر هراة، وحضر معه وزيره أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق، فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعي، وأصحاب أبي حنيفة، للشكاية من الأنصاري، ومطالبته بالمناظرة. فاستدعاه الوزير. فلما حضر قال: إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك: فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم: إما أن ترجع، وإما أن تسكت عنهم. فقام الأنصاري وقال: أنا أناظر على ما في كمَّيَّ. فقال له: وما في كميك؟ فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمه اليمين، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشار إلى كمه اليسار، وكان فيه الصحيحان. فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذه الطريق.
قال: وسمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم الأنصاري يقول: حفرت مع الشيخ للسلام على الوزير أبي علي الطوسي، وكان أصحابه كلفوه بالخروج إله، وذلك بعد المحنة، ورجوعه من بلخ، فلما دخل عليه أكرمه وبَجَّلَه، وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم، وقد علموا أنه يحضر، فاتفقوا جميعًا على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير: فإن أجاب بما يجيب به بهراة سقط من عين الوزير وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه. فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي، يعرف بالعلوي الدبوسي، فقال: يأذن الشيخ الإمام في أن أسأل مسألة؟ فقال: سل، فقال: لمَ تَلعَنُ أبا الحسن الأشعري؟ فسكت، وأطرق الوزير لِمَا عَلِمَ من جوابه. فلما كان بعد ساعة، قال له الوزير: أجبه، فقال: لا أعرف الأشعري. وإنما ألعنُ من لم يعتقد أن اللّه عز وجل في السماء، وأن القرآن في المصحف، وأن النبي

اليوم نبي. ثم قام وانصرف، فلم يمكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته. فقال الوزير للسائل ومن معه: هذا أردتم? كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا: ما عسى أن أفعل به. ثم بعث خلفه خلعًا وصله فلم يقبلها. وخرج من فوره إلى هراة ولم يلبث.
قال ابن طاهر: وسمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان "ألب أرسلان" هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري، وسلموا عليه، وقالوا: قد ورد السلطان، ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الإمام، ثم نخرج إلى هناك. وكانوا قد تواطأوا على أن حملوا معهم صنمًا من الصُّفْر صغيرًا، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ. وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته.
ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري، وقالوا له: إنه مجسم. فإنه يترك في محرابه صنمًا، ويقول: إن اللّه عز وجل على صورته. وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم في قبلة مسجده.
فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلامًا ومعه جماعة. ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب، وأخذوا الصنم من تحت السجادة، ورجع الغلام بالصنم، فوضعه بين يدي السلطان. فبعث السلطان بغلمان، وأحضر الأنصاري: فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوسًا، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحًا، والسلطان قد اشتد غضْبه.
فقال له: ما هذا? قال: هذا صنم يعمل من الصفر شِبه اللُّعبة.
فقال: لستُ عن هذا أسألك، فقال. فعن ماذا يسأل السلطان. قال: إنَّ هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم، وأنت تقول: إن اللّه عز وجل على صورته، فقال الأنصاري: سجانك هذا بهتان عظيم. بصوتٍ جَهوري وصولة. فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمِر به فأخرجَ إلى داره مُكرَمًا. وقال لهم: اصدقوني القصة، أو أفعل بكم وأفعل، وذكر تهديدًا عظيماً، فقالوا: نحنُ في يد هذا الرجل في بليةٍ من استيلائه علينا بالعامة، وأردنا أن نقطع شرَّه عنا. فأمر بهم، ووكل بكل واحدٍ منهم، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال يؤديه إلى خزانة السلطان جنَايَة، وسلموا بأرواحهم بعد الهوان العظيم.
وقد جرى لشيخ الإسلام محن في عمره، وشرد عن وطنه مدّة.

فمن ذلك: أن قومًا من المتصوفة بهراة عَاثوا وأفسدوا بأيديهم على وجه الإنكار، فنسب ذلك إلى الشيخ، لم يكن بأمره ولا رضاه. فاتفق أكابر أهل البلد على إخراج الشيخ وأولاده وخدمه، فأخرجوه يوم الجمعة عشرين رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل الصلاة، لم يمهل للصلاة. فأقام بقرب البلد، فلم يرضوا منه بذلك فخرج إلى بوشنج، وكتب أهلُ هراة محضراً بما جرى وأرسلوه إلى السلطان، فجاء جَواب السلطان ووزيره "نظام الملك" بإبعاد الشيخ وأهله وخدمه إلى ما وراء النهر. وقرىء الكتاب الوارد بذلك في الجامع على منبر يحيى بن عمار، وفيه حَطٌ على الشيخ، فأخرج الشيخ ومن كان يعقد المجلس من أقاربه خَاصَّة إلى مَرْوَ، ثم ورد الأمرُ بردِّه إلى بلخ، ثم إلى مرو الرُّوذ. ثم أذن له في الرجوع إلى هراة، فَدَخَلها يوم الأربعاء رابع عشر المحرم سنة ثمانين وأربعمائة. وكان يومًا مشهودًا.
قال الرهاوي: سمعت شيخنا أبا طاهر السلفي بالإسكندرية يقول: لما خر شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلد: لا يحمل على الدواب إلا على رقاب الناس. فجعل في محفة. وكان يتناوب حملها أربعة رجال، حتى وصل بلخ. فخرج أهلها وهمُّوا برجمه. فردَّهم ابن نظام الملك، وقال: تريدون أن تكونوا مسبة الدهر ترجمون رجلاَ من أهل العلم. ثم سألوه أن يَعِظ، فقرأ: "اللّهُ نزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كتابًا مُتَشابِهًا" الزمر: 23، ثم قال: كلّ المسلمين يقولون هذا، إلاَّ أهل غُورجَه وغرجِسْتان وفلانة وطالقان. لعنهم الله لعنةَ عاد وثمود، والنصارى واليهود. قُولوا: آمين، فقالوا: آمين.
قال الرهاوي: وإنما همَّ أهل بلخ بما همُّوا به لأنهم معتزلة شديدة الاعتزال.
وكان شيخ الإسلام مشهوراً في الآفاق بالحنبلة والشدة في السنَّة.
قال: وسمعتُ السلفي يقول: لما أمر نظام الملك بإخراج الشيخ من هراة سمع بذلك الشيخ مَعْمَر اللّنباني، فمضى إلى نظام الملك في أمره، فقال له نظام الملك: قد صار لذلك الشيخ عليَّ منة عظيمة حيث بِسَبَبِهِ دخلتَ عليَّ. ثم كتب في الحال بردّه إلى بلده.
وذكر الرّهاويّ: أن الحسين بن محمد الكتبي ذكر في تاريخه: أن مسعود بن محمود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة، فاستحضر شيخ الإسلام، وقال له: أتقول: إن الله عزَّ وجل يضع قَدَمَه في النار؟ فقال- أطال اللهُ بقاء السلطان المعظم- إن الله

عز جل لا يتضرر بالنار والنار لا تضره والرسول لا يكذب عليه وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون فيما يَرْوُون عنه ويسندون إليه. فاستحسن جوابه، وردَّه مُكرَّماً.
قال: وعقد أهل هراة للشيخ مجلسًا آخر، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وعملوا فيه محضراً، وأخرجوه من البلد إلى بعض نواحي بوشنج، فحبس بها وقيَّد ثم أعيد إلى هراة سنة تسع وثلاثين، وجلس في مجلسه للتذكير. ثم سعوا في منعه من مجلس التذكير عند السلطان "ألب أرسلان" سنة خمسين.
قال. وفي شهور سنة اثنتين وستين، خلع على الشيخ من جهة الإمام القائم بأمر الله خلعة شريفة، وفي شهور سنة أربع وسبعين خلعة أخرى فاخرة من جهة الإمام المقتدي مع الخطاب واللقّب بشيخ الإسلام، شيخ الشيوخ زين العلماء أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري، وخلعة أخرى لابنه عبد الهادي.
قال. وكان السبب في هذه الخلع الوزير "نظام الملك" شفقةَ منه على أصحاب الحديث، وصِيَانةً عن لحوق شين بهم.
وكان الشيخ رحمه اللّه آيةٌ في التفسير، وحفظ الحديث. ومعرفته، ومعرفة اللغة والأدب. وكان يُفَسِّر القرآن في مجلس التذكير.
فذكر الكتبي في تاريخه: أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن، ففسره في مجالس التذكير، سنة ست وثلاثين. وفي سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانيًا في مجالس التذكير.
قال: وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع، إلى أن بلغ إلى قوله عزَّ وَجَل: "والَذِينَ آمَنُوا أَشَد حُبًّا للّه" آل عمران: 165. فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة، وبنى عليها مجالس كثيرة. وكذلك قوله تعالى: "إنَّ الَذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى" الأنبياء: 101، بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً. فلما بلغ قوله تعالى: "يَكَادُ سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ" النور: 43، كُفَ بَصَرُه سنة ثلاث وسبعين، ولما بلغ إلى قوله عز وجل: "فَلاَ تَعْلمُ نَفْسٌ مَا أُخْفيَ لَهُمْ مِنْ قرَةِ أَعْيُنٍ". السجدة: 117 قال: في كل اسم من أسماء اللّه تعالى سر خفي. وَأَخَذَ يُفسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ المميت، فأُخرج من البلد في الفتنة الأخيرة. فلما عاد سنة ثمانين، عقد المجلس على أمر جديد، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى. وأخذ يستعجل في

التفسير، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها، يريد أن يختم في حياته، فلم يقدر له على ذلك وتوفي، وقد انتهى إلى قوله عزَ وجل: "قل: هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ. أنتمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ" ص: 67، 68.
وقال ابن طاهر الحافظ. سمعت شيخنا الأنصاريَّ يقول: إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائة وسبعة تفاسير. قَال: وجرى يومًا- وأنا بين يديه- كلامٌ ، فقال: أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سرداً، قال: وقطّ ما ذكر في مجلسه حديثاً إلا بإسناده. وكان يشير إلى صحته وسقمه.
وقال الرهاوي: سمعت أبا بشر محمد بن محمد بن هبة الله الهمذاني بهمذان يقول: سمعتُ بعض الأدباء يقول: سئل شيخ الإسلام الأنصاري عن تفسير آية. فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية في كل بيت منها لغة تلك الآية.
قال ابن الجوزي: أخبرنا ابن ناصر عن المؤتمن بن أحمد الحافظ، قال: كان عبد الله الأنصاري لا يشذ على المذهب شيئًا، ويتركه كما يكون، ويذهب إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاَ تُوكِ فَيُوكَأَ عليك" وكان لا يصوم شهر رجب، وينهى عن ذلك، ويقول: ما صح في فضل رجب وفي صيامه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يملي في شعبان وفي رمضان، ولا يملي في رجب.
وقال بن طاهر الحافظ: سمدت أبا إسماعيل الأنصاري يقول: كتابُ أبي عيسى الترمذْي عندي أفيدُ من كتاب البخاري ومسلم، فقلتُ: لِمَ. قال: لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة. وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبينها، فَيَصِل إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهَاء والمحدثين وغيرهم. قال: وسمعتُه يقول: المحدّث يجب أن يكون سريعَ المشي، سريع الكتابة، سريعَ القراءة.
قال الرُّهاوي: سمعتُ السلفي يقول: سمعتُ أبا الخير عبد الله بن مرزوق الهَرويَ يقول: سمعتُ أبا إسماعيل الأنصاري الحافظ بهراة يقول: ينبغي لمن يكون من أهل الفقه أن يكون له أبدًا ثلاثة أشياء جديدة: سراويلُه، ومداسُه، وخرقةٌ يُصلي عليها.
قال الرُّهاوي: وسمعتُ بعض الناس بهراة يحكي: أن شيخ الإسلام دخل يومًا على القاضي أبي العلاء صاعد بن سيار، وعلى يمينه رجل

من البُوسَعْدِية، فجلس شيخ الإسلام على يسار القاضي، فغضب البوسعدي، وقال: أجلسُ عن يمينك ويجلسُ عن يسارك. فوثب شيخ الإسلام، وجلس ناحيةً، وقال: الحِدّةُ ينبغي أن تكون في، أكل البصل، والشدّة في تشقيق الحطب. وأما الجلوس في المجالس فإنما يكون بالعلم. وغضب القاضي من كلام الرجل، وقال: إيش تنكر من حاله? حيث لم يكن له مركوب ولا ثياب، وأمر له بثياب ومركوب، وجعل له في الجامع موضعًا يعظُ فيه.
قال الرُّهاوي: وقد رأيتُ كرسي شيخ الإسلام قليل المراقي في زاوية من جامع هراة، والناس يتبركون به.
وقاد ابن طاهر: سألت الأنصاري عن الحاكم أبي عبد اللّه? فقال: ثقة في الحديث، رافضي خبيث.
وذكر ابن السمعاني عن يحيى بن منده عن عبد الله بن عطاء الإبراهيمي قال: سمعت شيخ الإسلام الأنصاريّ قال: سألتُ أبا يعقوب الحافظ عن قول البخاري في الصحيح: قال لي فلان? قال: هو راوية بالإجازة، ثم قال شيخ الإسلام: عندي أن ذاك الرجل ذاكر البخاري في المذاكرة: أنه سمع من فلاَن حديث كذا، وكتاب كذا، أو مسند كذا، أو حديث فلان، فيرويه بين المسموعات وهو طريق حسن، طريق مليح. ولا أحد أفضل من البخاري.
وقال المؤتمن الساجي: كان يدخل عليه الجبابرة والأمراء، فما كان يبالي بهم. ويرى بعض أصحاب الحديث من الغرباء فيكرمه إكراماً يعجب منه الخاصُ والعامّ رحمة الله.
قال صاعد بن سيار الهرّوي في أماليه: سمعتُ شيخ الإسلام الأنصاري يقول: إلهي عصمة أو مغفرة، فقد ضاقت بنا طريق المعذرة.
وقد أثنى على الشيخ الإمام أبي إسماعيل شيوخُهُ وأقرانه. ومن دونه من الفقهاء، والمحدثين والصوفية، والأدباء وغيرهم. وقد سبق في ترجمة عبد الرحمن بن منده قول سعد الزنجاني فيه: إنّ الله حفظ به الإسلامَ، وبابن منده.
وقال الرُّهاوي: سمعتُ بهراة: أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة، ووصل إلى مرو، وأذن له في الرجوع إلى هراة، رجع ووصل إلى مرو الروذ، قصده الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفَرَّاء صاحب التصانيف. فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام: إن اللّه قد جمع لك الفضائل، وكانت قد بقيت فضيلة واحدة، فأراد أن

يكملها لك، وهي الإخراج من الوطن، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال الرَّهاوي: وسمعتُ أبا عبد اللّه سفيان بن أبي الفضل الخرقي السفياني وكان من أهل الحديث والفضل والدّين، وكان سفياني المذهب يقول: سمعتُ الحافظ أبا مسعود كوتاه يقول: سمعتُ أبا الوقت عبد الأول بن عيسى يقول: دخلتُ على الجويني يعني أبا محمد عبد اللّه بن يوسف الفقيه- فسألني عن شيخ الإسلام؟ فقلت. أنا خادمُه. فقال: رضي اللّه عنه.
قال الرُّهاوي: وذكر الحسين بن محمد الكتبي الهرويّ في تاريخه: أنَ شيخ الإسلام الأنصاري سافر إلى نيسابور سنة سبع عشرة وأربعمائة، طالبًا للحديث والفقه، ورؤية المشايخ، والاستفادة منهم، والتبرك بصحبتهم ورجع في تلك السنة. ثم سافر ثانيًا للحج مع الفقيه الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد الواعظ، ومعهما خلقٌ كثير سنة ثلاث وعشرين. فلما وردوا نيسابور أخرج الإمام أبو عثمان الصابوني لخاله الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد مجلسًا في الحديث ليمليه بنيسابور، فنظر فيه الأنصاري ونبَّه على خلل في رجال الحديث وقع فيه. فقبل الصابوني قوله، وعاد إلى ما قال، وأحسن الثناء عليه، وأظهر السرور به، وهنأ أهل العصر بمكانه، وقال: لنا جمال، ولأهل السنة مكانة، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه. وكان ذلك بمشهد من مشايخ فيهم كثرة، وشهرة وبصيرة.
قال صاحب التاريخ: وكنتُ حاضرًا يومئذٍ. قال: وسمعتُ الإمام عبد اللّه الأنصاري بنيسابور يقول: دخلتُ على الإمام ناصر المروزي بنيسابور، وكان مجلسه غاصًا بتلامذته، واحتفَّ به الفقهاء، وكان يدرّس ويقول: رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: "ربِّ زِدْنِي عِلْمًا" طه: 114. فقلت- أيد الله الشيخ الإمام-: أحديثُ عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك؟ فقال: لا، فقلتُ: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: "ربَّنا لاَ تُزغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا" آل عمران: 8، فقال: صدقتَ ورجع إلى قولي، وحثَّ القوم على إثباته وتعليقه. ثم بكرتُ إليه من غد هذا اليوم، فرحب بي، وأعلى محَلِّي، وأجلسني فوق جماعة زهاء سبعين، كنتُ بالأمس جالسًا دونهم، ومدحتُه بقصيدةٍ، ووَاظبْتُ على الاختلاف إليه وأخذ الفقه عنه مدة.
قال صاحب التاريخ: ورجع الشيخ من حرقات، والريّ عن زيارة

الشيخ أبي الحسن الحرقاني، وكان الحرقاني أحسن الثناء عليه، ولاَطَفه في المخاطبة سنة أربع وعشرين.
قال: ولقي الشيخ بنيسابور الشيخ أبا عبد اللّه بن باكويه الشيرازي، وتكلم بين يديه. فرضي ابن باكويه قوله، واستحسن في الحقيقة كلامه، وبشر بأيامه، فلما عزم على الخروج من عنده قال: إلى أين. قال: نَويتُ سفرًا. قال: لست من بابة السفر، بل بابَتُكَ أن تعقد حلقة تكلمهم على الحق.
قال صاحب التاريخ: وكان إسحاق القَرَّاب الحافظ يَتأمل ما كان يخرجه الأنصاري، وكذلك إسماعيل الصابوني. قال: وكلهم تعجبوا من تخريجه، وأعجبوا به، وأثنوا على الشيخ عبد الله الأنصاري، واغتبطوا بمكانه، ودعوا له بالخير. وكان من عادة إسحاق القراب الحافظ الحَث على الاختلاف إلى الأنصاري، والبَعث على القراءة عليه، واستماع الأحاديث بقراءته، والاستفادة منه، والمواظبة على مجلسه، والاختيار له على غيره. وكادْ يقول: لا يمكن أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كاذب من الناس، وهذا الرجل في الإحياء.
قال: وكلٌّ من لقيت من أهل هراة وفي سائر البلدان، حين خرجت مسافرًا، ومن سمعت يخبر منهم في الآفاق من القضاة والأئمة والأفاضل، والمذكورين، كانوا يحسنون الثناء عليه، ولا ينكرون فضله.
وقال الرُّهاوي: سمعتُ أبا بشر محمد بن محمد الهمذاني يقول: سمعتُ شيخي عبد الهادي الذي أخذت عنه العلم يقول: عبدُ الله الأنصاري يُعدُّ في العبادلة. قال الرُّهاوي: عبد الهادي هذا من أئمة همذان.
وقد ذكر أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في تاريخ هراة شيخ الإسلام الأنصاري، فقال: كان بكر الزمان، وزناد الفلك، وواسطة عقد المعاني والمعالي، وصورة الإقبال في فنون الفضائل، وأنواع المحاسن.
منها: نصرة الدين والسنة، والصلابة في قهر أعداء المِلّة، والمتحلين بالبدعة. حيي على ذلك عمره، من غير مداهنة ومراقبة لسلطانٍ ولا وزيرٍ، ولا ملاينةٍ مع كبير ولا صغير. وقد قاسى بذلك السبب قصدَ الحسّاد في كل وقت وزمان، ومُنى بكيد الأعداء في كل حين وأوان، وسعوا في روحه مِرارًا، وعمدُوا إلى هلاكه أطوارًا، مقدرين بذلك

الخلاص من يده ولسانه، وإظهار ما أضمروا في زمانه. فوقاه الله شرهم، وأحاط بهم مكرهم، وجعل قصدهم لارتفاع أمره، وعلو شأنه، أقوى سبب. وليس ذلك من فضل الله تعالى ببدع ولا عجب "إن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثّبتْ أَقدَامَكُمْ" محمد: 17.
وأما قبوله عند الخاص والعام، واستحسان كلامه، وانتشاره في جميع بلاد الإسلام، فأظهر من أن يقام عليه حجة وبرهان، أو يختلف في سَبقه وتَقَدمه فيها من الأئمة اثنان. ولقد هذَب أحوال هذه الناحية عن البدع بأسرها، ونقح أمورهم عما اعتادوه منها في أمرها، وحَمَلهُم على الاعتقاد الذي لا مطعن لمسلمٍ بشيء عليه، ولا سبيل لمبتدع إلى القَدح إليه.
ومنها: تصانيفه التي حاز فيها قصب السبق بين الأضراب، وذكرها في باب المصنفين من الكتاب.
وذكره أيضا الإمام أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، خطيب نيسابور في تاريخ نيسابور، فذكر اسمه ونسبه، وقال: أبو إسماعيل الإمام شيخ الإسلام بهراة، صاحب القبول في عصره، والمشهور بالفضل وحُسن الوَعظ والتذكير في دهره. لم يرَ أحد من الأئمة في فنه حلمًا ما رآه عيانًا من الْحِشمَة الوافرة القاهرة، والرونق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعام، في تلك الناحية واتْساق أمور المريدين والأتباع، والغالين في حقه، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه، ونواب المجالس، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح.
وكان على حظ تام من العربية ومعرفة الأحاديث والأنساب والتواريخ، إمامًا كاملاً في التفسير والتذكير، حَسَن السيرة والطريقة في التصوف ومباشرة التصوف ومعاشرة الأصحاب الصوفية. مظهر السنة، داعيًا إليها محرضًا عليها. غير مشتغل بكسب الأسباب والضياع العقار، والتوغل في الدنيا. مكتفيًا بما يباسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه في السنة مرة أو مرتين. حاكمًا عليها حكمًا نافذًا بما كان يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملأ. فيحصل على ألوف من الدنانير بها، وأعداد جمة من الثياب والحلى وغير ذلك. فيجمعها ويفرقها على الخبَّاز، والبقّال، والقصَّاب، وينفق منها موسعًا فيها من السنة إلى السنة، ولا يأخذ من السلاطين والظلمة والأعوادْ وأركان الدولة شيئًا. وقلّما يراعيهم. ولا يدخل عليهم ولا يبالي بهم. فبقي عزْيزًا

مقبولاً، قبولاً أتم من الملك على الحقيقةْ، مطاع الأمر قريبًا من ستين سنة، من غير مزاحمة ولا فتور في الحال.
ومن خصائصه: أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، والمراكب المعروفة، وتكلَّف غاية التكلف، ويقول: إنما أفعلُ هذا إعزازًا للدَّين، ورغمًا لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزِّي وتجملي، فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عزه. ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقَّعة والقعود مع الصوفية في الخانقاه، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. على هذا كان يزجي أيامه. وكل ما نقل عنه من سيرته محمود.
ومن جملة ما أخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته: التبكيرُ بصلاة الصبح، وأداءُ الفرائض في أوائل أوقاتها، واستعمالُ السّنن والأدب فيها.
ومن ذلك: تسميةُ الأولاد في الأغلب بالعبد، المضاف إلى اسم من أسماء اللّه تعالى: كعبد الخالق، وعبد الخلاق، وعبد الهادي، وعبد الرشيد، وعبد المجيد، وعبد المعز وعبد السلام. إلى غير ذلك مما كان يحثّهم ويدعوهم إلى ذلك، فتعوَّدوا الجريَ على تلك السنة، وغير ذلك من آثاره.
ثم ذكر بعضَ شيوخه، ثم قال: أنشدَني أبو القاسم أسعد بن علي البارع الزوزني لنفسه في الإمام، وقد حضر مجلسه:

وقالوا: رأيتَ كعبـد الإلـهِ إماماً إذا عَقَد المجلـسـا?
فقلتُ: أما إننـي مـا رأيْ ولم يلق قبلي ممن عسى
فقالوا: يجيءُ نـظـيرٌ فقلت: كمستقبلٍ مِنْ عَسـى

قال عبد الغافر: وقرأتُ في "دمية القصر لأبي الحسن الباخرزي" فصلاً في الإمام عبد اللّه الأنصاري، وذلك أنه قال: هو في التذكير في الدرجة العليا، وفي علم التفسير أوحد الدنيا. يعظ فيصطاد القلوب بحسن لفظه، ويمحص الذنوب بيمن وعظه. ولو سمع قسُّ بن ساعدة تلك الألفاظ، لما خطب بسوق عُكاظ.
ثم ذكر بيتين للإمام عبد الله في نظام الملك، وهما:

بِجاهك أدْرَكَ المظلومُ ثارَهْ وهُنِّئْتَ شَادَ بَانِي العدلِ دارَهْ
وقبلَك هُنّىءَ الوُزراءُ حتَّى نهضتَ بها فهُنِّئتِ الوزارَهْ

ثم قال: وحضرتُ يومًا مجلسه، بهراة، مع أبي عاصم الحسين بن محمد بن الفضيلي الهرويّ شيخ الأفاضل بهراة. فلما طاب فؤادُه، وعرق جوادُه وطنَّت تَقراتُ العازفين في جو السماء، ودنت الملائكة فتدلّت للإصغاء.
قال أبو العاصم:

عيونُ النَّاسِ لم تـل ق ولا تلقى كعبد الله

ولا يُنكر هـذَا غَـي ر من مالَ عن اللـه

قال الباخرزي: فقلتُ أنا:

مجلسُ الأستاذِ عبد الله روضُ العارفـينـا
ألحق الفَخـر بـنـا بعد حكم العارِفينـا

قال عبد الغافر: وفي المنقولات من أخباره وآثاره، وما قيل فيه من الأشعار، وما نقل عنه من العبارات كثير. وفي هذا القدر دليل على أمثالها.
وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية في كتاب "الأجوبة المصرية": شيخ الإسلام مشهورٌ معظم عند الناس. هو إمام في الحديث والتصوف والتفسير. وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث، يعظّم الشافعي، وأحمد. ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق قول الشافعي تارة وقول أحمد أخرى. والغالبُ عليه اتباعُ الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه.
قال: وقال الشيخ أبو الحسن الكرخي، شيخ الشافعية في بلاده، في كتابه "الفصول في الأصول": أنشدني غير واحدٍ من الفضلاء للإمام عبد اللّه بن محمد الأنصاري، أنه أنشد في معرض النصيحة لأهل السنة:

إذا ما حَادَ عَن حدِّ الهُدَى عَسكريّ الرأي شيطان البَشَرْ
شافعيّ الشَرع، سنّي الحُلى حنبلي العقد، صوفيَّ السِّيَرْ

ومن شعر شيخ الإسلام مما أنشده الرهاوي بأسناده عنه:

سُبحان من أجْملَ الحُسنى لطالبها
إذا ظهرتْ في عبده مُدِحَا
ليس الكريمُ الذي يُعطي لتمدَحه
الكريمَ الَذي يُثنى بما منحـا

وأنشد له:

نهواك نحن ونحن منك نـهابُ أنتَ الهوى وخوفاً إنَ ذاك عُجـابُ!
شخص العقول إليك ثم تحيرتْ في كنهـك الألـبـابُ وتحسرتْ استحسرتْ

قلتُ: ولشيخ الإسلام شعر كثير حَسَنٌ جدًّا. ولأجل هذا ذكره الباخرزي الأديب في كتابه "دمية القصر في شعراء العصر" وله كلام في التصوف والسلوك دقيق.
وقد اعتنى بشرح كتابه "منازل السائرين" جماعةٌ. وهو كثير الإشارة إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية، واضمحلال ما سوى الله تعالى في الشهود لا في الوجود. فيتوهم فيه أنه يشير إلى الاتحاد حتى انتحله قوم من الاتحادية، وعظموه لذلك. وذمَّه قومٌ من أهل السنة، وقدحوا فيه بذلك. وقد برأه اللّه من الاتحاد. وقد انتصر له شيخُنا أبو عبد الله بن القيم في كتابه الذي شرح فيه "المنازل" وبيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل.
تُوفي رحمه اللّه تعالى يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين في

الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت بِكَازِيَارِكَاه- مقبرة بقرب هَراة-.
وكان يومًا كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: إن استأثر الله بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر، فصدق اللّهُ ظنه في ذلك.
حدَّث عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم كالمؤتمن الساجي ومحمد بن طاهر وأبي نصر الغازي، وأبي الوقت السجزي، وأبي الفتح الكروخي.
قرأتُ على أبي حفص عمر بن علي القزويني ببغداد: أخبركم أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المقرىء وأخبرنا الربيع عليّ بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي بها قراءة عليه، وأنا في الخامسة، أخبرنا والدي أبو أحمد عبد الصمد قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوزَبَة، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، أخبرنا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العالي البوشنجي، أخبرنا أبو أحمد الغطريفي، ومنصور بن العباس الفقيه قالا: أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو صالح الحكم بن موسى، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان- وليس بالنهدي- عن معقل بن يسار: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقرأوها عَلَى مَوْتَاكُمْ" يعني: يَس.
وبالإسناد الأول إلى شيخ الإسلام، أنشدنا يحيى بن عمار أنشدني أبو المنذر محمد بن أحمد بن جعفر الأديب، أنشدني الصولي لأبي العباس ثعلب:

رُبَ ريحٍ لا ناسٍ عَصَفَتْ ثمَ ما إنْ لبثت أن رَكَدتْ
وكذاك الدَّهرُ في أفعالـه قَدمٌ زلَتْ وأُخرى ثبتـتْ
بالغٌ ما كان يرجو دونـه وبَدٌ عما استقلت قَصُرَتْ
وكذا الأيامُ من عاداتـهـا أنَها مُفسِدةٌ ما أصلحـتْ
ثمَّ تأتيكَ مقـاديرُ لـهـافترى مُصلِحة ما أفْسدتْ

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي?

ثم المقدسي، ثم الدمشقي، الفقيه الزاهد، أبو الفرج الأنصاري، السعدي العُبادي الخزرجي، شيخ الشام في وقته: قرأتُ بخط بعض

طلبة الحديث في زماننا قال: أخرج إليَّ شيخُنا يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج نسب جده: وهو أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن يعيش بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة. كذا رأيته. ويوسف هذا أدركته. وسمعتُ منه جزءًا عن أبيه عن الخشوعي.
ولكن قرأتُ بخط جده ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم قال: كتبتُ إلى الشريف النسَّابة ابن الجواني كتابًا إلى مصر أسأله: هل نحن من ولد قيس بن سعد أو من أخيه? فجاءني خطه في جزء يقول: قيسُ بن سعد انقرض عقبه. وحكاه عن جماعة من النسابين، مثل ابن شجرة وابن طباطبا وغيرهما. وقال: إنما أنتم من ولد أخيه عبد العزيز بن سعد بن عبادة. ورفع نسب سعد بن عبادة إلى آدم عليه السلام.
وهذا يدل على أن "الناصح" لم يكن يعرف نسبهم إلى سعد، ولا ذكر أن النسابة كتب له ذلك، وإنما كتب له نسب سعد إلى آدم، وأيضًا فقد قال له: أنتم من ولد عبد العزيز بن سعد بن عبادة. وفي هذا النسب المذكور: عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة. وهذا مخالف لما قال ابن الجواني.
لكن ذكر "الناصح" أن أباه وجماعة من العلماء اجتمعوا ليلةً عند السلطان صلاح الدين في خيمة، مع الشريف الجواني هذا، فقال السلطان: هذا الفقيه- يشير إلى والد "الناصح"- ليس في آبائه وأجداده صاحب صنعة إلا أمير أو عالم إلى سعد بن عبادة. وهذا يدل على أنه كان يعرف نسبهم إلى سعد بن عبادة. والله أعلم.
ثم رأيت الشريفَ عز الدين أحمد بن محمد الحسيني الحافظ صاحب "صلة التكملة في وفيات النقلة" ذكر نسب الشيخ أبي الفرج إلى سعد مثل ما أخرجه شيخنا يوسف سواء، إلا أنه قال عبد العزيز بن سعد بن عبادة، بلا واسطة بينهما ولقّب أباه محمدًا بالصافي.
تفقه الشيخ أبو الفرج ببغداد على القاضي أبي يعلى مدة، وقدم الشام فسكنِ ببيت المقدس، فنشر مذهب الإمام أحمد فيما حوله. ثم أقام بدمشَق فنشر المذهب وتَخرج به الأصحاب، وسمع بها من أبي الحسن السمسار، وأبي عثمان الصابوني ووعظ، واشتهر أمره، وحصل له القبول التام.

وكان إمامًا عارفًا بالفقه والأصول، شديدًا في السنة، زاهدًا عارفًا، عابدًا متألهًا، ذا أحوال وكرامات. وكان "تتش" صاحب دمشق يعظِّمه.
قال أبو الحسين في الطبقات: صحب الوالد من سنة نيف وأربعين وأربعمائة وتردد إلى مجلسه سنين عدة، وعلق عنه أشياء في الأصول والفروع، ونسخ واستنسخ من مصنفاته. وسافر إلى الرحبة والشام وحصل له الأصحاب والأتباع والتلامذة والغلمان. وكانت له كرامات ظاهرة، ووقعات مع الأشاعرة، وظهر عليهم بالحجة في مجالس السلاطين ببلاد الشام. ويقال: إنه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين.
وكان يتكلم في عدة أوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزويني الزاهد. فبلغني: أن "تتشا" لما عزم على المجيء إلى بغداد في الدفعة الأولى لما وصلها السلطان سأله الدعاء؟ فدعا له بالسلامة، فعاد سالمًا. فلما كان في الدفعة الثانية استدعى السلطان وهو ببغداد لأخيه "تتش" فَرُعِب وسأل أبا الفرج الدعاء له فقال له: لا تراه ولا تجتمع به. فقال له "تتش": وهو مقيم ببغداد، وقد برزت إلى عنده، ولا بد من المصير إليه. فقال له: لا تراه، فعجب من ذلك، وبلغ "هِيتَ" فجاءه الخبر بوفاة السلطان ببغداد، فعاد إلى دمشق وزادت حشمة أبي الفرج عنده ومنزلته لديه.
وبلغني أن بعض السلاطين من المخالفين كان أبو الفرج يدعو عليه، ويقول: كم أرميه ولا تقع الرمية به. فلما كان في الليلة التي هلك ذلك المخالف فيها، قال أبو الفرج لبعض أصحابه: قد أصبت فلانًا وقد هلك، فورِّخَت الليلة، فلما كان بعد بضعة عشر يومًا ورد الخبر بوفاة ذلك الرجل في تلك الليلة التي أخبر أبو الفرج بهلاكه فيها.
قال: وكان أبو الفرج ناصرًا لاعتقادنا، متجردًا في نشره، مبطلاً لتأويل أخبار الصفات. وله تصنيف في الفقه والوعظ والأصول.
وقرأت بخط الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج قال: حدثنا الشريف الجواني النسَّابة عن أبيه قال: تكلم الشيخ أبو الفرج- أي الشيرازي الخزرجي- في مجلس وعظه، فصاح رجلَ متواجدًا، فمات في المجلس. وكان يومًا مشهودًا. فقال المخالفون في المذهب: كيف نعمل إن لم يمت في مجلسنا أحدٌ، وإلا كان وهنًا. فعمدوا إلى رجل غريب، دفعوا له عشرة دنانير، فقالوا: احضر مجلسنا، فإذا طاب المجلس فصح صيحة عظيمة، ثم

لا تتكلم حتى نحملك ونقول: مات. ونجعلك في بيت، فاذهب في الليل، وسافر عن البلد. ففعل، وصاح صيحة عظيمة، فقالوا: مات، وحُمل. فجاء رجل من الحنابلة، وزاحم حتى حصل تحتَه، وعَصَرَ على خُصاه، فصاح الرجل فقالوا: عاش، عاش. وأخذ الناس في الضحك، وقالوا المحال ينكشف.
قال الناصح: وكان الشيخ موفق الدين المقدسي يقول: كلُّنا في بركات الشيخ أبي الفرج. قال: وحدثني ونحن ببغداد قال: لما قدم الشيخ أبو الفرج إلى بلادهم من أرض بيت المقدس تسامح الناس به فزاروه من أقطار تلك البَلاد قال: فقال جدِّي قدامة لأخيه: تعال نمشي إلى زيارة هذا الشيخ لعله يدعو لنا. قال: فزاروه، فتقدم إليه قدامة فقال له: يا سيدي، ادع لي أن يرزقني الله حفظَ القرآن.
قال: فدعا له بذلك، وأخوه لم يسأله شيئًا، فبقي على حاله. وحَفِظَ قدامة القرآن. وانتشر الخبر منهم ببركات دعوة الشيخ أبي الفرج.
للشيخ أبي الفرج تصانيف عدة في الفقه والأصول.
منها: "المبهج" و "الإيضاح" و "التبصرة في أصول الدين" و "مختصر في الحدود، وفي أصول الفقه، ومسائل الامتحان"
وقرأت بخط الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ قال: سمعت والدي يقول: للشيخ أبي الفرج "كتاب الجواهر" وهو ثلاثون مجلدة يعني: في التفسير. قال: وكانت بنت الشيخ تحفظه، وهي أم زين الدين علي بن نجا الواعظ، الآتي ذكره إن شاء اللّه تعالى.
قال أبو يعلى بن القلانسي في تاريخه في حق الشيخ أبي الفرج: كان وافر العلم، متين الدين، حسن الوعظ، محمود السمت.
توفي يوم الأحد ثامن عشرين في الحجة، سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق.
ودفن بمقبرة الباب الصغير، وقبره مشهور يزار.
وللشيخ رحمه الله ذرية. فيهم كثير من العلماء، نذكرهم إن شاء اللّه تعالى في مواضعهم من هذا الكتاب، يعرفون ببيت ابن الحنبلي.
وقد ذكر الشيخ موفق الدين في المغني، والشيخ مجد الدين بن تيمية في شرح الهداية، عن أبي الفرج المقدسي: أن الوضوء في أواني النحاس مكروه وهو هذا.
وذكرا عنه أيضًا: أن التسمية على الوضوء يصح الإتيان بها بعد غسل بعض الأعضاء، ولا يشترط تقدمها على غسلها. وقد نسب أبو

المعالي بن المنجا هذا في كتابه "النهاية" إلى أبي الفرج بن الجوزي. وهو وَهمٌ.
وله غرائب كثيرة.
فمنها: أنه نقل في الإيضاح رواية عن أحمد: أن مس الأمرد لشهوةٍ ينقض.
ومنها: أن المسافر إذا مسح في السفر أكثر من يوم وليلة، ثم أقام، أو قدم: أتم مسح مسافر.
ومنها: أن الجنب يكره له أن يأخذ من شعره وأظفاره. ذكره في الإيضاح وهو غريب. مخالف لمنصوص أحمد في رواية جماعة.
ومنها: حكى في وجوب الزكاة في الغزلان روايتين.
ومنها: أنه خرّج وجهًا: أنه يعتبر لوجوب الزكاة في جميع الأموال: إمكان الأداء، من رواية اعتبار إمكان الأداء لوجوب الحج.
ومنها: ما قاله في الإيضاح: إذا وقف أرضًا على الفقراء والمساكين: لم يجب في الخارج منها العشر، وإن كان على غيرهم: وجب فيها العشر. وللإمام أحمد نصوص تدل على مثل ذلك. وهو خلاف المعروف عند الأصحاب.
ومنها: ما قاله في الإيضاح أيضًا، قال: والصداق يجب بالعقد ويستقر جميعه بالدخول، ولو أسقطت حقها من الصداق قبل الدخول: لم يسقط لأنه إسقاط حق قبل استقراره، فلم يسقط كالشفيع إذا أسقط حقه قبل الشراء. هذا لفظه. وهو غريب جدًا.
ومنها: أنه ذكر في المبهج في آخر الوصايا: إذا قال لعبده: إن أدّيتَ إليَّ ألْفًا فأنت حرٌ، ثم أبرأه السَّيِّد من الألف. عتق فجعل التعليق كالمعاوضة ولأحمد في رواية أبي الصقر ما يَدُلّ عليه.
وذكر في كتاب الزكاة من المبهج أيضًا: أنه يجوز دفع كالزكاة إلى من علّق عتقه بأداء مال، وهو يرجع إلى هذا الأصل، وأن التعليق معارضة تثبت في الذمة.
وذكر أيضًا في المبهج: إذا باع أرضًا فيها زرع قائم قد بدا صلاحه: لم يتبع قولاً واحدًا، وإن لم يبد صلاحُه: فهل يتبع أم لا?. على وجهين، فإن قلنا: لا يتبع: أخذ البائع بقطعه، إلا أن يستأجر الأرض من المشتري إلى حين إدراكه وأما إذا بدا صلاحه: فإنه يبقى في الأرض من غير أجرة إلى حين حصاده.
وذكر فيه أيضًا: أنه إذا اشترى شيئًا فبان معيبًا ونما عنده نماءً متصلاً، ثم رَدَّه: أخذ قيمة الزيادة من البائع، وقد وافقه على ذلك ابن

عقيل في كسْاب الصداق من فصوله.
وقد نقل ابن منصور عن أحمد، فيمن اشترى سلعةً فنمت عنده، وبان بها داء: فإن شاء المشتري حبسها ورجع بقدر الداء، وإن شاء رَدّها ورجع عليه بقدر النماء. وهذا ظاهر في الرجوع بقيمة النماء المتصل، لأن النماء المنفصل مع بقائه إما أن يستحقه المشتري أو البائع. وأما قيمته فلا يستحقها أحد منهما مع بقائه ولا تلفه.

يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن سطور?

العكبري البَرْزَبيني، القاضي أبو علي، قاضي باب الأزج: قدم بغداد بعد الثلاثين والأربعمائة. وسمع الحديث من أبي إسحاق البرمكي. وتفقه على القاضي أبي يعلى، حتى برع في الفقه، ودرس في حياته، وشهد عند ابن الدامغاني، هو والشريف أبو جعفر في يوم واحد، سنة ثلاث وخمسين. وزكّاهما شيخُهما القاضي.
وتولى يعقوب القضاء بباب الأزج مدة، ورأيت في تاريخ القضاة لابن المنذري: أن القاضي يعقوب عزل نفسه عن قضاء باب الأزج والشهادة، سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة.
وقال أبو الحسين: ولي القضاء بباب الأزج من جهة الوالد، ثم عزل نفسه عن القضاء والشهادة سنة اثنتين وسبعين، ثم عاد إليهما سنة ثمان وسبعين، واستمر إلى موته. قال: وكان ذا معرفة تامة بأحكام القضاء، وإنفاذ السجلات متعففًا في القضاء، متشددًا في السنة.
وقال ابن عقيل: كان أعرف قضاة الوقت بأحكام القضاء والشروط. سمعتُ ذلك من غير واحدٍ ولم يكن أحد من الوكلاء يهاب قاضيًا مثل هيبته له. وله المقامات المشهورة "بالديوان" حتى يُقال: إنه كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة من الصحابة، في قوة الرأي.
وذكره ابن السمعاني، فقال: كانتْ له يدٌ قوية في القرآن والحديث، والفقه والمحاضرة. وقرأ عليه عامة الحنابلة ببغداد، وانتفعوا به. وكان حسن السيرة، جميل الطريقة، جرت أموره في أحكامه على سدادٍ واستقامة.
وحدّث بشيء يسير عن أحمد عمر بن ميخائيل العكبري، وغيره.
قال: وذكر لي شيخُنا الجنيد بن يعقوب الجيلي الفقيه بباب الأزج: أنه سمع الحديث من القاضي أبي علي يعقوب، ولم يكن له أصل حاضر بما سمع منه. وقال: عَلّقتُ عنه الفقه، وكان لجماعة من

شيوخنا الأصبهانيين منه إجازة، مثل أبي عبد اللّه الخلال، وغانم بن خالد، وأبي نصر الغازي، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ، وغيرهم.
وقال ابن الجوزي: حدَّث وروى عنه أشياخنا.
قلتُ. قال أبو الحسين: صنف كتبًا في الأصول والفروع. وكان له غلمان كثيرون - يعني تلامذة- قال: وكان مبارك التعليم، لم يَدْرسْ عليه أحد إلا أفلح وصار فقيهًا. وكانت حلقته بجامع القصر.
وعليه تفقه القاضي أبو حازم، وأبو الحسين بن الزاغوني، وأبو سعد المخرّمي، وطلحة العاقولي، وغيرهم.
وله تصانيف في المذهب. منها: "التعليقة في الفقه" في عدّة مجلدات، وهي مُلخصة من تعليقة شيخه القاضي.
وممن روى عنه القاضي أبو طاهر بن الكرخي، وأخوه أبو الحسن.
وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشرين شوال سنة ست وثمانين وأربعمائة.
كذا نقله ابن السمعاني من خط شجاع الذهلي. وذكره أيضًا ابن المندائي- وذكر الشهر والسنة- وأبو الحسين، وابن الجوزي في تاريخه.
وقال ابن الجوزي في الطبقات: تُوفي في شوال سنة ثمان- وقيل: سنة ست وثمانين- وكان عمره سبعًا وسبعين سنة. ودفن من الغد بباب الأزج، بمقبرة الفيل إلى جانب أبي بكر عبد العزيز غلام الخلال. رحمهم الله تعالى.
قال أبو الحسين: وصلَّى عليه كابر أولاده بجامع القصر، وحضر جنازته خلق كثير من أرباب الدين والدنيا، وأصحاب المناصب: نقيب العباسيين. ونقيب العلويَّين، وحجاب السلطان، وجماعة الشهود. وغيرهم.
و "بَرْزَبِين" بفتح الباء وسكون الراء وفتح الزاي وكسر الباء الثانية، ثم بياءٍ ساكنة ونون- قرية كبيرة على خمسة فراسخ من بغداد. بينها وبين أَوَانَا.
وذكر القاضي يعقوب في تعليقته، قال: إذا نذر عتق عبده ولا مال له غيره: يحتمل أن يعود فيه، كما لو نَذَر الصدقة بماله كله فعتق ثلثه. وإن سلَّمنا فالعتاق آكد. ولهذا يفترقان في نذر اللجاج والغضب.
وهذا الاحتمال الأول مخالفٌ لما ذكره القاضي وابن عقيل وغيرهما من أهل المذهب.
لكن منهم من يعلل بأن العتق لا يتبعَّض، في، ملك واحد، كالقاضي

في خلافه.
وهذا مُوافقة على أن الواجب بالنذر عتق ثلثه لا غير. وإنما الباقي يعتق بالسراية.
ومنهم من يعلل بقوة العتق وتأكيده، كما ذكره القاضي يعقوب هنا.
وعلى هذا فالواجب عتق العبد كله بالنذر.
وذكر القاضي يعقوب أيضًا: فيما إذا حلف ليقضينَّه دراهمه التي عنده فأحاله بها، وقال: يحتمل أن يبرأ لأن ذمته قد برئت بالحوالة.
وهذا مخالف لقول القاضي والأصحاب، فإن الحوالة نقلت الحق من ذمة إلى ذمة، ولم يحصل بها الاستيفاء.
ورأيت بخط أبي زكريا بن الصيرفي الفقيه: أن القاضي أبا علي يعقوب اختار جواز أخذ الزكاة لبني هاشم، إذا مُنعوا حقهم من الخُمس.
وقرأت بخط الجنيد بن يعقوب الجيلي الفقيه "فرع: تملك الأم الرجوع في الهبة" وهو اختيار القاضي يعقوب بن إبراهيم. وفيه رواية أخرى: لا تملك. اختارها بقية الأصحاب. وذكر القاضي يعقوب الخلاف بين أصحابنا في أن الحروف: هل هي حرف واحد قديم، أو حرفان: قديم ومحدث? وقال: كلامُ أحمد يحتمل القولين. ولكنه اختار أنها حرف واحد. وحكاه عن شيخه القاضي وذكر أنه سمع ابن جَلبة الحراني يحكيه عن الشريف الزبدي، وجماعة من أهل حران.
والتزم القاضي يعقوب: أن كل ما كان موافقًا لكتاب الله من الكلام في لفظه ونظمه وحروفه، فهو من كتاب الله، وإن قصد به خطاب آدمي، حتى إنه لا يبطل الصلاة.
قال أبو العباس بن تيمية: وهذا مخالف للإجماع. وهو كما قال. فإنه إذا جَرّدَ قصده للخطاب، فهو يتكلم بكلام الآدميين. وأما إن قصد التنبيه بالقرآن، فمن الأصحاب من قال: لا يحنث، ومنهم من بناه على الخلاف في بطلان الصلاة بذلك.

عبد الوهاب بن طالب بن أحمد بن يوسف بن عبد الله بن عنبسة بن عبد الله بن كعب بن زيد بن بهم، أبو القاسم التميمي الأزجي البغدادي

المقرىء الفقيه: نزيل دمشق. أقام بها مدة يؤم بمسجد درب الريحان. حدّث بها بالإجازة من الطناجيري. سمع منه ابن صابر الدمشقي المحدث وأخوه.

وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربعمائة. ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير. رحمه اللّه تعالى.

رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم بن عبد الله التميمي

البغدادي المقرىء، المحدث الفقيه الواعظ، شيخ أهل العراق في زمانه، أبو محمد بن أبي الفرج بن أبي الحسن: ولد سنة أربعمائة- وقيل: سنة إحدى وأربعمائة- وفي الطبقات لابن الجوزي: سنة أربع.
وقال السلفي: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن سلامة الروحاني بمصر يقول: سمعت رزق اللّه التميمي ببغداد يقول: مولدي سنة ست وتسعين وثلاثمائة.
وقرأ القران بالروايات على أبي الحسن الحمامي. وسمع الحديث من أبي الحسين بن التميم، وأبي عمر بن مهدي، وابني بشران، وأبي علي بن شاذان، وغيرهم.
وأجاز له أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي، وتفقه على أبيه أبي الفرج، وعمه أبي الفضل عبد الواحد، وأبي عليّ بن أبي موسى صاحب الإرشاد.
قال أبو الحسين: وقرأ على الوالد السعيد قطعة من المذهب.
وأدرك من أصحاب ابن مجاهد رجلاً يقال له: أبو القاسم عبد اللّه بن محمد الخفاف، وقرأ عليه سورة البقرة. وقرأها على ابن مجاهد، وأدرك من أصحاب أبي بكر الشبلي رجلاً، وهو عمر بن تعويذ. وحكى عنه حكاية عن الشبلي.
قال ابن الجوزي: وشهد عند أبى الحسين بن ماكولا قاضي القضاة. فلما توفي وولى ابن الدامغاني ترك الشهادة ة ترفعّاَ عن أن يشهد عنده. فجاء قاضي القضاة إليه مستدعيًا لمودَّته وشهادته عنده فلم

يخرج له عن موضعه، ولم يصحبه مقصوده.
قال: وكان قد اجتمع للتميمي القرآن، والفقه والحديث، والأدب والوعظ. وكان جميل الصورة، فوقع له القبول من الخواص والعوام. وأخرجه الخليفة رسولاً إلى السلطان في مهام الدولة. وكان له الحلقة في الفقه، والفتوى والوعظ بجامع المنصور. فلما انتقل إلى باب المراتب كانت له حلقة بجامع القصر يروي فيها الحديث، ويفتي. وكان يمضي في السنة أربع دفعات: في رجب، وشعبان، ويوم عرفة، وعاشوراء، إلى مقبرة أحمد، ويعقد هناك مجلسًا للوعظ.
وقال في الطبقات: كانت له المعرفة الحسنة بالقرآن والحديث، والفقه، والأصول، والتفسير، واللغة والعربية، والفرائض. وكان حسن الأخلاق.
وحكي عن ابن عقيل قال: كان سيد الجماعة من أصحاب أحمد بيتًا ورئاسة وحشمة أبا محمد التميمي. وكان أحلى الناس عبارة في النظر، وأجراهم قلمًا في الفتيا، وأحسنهم وعظًا.
وقال ابن عقيل في فنونه- والكلام أظنه في تاريخ بغداد-: ومن كبار مشايخي: أبو محمد التميمي شيخ زمانه. كان حسنة العالم، وماشطة بغداد.
وذكر عن التميمي أنه كان يقول: كلُّ الطوائف تدَّعيني.
وقال شجاع الذهلي- فيما حكاه عن السلفي- كان له لسان وعارضة، وحلاوة منطق. وهو أحد الوعاظ المذكورين، والشيوخ المتقدمين. وقد سمعت منه.
وقال السلفي: سألت المؤتمن الساجي عن أبي محمد التميمي. فقال: هو الإمام علمًا ونفسًا وأبوة، وما يذكر عنه فتحامُلٌ من أعدائه.
وقال شيرويه الديلمي الحافظ: هو شيخ الحنابلة، ومقدمهم. سمعتُ منه. وكان ثقةً صدوقًا، فاضلاً ذا حشمة.
وقال أبو عامر العبدري: رزق الله التميمي كان شيخًا بهيًا، ظريفًا لطيفًا-، كثير الحكايات والملح، ما أعلمُ منه إلاَّ خيرًا.
وقال أبو علي بن سكرة في مشيخته: ما لقيتُ في بغداد مثله- يعني التميمي- قرأتُ عليه كثيرًا. وإنما لم أُطل ذكره لعجزي عن وصفه لكماله وفَضلِه.
وقال ابن ناصر ما رأيتُ شيخًا ابن سبع وثمانين سنة أحسن سمتًا

وهديًا، واستقامة منه، ولا أحسن كلامًا، وأظرف وعظًا، وأسرع جوابًا منه فلقد كان جمالاً للإسلام كما لقب، وفخرًا لأهل العراق خاصة، ولجميع بلاد الإسلام عامة، وما رأينا مثله. كان مقدمًا على الشيوخ الفقهاء وشهود الحضرة، وهو شاب ابن عشرين سنة، فكيف به وقد ناهز التسعين سنة. وكان مكرمًا وذا قدر رفيع عند الخلفاء، منذ زمن القادر ومَنْ بعده من الخلفاء إلى خلافة المستظهر.
وله تصانيف. منها "شرحُ الإرشاد" لشيخه ابن أبي موسى في الفقه والخصال والأقسام.
قرأ عليه بالروايات جماعة، منهم: أبو الكرم الشهرزوري، وغيره. وأملى الحديث. وسمع منه خلقٌ، كثير ببغداد وأصبهان، لما قدمها رسولاً من جهة المقتدي.
وممن سمع منه الحفاظ: إسماعيل التميميّ، وأبو سعد بن البغدادي، وأبو عبد اللّه الحميدي، وابن الخاضبة، وأبو مسعود سليمان بن إبراهيم، وأبو نعيم بن الحداد، وأبو علي البرداني، وأبو نصر الغازي، وإسماعيل بن السمرقندي، وابن ناصر، ومحمد بن طاهر، وعبد الوهاب الأنماطي.
وسمع منه أيضًا: نصر اللّه المصيصي، وهبة اللّه بن طاوس، وعليّ بن طراد، والقاضي أبو بكر، والقاضي أبو الحسين، وأخوه أبو حازم، وابن البطّي، وخلق كثير.
وقد روى ابن السمعاني: حديث "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا" عن أربعة وسبعين، سماعًا له، سمعوه من التميمي.
وروى عنه من أهل أصبهان أزيد من مائة راوٍ. وآخر من روى عنه: السلفي بالإجازة.
وذكر ابن النجار في أول تاريخه بإسناده عن خميس الجوزي الحافظ: سمعتُ طلحة بن علي الرازي، قال: رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ببغداد، كأنه في مسجد عتاب، جالس في القبلة، وعليه برد كَحِل، وهو متقلد بسيف، والمسجد غاص بأهله. وفي الجماعة أبو محمد التميمي وهو يقول له: يا رسول الله، ادعُ اللّه لنا فرفع يديه، فقال - وأنا أقول معه-: اللهم إنَّا نسألُك حسن الاختيار في جميع الأقدار، ونعوذُ بك من سوء الاختيار في جميع الأقدار.
قال أحمد بن طارق الكركي: سمعتُ أبا الكرم الشهرزوري يقول:

سمعتُ التميمي يقول: لما دخلتُ سمرقند برسالة المقتدي إلى "ملكشاه" رأيتهم يروون الناسخ والمنسوخ لهبة اللّه عن خمسة رجال إليه، فقلت لهم: الكتابُ معي، والمصنِّفُ جدي لأمي، ومنه سمعتُه، ولكنْ ما أُسمع كل واحد منكم إلا بمائة دينار. فما كان الظهر حتى جاءني كيس فيه خمسمائة دينار والجماعة فسمعوا عليَّ، وسلموا إليَّ الذهب. قال: ولما عدنا من سمرقند ودخلنا أصبهان، وأمليتُ الحديث يوم جمعة، فقام الجماعة ومدحوني، وقالوا: ما سمعنا أحسن من هذا.

ولأبي محمد التميمي شعرٌ حسن. قال ابن السمعاني: أنشدنا هبةُ اللّه بن طاوس بدمشق، أنشدنا التميمي لنفسه:

وما شنآنُ الشيب من أجل لونه حادٍ إلى البين مسرعُ
إذا ما بدتْ منه الطليعةُ آذنتْ المنايا خلفها تتطلعُ
فإن قصَّها المقراضُ صاحت بأختها تظاهر تتلوها ثلاثٌ وأربعُ
وإن خضبتْ حالَ الخضابُ بلاقعُ لألفُ صُنع اللّه، واللّه أصنعُ
فيُضحِي كريش الديك فيه تواضعٌ ما يُكساه ثوبٌ مذلَّمٌ ملمَّعُ
إذا ما بلغت الأربعين فقل لمن تودك فيما تشتهيه وتسرعُ
هَلموا لنبكي قبل فرقة بيننا بعدها عيش لذيذ ومجمعُ
وخَلِّ التصابي، والخلاعة، والهوى وطريق الحق، فالحق أنفعُ
وخُذ جُنَّة تُنجي وزادًا من التقى وصحبة مأمون، فقصدك مفزع

قال: وأنشدنا إسماعيل بن السمرقندي، أنشدنا التميمي لنفسه:

مررْنا على رسم الديار فسلَّمنا وقلنا له: يا ربعُ أين نأَوْا عَنَّا?
بدمع كالرذاذ على الثرى فَصُمَّ المنادَى، فانصرفنا كما كنّا
ذاك إلاَّ أنَ رسم ديارهم الذي نلقى فقد زادنا حزنا
أيسنا من جواب رُسُومِهم فقبلنا الثرى قبل أن رُحنا

ومن شعره:

يا ويح هذا القلب ما حَالُه مشتغلاً في الحي بلبالُه
سكران لو يصحو لعاتبه وكيف بالعتب لمن حالُه
دمع غزير، وجوى كامنٌ يرحمه من ذاك عُذَّالُـه

ما ينثني باللوم عن حُبِّـه تغيّرتْ في الحب أحوالُه

قال: وأنشدنا لنفسه:

ولم أستَطع يومَ الـفـراقِ وداعَـه ... لِفَرْطِ فناءِ الدَمعُ مِنِّي عن القول

وَشيعَهُ صبري ونومي كلاهـمـا ... بلا أنسٍ نهاري ولا لـيلـي

فلما مضى أقبلتُ أسعى على رأسي ... وناديتُ: يا وَيلـي

تبَدَّلتُ يوم البين بـالأنـس وحـشة ... وبالسُّرورِ بالخسران يوم النوى ذَيْلي

وله أيضًا:

تسألاني عن الحيّ الـذي كنتُ يوم البين سـكـرانـا ... بـانـا

صاحِبيّ على وجدي بنُعـمـانـا هل راجعٌ وصلُ ليلى كالذي كانا?

ذاك آخر عهدٍ لـلّـقـاء بـهـا ... الدهر ما عشناه أحـزانـا

ضَرَّهم لو أقامُوا يَوم بـيـنـهـما ... يلبسِ المحزون أكفـانـا

ليت الجِمال التي للبين ما ... وَلَيتَ حـادٍ لـلـبـين حـيرانـا خُلـقـتْ

تُوفي أبو محمد التميمي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وصلى عليه ابنه أبو الفضل من الغد. ودُفن بداره بباب المراتب بِإذن الخليفة المستظهر. ولم يُدفن بها أحد قبله.

ثم لما توفي ابنه أبو الفضل سنة إحدى وتسعين، نقل معه إلى مقبرة باب حرب، فدُفِن إلى جانب أبيه وجده وعمه، بدكة الإمام أحمد عن يمينه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحي، أخبرنا أبو المعالي أحمد بن إسحاق الهمداني، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور، أنبأنا عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي وأنبأتنا زينب بنت أحمد عن عبد الرحمن بن مكي عن جده أبي الطاهر بن أحمد بن محمد الأصبهاني، قالا: أنبأنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم بن عبد الله التميمي- قال الأول: سماعًا، وقال الثاني: إجازة- قال: سمعتُ أبي أبا الفرج عبد

الوهاب يقول: سمعت أبي أبا الحسن عبد العزيز يقول: سمعتُ أبي أبا بكر الحارث يقول: سمعتُ أبي أسدًا يقول: سمعتُ أبي الليثَ يقولُ: سمعتُ أبي سليمانَ يقولُ: سمعت أبي الأسودَ يقول: سمعتُ أبي سفيانَ يقول: سمعت أبي يزيد يقولُ: سمعت أبي أكيْنَةَ يقول: سمعت أبي الهيثَم يقول: سمعتُ أبي عبدَ الله يقول: سمعتُ رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "ما اجتمعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ الله إلا حفّتْهمُ المَلاَئِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ".
"أكيْنَةُ" بضم الهمزة وفتح الكاف وبالياء والنون المفتوحة قيَّده ابنُ ماكولا وغيرُه.
وعبد الله هذا هو ابن الحارث بن سيدان بن مُرَّة بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي. كذا نسبه ابن ماكولا.
وقال ابن الجوزي: كان عبدُ اللّه هذا اسمه عبد اللات، فسماه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: عبد الله، وعلمه. وأرسله إلى اليمامة والبحرين ليعلمهم أمر دينهم، وقال: "نْزع اللّه من صدرك وصدر ولدك الغل والغش إلى يوم القيامة".
قرأتُ بخط الإمام أبي العباس بن تيمية: أن أبا محمد التميمي وافق جده أبا الحسن على كراهة الماء المسخن بالشمس.
ونقل بعضُ الأصحاب عن أبي محمد التميمي: أنه اختار أن خروج المني بغير شهوة يوجب الغسل.
وذكر ابن الصيرفي في نوادره قال: نقل أبو داود عن أحمد: المرأة تعدم الماء، ويكون عنده مجتمع الفساق، فتخاف أن تخرج: أتتيمم? قال: لا أدري.
قال أبو محمد التميمي في شرح الإرشاد: يتوجه أن تتيمم لأنه ضرورة. وهل تعيد الوضوء إذا قدرت على الماء. على وجهين.
أصحهما: لا إعادة عليها.
قال: وكان عبدُ العزيز يقول: تُعيد الوضوء والصلاة إذا قَدرتْ، فإن لم تُعد فلا جناح.
وقال غيره من أصحابنا: لا إعادة. قال: وهو الصحيح. وبه يقول شيخنا- يعني: ابن أبي موسى.
قلتُ: فحقْيقة الوجهين في الإعادة إنما هي في الاستحباب وعَدمِه فإن أبا بكر قد قال: فإن لم تُعد فلا حرج.
وقد ذكر الأصحاب: إن أحمد نصَّ في رواية أخرى على أنها لا تمضي

وتتيمم بل قالوا: لا يجوز لها المضي إذا خافتْ على نفسها منهم.
وفي النوادر أيضًا: إن أبا محمد التميمي حكى رواية عن أحمد: بصحة الصلاة عن يسار الإمام مع الكراهة.
وفي المنثور لابن عقيل: ذكر شيخنا في الجامع الكبير: إذا فصد، وشد العصابة: مسح عليها وتيمم. فاعترض عليه أبو محمد التميمي بأنه لا يخلو: إما أن يكون جرحًا فيتيمم له، أو مثل الجبيرة فيمسحه فقط. فقال القاضي: وجدتُه عن أحمد كذلك- يعني: جواب التميمي.
وذكر ابن الجوزي في تاريخه: أن جلال الدولة أمره أن يكتب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، وخطب له بذلك. فنفر العامة، ورجموا الخطباء، ووقعت فتنة. وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة. فاستفتى الفقهاء فكَتبَ الصَّيْمري: أن هذه الأسماء يُعتبر فيها القصد والنية. وكتب أبو الطيب الطبري: أن إطلاق ملك الملوك جائز، ويكون معناه ملك ملوك الأرض. وإذا جاز أن يُقال: قاضي القضاة، وكافي الكفاة، جاز أن يُقال: ملك الملوك. وكتب التميمي نحو ذلك وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني: أن القاضي الماوردي مَنع من جواز ذلك.
قال ابن الجوزي: والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قصد به ملوك الدنيا، إلا أني لا أرى إلا ما رآه الماوردي لأنه قد صحَّ في الحديث ما يدل على المنع لكنهم عن النقل بمعزل. ثم ساق حديثَ أبي هريرة الذي في الصحيحين. وابن الجوزي وافق على جواز التسمية بقاضي القضاة ونحوه. وقد ذكر شيخنا أبو عبد اللّه بن القيم قال: وقال بعض العلماء: وفي معنى ذلك- يعني: ملك الملوك- كراهية التسمية بقاضي القضاة، وحاكم الحكام فإنَّ حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى. وقد كان جماعةٌ من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة، وحاكم الحكام، قياسًا على ما يبغضه اللّهُ ورسولُه من التسمية بملك الأملاك. وهذا محض القياس.
قلتُ. وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي- قاضي الديار المصرية، وابن قاضيها- يمنع الناس أن يخاطبوه بقاضي القضاة، أو يكتبوا له ذلك، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بقاضي المسلمين. وقال: إنَّ هذا اللفظَ مأثورٌ عن علي رضي الله عنه.

يوضح ذلك: أن التلقيب بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم. وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم "موبَذ مُوبَذان" يَعنُون بذلك: قاضي القضاة. فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما. واللّه أعلم.

عبد الوهاب بن رزق اللّه بن عبد الوهاب التميمي، أبو الفضل بن أبي محمد

المذكور قبله: ذكره ابن السمعاني، فقال: كان فاضلاً، متقنًا، واعظًا، جميل المحيا.

سمع أبا طالب بن غيلان. وحدثنا عنه عبد الوهاب الأنماطي. ثم ساق له حديثًا، ثم قال: سمعتُ أبا الفضل بن ناصر يقول: مات أبو الفضل عبد الوهاب بن أبي محمد التميمي يوم الإثنين لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة. ودُفن من الغد لمقبرة باب حرب.
وقد قدمنا أن أباه نُقل معه إلى باب حرب في هذا اليوم.

وذكر أبو الحسين في الطبقات: أنه كان يحضر بين يدي أبيه في مجالس وعظه بمقبرة الإمام أحمد، وينهضُ بعد كلامه قائمًا على قدميه، ويورد فصولاً مسجوعة.

عبد الواحد بن رزق اللّه بن عبد الوهاب التميمي، أبو القاسم، أخو المذكور قبله: ذكره ابن السمعاني أيضًا، فقال: من أولاد الأئمة والمحدثين، قرأ القرآن والحديث والفقه. وكان من محاسن البغداديين في الوعظ. ختم به بيته، ولم يعقب.

سمع أبا طالب بن غيلان، وحدث بشيء يسير.
قلت: وسمع هو وأخوه عبد الوهاب من القاضي أبي يعلى. ثمَّ قال: سألتُ عبد الوهاب الأنماطي عنه. فقال: كان صَدعًا. وكان يلبس الحرير.
وذكر ابن النجار: أنه كان يُراسل به إلى الملوك في أيام المستظهر، وأنه كان شديد القوة في بدنه، وأنه حدَّث بأصبهان.

وسمع منه محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ.
وتُوفي يوم الأحد سابع عشر جُمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. ودُفِن من الغد بمقبرة باب حرب عند أخيه أبي الفضل. رحمهم الله تعالى.

علي بن عمرو بن علي بن الحسن بن عمرو الحراني، أبو الحسن بن الضرير

الفقيه، الزاهد: صحب الشريف أبا القاسم الزيدي الحرّاني وأخذ عنه، وسمع منه. وتفقه ببغداد على القاضي. وكان من أكابر شيوخ حَرَّان.

ذكره أبو الفتح بن عبدوس، وغيره وحدَّث بالإبانة الصغرى لابن بطّة، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بحران، بسماعه من الشريف الزيدي، بسماعه من ابن بطّة.

قرأتُ بخط بعض أصحابه أنه أنشدهم لغيره:

ولا تمشِ فوق الأرض إلاَّ تواضعًا ... تحتها قومٌ هُمُ منـك أرفـعُ

كنتَ في عزٍّ، وحرزٍ، وَمَنعةٍ ... فكم مات مِن قومٍ هُمُ منك أمنـعُ

وذكره أبو الحسين، فقال: الصالح التقي، صاحب الوالد السعيد.

توفي بسروج، في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

وحكى لي ابنه خليفة، قال: حكى لي رجل من أهل سُروج من الصالحين: أنه رأى في تلك الليلة قائلاً يقول له: يا فلان، إلى متى تنام. قم، قد انهدم ربع الإسلام. قال: فانتبهتُ، وانزعجتُ، ثم عدت نمتُ، فرأيت القائلَ يقولُ: كم تنامُ، قد انهدم ربع الإسلام. قال: فقعدتُ واستغفرتُ الله تعالى.
وقلتُ: إيش هذا؟ قال: ثمَّ نمتُ، فقال لي يا فلانُ، قد انهدم ربع الإسلام. قد مَات علي بن عَمرو.
قال: فأصبحتُ وقد مات رحمه الله تعالى.

علي بن المبارك الكرخي النهري

الفقيه أبو الحسن: وقال ابن نقطة: هو عليُ بن محمد الفقيه، من أقران ابن عقيل.

قال أبو الحسين: تفقه على الوالد، ودرس في حياته وبعد مماته. كان كثير الذكاء، قيمًا بالفرائض.
سمع من الوالد الحديث الكثير.

وتوفي في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وصليتُ عليه إمامًا. ودُفن بمقبرة جامع المنصور.
قال: وسمعت أبا الحسن النهري قال: كنتُ في بعض الأيام أمشي مع القاضي الإمام والدك، فالتفت، فقال لي: لا تلتفتْ إذا مشيتَ فإنه يُنسب فاعل ذلك إلى الحمق.

قال: وقال لي يومًا آخر- وأنا أمشي معه-: إذا مشيتَ مع من تعظمه، أين تمشي منه. قلت: لا أدري، قال: عن يمينه، تقيمه مقام الإمام في الصلاة، وتخلى له الجانب الأيسر، فإذا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله في الجانب الأيسر.

?عبد الله بن جابر بن ياسين بن الحسن بن محمد بن أحمد بن مَحْمُويَهْ بن خالد العسكريّ

الحنائي، العطار، الفقيه، المحدث، أبو محمد بن أبي الحسن: ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة. وسمع الحديث من أبي علي بن شاذان، وأبي القاسم بن بشران، وغيرهما وتفقه على القاضي أبي يعلى، واستملى عليه الحديث.
قال ابن السمعاني: تفقه على القاضي أبي يعلى. وكان خال أولاده. وكان صدوقًا، مليح المحاضرة، حسن الخط، بهيّ المنظر. وكان يستملي للقاضي أبي يعلى بجامع المنصور.
وقال القاضي أبو الحسين: علق عن الوالد قطعة من المذهب والخلاف. وكتب أشياء من تصانيفه. وكان صادق اللهجة، حسن الوجه، مليح المحاضرة، كثير القراءة للقرآن، مليح الخط، حسن الحساب.

وذكر القاضي عياض: أنه سأل أبا علي بن سكرة عنه؟ فقال: كان شيخًا مستورًا، فاضلاً.
روى عنه القاضي أبو الحسين، وأبو القاسم بن السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي، وعمر بن ظفر، وجماعة.
قال القاضي أبو الحسين: مات خالي يوم الأربعاء عشرين شوال سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وصليتُ عليه إمامًا. ودُفن بمقبرة باب حرب. قريباً من قبر الإمام أحمد.
قال شجاع الذهلي: مات يوم الخميس حادي عشرين شوال.
قال ابن السمعاني: والأول هو الصواب وإنما دُفن يوم الخميس.
وكان أبوه أبو الحسن جابر بن ياسين ثقة، من أهل السنة.
سمع من أبي حفص الكناني، والمخلص، وجماعة. وحدِّث.
روى عنه القاضي أبو بكر الأنصاري.
وتوفي سنة أربع وستين وأربعمائة في شوال.
و"مَحْمُويَهْ" في نسبه:- بميم مفتوحة، ثم حاء مهملة، ثم ميم مضمومة. هدا هو الصحيح. وذكره ابن السمرقندي: "حمويه" بلا ميم في أوله. والحنائي أظنه منسوبٌ إلى بيع الحناء.

زياد بن علي بن هارون أبو القاسم

الحنبلي الفقيه: نزيل بغداد. سمع بها من أبي مسلم عمر بن علي اللّيثي البُخاري. وحدّث عنه بكتاب الوَجيز لابن خزيمة.
سمعه منه أبو الحسن بن الزاغوني، وأبو الحسين بن الأبنوسي، ورواه عنه.
وذكر هبة اللّه السقطي: أن زيادًا الفقيه الحنبلي توفي في طاعون، سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. رحمه اللّه تعالى.

إسماعيل بن أحمد بن محمد بن خيران البزَّار الهمذاني، أبو محمد الحافظ:

مكثر. سمع بنيسابور عبد الغافر الفارسي، وأبا عثمان الصابوني، وأخاه أبا يعلى، وأبا حفص بن مسرور. وبأصبهان أبا عمر بن منده، وغيره. سمع ببلدان شتى. وحدّث ببغداد.
سمع منه أبو عامر العبدري. وروى عنه ابن السقطي في معجمه.
وقال شيرويه الديلمي عنه. وهو الذي وصفه بالحنبلي.

سمع عليه مشايخ الوقت بخراسان والجبل، وكان حافظًا مكثرًا، قديم الحديث.
وذكر ابن النجار: أنه تُوفي ببغداد يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة، بالمارستان. ودُفن بباب حرب. رحمه اللّه تعالى.

محمد بن علي بن الحسين بن جدا العكبري، أبو بكر بن أبي الحسين المتقدم:

ذكره ابن الجوزي في التاريخ، وقال: كان من العُلماء. نزل يتوضأ في دجلة فغرق، في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.
وقال شُجاع الذهلي: يوم الخميس خامس ربيع الأول.
قال ابن النجار: سمع مع والده من أبي الحسين بن المهتدي حضورًا سنة ست وستين وأربعمائة. ومات شابًا. وما أظنه روى شيئًا.

عبد الباقي بن حمزة بن الحسين الحداد، الفرضي، أبو الفضل:

وُلد سنة خمس وعشرين وأربعمائة.
وذكره ابن السمعاني، فقال: شيخٌ صالح، خيّر. كان قد قرأ الفقه. وكانت له يد في الفرائض والحساب.
سمع أبا محمد الجوهري وغيره.
وروى لنا عنه أبو الغنائم سرايا بن هبة اللّه الحراني، وأبو الفضل بن ناصر الحافظ. سألته عنه؟ فأحسن الثناء عليه ووثقه، وقال: ثقة خَيّر.
وذكر ابن النجار: أنه سمع أيضًا من أبوي الحسين بن المهتدي، وابن حسنون، وأبي عليّ المبارك، وهناد النسفي، وغيرهم. وأنه حدّث باليسير.
وروى عنه سعيد بن الرزاز الفقيه، وأبو محمد المقرىء المعروف بسبط الخياط، وأبو بكر محمد بن خذاذاد الحداد.
توفي يوم السبت رابع عشر شعبان سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. ودفن في مقبرة باب أبرز.

قلتُ: له كتاب "الإيضاح في الفرائض". رأيتُ منه المجلد الأول. وهو حسن جدًا. صنفه على مذهب الإمام أحمد. وحرّر فيه نقل المذهب تحريرًا جيدًا.
ومما ذَكَر فيه، في باب توريث ذوي الأرحام، في عمة لأبوين وعمة لأب وعمة لأم: المال بينهن على خمسة: للعمة من الأبوين ثلاثة أسهم، وللعمة من الأب سهم، وللعمة من الأم سهم. هذا إذا نزلناهن أبًا، فأما إذا نزلناهن عمًّا، ففي ذلك خلاف بين أصحابنا.
فمنهم من قال: الأشبهُ بمذهبنا: أن يكون المال للعمة مع الأيوين، بمنزلة الأعمام المفرقين. منهم من قال: الأشبه أن يجعل المال بينهن على خمسة، كأن العمَّ مات وترك ثلاث أخوات مفترقات، كما قلنا في الأب.
قال: وهذا هو المنصوص عن أحمد. وجدتُه في كتاب الشافي لأبي بكر عبد العزيز، من رواية حرب بن إسماعيل.
سمعتُ أحمد قيل له في ثلاث عمَّات مفترقات. قال: على النصف والسدس.
قيل له: أليس المال للعمة من الأب والأم؟ قال: لا. وهذا نص.
قلتُ: لم يبين أحمد الأصلَ الذي تفرع عنه هذا الجواب، وهل هو تنزيل العمات أبًا أو عمًّا؟ وعنه في ذلك روايات معروفة. لكنه لما أنكر أن يكون المال تختص به العمة للأبوين، ولم يفصل بين أن يقال: بتنزيلهن أبًا أو عمًّا، ظهر منه: أنه لا فرق في ذلك بين تنزيلهن أبًا أو عمًّا. وهذا هو الصواب الذي عليه جمهور الأصحاب. والأول الذي ذكره ابن الحداد عن بعض الأصحاب، قد قاله الشيرازي في المبهج غيره، وجعلوا العمات بمنزلة الأعمام المفرقين.
وهذا مع مخالفته لنص أحمد، فهو ضعيف في القياس أيضًا فإنّا لا ننزل العمات أعمامًا متفرقين بمنزلة إخوتهن حتى ننزل العمة لأم عمًّا لأم. فإنه يلزم من ذلك سقوطها البتة لأنه غير وارثٍ وإنما ننزلهن كلهن أعمامًا لأبوين بمنزلة أخيهن العم من الأبوين.
ولا يقال: فيلزم من ذلك أن يقتسموا المال بينهن بالسَّوِيَّة كالأعمام المتفقين لأنا نجعل المدلى به وهو العم كمَيِّتٍ ورثه أخواته، وهن العمات الثلاث، فيقتسمون المال على خمسة، كما قلنا مثل ذلك في تنزيلهن أبًا. ولا فرق بينهما. فإن القاعدة: أنه إذا أدلى جماعة بوارثٍ واحدٍ ولم يتفاضلوا بالسبق إليه فنصيبه بينهم على حسب

ميراثهم منه لو ورثوه، سواء اختلفت منازلهم منه كالإخوة والأخوات المفترقين، أو تساوت كأولاده وإخوته المتفقين.

محمد بن الحسن بن جعفر الراذاني، المقرىء الفقيه الزاهد، نزيل أوانا أبو عبد اللّه:

ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة.

قاد القاضي أبو الحسين: صحب الوالد. وكان زاهدًا، ورعًا، عالمًا بالقراءات وغيرها. وعدّه أيضًا ممن تفقه على أبيه، وعلق عنه.

وذكر ابن النجار: أنه سمع من القاضي أبي يعلى، ومن أبي الغنائم بن المأمون، وأبي بكر بن حمدويه، وخلق. وأنه حدّث باليسير.

وروى عنه الحافظ أبو نصر اليُنارتي في معجمه، وقال: أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو عبد الله الراذاني.
وقال ابن السمعاني: كان فقيهًا، مقرئاً، من الزهاد المنقطعين، والعباد الورعين، مجاب الدعوة، صاحب كرامات. سمع من القاضي أبي يعلى وغيره. سمعتُ الحسن بن حريفا الشيخ صالح باللجمة يقول: دخلتُ على أبي عبد الله الراذاني، واعتذرتُ عن تأخري عنه، فقال: لا تعذرْ فإن الاجتماع مقدّر.

وسمعت ظافر بن معاوية المقرىء بالخريبة يقول: سمعتُ أن أبا عبد الله الراذاني أراد أن يخرج إلى الصلاة، فجاء ابنه إليه، وكان صغيرًا، وقال: يا أبي أريد غزالاً ألعبُ به. فسكت الشيخ، فلحَّ الصبي، وقال: لا بدَّ لي من غزال، فقال له الشيخ: اسكت يا بني، غدًا يجيئك غزال. فمن الغد كان الشيخ قاعدًا في بيته، فجاء غزال ووقف على باب الشيخ، وكان يضرب بقرنيه الباب إلى أن فتحوا له الباب ودخل، فقال الشيخ لابنه: يا بني، جاءك الغزال.
وذكر ابن النجار بإسناده: أن رجلاً حلف بالطلاق أنه رآه بعرفة، ولم يكن الشيخ حج تلك السنة، فأخبر الشيخ بذلك فأطرق، ثم رفع رأسه، وقال: أجمعت الأمة قاطبة على أن إبليس عدو اللّه

يسير من المشرق إلى المغرب، في إفتان مسلم أو مسلمة، في لحظة واحدة، فلا ينكر لعبد من عبيد الله أن يمضي في طاعة الله بإذن الله في ليلة إلى مكة ويعود. ثم التفت إلى الحالف، وقال: طبْ نفسًا فإن زوجتك معك حلال.

قال ابن الجوزي: كان الراذاني كثير التهجد، ملازمًا للصيام.

تُوفي رحمه الله يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى، سنة أربع وتسعين وأربعمائة. ودفن بأُوَانا.

أبو الحسن بن زفر العكبري:

ذكره القاضي أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه، وعلق عنه، وسمع منه.

وقال في ترجمته: صحب الوالد، وسمع درسه. وكان صالحًا، كثير التلاوة والتلقين للقرآن.
وبلغني أنه سرد الصوم خمسًا وسبعين سنة.

ومات قبل أبي عبد الله بن الراذاني بأيام يسيرة وله تسعون سنة رحمه الله تعالى.

محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البرداني

الفقيه الزاهد، أبو سعد: أحد الفقهاء من أصحاب القاضي أبي يعلى. سمع منه.

قال ابن النجار: وما أظنه روى شيئًا.

قال ابن الخشاب: أنشدني أبو بكر هبة الله بن أحمد الحفار، أنشدني أبو سعد البرداني عند موته:

إنَ من يأمُر بـالـص بر من الصبر نـفـرْ
إنَّ في الصَّدْر من الصَّ بْر كأيْنـاتٍ تـصـرّ

قال: أنشدنيهما، ثم فاضتْ نفسُه رحمه الله.
توفي يوم الأحد ثامن عشر المحرم سنة ست وتسعين وأربعمائة.
ودُفن في مقبرة باب حرب.
ذكر ابن عقيل في فنونه قال: وجدتُ رواية عن أحمد بخط أبي سعد البرداني: أن عبدة الأوثان يقرون بالجزية.
قال: وذكر ابن السمعاني: أنه مذهب أبي حنيفة. وهذا النقل عام في العرب وغيرهم. وليست هذه الرواية المشهورة: أن الجزية تؤخذ من كل الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب فإن هذه الرواية مشهورة عن أحمد، وهي معروفة في كتب القاضي وغيرها، فلا يحتاج مَنْ دون ابن عقيل- فضلاً عن ابن عقيل- في نقلها إلى أن يجدها في تعليق أبي سعد البرداني.

محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن كادش العكبريّ، المحدث، المستملي، أبو ياسر:

مفيد أهل بغداد. وُلد سنة سبع وعشرين وأربعمائة: وسمع، وكتب الكثير وأفاد الناس. وسمع الطلبة والغرباء بقراءته وإفادته الكثير.
سمع قديمًا من الجوهري، والقاضي الماوردي، والقاضي أبي يعلى، وأبي الحسن بن حسنون. وقرأ بنفسه الكثير على طراد، وابن البطي، وطبقتهما. وحدَّث باليسير.
روى عنة السمرقندي، والسلفي وقال عنه: كان قارىء بغداد، والمستملي بها على الشيوخ، ثقة، كثير السماع، ولم يكن له أنس بالعربية. وكان حنبلي المذهب، جهوري الصوت عند قراءة الحديث والاستملاء.
توفي في يوم الاثنين رابع صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة. ودفن بمقبرة باب حرب.

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن البرداني، المستملي، أبو علي الحافظ

وقد سبق ذكر والده أبي الحسن: ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة. وسمع من العُشَارى سنة ثلاثٍ وثلاثين. وهو أول سماعه.
من أبي القاسم الأزجي، أبي الحسن القزويني، وابن غيلان، والبرمكي، والخطيب، وغيرهم. وكتب الكثير وخرّج، وانتقى، واستملى. وتفقه على القاضي أبي يعلى.
قال أبو الحسين في الطبقات: سمع درس الوالد سنين، وسمع منه الحديث الكثير. وكان أحد المستملين عليه بجامع المنصور.

قال ابن السمعاني: كان أحد المتميزين في صنعة الحديث.
وقال ابن الجوزي: كان ثقة، ثبتًا، صالحًا، له معرفة تامة بالحديث.
وقال غيره: كان بصيرًا بالحديث، محققًا حجة. سمع منه جماعة، وحدَّث عنه علي بن طرَّاد، وإسماعيل التميمي، والسلفي، وسأله عن أحوال جماعة؟ فأجاب وأجاد.
قال السلفي: كان أبو عليّ أحفظ وأعرف من شجاع الذهلي. وكان ثقة، نبيلاً، له تصانيف.
قال الذهبي: جمع مجلدًا في المنامات النبوية.
قلتُ: وله جزء في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر الصديق.
ونقل السلفي عن خميس الجوزي الحافظ قال: كان أبو علي بن البرداني أحد الحفاظ الأئمة الذين يعلمون ما يقولون.
توفي ليلة الخميس حادي عشرين شوال، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب.
وفي الطبقات لأبي الحسين: أنه توفي عشية الأربعاء عاشر شوال.

محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق، الشيرازي الأصل، البغدادي، الصَّفَار، المقرىء، الزاهد، المعروف بأبي منصور الخياط.

وُلد سنة إحدى وأربعمائة، في شوال- أو ذي القعدة- وقرأ القرآن على أبي نصر أحمد بن عبد الوهاب بن مسرور، وغيره. وسمع الحديث في كبره من أبي القاسم بن بشران، وأبي منصور بن السواق، وأبي طاهر عبد الغفار بن محمد المؤدب، والحُسين بن محمد الخلال، وأبي الحسن القزويني وغيرهم.
وتفقه على القاضي أبي يعلى. وصنف كتاب "المهذب في القراءات" وروى الحديث الكثير.
وروى عنه سبطه أبو محمد عبد اللّه بن علي المقرىء وأخوه أبو عبد الله الحسين، وعبد الوهاب بن الأنماطي، وابن ناصر، والسلفي، وسعد الله بن الدجاجي، وأبو الفضل خطيب الموصل وغيرهم.
وكان إمامًا بمسجد بن جرده ببغداد، بحريم دار الخلافة. اعتكف فيه مدة طويلة، يعلم العميان القرآن، لوجه الله تعالى، ويسأل لهم، وينفق عليهم. فختم عليه القرآن خلق كثير، حتى بلغ عدد من أقرأهم القرآن من العميان سبعين ألفاً.
قال ابن النجار: هكذا رأيتُه بخطأبي نصر اليونارتي الحافظ. وقد

زعم بعض الناس أن هذا مستحيل، وأنه من سبق القلم. وإنما أراد: سبعين نفسًا. وهذا كلام ساقط فإن أبا منصور قد تواتر عنه إقراء الخلق الكثير في السنين الطويلة.
قال ابن الجوزي: أقرأ السنين الطويلة. وختم عليه القرآن ألوف من الناس.
وقال القاضي أبو الحسين: أقرأ بضعًا وستين سنة، ولقن أممًا. وهذا موافق لما قاله أبو نصر. وهذا أمر مشهور عن أبي منصور، فيكون جميع من ختم عليه القرآن سبعين نفسًا. وهذا باطل قطعًا. ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفسّا. وإنما كان الشيخ أبو منصور يُقرىء هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير.
قال ابن الجوزي: كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين. كان له ورد بين العشاءين، يقرأ فيه سبعًا من القرآن قائمًا وقاعدًا، حتى طعن في السن.
وقال ابن ناصر عنه: كان شيخًا صالحًا، زاهدًا، صائمًا أكثر وقته، ذا كراماتٍ ظهرتْ له بعد موته.
قال أبو الحسين: كان الوالد السعيد إذا جلس للحكم بنهر المعلى يقصد الجلوس للحكم بمسجده ويصلي خلفه.
قال عبد الوهاب الأنماطي: تُوفي الشيخ الزاهد أبو منصور، في يوم الأربعاء، وقت الظهر، السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. وصلى عليه يوم الخميس في جامع القصر ابن ابنته أبو محمد عبد الله. كان الجمع كثيراً جدًا. وعُبر به إلى جامع المنصور، فَصُلي عليه أيضًا، وحضرتُ ذلك. وكان الجمع وافراً عظيمًا. وكانت الصلاة عليه في داخل المقصورة عند القبلة. ومضيتُ معه إلى باب حرب. ودفن- في الدكة بجنب الشيخ أبي الوفاء بن قواس.
وقال ابن الجوزي: مات وسنه سبع وتسعون سنة، ممتعًا بسمعه وبصره وعقله. وحضر جنازته ما لا يحد من الناس، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون: ما رأينا جمعًا قط هكذا، لا جمع ابن القزويني، ولا جمع ابن الفراء، ولا جمع الشريف أبي جعفر. وهذه الجموع التي تناهت إليها الكثرة وشغل الناس ذلك اليوم وفيما بعده عن المعاش، فلم يقدر أحد من نقاد الباعة في ذلك الأسبوع على تحصيل نقده.
وقال أبو منصور بن خيرون: ما رأيتُ مثل يوم صُلي على أبي منصور الخياط، من كثرة الخلق والتبرك بالجنازة.

وقال السلفي: ذكر لي المؤتمن في ثاني جمعة من وفاة الشيخ أبي منصور: أن اليوم ختموا على رأس قبره مائتي وإحدى وعشرين ختمة.
قال السلفي: وقال لي علي بن محمد بن الأيسر العكبري- وكان رجلاً صالحًا-: حضرت جنازة الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف، وأبي تمام بن أبي موسى القاضي، فلم أرَ قط خلقًا أكثر ممن حضر جنازة الشيخ أبي منصور. قال: واستقبلنا يهوديّ فرأى كثرة الزحام والخلق، فقال: أشهدُ أن هذا الدين هو الحق، وأسلَمَ.
وذكر ابن السمعاني: سمعتُ أبا حفص عمر بن المبارك بن سهلان، سمعت الحسين بن خسرو البلخي، قال: رُئي الشيخ أبو منصور الخياط في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحة الكتاب.
قرأتُ على أبى حفص عمر بن حسن المزي: أخبركم إسماعيل بن عبد الرحمن الفراء أنبأنا الإمام أبو محمد عبد اللّه بن أحمد المقدسي قال: قرأت على أبي عبد اللّه مظفر بن أبي نصر البواب، وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفر ببغداد، قلت لهما: حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر قال: كنتُ أسمع الفقهاء في النظامية يقولون: في القرآن معنى قائم بالذات، والحروف والأصوات عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات، فحصل في قلبي شيءٌ من ذلك حتى صرت أقول بقولهم موافقة. وكنتُ إذا صليتُ أدعو اللّه تعالى أن يوفقني لأَحَبِّ المذاهب والاعتقادات إليه، وبقيت على ذلك مدة طويلة أقول: اللهم وفقْني لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك.
فلما كان في أول ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة رأيت في المنام كأني قد جئت إلى مسجد الشيخ أبي منصور الخياط، والناس على الباب مجتمعون، وهم يقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم عند الشيخ أبي منصور، فدخلتُ المسجد، وقصدت إلى الزاوية التي كان يجلس فيها الشيخ أبو منصور، فرأيتهُ قد خرج من زاويته، وجلس بين يدي شخص، فما رأيت شخصًا أحسن منه على نعت النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي وُصِف لنا. وعليه ثيابٌ ما رأيت أشد بياضًا منها، وعلى رأسه عمامةٌ بيضاء. والشيخ أبو منصور مقبل عليه بوجهه، فدخلتُ فسلمتُ، فردَّ عليّ السلام، ولم أتحقق مَنِ الرادِّ عليَّ لدهشتي برؤية النبي صلى الله عليه وسلم وجلستُ

بين أيديهما فالتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن أسأله عن شيء أو أستفتحه بكَلام أصلاً، وقال لي: عليك بمذهب هذا الشيخ. عليك بمذهب هذا الشيخ. عليك بمذهب هذا الشيخ.
قال الحافظ أبو الفضل: وأنا أُقسم بالله ثلاثًا، وأشهد بالله لقد قال لي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثًا. ويشير في كل مرةٍ بيده اليمنى إلى الشيخ أبي منصور.
قال: فانتبهتُ وأعضائي ترعد، فناديتُ والدتي رابعة بنت الشيخ أبي حكيم الحبري، وحكيتُ لها ما رأيت، فقالت: يا بني، هذا منامُ وحي، فاعتمد عليه.
فلما أصبحت بكرت إلى الصلاة خلف الشيخ أبي منصور. فلما صلينا الصبح قصصتُ عليه المنام، فدمعت عيناه، وخشع قلبُه، وقال لي: يا بُني، مذهبُ الشافعي حسن، فتكون على مذهب الشافعي في الفروع، وعلى مذهب أحمد وأصحاب الحديث في الأصول، فقلت له: أي سيدي، ما أريد أكون لونين. وأنا أشهد اللّه وملائكته وأنبيائه، وأشهدُك على أني مُنذ اليوم لا أعتقد ولا أدين اللّه ولا أعتمدُ إلا على مذهب أحمد في الأصول والفروع. فقبَّل الشيخ أبو منصور رأسي، وقال: وفقك اللّه، فقبَّلتُ يدَه.
وقال لي الشيخ أبو منصور: أنا كنتُ في ابتدائي شافعيًا. وكنت أتفقه على القاضي الإمام أبي الطيب الطبري، وأسمع الخلاف عليه. فحضرت يومًا عند الشيخ أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن، فابتدأت أقرأ عليه القرآن، فقطع علي القراءة مرة أو مرتين، ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا. فلا نحن نرجع إليهم، ولا هم يرجعون إلى قولنا، ورجعنا إلى عادتنا. فأيّ فائدة من هذا؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام، فقلت في نفسي: واللّهِ ما عنى الشيخ بهذا أحدًا غيري، فتركتُ الاشتغال بالخلاف. وقرأتُ مختصر أبي القاسم الخرقي على رجل كان يُقرىء القرآن.
قال الحافظ: ورأيتُ بعد ذلك ما زادني يقينًا، وعلمتُ أن ذلك تثبيتٌ مِن الله، وتعليمٌ لأعرف حق نِعْمة اللّه عليَّ وأشكره، والله المسؤولُ الخاتمة بالموت على الإسلام والسنة آمين.

جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج، المقرىء، المحدث، الأديب أبو محمد:

وُلد سنة سبع عشرة وأربعمائة في آخرها- أو في أول سنة ثمان عشرة- ذكره السلفي عنه.
وقال شجاع الذهلي: سنة ست عشرة.
وقرأ القرآن بالروايات. وأقرأ سنين.

وسمع أبا علي بن شاذان، وأبا محمد الخلال، وأبا القاسم بن شاهين، والبرمكي والقزويني، وخلقًا كثيرًا.
وسافر إلى مكة، وسمع بها ودخل الشام، وسمع بدمشق من عبد العزيز الكناني والخطيب وغيرهما. وسمع بطرابلس، وتوجه إلى الديار المصرية، فسمع بها من أبي إسحاق الحبال وأبي محمد بن الضراب. وخرّج له الخطيب خمسة أجزاء معروفة، تسمى السراجيات.
وكان أديبًا شاعراً، لطيفًا صدوقًا، ثقة. وصنف كتبًا حسانًا، منها: كتاب "مصارع العشاق" وكتاب "حكم الصبيان" وكتاب "مناقب السودان". وشعره مطبوع. وقد نظم كتبًا كثيرة شعرًا، فنظم كتاب "المبتدأ" وكتاب "مناسك الحج" وكتاب "الخرقي"، وكتاب "التنبيه" وغيرها.
ذكر ذلك ابن الجوزي، وقال: حدثنا عنه أشياخنا. وآخر من حدثنا عنه شهدة بنت الإبَري، قال: وقرأتُ عليها كتابه المسمى ب "مصارع العشاق" بسماعها منه.
قال: ومن أشعاره:

بان الخليط فأدمعي وجدًا عليهم تستهلُّ
وحدا بهم حادي الفرا ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحّلوا عن ناظري والقلب حلوا
ودمي بلا جرم أتي ت غداة بينهم استحلُوا
ما ضرَّهم لو أنهلو من ماء وصلهم وَعلوا

قال: وأنبأنا أبو المعمر الأنصاري، أنشدنا جعفر السراج لنفسه:

قل للذين بجهلهمأضحوا يَعِيبُون المحابر
والحاملين لها من الأ يدي بمجتمع الأساوِرْ
لولا المحابر والمقلم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة المبعوث من خير العشائر
والناقلون حديثه عن كابرٍ ثَبْت وكابِر
لرأيت من شيع الضلا لعساكراً تتلو عساكر
كل يقول بجهله والله للمظلوم ناصر
سميتُم أهل اليخنأولى النهي وأولى البصائر
حشوية فعليكم لعن يزيركم المقابر
هم حَشُو جنات النع على الأسرة والمنابر
رفقاء أحمد كلهم عن حضه ريان صادر

أنبأنا أحمد بن علي الجزري، عن محمد بن عبد الهادي، عن أبي طاهر السلفي أنشدنا أبو
محمد جعفر بن محمد السراج لنفسه:

سقى الله قبراً حل فيه ابنُ الغيث وَسْمِيًّا على إثرِه حنبلٍ وَلي
على أن دمعي فيه روَّى فاض ما لم يبل منها وما عظامه بلي

فللَّه رب الناس مَـذْهَـبُ أحـمـد ... عليه مـا حـييتُ مُـعـوَّلـي

دَعَوْة إلى خلق القرآن كمـا دعـوا ... فلـم يسـمـع ولـم يتـأوَّلِ

ولا ردَّه ضربُ السياط وسـجـنـه ... عن السُّنَّة الغراء والمذهب الجلـي

يزدهم، والسـياق تـنـوشـه ... يمينُ الضارب المتـبـتـل

على قوله: القرآنُ، وليس كلامه ... كلامك يا ربَّ الورى، كيفما ما تُلي

مبلغ أصحـابـه أننـي بـه ... أفاخرُ أهلَ العلم في كل محـفـلِ

وألقى به الزهاد كـلَّ مـطـلِّـقٍ ... فخوف دنياه طلاق التـبـتـلِ

إن لم تحن عـالـمـاً بـهـا ... فكشفاً طروس القوم عنهن واسـألِ

لقد عاش في الدنيا حميدًا وصار إلى الأخرى إلى خير منزلِ ... مـوفـقـاً

وإني لراج أن يكون شـفـيعَ مـن ... من شيخ ومن مـتـكـهـلِ

حَدثِ قد نوَّر اللّـهُ قـلـبَـهُ ... إذا سألوا عن أصله. قال: حنبلـي

وقد روى هذه الأبيات عن جعفرٍ الحافظان: محمد بن ناصر، ويحيى بن منده
وساقها في كتابه "مناقب أحمد".

وقد أثنى عليه شجاع الذهلي، وعبد الوهاب الأنماطي، وابن ناصر، وقال: كان ثقة، مأمونًا عالمًا، فهمًا صالحًا.

كتبَ الكثيرَ. وصنف عدَّة مصنفات وكان قديمًا يستملي على أبي الحسن القزويني، وأبي محمد الخلال، وغيرهما.

قال القاضي عياض: سألتُ أبا علي بن سكرةعن جعفر السراج.

فقال: شيخٌ فاضل جميل وسيم مشهور يفهم. عنده لغة وقراءات. وكان الغالب عليه الشعر.

وذكره القاضي أبو بكر بن العربي، فقال: ثقة، عالم، مقرىء. له أدبٌ ظاهر، واختصاص بالخطب.
وقال السلفي: كان ممن يفتخر برويته وروايته لديانته ودرايته. وله تواليف مفيدة.

وفي شيوخه كثرة. وأعلاهم إسنادًا ابن، شاذان.

وقال ابن النجار: كتبَ بخطه الكثير، وكانت له معرفة بالحديث والأدب وحدَّث بالكثير على استقامة وسداد، ببغداد، والشام، ومصر.

وسمع منه الأئمةُ الكبار والحفاظ. وكان متدينًا حسن الطريقة، مع ظرفه ولطف أخلاقه.

رَوى عنه أبو القاسم بن السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي، وابن ناصر، والسلفي، وغيرهم.
ومن شعر جعفر السراج:

للـه دَرُ عـصـــابةٍيسعَوْنَ في طلب الفوائدْ
يدعونِ أصحاب الحـدي ث بهم تجلت المشاهـدْ
طوراً تراهم بالصعـي د وتارةً في ثغرِ آمـدْ
يتَتَبعون مـن الـعـلـو م بكل أرضٍ كلَّ شاردْ
فهُمُ النجومُ المُهتَـدى بهمُ إلى سُبُلَ المقاصِدْ

وله:

إذا كنتمُ تكتـبـونَ الـحـديثَ ليلاً وفي صبحكم تسمعون
وأفنيتُـم فـيه أعـمـاركـم فأيّ زمانٍ به تـعـمـلـون

قال ابن الجوزي: كان جعفر السراج صحيح البدن، لم يعتوره في عمره مرض يُذكر، فمرض أيامًا.
وتوفي ليلة الأحد العشرين من صفر سنة خمسمائة. ودُفن بالمقبرة المعروفة بالأجمة من باب أبرز.
وقيل: مات ليلة الأحد، حادي عشرين صفر. كذا قال ابن ناصر والذهلي.

وفيات المائة السادسة

من سنة 501 ه إلى سنة 540 صلى الله عليه وسلم

رجب بن قحطان بن الحسن بن قحطان الأنصاري، الضرير أبو المعالي المقرىء الأديب:

سمع من أبي الحسين بن النقور. وحدّث باليسير. سمع منه هزارسب بن عوض وغيره.
وقال أبو الفضل بن عطّاف: كان من مجودي القراء، والمحسنين في الآداء ذا فضل وعقل وأدبٍ.
توفي سنة اثنتين وخمسمائة.

ومن شعره أنشده عنه أبو بكر المزْرَفي:

إنما المرء خلاص جائز فإذا جربته فهو شبـه
وتراه راقدًا في غفـلة فهو حيّ فإذا مات انتبه

أحمد بن علي بن أحمد العلثي، أبو بكر الزاهد:

ذكره أبو الحسين، وابن الجوزي في الطبقات فقال: أحد المشهورين بالزهد والصلاح. سمع الحديث على القاضي أبي يعلى، وقرأ عليه شيئًا من المذهب.

وقال أبو الحسين: صحب الوالد سنين. سمع درسه والحديث منه. وكان يعمل بيده يُجصص الحيطان، ثم ترك ذلك، ولازم المسجد يقرىء القرآن ويؤم الناس وكان عفيفًا لا يقبل من أحدٍ شيئاً، ولا يسأل أحدًا حاجةً لنفسه من أمر الدنيا، مقبلاً على شأنه ونفسه، مشتغلاً بعبادة ربه، كثير الصوم والصلاة، مُسَارعًا إلى قضاء حوائج المسلمين، مكرمًا عند الناس أجمعين.

وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة، فيأخذ في كوز له ماء يفطر عليه، وكان يمشي بنفسه في حوائجه ولا يستعين بأحدٍ .
وكان إذا حج يزور القبور بمكة، ويجيء إلى قبر الفُضيْل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول. يا رب ههنا، يا رب ههنا. فاتفق أنه خرج في سنة ثلاث وخمسمائة إلى الحج. وكان قد وقع من

الجمل في الطريق دفعتين، فشهد عرفة محرمًا، وبه بقية من ألم الوقوع، وتوفي عشية ذلك اليوم- يوم الأربعاء، يوم عرفة- في أرض عرفات. فحمل إلى مكة، فطيفَ به البيت. ودفن يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل بن عياض رضي الله عنه.

وذكره في التاريخ أيضًا، فذكره نحوًا من ذلك. وقال: كان يتنزه عن عمل النقوش والصور. وكان له عقار قد ورثه عن أبيه، فكان يبيع منه شيئًا فشيئًا، فيتقوّت به.

وذكر أبو الحسين: أن سَبَب تركه لصناعته: أنه دخل مرة مع الصُناع إلى بعض دور السلاطين مُكرهًا. وكان فيها صور من الاسفيداج مجسمة، فلما خلا كسرها كلها، فاستعظموا ذلك. فقال: هذا منكرُ، والله أمر بكسره فانتهى أمرُه إلى السلطان، وقيل له: هذا رجلٌ صالح مشهور بالديانة، وهو من أصحاب ابن الفراء، فقال: يخرج، ولا يكلم، ولا يقال له شيء يضيق به صدره، ولا يُرجع يُجاء به إلى عندنا.

قال: وظهر له من الكرامات غير قليل.

أخبرني من أثق به: أنه كان لبعض أهله صبي صغير، فظهر به وَجَعٌ في حلقه ورقبته، وخافوا منه على الصبيَّ، فحمله إلى الشيخ فقرأ عليه، ونفث من ريقه، فزال ما كان به بعد يوم أو يومين، ولم يحتج إلى علاج.

قال ابن الجوزي: وصحب القاضي أبا يعلى. وقرأ عليه طرفًا من الفقه، وسمع منه الحديث، وحدَّث عنه بشيء يسير.

قلتُ: روى عنه ابن ناصر، والسلفي. ولما بلغ خبر موته إلى بغداد نودي في البلد بالصلاة عليه صلاة الغائب، فحضر الناس في جامعي بغداد من الجانبين. وحضر أصحاب دولة المستظهر بالله أمير المؤمنين. وتقدم للصلاة عليه في الجانب الشرقي بعض أصحاب القاضي.

قال أبو الحسين: وصليتُ عليه أنا في مسجدي بباب المراتب، لعذر، وصلَّى معي جماعة.

محمد بن علي بن محمد بن عثمان بن المراق الحلواني، أبو الفتح الفقيه الزاهد:

وُلد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة. وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي وأبي الغائم بن المأمون، والقاضي أبي علي، وأبي جعفر بن المسلمة، والصريفيني، والنهرواني، وغيرهم. ورأى القاضي أبا يعلى وصحبه مدة يسيرة، ثم تفقه على صاحبيه الفقيهين: أبي علي يعقوب، وأبي جعفر الشريف. ودرس عليهما الفقه أصولاً وفروعًا، حتى برع فيهما. وأفتى، ودرس بمسجد الشريف أبي جعفر بالحريم بعد شافع. وحدَّث بشيء يسير.

قال ابن شافع: كان ذا زهادة وعبادة. وروى عنه السلفي في مشيخته، وقال: كان من فقهاء الحنابلة ببغداد. وكان مشهورًا بالورع الثخين، والدين المتين.

توفي يوم الجمعة- يوم عيد النحر- سنة خمس وخمسمائة، وصُلِّي عليه من الغد يوم السبت بالجامع. وكان الجمع متوفرًا جدًا، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى. ودفن بمقبرة باب حرب.

وقال المبارك بن كامل: تُوفي يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة.

قلتُ: له كتاب "كفاية المبتدي" في الفقه مجلدة، ومصنف آخر في الفقه أكبر منه، ومصنف في أصول الفقه في مجلدين، وله "مختصر العبادات". قاله ابن النجار.

المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البقال البغداديّ، أبو سعد

الفقيه الواعظ. ريحانة البغداديين: وُلد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. وسمع من ابن غيلان، وأبي محمد الخلال والجوهريّ، وأبي القاسم الأزجي، وغيرهم.

وكان فقيهًا مفتيًا، وواعظًا بليغًا فصيحًا، له قبول تام، وجواب سريع، وخاطر حاد، وذهن بغداديّ. وكان يضرب به المثل في حدَّة الخاطر، وسرعة الجواب بالمجون، وطيب الخلق، وله كلمات في الوعظ حسنة، ورسائل مستحسنة. وجمهور وعظه حكايات السلف. وكان

يحصل بوعظه نفع كثير. وكان في زمن أبي علي بن الوليد شيخ المعتزلة، يجلس في مجلسه، ويلعن المعتزلة.
وخرج مرة فلقي مغنية قد خرجت من عند تركي فقبض على عودها، وقطع أوتارها، فعادت إلى التركيّ فأخبرته، فبعثَ من كبَسَ دَارَ أبي سعد وأفلتَ، واجتمع بسبب ذلك الحنابلة، وطلبوا من الخليفة إزالة المنكرات كلها، كما سبق ذكر ذلك في ترجمة الشريف أبي جعفر.
وكان أبو سعد يعظ بحضرة الخليفة المستظهر والملوك. وقال يومًا للمستظهر في وعظه: أهونُ ما عنده أن يجعل لك أبواب العراص توابيت.
ووعظ "نظام الملك" الوزير مرة بجامع المهدي، فقال: الحمدُ للّه ولي الإنعام، وصلى الله على من هو للأنبياء ختام، وعلى آله سُرج الظلام، وعلى أصحابه الغرّ الكرام. والسلام على صدر الإسلام. ورَضِيّ الإمام. زَينه اللّهُ بالتقوى، وختم له بالحسنى، وجمع له بين خير الآخرة والدنيا.
معلوم يا صدر الإسلام، أن آحاد الرعية من الأعيان مخيَّرون في القاصد والوافد: إن شاءوا وصَلُوا، وإن شاءوا فَصلُوا، وَأما من توشح بولاية فليس مخيرًا في القاصد والوافدة لأن من هو على الخليفة أمير، فهو في الحقيقة أجير، قد باع زمنه وأخذ ثمنه. فلم يبق له من نهاره ما يتصرف فيه على اختياره، ولا له أن يصلي نفلاً، ولا يدخل معتكفًا، دون الصدد لتدبيرهم، والنظر في أمورهم، لأن ذلك فضل، وهذا فرض لازم.
وأنتَ يا صدر الإسلام، وإن كنت وزير الدولة، فأنت أجير الأمة، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة لتنوب عنه في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا: ففي مصالح المسلمين. وأمَّا في الآخرة: فلتجيب عنه ربّ العالمين. فإنه سيقفه بين يديه، فيقول له: ملّكتُكَ البلاد، وقلدتك أزمّة العباد. فما صنعتَ في إفاضة البذل، وإقامة العدل؟ فلعله يقول: يا ربّ اخترتُ من دولتي شجاعًا عاقلاً، حازمًا فاضلاً، وسمَّيتُه قوام الدين ونظام الملك، وها هو قائم في جملة الولاة وبسطت بيده في الشرط والسيف والقلم، ومكنته في الدينار والدرهم، فاسأله يا ربّ: ماذا صنع في عبادك وبلادك؟ أفتحسن أن تقولَ في الجواب: نعم تقلدتُ أمور البلاد وملكت أزمة العباد وبثثت النوال، وأعطيت الإفضال، حتى إذا قربت من لقائك، ودنوت من

تلقائك، اتخذت الأبواب والبواب، والحِجاب والحجاب ليصُدُّوا عني القاصد، ويردُّوا عني الوافد?.
فاعمر قبرك كما عمرت قصرك، وانتهز الفرصة ما دام الدهر يقبل أمرك، فلا تعتذر، فما ثمَّ من يقبل عذرك.
وهذا ملك الهند. وهو عابد صنم ذهبَ سمعُه، فدخل عليه أهل مملكته يعزونه في سمعه، فقال: ما حسرتي لذهاب هذه الجارحة من بدني، ولكن تأسفي لصوت المظلوم لا أسمعه فإغيثه، ثم قال: إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري فليؤمر كل ذي ظلامة أن يلبس الأحمر، حتى إذا رأيتُه عرفتُه فأنصفته.
وهذا "أنوشروان" قال له رسول ملك الروم: لقد أقدرتَ عدوَّك عليك بتسهيل الوصول إليك. فقال: إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظُلاَمَةً وأقضي حاجةً.
وأنتَ يا صدر الإسلام، أحق بهذه المأثرة، وأولى بهذه وأحرى من أعدَّ جوابًا لتلك المسألة، فإنَه "اللّهُ الّذي تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَرْنَ مِنْه" مريم: 90. في موقفٍ ما فيه إلا خاشع، أو خاضع أو مقنع، لينخلع فيه القلب، ويحكم فيه الرب، ويعظم فيه الكرب، ويشيب فيه الصغير، ويعزل فيه الملك والوزير، يوم "يتَذكَّرُ الإنْسَانُ، وَأنَّى لَهُ الذِّكْرَى" الفجر: 23، "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدّ لَوْ أنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا" آل عمران: 30.
وقد استجلبت لك الدعاء، وخلدت لك الثناء، مع براءتي من التهمة. فليس لي - بحمدالله تعالى- في أرض الله ضيعة ولا قرية، ولا بيني وبين أحد خصُومة، ولا بي - بحمد اللّه تعالى- فقر ولا فاقة.
فلما سمع "نظام الملك" هذه الموعظة بكى بكاءً شديدًا، وأمر له بمائة دينار.
فأبى أن يأخذها، وقال: أنا في ضيافة أمير المؤمنين. ومن يكن في ضيافة أمير المؤمنين يقبح عليه أن يأخذ عطاءَ غيره. فقال له: فُضَّها على الفقراء، فقال: الفقراء على بابك أكثر مِنْهُمْ على بابي، ولم يأخذ شيئًا.
توفي أبو سعد يوم الإثنين ثامن عشرين ربيع الأول، سنة ست وخمسمائة، ودفن من الغد بمقبرة باب حرب. رحمه اللّه تعالى.
قال ابن الجوزي: حكى أبو المكارم بن رميضاء السقلاطوني قال: رأيتُ أبا سعدٍ ابن أبي عمامة في المنام حين اختصم المسترشد

والسلطان محمود وعليه ثياب بياض فسلمتُ عليه، وقلتُ: من أينَ أقبلتَ؟ قال: من عند الإمام أحمد بن حنبل، وها هو ورائي فالتفتُ فرأيتُ أحمد بن حنبل، ومعه جماعة من أصحابه، فقلت: إلى أين تقصدون؟ قال: إلى أمير المؤمنين المسترشد بالله لندعو له، فصَحبتهم، فانتهينا إلى الحربية إلى مسجد ابن القزويني. فقال أحمد بن حنبل: ندخلُ، فأخذ الشيخ معنا، فدخل باب المسجد. فقال: السلام عليكم ورَحمةُ الله وبركاته. فإذا الصوتُ من صَدرِ المسجد: وعليك السلام، ثم قال: يا أبا عبد اللّه، الإمام قد نصر. قال: فانتبهتُ مَرْعُوبًا. وكان كما قال الشيخ.

جعفر بن الحسن الدَّرْزيجاني، المقرىء، الفقيه، الزاهد:

ذكره القاضي أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه، وعلق وسَمع الحديث. ثم ذكر ترجمته كما ذكرها ابن شافع في تاريخه، فقال: هو الأمار بالمعروف، والنهَاء عن المنكر، ذو المقامات المشهودة في ذلك، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين.
صحب القاضي أبا يعلى، وتفقه عليه، ثم تمم على صاحبه الشريف أبو جعفر.
وختم عليه القرآن خلق لا يحصون كثرة.
وكان من عباد الله الصالحين، أمَّارًا بالمعروف، قَوالاً بالحق، ناهيًا عن المنكر، لا تأخذه في اللّه تعالى لومة لائم، مهيبًا وقورًا، له حرمةٌ عند الملوك والسلاطين، ولا يتجاسر أحد أن يقدم عليه إذا أنكر منكرًا. وله المقامات المشهودة في ذلك. مداومًا للصيام والتهجُد والقيام. له ختمات كثيرة جدًا، كل ختمة منها في ركعة واحدة.
وسمع الحديث من أبي علي بن البناء.
توفي في الصلاة ساجدًا، في شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسمائة، بِدَرزِيْجان.
رحمه الله تعالى.
قال المبارك بن كامل: سمعتُ عبد الوهاب بن قاسم بن علي الشعراني قال: رأيتُ جعفر الدرزيجاني جاء إلى بغداد، فالتقى به أبو الحسين الدرزيجاني، فقال له: كيف تركت الصبيان؟ فقال له: "ولْيَخْشَ الذين لو تركُوا من خَلْفِهِمْ ذُرّية ضِعَافًا خَافوا عَلَيْهم فَلْيَتقُوا اللهَ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا" آل عمران: 9، تقوى اللّه لنا ولهم.

علي بن محمد بن علي بن أحمد بن إسماعيل الأنباري، القاضي أبو منصور

الفقيه الواعظ. وُلد يوم الخميس خامس عشرين ذي الحجة، سنة خمس وعشرين وأربعمائة. وقرأ القرآن على ابن الشرمقاني.
وسمع الحديث من أبي طالب بن غيلان، والجوهري، أبي إسحاق البرمكي، وأبي بكر بن بشران، وأبي محمد الصريفيني، وأبي الحسين بن المهتدي، وأبي الغنائم بن المأمون، وأبي جعفر بن المسلمة، وأبي بكر الخطيب، وغيرهم.
وسمع من القاضي أبي يعلى. وتفقه عليه حتى برع في الفقه.
وأفتى ووعظ بجامع القصر وجامع المنصور وجامع المهدي. وكان مظهرًا للسنة في مجالسه.
وشهد عند أبي عبد الله بن الدامغاني، وأبي بكر السامي، وغيرهما.
وولي القضاء بباب الطَاق وحَدث وانتَشرت الرِواية عنه. فروى عَنهُ عبد الوهاب الأنماطي، وعبد الخالق بن أحمد بن يُوسُف، وأبو المعمر الأنصاري، والمبارك بن خضير، والسلفي.
تُوفي يوم السبت رابع عشرين جمادى الآخرة، سنة سبع وخمسمائة. ودُفِنَ من الغَد بمقبرة باب حرب. وتبعَه من الخلق ما لا يُحصى كثرةً، ولا يَعدُّهم إلا أسرع الحاسبين. كذا ذكره ابن شافع.
وفي تاريخ ابن السمعاني عن أبي الفضل بن عطَّاف: أنه توفي ليلة السبت المذكورة.
قال أبو الحسين: صليتُ عليه إمامًا بجامع المنصور في المقصورة.
قال: وحَدّث عن الوالد بكثيرٍ من سماعاته ومصنَّفاته.

إسماعيل بن محمد بن الحسن بن داود الأصبهاني، الخياط أبو علي:

سمع الكثير، وكتب بخطه. وكان خطه دقيقًا مطبوعًا.
دخل بغداد سنة سبع وخمسمائة. وحَدّث بها عن والده، وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسن بن ماجة، وأبي مطيع المضري، وغيرهم.
سمع منه أبو منصور محمد بن ناصر البردي. وقال: كان من الأئمة الكبار، وهو أخو أبي سعد محمد بن داود.
قال ابن النجار: قرأتُ بخط أخيه أبي سعد: تُوفي أخي أبو علي إسماعيل في العشر الأواخر من جُمادى الآخرة سنة ثمان وخمسمائة. رحمه اللّه تعالى.

إسماعيل بن المبارك بن محمد بن أحمد بن وصيف البغدادي

الفقيه أبو حازم: وُلد سنة خمس ثلاثين وأربعمائة.
وقرأ الفقه على القاضي أبي يعلى، وسمع منه، ومن ابن العشاري، والجوهري.
روى عنه أبو المعمر الأنصاري، وبالإجازة ابن كليب.
وتوفي في رجب سنة ثمان وخمسمائة.

أحمد بن الحسن بن أحمد المخَلَّطِيّ، البغدادي الفقيه، أبو العباس الدباس:

صحب القاضي أبا يعلى. وتفقه عليه، ولازمه، وسمع منه الحديث.
وكتب الخلاف وغيره من تصانيفه.
وسمع أيضًا من أبي الحسن بن المهتدي، وأبي جعفر بن المسلمة، وأبي الحسين بن الأبنوسي، وأبي علي بن وشاح، وأبي علي المباركي وغيرهم. وحَدّث عنهم.
قال ابن ناصر الحافظ: وسمعتُ منه. قال: وكان رجلاً صالحًا من أهل القران، والسّتْرِ والصيانة، ثقة مأمونًا.
توفي ليلة الأربعاء ثاني عشر جُمادى الأولى سنة ثمان وخمسمائة.
ودُفن مِنَ الغَدِ بمقبرة باب حربٍ . رحمه الله.
و "المخلَّطِي" بفتح اللام المشددة- نسبة إلى المخلَّط، وهو النُّقْلُ، ولعله كان يَبِيعُه.
نقلتُ من بعض تعاليق الإمام أبي العباس بن تيمية، قال: نقلتُ من خط أحمد بن الحسن بن أحمد المخلّطي على ظهر الجزء الثاني والأربعين من تعليق القاضي، ثم رأيتُه أنا بخط المخلّطي، قال: رأيتُ بخط شيخنا- يعني القاضي أبا يعلى- قال: إذا وقفَ داره على مسجد وعلى إمام يصلي فيه: كان للإمام نصف الارتفاع، كما لو وقفها على زيدٍ وعمرو، إنه بينهما. فإن وقفه على مساجد القرية وعلى إمام يُصلي في واحد منها: قسم الارتفاع على عدد المساجد، وعلى الإمام. فإن وقفها على المسجد خاصة: لم يجز أن يدفع إلى إمام يصلي فيه. ولا يصرف في بواري المسجد لأن ذلك من مصلحة المصلين، لا من مصلحة المسجد.

محمد بن سعد بن سعيد العسَّال، المقرىء، أبو البركات بن الحنبلي

يلقب التاريخ: ولد في ربيع الآخر سنة سبعين وأربعمائة.
وقرأ بالروايات على رزق اللّه التميمي، ويحيى بن البستي، وغيرهما.

سمع من أبي نصر الزينبي، وأبي الغنائم بن أبي عثمان، والقاضي ابن البطر والنعالي وغيرهم. وعلق الفقه عن ابن عقيل.
وكان من القراء المجودين، الموصوفين بحُسن الأداء، وطيب النغمة. يُقصد في رمضان، لسماع قراءته في صلاة التراويح، من الأماكن البعيدة. وكان دينًا صالحًا، صَدُوقًا، حَدَّث.
سمع منه ابن ناصر، والسلفي. قال: وكان من أحسن الناس تلاوةً للقرآن، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا. وهو حنبلي المذهب. علق الفقه عن ابن عقيل.
توفي يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائة. وصُلي عليه بجامع القصر. وكان الجمع متوفرًا. ودفن بباب حرب رحمه اللّه تعالى.

هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي بن يوسف السَّقَطي، أبو البركات

المحدّث، الرَّحَّال: ذكر أنه وُلد سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

وسمع الحديث ببلدِه بغداد، من جماعةٍ، منهم: القاضي أبُو يَعلى. وتفقه عليه.

ورحل إلى واسط، والبصرة، والكوفة، والموصل، وأصبهان، والجبال، وغيرها. وبالغ في الطلب. وتعب في جمع الحديث وكتابته.

وكان له فضل ومعرفة بالحديث واللغة. وجمع الشيوخ وخرج التخاريج.

جمع لنفسه مُعجَمًا لشيوخه في نحو ثمانية أجزاء ضخمة. وجمع تاريخًا لبغداد ذيل به على تاريخ الخطيب.

وكان مجدًّا في الطلب والسماع، والبحث عن الشيوخ، وإظهار مسموعاتهم، والقراءة عليهم.

كتب عن أصحاب الدارقطني، وابن شاهين، والمخلص، وابن حبابة، والحربي، وطبقتهم ومن دونهم، حتى كتب عن أقرانه، ومن دونه. وزاد به الشَره في هذا الأمر، حتى ادَّعى السماعَ من شيوخ لم يَسْمَع منهم. ولا يحتمل سِنُّه السماع منهم، كأبي محمد الجوهري وغيره.

وسئل شجاع الذهلي عن روايته عن الجوهري. فقال: ما سمعنا بهذا قط وضعَّفه فيه جدًا.

قال ابَن الَسَمَعاني: سألتُ ابن ناصر عن السقطي، فقلت له: أكان ثقة. فقال: لا والله. حدَّث بواسط عن شَيوِخ لم يرهم، وظهر كذبه عندهم.

قال: وسمعتُ ابن ناصر غَيَرَ مِرَّة يقول: السقطيّ لا شيء، وهو مثل نسبه من سقط المتاع. وقد أثنى عليه السلفي، وعدّه من أكابر الحفاظ الَذين أدركهم. وكان له نظم حسن، ومعرفة بالأدب.

قال أبو القاسم بن السمرقندي: كنَّا في مجلس أبي محَمد- رزق اللّه التميمي، فأنشدنا:-

فما تَنفعُ الآداب والعلم والحِجى ... وصَاحِبُها عند الكمال يمُـوت

مات لقمان الحكيم وغيرُه ... كلُّهم تحتَ التراب صُمُـوت

وكان هبة الله السقطي في المجلس حاضرًا، فأجابه ببيتين، وأنشدناهما من لفظه لنفسه.

أثرٌ يبقـى لـه بَـعـدَ مـوتـه ... وذخرٌ له في الحشر لـيس يفـوت

يستوي المنطيق ذو العلم والحجى ... وأخرس بين الناطقـين صـمُـوت

توفي يوم الإثنين ثالث عشرين ربيع الأول سنة تسع وخمسمائة وصَلَّى عليه من الغد بالجامع أبو الخطاب الكلوذاني الفقيه إمامًا، ثم حُمِلْ إلى باب حرب فدُفن قريبًا من قبر منصور بن عمَّار. وقيل: توفي يوم الثلاثاء المذكور. وقيل: في جُمادى الآخرة. والصحيح الأول.

قال ابن الجَوزي: حكى هبة الله السقطي، قال: قال محمد بن الخليل البوشنجي: حدثني محمد بن علي الهرِوي- وكان تلميذ أبي المعالي الجويني- قال: دخلتُ عليه في مرضه الذي مات فيه وأسنانه تتناثر من فيه ويسقط منها الدود لا يستطاع شم فيه. فقال: هذا عقوبةُ تَعَرُّضي بالكلام، فاحذروا.

??محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي، الواعظ، أبو نصر بن الإمام أبي علي

المتقدم ذكره: ولد حادي عشرين صفر، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

وسمع من الجوهري، وأبي بكر بن بشران، والعشاري، وأبي على المباركي ووالده أبي علي بن البناء وطبقتهم. وتفقه على أبيه، وحدَّث.

روى عنه أبو المعمر الأنصاري، وأبو سعد بن البغدادي، وابن ناصر، وأثنى عليه ووثقه.
وكان من أهل الدين والصدق، والعلم والمعرفة. وخلف أباه في حلقته بجامع القصر وجامع المنصور.
توفي ليلة الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة- وفي تاريخ ابن النجار: سادس ربيع الأول- وصلى عليه من الغد أبو الحسن الفاعوسي الزاهد، بجامع القصر. ودُفن بباب حَرب.

وقيل: تُوفي في صفر. والأول أصح.

محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذَاني، أبو الخطاب البغدادي

الفقيه. أحد أئمة المذهب وأعيانه: وُلد في ثاني شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.
وسمع الحديث من الجوهري والعُشَاري، وأبي على الجازري، والمباركي، وأبي الفضل بن الكوفي، والقاضي أبي يعلى، وأبي جعفر بن المسلمة، وأبي الحسين بن المهتدي، وغيرهم.
وكتب بخطه كثيرًا من مسموعاته. ودرس الفقه على القاضي أبي يعلى، ولزمَهُ حتى برع في المذهب والخلاف. وقرأ عليه بعض مصنفاته. وقرأ الفرائض على أبي عبد الله الوني، وبرع فيها أيضًا.
وصار إمام وقته، وفريد عصره في الفقه. ودرَّس وأفتى، وقَصَده الطلبة.
وصنف كتبًا حسانًا في المذهب والأصول والخلاف. وانتُفع بها بحسن قصده.
فمن تصانيفه: "الهداية" في الفقه، "والخلاف الكبير" المسمى "بالانتصار في المسائل الكبار"، و "الخلاف الصغير" المسمى ب "رؤوس المسائل".
ونقل عن صاحب المحرر أبي البركات بن تيمية: أنه كان يشير إلى

أن ما ذكره أبو الخطّاب في رؤوس المسائل هو ظاهر المذهب.
وله أيضًا كتاب "التهذيب" في الفرائض، و "التمهيد" في أصول الفقه، وكتاب "العبادات الخمس"، و "مناسك الحج".
وكانت له يَدُ حسنة في الأدب. ويَقُول الشعر اللطيف. وله قصيدة دالية في السنة معروفة، ومقطعات عديدة من الشعر.
وكان حسن الأخلاق، ظريفًا، مليح النادرة، سريع الجواب، حادّ الخاطر. وكان مع ذلك كامل الدين، غزير العقل، جميل السيرة، مرضي الفعال، محمود الطريقة. شهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله بن الدامغاني. وَحَدَّث بالكثير من مسموعاته على صدق واستقامة.
روى عنه ابن ناصر وأبو النعم الأنصاري، وأبو طالب بن خضير، وسعد الله بن الدجاجي، ووفاء بن الأسعد التركي، وأبو الفتح بن شاتيل، وغيرهم.
وروى عند ابن كليب بالإجازة. وقرأ عليه الفقه جماعة من أئمة المذهب منهم عبد الوهاب بن حمزة، وأبو بكر الدينوري، والشيخ عبد القادر الجيلي الزاهد، وغيرهم.
قال أبو بكر بن النقور: كان الكيا الهراسي إذا رأى الشيخ أبا الخطاب مقبلاً قال: قد جاء الفقْه.
قال السلفي: أبو الخطاب من أئمة أصحاب أحمد، يُفتي على مذهبه ويناظر.
وكان عدلاً رضيًا ثقة. عنده كتاب "الجليس والأنيس" للقاضي أبي الفرج الجريري عن الجازري عنه. وكان ينفرد به ولم يتفق لي سماعه. وندمت بعد خروجي من بغداد على فواته. وكذلك أثنى ابن ناصر على أبي الخطاب ثناءً كثيرًا.
وذكر ابن السمعاني: أن أبا الخطاب جاءته فتوى في بيتين من شعر، وهما:

قُلْ للإمام أبي الخطّاب جئتُ إليكَ، ومَا يُرجى سِوَاك لَهَا
مـسـألةً

ماذا على رَجُلٍ رَام الصلاة فمُـذْ لِناظرِه ذاتُ الجمَال لَهَـا.

فكتب عليها أبو الخطاب:

قُل للأديب الذي وافى بمـسـألةٍ فؤاديَ لمَّا أن أصَخْتُ لَهـا
سَرَّتْ

الذي فَتنتـهُ عَـنْ عـبـادتـه ذاتُ حُسْن فانثنى ولـهـا
فرَحمَةُ الله تغشى من عَصَى ولها تابَ ثمَّ قضَى عنه عـبـادتُـه

توفي رحمه اللّه في آخر يوم الأربعاء ثالث عشرين جُمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة، وتُرك يوم الخميس، وصُلي عليه يوم الجمعة في جامع القصر. ودُفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضي اللّه عنه. كذلك حرَّر وفاتَه القاضي أبو بكر بن عبد الباقي.

وكذا ذكره ابن شافع.

وذكر ابن الجوزي: أنه توفي سحر يوم الخميس. ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة.

وذكر ابن شافع: أن أبا الحسن بن الفاعوس الزاهد صلَّى عليه إمامًا. وحضر الجمعُ العظيم والجندُ الكثير. ودُفن بين يدي صف الإمام أحمد، بجنب أبي محمد التميمي. رحمه الله تعالى.

قرأتُ بخط أبي العباس بن تيمية في تعاليقِه القديمة: رئي الإمام أبو الخطاب في المنام، فقيل له: مَا فَعل اللّه بك. فأنشد:

أتيتُ ربي بـمـثـل هـذا فقال: ذا المذْهبُ الرشـيدُ
محفوظُ نَمْ في الجنان، حتى ينقلكَ السائقُ الـشـهـيدُ

قرأتُ على أبي الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصري بها: أخبركم أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرَّاني، أخبرنا عبد المنعم بن عبد الوهاب بن علي الحراني، أخبرنا أبو الخطاب محفوظ بن أحمد في كتابه، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري، أخبرنا أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي، حدثنا فضل- يعني: ابن سهل- حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رجل: "يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك. فقال: طُوبى لمَنْ رآني وآمَن بِي، وطوبَى ثمَّ طُوبى ثمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَني. فقال الرجل: يا رسول الله، ما طوبى. قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام. ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها". وبه إلى أبي الخطاب.

وأنشد من قوله:

بأبي من إذا شكوتُ إليه حبَّه قال: ذا محالٌ ولَهْوُ
وإذا ما حلفتُ باللـه أنـي صادقٌ، قال لي: يمينُك لغوُ
ومن خَصّه بحسنٍ بديعٍ جسمي به اليومَ نِضْوُ
تبَدَّلْتُ في هواه ولاً خُنْتُ وَلاً حَل لي عليه السُلُوُ

وقوله أيضًا:

يَقُولُ لِيَ الأحِبَّةُ: لا تـزُرنـاعلى حالٍ، ونحن فلا نزورُ
فْقلت: متى أطعت? فقال هذا فقلت أحبكم فالـقـولُ زورُ

وقوله أيضًا:

كيف أخفي هواكُـم وعـلـيـه شاهدُ الحزن والنُّحـول يَنِـمُ
اللائمون لاموا فَطـرفـي هواكم أعمى وسمعي أصَمُّ
أنتمُ لِلفـؤادِ هَـمٌّ ولـلـعَـيْنِ سُهَادٌ للـجـوانـح سُـقْـمُ

كل يوم تُجَدِّدون عـلـى قـلْعَذاباً وليسَ للقلـب جُـرْمُ

ولئن دَام ذا، وَلا دام مـنـكَلِفَتْ مُهجتي وفـي ذاك إثـمُ

وقوله أيضًا:

أُجازَى بالوصال قـطـوبـاً تحب بغضاً. إن ذا لعـجـيبُ
وكم ذا التجني منك في كل ساعة لفؤادي من رضاك نـصـيبُ
لئن لان جنبي عندكم فهو مُتبِعٌ ولكنَّ الحـبـيبُ حـبـيبُ
وإن كان ذنبي عندكم كلفي أنا منـه مـا حَـييتُ أتـوبُ بـكـم
غرامي بكم حتى الممات وقلبي لكُمْ عندي علـيَّ رقـيبُ مضاعف

ومن شعر أبي الخطَّاب، أورده ابن النجار من طريق أبي المعمر الأنصاري رضي الله عنه:

كنتَ يا صاحِ بوجدي عالمـاً تكنْ لي في هـواه لائمـا
وإن جَهِلت مـا ألاقـي بهنظر تَرَ دُموعيَ السواجِـمـا
قتلوني بالصُدود والـقـلـى رعَوْا في قتليَ المحارَمـا
من يخاف الإثم في وصلي أما في سفك دمي المآثمـا?

هبْني رضيتُ أن تكون قاتلـي رضيتَ أن تكون ظالما?
سلوا النجوم بَعدكم عن مضجعي قَرَّ جَنْبي أو رأتْني نائمـاً?
واستقبلوا الشمال كيما تنظـروا حرّ أنفاسي بها سمـائمـا
وهذه الأيكُ سلـوا الأيكَ: أَلـمُعلّم النوحَ بها الـحـمـائمـا
أقمتُ بعد أن فارقـتـكـمعلى فؤادي بينهـا مـآثـمـا

كان أبو الخطاب رضي اللّه عنه فقيهًا عظيمًا كثير التحقيق، وله من التحقيق والتدقيق الحسن في مسائل الفقه وأصوله شيء كثير جدًا. وله مسائل ينفرد بها عن الأصحاب.
فما تفرد به قوله: إن للعصر سنة راتبة قبلها أربع ركعات.
وقوله: إن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر، وإنها ترد إلى من أخذت منه من المسلمين على كل حال، ولو قسمت في المغنم أو أسلم الكافر وهي في يده.
ومن ذلك قوله: إن الأضحية يزول الملك فيها بمجرد الإيجاب، فلا يملك صاحبها إبدالها بحال.
ومن ذلك ما ذكره في الهداية: أن الزرافة حَرَام. وقال السامري: هو سهو منه.
ومن ذلك: قوله بطهارة الأدهان المنجسة، التي يمكن غَسلها بالغسل.
ومن ذلك قوله: إنّ من ملك أختين: لم يجز له الإقدام على وطء واحدة منهما حتى تحرم الأخرى عليه، بإزالة ملكه عنها أو عن بعضها، كما لو كان قد وطىء إحداهما، ثم أراد وطء الأخرى. وقد رأيتُ في كلام الإمام أحمد في رواية إسحاق بن هانىء ما يدل على مثل ذلك. ونصه مذكور في مسائل ابن هانىء في كتاب الجهاد.
ومن ذلك قوله: إنّ النكاح لا ينفسخ بسبي واحدٍ من الزوجين بحال، سواء سُبيَا معاً أو سُبِيَ أحدهما وحده. وقد حكى بن المنذر الإجماع على انفساخ نكاح المسبية وحدها إذا كان زوجها في دار الحرب. وحكاه غير واحدٍ من أصحابنا أيضًا كابن عقيل. وهو ظاهر القران. وحديثُ أبي سعيد في صحيح مسلم صريحٌ في ذلك. والعجب أنه ذكر في الانتصار: أن حديث أبي سعيد لا يصح. قال: والدليل على

ضعفه أن سبايا أوطَاسٍ كُنَّ مجُوسيات. وهذا مما يعلم بطلانه قطعًا فإن العرب لم يكونوا مجوسًا.
وقد نسب إلى أبي الخطَّاب التفرّد بتخريج رواية: بأن الترتيب لا يشترط في الوضوء، وليس كذلك فقد وافقه على هذا التخريج ابن عقيل، واتفقا على تخريجها من رواية سقوط الترتيب بين المضمضة والاستنشاق، وسائر أعضاء الوضوء.
وذكر أبو الخطاب في كتاب الصيام من الهداية، رواية عن أحمد: أنّ من دخل في حجّ تطوع، ثم أفسده: لم يلزمه قضاؤه. ولم يذكر ذلك في كتاب الحج، ولا في غير الهداية.
قال أبو البركات بن تيمية: ولعله سها في ذلك، وانتقل ذهنه من مسألة الفوات إلى مسألة الإفساد.
وذكر في الانتصار رواية عن أحمد: أن صلاة الفرض تقضى عن الميت كالنذر.
وذكر في الانتصار في مسألة ما إذا قتل واحد جماعةً عمدًا: أن أولياءهم بالخيار، إن شاءوا قُتل للجميع لا يكون لهم غير ذلك، ويسقط باقي حقوقهم. وإن اختار بعضُهم القود وبعضُهم الدية: قُتِل لمختار القَوَد، وأخذ من ماله الدية لطالبها، وأن أحمد نصَّ على ذلك في رواية الميموني.
وذكره الخرقي في مختصره، قال: ويتخرج لنا كقول أبي حنيفة ومالك: يُقتل للجميع، وليس لهم غير ذلك، على الرواية التي تقول: لا يثبت بقتل العمد غير القود.
ثم قال في آخر المسألة: هذا الفصلُ مشكل على قول أحمد رحمه اللّٰه لأنه إن قال: حقوقُ الجميع تساوتْ، فإذا طلبوا القتلَ ليس لهم غيره. وعلَّل بأنهم أخذوا بعض حقوقهم، وسقط بعضها. فقد قال: بأن القصاص يتَبعّضُ في الاستيفاء والإسقاط. وهذا بعيد. فإنه لو قتل رجلٌ رجلين، فقال وليّ كل واحدٍ منهما: قد عَفَوْتُ لك عن نصف القصاص، ولكن قد بقي لكل واحدٍ منَّا النصف فيستحق قتلك به: لم يجُز لهم ذلك، وسقط حقهم من القصاص. ولو كان يتبعض لثبت ذلك. وإن لم يقل بالتبعيض لم يصح قوله: أخذ بعض الحق وأسقط بعضه. واقتضى أن يقول كقول أبي حنيفة، وأنه يُقتل للجميع، لأن دمه يساوي دَم الجميع، أو لأنه لم يبقَ محل يستوفي منه، أو يَقُول كما قال الشافعي: يُقتَل بالأول أو بمن تخرجُه القرعة وتؤخذ الديات للباقين.

والذي يتحقق عندي: أنه يقتل للجميع وتؤخذ من ماله ديات الجميع تقسمُ بينهم، كما قال أبو حنيفة: إذا قطع يميني رجلين فيقطع لهما، وتؤخذ دية يَدٍ فتقسمُ بينهما، وكما قال أبو حامد وشيخنا وأصحابنا: إذا قطع مَنْ يده ناقصة الأصابع يدًا تامة يجوز للمقطوعة يده أن يقطع اليد الناقصة، ويأخذ دية الأصابع فيجتمع القصاصُ والديةُ ليكمل حَقه، كذلك في مسألتنا. واللّٰهُ أعلم.
وذكر في الانتصار في مسألة ضمان العارية: أن المبيع إذا فُسِخ لعيبٍ أو غيره، فتلفت السلعة في يد المشتري: أنه لا ضمان عليه لأن يده يد أمانةٍ. وهذا غريبٌ مخالفٌ لما ذكره غير واحد من الأصحاب، كالقاضي في خلافه، وابن عقيل، والأزجي في النهاية.
واختار فيه: أنه يصح أن يضمن بعض ما على فلان من الدين، وإن لم يعين به البعض، وقال: لا أعلم فيه نصًا عن أحمد.
وفي المُنون لابن عقيل قال: إن الشريف أبا جعفر قال: إن الصحة قياس المذهب، وأنه اختاره.
واختار فيه: أن عامل الزكاة شريك لبقية الأصناف لا أجير، فلا يجوز أن يكون هاشميًا ولا عبدًا.
وحكى فيه رواية: أن السيد إذا أذن لعبده في نوع من التجارة. مَلَك التصرف في سائر الأنواع.
وحكى فيه وجهًا: أن كل صلاة تفتقر إلى تيمم، وإن كانت نوافل.
واختار في الهداية: ردّ اليمين على المدَّعي، فيقضى له بيمينه. وقد أشار إليه أحمد في رواية أبي طالب.
ووقفتُ على فتاوى أرسلت إلى أبي الخطَّاب رحمه الله من الرحبة، فأفتى فيها في الشهر الذي تُوفي فيه في جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة.
وأفتى فيها ابن عقيل وابن الزاغوني أيضًا.
فمنها: إذا غاب الزوج قبل الدُخول فطلبت المرأة المهر، فإن الحاكم يُراسل الزوجَ، ويعلمه بالمطالبة بالمهر، وأنه إنْ لم يبعثْ به إلى الزوجة باع عليه ملكه. فإنْ لم يبعثْ باعَ عليه. وإن لم يعلم موضِعَه باعَ بمقدار نصف الصداق، وَدَفعه إليها لجواز أن يكون قد طلقها قبل الدخول ويبقي بقية الصداق موقوفاً.
ووافَقَهُ ابن عقيل على ذلك.
وظاهر هذا: أنه إن أمكن مُرَاسلته وامتنع باع عليه، ودفع إليها كل الصداق للعلم بأنه لم يُطلق.

وأما ابن الزاغوني: فإنه أفتى بأنه لا يدفع الحاكم إليها أكثر من نصف الصداق بكل حال لأنه الثابت لها باليقين، والنصف الباقي يحتمل أن يسقط بطلاق مُتَجدّدٍ.
ويرد على هذا التعليل: أن هذا النصف أيضًا يحتمل سقوطه بفسخٍ لعيب أو غيره من المسقطات.
ومنها، في وقف السُتور على المسجد: أفتى أنه يَصِح وقفها وتباع، وتنفق أثمانها على عمارته، ولا تستر حيطانه بخلاف الكعبة، فإنها خُصَّتْ بذلك كما خُصَّتْ بالطواف حولها.
وخالفه ابن عقيل، وابن الزاغوني، قالا: الوقفُ باطلٌ من أصله، والمال على ملك الواقف.
ومنها: إذا وجد شاة بمضيعة في البرية فإنه يجوز له أخذها، وذبحها. ويلزمه ضمانها إذا جاء مالكها. وإذا وجدها بمصر وجب تعريفها. ووافَقَه ابن الزاغوني.
وخالفهما ابن عقيل، وقال: لا يجوزُ له ذبحها بحالٍ، وإن ذبحها أثِمَ ولزمه ضمانها.
ومنها: أن الشاهد لا يجوزُ له أن يشهد على آخر في كتاب مكتوب عليه حتى يقرأه عليه، أو يقرَّ عنده المكتوب عليه: أنه قرىء عليه أو أنه فَهِمَ جميع ما فيه ولا يجوز الشهادة عليه بمجرد قوله: اشهد عليَّ بما في هذا الكتاب.
ووافقه ابن الزاغوني على ذلك.
ومنها: كَمْ قدر التراب الذي يستعمل في غسل الإناء من ولوغ الكلب؟.
أفتى: أنه ليس له حَدّ. وإنما يكون بحيث تمر أجزاء التراب مع نداوة الماء على جميع الإناء.
وأفتى ابن عقيل: أنه تكون بحيث تظهر صفته ويغير الماء.
وقال ابن الزاغوني: إن كان المحك لا يضره التراب، فلا بد أن يُؤثر في الماء، وإن كان يتضرر بالتراب: فهل يجب ذلك، أم يكفي ما يقع عليه اسم التراب وإن لم يظهر أثره؟ على وجهين.
ومنها: إشارة الأخرس في الصلاة؟ أفتى: إذا كثر ذلك منه بطلتْ صلاتهُ.
وأفتى ابن الزاغوني: أن الإشارة بردّ السلام لا تبطل من الأخرس ولا من المتكلم. وما عداها يجري مجرى العمل في الصلاة، فيفرقُ بين كثيرها ويسيرها.

وأفتى ابن عَقيل: أن إشارة الأخرس المفهومة تجري مجرى الكلام، فإن كانت برَدّ سلامٍ خاصة لم تبطل، وما سوى ذلك تبطل.
ومنها: إذا كتب القرآن بالذهب تجبُ فيه الزكاة إذا كان نصابًا. ويجز له حكه وأخذه.
ووافقهُ ابن الزاغوني، وزاد: إن كتابته بالذهب حرام، ويُؤمَر بحكه. ولا يجوز للرجل اتخاذه.
ومنها: إذا أجرت نفسها للإرضاع في رمضان: هل لها أن تفطر، إذا تغير لبنها بالصوم بحيث يتأذى بذلك المرتضع؟ أجاب: يَجُوزُ لها ذلك. وإذا امتنعت لزمها ذلك. فإن لم تفعل كان لأهل الصبي الخيار في الفسخ.
ووافقه ابن الزاغوني، وزاد: متى قصدت بصومها تضرر الصَبي عصتْ وأثمت وكان للحاكم إلزامها بالفطر، إذا طلبه المستأجر.
ومنها: إذا رأى إنسانًا يغرق، يجوز له الإفطار إذا تيقن تخليصَهُ مِن الغَرق، ولم يمكنه الصوم مع التخليص.
ووافقه ابن الزاغوني.
ومنها: هلْ يجوز التفريق بين الأم وولدها بالسفر، إذا قصد أن يجعل وطنها دُون وطنه؟ أجاب: إنه لا يجوز ذلك.
وأجاب ابن عقيل: إذا كان الولد مستقلاً، غير محتاج إلى تربية الأم، كان الأبُ أحق به سفرًا، لتخريجه في عمل أو تجارةٍ.
وانقطع آخر جوابه.
وأجاب ابن الزاغوني: إذا افترقت بالأبوين الدار، ولم يقصد الأب ضَرر الأم بمنعها من كفالةِ الولد، فالأب أحق به.

فصل

صَنَّف بعضُ أصحابنا -وهو الوزير ابن يونس- مصنفاً في أوهام أبي الخطاب في الفرائض ومتعلقاتها من الوصايا والمسائل الحسابية. ولم أقف عليه كله، بل على بعضه. لكن لأبي الخطاب في هذه المواضع مسائل متفرقة، يقال: إنها وهمٌ وغلط.
فمنها: مسألة في البيع بتخيير الثمن، والوضيعة منه.
ومسألة في وقف المريض داره التي لا يملك سواها على ابنه وابنته بالسوية، وحكم إجازتهما وردّهما، وإجازة أحدهما وردّ الآخر.

ولتصحيح كلامه فيها وجهٌ فيه تعسيفٌ شديد.
ومسألة في الوصايا، فيما إذا تَركَ ابنين ووَصى لرجل بجميع ماله، ولآخر بثلثه، وحكم إجازتهما وردّهما، وإجازة أحدهما ورد الآخر، وإجازتهما لأحدهما وردهما على الآخر. قد تأملتُ هذه المسألة، فوجدت الخلل فيها وقع من جهة النَسخ. فإن في الأصل فيها إلحاقًا اشتبه على النُسَّاخ موضعه، فألحقوه في غير موضعه، فنشأ الخلل في الكلام، ولزم بسبب ذلك لوازم فاسدة. وقد نسب السامري الوهم فيها إلى أبي الخطاب، وليس كذلك.
ومنها: مسألة، في باب الإقرار بمشاركٍ في الميراث. وقد ذكرها أبو البركات في المحرر، وذكر أنها سهو.
ومنها: مسألة في الوصية بسهمٍ من سهام الورثة. وقد بين خَللها السامري في مستوعبه.
ومنها: عده الجهات في ذوي الأرحام، وأنها خمسة. وقد اعترف بأنه لم يُسبق إلى ذلك. وقد ألزمَه صاحب المغني وصاحب المحرر وغيرهما لوازم فاسدة، بسبب ذلك. وطائفة محققي المتأخرين صَححُوا كلامه في الجهات، وأجابوا عما أورد عليه، وبينوا أنه غير لازم له. ولولا خشية الإطالة، وأن نخرج عما نحن بصدده من التراجم لذكرنا هذه المسائل مسألة مسألة، وبينا ما وقع فيه الوهم من غيره، ولكن نذكر ذلك في موضع آخر إن شاء اللّه تعالى.

يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، الحافظ، الإمام أبو زكريا بن أبي عمرو بن الإمام الحافظ أبي عبد الله بن أبي محمد بن أبي يعقوب

المحدث ابن المحدث، ابن المحدث ابن المحدث، ابن المحدث، ابن المحدث: وُلد يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بأصبهان.
وسمع من أبيه أبي عمرو، وعميه: أبي القاسم عبد الرحمن، وأبي الحسن عُبيد الله، وأبي بكر بن ريذة، وسمع منه المعجم الكبير للطبراني عنه، وأبي طاهر الكاتب، وأبي منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه، وأبي طاهر أحمد بن محمود الثقفي، وغيرهم.
ورحل إلى نيسابور، وسمع بها من أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرىء، وأبي بكر البيهقي الحافظ بهمذان، وأبي بكر محمد بن عبد الرحمن النَّهاوندي.
وسمع بالبصرة من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد، وعبد اللّه بن الحسين السعيداني، وخلق كثير سواهم.
وصنف التصانيف، وأملى، وخَرَّج التخاريج لنفسه، ولجماعة من شيوخ أصبهان.
وحَدّث بالكثير، وسَمِعَ منه الكبارُ والحفاظ من أهل بلده وغيرهم. منهم: الحافظ أبو القاسم إسماعيل التيمي، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق، وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء.
وقدم بغداد حاجاً، وحَدَّث بها، وأملى بجامع المنصور.
سَمِعَ منه بها: أبو منصور الخياط، وأبو الحسين بن الطيُوري، وهما أسن منه، وأقدم إسنادًا.
وسَمِع منه بها أيضاً: ابن ناصر، وعبد الوهاب الأنماطي، والسلفي، والشيخ عبد القادر الجيلي، وأبو

محمد بن الخشاب، وعبد الحق اليوسفي، وآخر أصحابه موتًا أبو جعفر الطرسوسي، وروى عنه بالإجازة أبو سعد بن السمعاني الحافظ.
قال ابن السمعاني: سألتُ إسماعيل التيمي الحافظ عنه. فأثنى عليه وَوَصَفه بالحفظ والمعرفة والدراية. قال: وسمعتُ أبا بكر اللفتواني الحافظ يقول: بيتُ ابن منده بُدِىء بيحيى وخُتم بيحيى.
قال ابن السمعاني: يريدُ في معرفة الحديث والفضل والعلم.
وذكر شيرويه بن شهردار الحافظ فقال: قدم علينا سمع منه عامة مشايخ الجبل وخراسان. وكان حافظاً، فاضلاً مكثرًا، صدوقًا، ثقةً، يحسن هذا الشأن جيدًا، كثير التصانيف، شيخ الحنابلة ومقدمهم، حَسنَ السيرة، بعيدًا من التكلف، متمسكاً بالأثر.
وذكره محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ، فقال: الشيخ الإمام الأوحَدُ، عنده الحديث الكثير، والكتب الكثيرة الوافرة، جمع وصنف تصانيف كثيرة. منها: كتاب الصحيح على كتاب مسلم بن الحجاج.
وذكره إسماعيل بن عبد الغافر، في تاريخ نيسابور، فقال: رجل فاضل، من بيت العلم والحديث، المشهور في الدنيا، سَمِع من مشايخ أصبهان، وسافر ودخل نيسابور، وأدرك المشايخ، وسمع منهم، وجمع، وصنف على الصحيحين. وعاد إلى بلده.
وقال ابن السمعاني في حقه: جليل القدر، وافر الفضل، واسع الرواية، ثقة حافظ، فاضل، مكثر، صدوق، كثير التصانيف، حسن السيرة، بعيد التكلف، أوحد بيته في عصره. صنف تاريخ أصبهان، وغيره من الجموع.
قلتُ: وصنف مناقب العباس رضي الله عنه في أجزاء كثيرة.
وللحافظ السلفي فيه يمدحه:

إنَ يحيى فديتُه مـن إمـامٍحافظٍ ، متقنٍ، تقيّ، حلـيمِ
جَمَع النبل والأصالة والفضوفي العلم فوق كل عليمِ

وصنف مناقب الإمام أحمد رضي الله عنه في مجلدٍ كبير، وفيه فوائد حسنة.

وقال في أوله: ومن أعظم جهالاتهم- يعني المبتدعة- وغلوهم في مقالاتهم: وقوعهم في الإمام المرضي، إمام الأئمة، وكهف الأمة، ناصر الإسلام والسنة، ومن لم تر عين مثله علمًا وزهدًا، وديانة وأمانة. إمام أهل الحديث أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني قدَّس الله روحه، وبرد عليه ضريحه. الإمام الذي لا يجارى، والفحلُ الذي لا يبَارَى. ومن أجمع أئمة الدين رحمة الله ورضوانه عليهم في زمانه على تقدمه في شأنه، ونبله وعلو مكانه. والذي له من المناقب ما لا يُعَدُّ ولا يحصى. قام للّه تعالى مقامًا لولاه لتجهم الناس، ولمشوا على أعقابهم القهقرى، ولضعف الإسلام، واندرس العلم.
ولقد صدق الإمام أبو رجاء قتيبة بن سعيد البغلاني حيث قال: إن أحمد بن حنبل في زمانه بمنزلة أبي بكر وعمر في زمانهما. وأحسن من قال: لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان آية أعاشنا الله تعالى على عقيدته، وحشرنا يوم القيامة في زمرته.
وحين وقفتُ على سرائر هؤلاء، وخبث اعتقادهم في هذا الإمام،

قَصَدت لمجموع نبهتُ فيه على بعض فضائله، ونبذة من مناقبه. وذكرتُ طرفًا مما منحهُ الله تعالى من المنزلة الرفيعة، والرتبة العلية في الإسلام والسنة. مع أني لستُ أرى لنفسي أهلية لذلك، وأن المشايخ الماضين رحمهم الله تعالى قد عنوا بجمعه فشفوا لكني أردتُ أن يبقى له بجمع مناقبه ذكر، وأن كون مشرفًا فيما بين أهل العلم من أهل السنة بانتسابي إليه، ونحلي مذهبه وطريقته.
وذكر في أثناء هذا الكتاب: أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الفقيه إجازة: أخبرنا أبو مسعود أحمد بن محمد البجلي الطبري قال: قال أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الأسدي، في فضائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل: لما فرغتُ من سماع كتاب المسند من أبي بكر القطيعي ببغداد، عن عبد الله عن أبيه رحمهم الله. وتحصيل نسخة من مائة ونيف وعشرين جزءًا، وجملة ما وعاه الكتاب أربعون ألف حديث غير ثلاثين- أو أربعين- حديثًا.
سمعتُ ذلك من ابن مالك، يقول: وسمعتُهُ أيضًا يقول: سمعتُ عبد الله يقول: أخرج والدي هذا المسند من جملة سبعمائة ألف حديث. وقد أفردتُ لذلك كتابًا في جزء واحد، سميته: كتاب "المدخل في المسند" أشبعتُ فيه ذكر ذلك أجمع. وأنا أسأل الله تعالى انتفاعنا بالعلم، وتوفيقًا لما يقربنا إليه، فإنه قريب مجيب.
ومنه قال: أخبرنا عمي الإمام، أخبرنا عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا أبو الحسن العبدي، حدثني أبو الحسين، حدثنا رزين بن أبي هارون قال: قال فوران: ماتتْ امرأة لبعض أهل العلم، قال: فجاء يحيى بن معين والدورقي. قال: فلم يجدوا امرأة تغسلها إلا امرأة حائض. قال: فجَاء أحمد بن حنبل، وهم جلوس، فقال: ما شأنكم؟ فقال أهل المرأة: ليس نجد غاسلة إلا امرأة حَائض، قال: فقال أحمد بن حنبل: أليس تروون عن النبي صلى الله عليه وسلم "يا عائشة، ناوليني الْخُمْرَةَ. قَالَتْ: إني حَائِضٌ، فَقَال: إن حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ في يَدَكِ" يجوزُ أن تغسلها. قال: فخجلوا وبقوا.
سمعتُ أبا العباس البيهقي يقول: سمعتُ أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعتُ أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعتُ العباس بن حمزة يقول: سمعتُ أِحمد بن حنبل رحمه الله يقول: الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، فمن لم يعمل هنا نَدِمَ هُناك.
وروي من طريق النقاش: سمعتُ الدارقطني: سمعتُ أبا سهل بن زياد: سمعتُ عبد اللّه بن أحمد بن حنبل يقول: سُئل أحمد رحمه

الله عن الفتوة. فقال: تَرْكُ ما تهوى لما تخشى.
ومن طريق أحمد بن مروان المالكي، حدثنا إدريس الحداد قال: كان أحمد بن حنبل إذا ضاق به الأمر آجر نفسه من الحاكة فسوَّى لهم. قال إدريس: فلما كان أيام المحنة، وصُرِف إلى بيته حُمِلَ إليه مال جليل، وهو محتاجٌ إلى رغيف يأكله، فردَّ جميع ذلك، لم يقبل منه قليلاً ولا كثيرًا، قال: فجعل عمه إسحاق يحسب ما رد، فإذا هو خمسمائة ألف- أو نحوها- فقال له: يا عم، أراك مشغولاً بحساب ما ليس يُحسب، فقال: قد رددت اليوم كذا وكذا، وأنت محتاج إلى حبة. فقال: يا عم، لو طلبنا لم يأتنا. وإنما أتانا لَمَّا تركناه.
أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحيم، أخبرنا أبو محمد بن حبان: سمعتُ أبا جعفر البردي: سمعتُ إسماعيل بن قتيبة سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: إن الْقَلَنْسُوَه لتقع من السماء على رأس من لا يحبُّها.
أخبرنا أبي رحمه الله، أخبرنا أبو عمر بن عبد الوهاب إجازة، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا أبو عبد الرحمن- يعني: عبد الله بن أحمد- قال: قلتُ لأبي رحمه الله: يقولون: إنك تتوضأ مما مسَّت النار. قال: ما فعلته قط، ولم يثبت عندي في ذا خبرٌ.
أخبرنا عمّي الإمام، أخبرنا عليّ بن عبد الله بن جَهضم بمكة، حدثنا محمد بن أبي زكريا الفقيه، حدثنا عبدوس بن أحمد، حدثنا أبو حامد الخُلْقاني قال: قلتُ لأحمد بن حنبل: ما تقول في القصائد. فقال: في مثل ماذا. قلت: مثل ما تقول:

إذا ما قال لـي ربِّـي: أما استحييت تعصينـي
وتُخفي الذنب من غيري وبالعصيان تأتـينـي?

قال: فرد الباب، وجعل يقول:

إذا ما قال لـي ربِّـي: أما استحييتَ تعصينـي
وتُخفي الذنبَ مِنْ غَيْري وبالعصيان تأتـينـي?

فخَرَجتُ وتركته.
أخبرنا عمي، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد بن قاذويه، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس قال: ولقد ذكر لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رجل من أهل العلم، كانت له زلة، وأنه تاب من زلته، فقال: لا يقبل الله ذلك منه حتى يظهر التوبة والرجوع عن مقالته، وليعلمن أنه قال مقالته كيت وكيت، وأنه تاب إلى الله تعالى

من مقالته، ورجع عنه، فإذا ظهر ذلك منه حينئذ تقبل، ثم تلا أبو عبد اللّه "إلاَّ ا الَذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا" البقرة:160.
ومن طريق أبي أحمد بن علي، حدثنا عبد المؤمن بن أحمد بن جوثرة الجرجاني: سمعتُ عمار بن رجاء يقول: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: طلب إسناد العلو من السنة.
أخبرنا عمي الإمام، أخبرنا يحيى بن عمار بن يحيى كتابة: أن أبا جعفر محمد بن أحمد بن محمد الصفار أخبره: حدثنا محمد بن إبراهيم الصرام، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، قال: قال أحمد بن حنبل رحمه الله: كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء. فلما أظهروه لم نجد بدًا من مخالفتهم.
ووجدتُ في كتب الإمام عمِّي بخطه: قال القاسم بن محمد أبو الحارث: حدثنا يعقوب بن إسحاق البغدادي، سمعتُ هارون الحمال يقول: سمعت أحمد بن حنبل، وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد اللّه: إن ههنا رجل يُفضِّلُ عمر بن عبد العزيز على معاوية بن أبي سفيان، فقال أحمد: لا تجالسه، ولا تؤاكله ولا تشاربه، وإذا مرض فلا تعُده.
أخبرنا أبي وعماي رحمهم اللّه، أخبرنا والدنا رحمه الله، أخبرنا محمد بن عبد الله بن يوسف العماني، حدثني جَدِّي العباس بن حمزة قال: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: سبحانك، ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم! الخائف منهم مقصر، والراجي منهم متوانٍ .
أخبرنا عمي الإمام، أخبرنا عبد الله بن عمر الكرخي، أخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سُئِلَ أبي عن رجل وجب عليه تحرير رقبة مُؤمنة، فكان عنده مملوك سوء، لقنه أن يقول بخلق القرآن؟ فقال: لا يجزي عنه عتقه لأن الله تبارك وتعالى أمره بتحرير رقبة مؤمنة، وليس هذا بمؤمن. هذا كافر.
أخبرنا الإمام عمي، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألتُ أبي عن قوم يقولون: لما كلم اللّه موسى عليه السلام لم يتكلم الله بصوت، فقال أبي رحمه الله: بل تكلم عزَّ وجل بصوت. هذه الأحاديث نمرها كما جاءت.
قال أبي رحمه الله: حديث بن مسعود "إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كمرِّ السلسلة على الصفوان". قال أبي: وهذه الجَهميَّة تنكره. قال أبي: وهؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس. من

زعمّ أن اللّه عز وجل لم يتكلم فهو كافر. إلا أنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت.
أخبرنا عمي الإمام، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أخبرنا عبد اللّه بن جعفر بن فارس، حدثنا إسماعيل بن أحمد، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألتُ أبي عن رجل يمتحن بالقرآن: مخلوق، فيحدث. فقالا: كان ابن عيينة يتحَدَّث به، ولم أسمعه أنا منه.
عن إسماعيل عن قيس قال: اجتمع الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله على جنازة، فقدم الأشعثُ جريرًا عليها، وقال للناس: إني ارتددت، ولم يرتد. قال: أنا أقول بهذا الحديث في هذه المسألة.
فقلت: إن اجتمع رجلان، أحدهما قد امتحن، والآخر لم يمتحن?
فقال: لا يتقدم، وليُصَل بهم الذي لم يمتحن. رأى ذلك فضيلة له على من امتحن، وأعجبه حديث قيس عن جرير، قال: هذا أصلٌ من الأصول، وأعجبه جدًا. وقال: أنا آخذ به.
ومن طريق ابن عبد الرحمن السلمي، أخبرنا أبو محمد، حدثنا الأزهري، حدثنا إسماعيل بن عمر: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: أحاديث حماد بن سلمة تأخذ بحلوق المبتدعة.
ومن طريق عبد الله بن محمد بن مندويه، سمعتُ أحمد بن محمد بن مصقلة يقول: سمعتُ المثنى الأنباري يقول: سألتُ- أو سئل- عبد الله أحمد بن حنبل عن بيع الماء? فقال: هو ما لا يملكه الرجل. وأما بيع الماء السايح فهو جائز. وكل ما يملكه الرجل فهو جائز.
أخبرنا أبو القاسم عمي، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسحاق الويذاباذي، أخبرنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا معاذ بن المثنى العنبري قال: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: أصول الإيمان ثلاثة: دالّ، ودليل، ومستدل. فالدال: اللّه تبارك وتعالى، والدليل: القرآن، والمستدل: المؤمن. فمن طعن على حرف من القرآن فقد طعن على الله تعالى وعلى كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم.
أخبرنا عمي أخبرنا أبو القاسم بن قاذويه، أخبرنا عبد الله بن محمد الشروطي سمعت أبا زكريا القسام يحيى بن عبد اللّه يقول: سمعت أبا عمران الصوفي موسى بن محمد، وأبا الشيخ الأبهري، يذكران عن أبي بكر الأثرم: أنه سأل أحمد بن حنبل عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وتعوذه من الفقر? فقال: إنما أراد به فقر

القلب.
ومن طريق ابن عدي: سمعت محمد بن سعيد الحراني، سمعت الميموني يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير.
ومن طريق أحمد بن ياسين: سمعت أبا أحمد بن عَبدوس يقول: قال أحمد بن حنبل: من لم يجمع علم الحديث. وكثرة طرقها واختلافها، لا يحل له الحكم على الحديث، ولا الفتيا به.
أخبرنا عمي، أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ كتابة: أن يحيى بن محمد العنبري حدثهم: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد السجزي، سمعت النَّوفلي، سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا روينا عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشدَّدنا في الأسانيد. وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكمًا ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد.
ومن طريق محمد بن الحسين- أظنه النقاش- أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي بن زياد، حدثنا محمد بن إبراهيم الماستوي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كتبت في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته.
أخبرنا عمي، أخبرنا محمد بن عبد الرزاق، أخبرنا جدي حدثنا محمد بن محمد بن فورك: سمعت عبد اللّه بن- عبد الوهاب يقول: سُئل أحمد بن حنبل رحمه اللّه: هذه الكتابة إلى متى العمل به؟ قال: أخذه العمل به.
أخبرنا أحمد بن الفضل المقرىء إجازة، أخبرنا أبو العباس النسوي شيخ الحرم، حدثنا عمر بن المقرىء، حدثنا إبراهيم بن المولد، حدثنا أحمد بن مروان الخزاعي، حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل قال: سمعتُ أبي يقول: ما الناس إلا من يقول: حدثنا، وأخبرنا، وسائر الناس لا خير فيهم.
أخبرنا أبو بكر البيهقي، أنبأني أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدثنا مهنا بن يحيى: سألتُ أحمد بن حنبل عن الإقعاء في الصلاة؟ قال: أليس يُروى عن العبادلة: أنهم كانوا يفعلون ذلك. قلت: وَمَن العبادلة؟ قال: عبد اللّه بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد اللّه بن عمر، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. قلت لأحمد: فابن مسعود؟ قال: ليس ابن مسعود من العبادلة.

ومن طريق محمد بن مخلد: حدثنا حاتم بن محمد، سمعتُ أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول: أحمد بن حنبل إمام ومن لا يرضى بإمامته فهو مبتدع ضال.
قال يحيى بن منده: نقول- وباللّه التوفيق-: إن أحمد بن حنبل إمام المسلمين، وسيِّد المؤمنين، وبه نحيا وبه نموت، وبه نبعث، إن شاء الله تعالى. فمن قال غير هذا، فهو عندنا من الجاهلين.
ومن طريق محمد بن مخلد: حدثنا محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي عن أحمد بن عمر بن يونس، حدثنا شيخ رأيته بمكة، يكنى أبا عبد الله من أهل سجستان ذكر عنه فضل ودين، قال: رأيتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسولَ الله، مَنْ تركتَ لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدي به في ديننا. قال: أحمد بن حنبل.
قال يحيى بن منده: فما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه ويقظته فهو حق. وقد ندب صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء به، فلزمنا جميعًا امتثال مَرسُومه، واقتفاء مأموره.
توفي يحيى بن منده رحمه الله في يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة، سنة إحدى عشرة وخمسمائة كذا نقله ابن النجار عن أبي موسى الحافظ.
وذكر ابن السمعاني عن بعض الأصبهانيين: أنه توفي في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بأصبهان. قال: ثم كتب إلى معمر بن الفاخر من أصبهان: أن ابن منده توفي يوم عيد الأضحى من السنة.
وذكر غيره: أنه دُفن بباب درية عند قبر والده وجده رحمة الله عليهم أجمعين.
وذكره ابن الجوزي ممن تُوفي سنة اثنتي عشرة، ثم قال: وقيل: تُوفي سنة إحدى عشرة.
أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصري بها، بقراءتي عليه، أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو جعفر محمد بن إسماعيل الطرسوسي، أخبرنا يحيى بن منده الحافظ، أخبرنا محمد بن عبد الله، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَبَري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري عن عاصم بن عبيد الله عن عبد اللّه بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاكُ وهو صائم ما لا أحصي".

محمد بن علي بن طالب بن محمد بن زبيبا الخرقي البزار، الفقيه، أبو الفضل بن أبي الغنائم

وقد سبق ذكر والده: وُلد في العشر الأخير من المحرم سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

وقيل عنه: إنه قال: سنة خمس وثلاثين.

وسمع من القاضي أبي يعلى، والجوهري، وابن المُذْهب، وأبي بكر بن بشران، وعمر بن أبي طالب المكي، وحدث وروى عنه السلفي، وأبو المعمر الأنصاري، وابن ناصر، والمبارك بن كامل، وعمر بن ظفر، وبالإجازة ذاكر بن كامل، وابن كليب. وكان فقيهًا فاضلاً. أظنه تفقه على القاضي أو على أبيه المذكور.

وقال ابن الجوزي: قال شيخنا ابن ناصر: لم يكن بحجة. كان على غير السمت المستقيم.

وذكر ابن النجار: أنه قرأ بخط ابن ناصر عنه: أنه كان يعتقد عقيدة الفلاسفة، تقليدًا عن غير معرفةٍ. نسأل اللّه العافية.

توفي ليلة السبت تاسع شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة. ودفن بمقابر باب أبرز في العالية. رحمه اللّه وسامحه.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم- بفسطاط مصر- أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو الفرج عبد المنعم بن علي، أخبرنا محمد بن علي بن زبيبا إذنًا، أخبرنا القاضي أبو يعلى بن الفراء، أخبرنا أبو الفضل عبد اللّه بن عبد الرحمن الزهري، فيما أذن لنا: أن حمزة بن الحسين بن عمر البزار حدَّثه: حدثني أحمد بن جعفر عن عاصم الحربي قال: رأيتُ في المنام كأني قد دخلت درب هشام، فلقيني بشر بن الحارث رحمه اللّه، فقلت: من أين يا أبا نصر. فقال: من عليين. قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركتُ الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي اللّه عز وجل، يأكلان ويشربان ويتنعمان. قلتُ: فأنتَ؟ قال: علم اللّه قلة رغبتي في الطعام فأبَاحَني النظر إليه.

طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن بادي بن الحارث بن قيس بن الأشعث بن قيس الكندي العاقولي، الفقيه، القاضي أبو البركات:

وُلد يوم الجمعة بعد صلاتها ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة بدير العاقول، وهي على خمسة عشر فرسخًا من بغداد.

ودخل بغداد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، واشتغل بالعلم سنة

اثنتين وخمسين.
وسمع من أبي محمد الجوهري سنة ثلاث وخمسين، ومن القاضي أبي يعلى، أبي الحسين بن حسنون، وأبي الغنائم بن المأمون، وأبي جعفر بن المسلمة، وأبي الحسين بن المهتدي، وأبي الغنائم بن الدجاجي، وهناد النسفي، وجابر بن ياسين، وابن هزار مرد، وأبي الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحداد الحنفي، وأبي القاسم بن البُسري، وغيرهم.
قال القاضي أبو الحسين: قرأ على الوالد الخصال، وحضر درسه الفقه.
قلتُ: وروى عنه الجامع الصغير أيضًا. قال: وقال لي: اقرأ في كل أسبوع ختمتين.
وقال ابن الجوزي: قرأ الفقه على القاضي يعقوب، وهو من متقدمي أصحابه.
وكان عارفًا بالمذهب، حسن المناظرة. وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة.
وقال ابن شافع: سماعُه صحيح. كان ثقةً، أمينًا. ومضى على السلامة والستر، سمع منه ابن كاملي وغيره.
وقال ابن السمعاني: كان صالحًا، دينًا خيرًا. روى لنا عنه هبة الله بن الحسن الأمين بدمشق، والمبارك بن أحمد الأنصاري، وغيرهما.
قلتُ: وروى عنه ابن ناصر، والشيخ عبد القادر. وبالإجازة ابن كليب وذاكر بن كامل.
قال ابن ناصر: حدثني أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة القاضي، قال: كان لي صديق اسمه ثابت. وكان رجلاً صالحًا، يقرأ القرآن، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فتوفي فلم أصلِّ عليه لعذر منعني، فرأيته في المنام، فسلمت عليه، فلم يردَّ علي السلام، وأعرض عني، فقلت: يا ثابتُ، ما تكلمني وأنت صديقي وبيني وبينك مَودّة؟ فقال: أنت صديقي، ولم تُصَل عليَّ، فاعتذرتُ إليه، ثم قلتُ له: حدثني كيف أنت بقبر أحمد بن حنبل؟ لأنه دفن هناك، فقال: ليس في قبر أحمد أحد يعذب بالنار.
تُوفي طلحة العاقولي ليلة الثلاثاء ثاني شعبان- وقال ابن نقطة: ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة- ودُفن بمقبرة الفيل من باب الأزج، قريبًا من قبر أبي بكر عبد العزيز.
أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدَومي- بمصر-

أخبرنا أبو الفرج الحرّاني، أخبرنا ابن كليب، أخبرنا طلحة بن أحمد العاقولي، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيويه، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا الحسين بن بحر، حدثنا عبد اللّه بن رجاء، قال ابن المرزبان: وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أحمد بن عون القواس قالا: حدثنا مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كَرَمُ المَرْء دينُهُ، ومُرُوءَتُهُ عَقْلهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ".
ذكر الشيخ موفق الدين، في المغنى في باب الإيمان، عن طلحة العاقولي: أن العبد إذا ملّكه سيده مالاً، وقلنا: يملكه، وأعتق منه بإذن سيده، فإن الولاء يكون موقوفًا. فإن عتق فهو له، وإن مات فهو لسيده. وهذا خلاف ما ذكره الأكثرون: أن العبد لا يرث بالولاء ولا غيره.
وحكوا في المكاتب: إذا عتق له عبد في حال كتابته: هل يكون ولاؤه للسيد، أو يكون موقوفًا، فإن عتق المكاتب كان له? على وجهين. واختار أبو بكر، والقاضي في خلافه: أنه للسيد بكل حال.
وحكى الشيخ أيضَا في المغني والكافي عن طلحة العاقولي: أن الحالف إذا قال: والخالقِ، والرزاقِ، والربِّ: كان يمينًا بكل حال، وإن نوى بذلك غير اللّه تعالى سُبحانه لأنها لا تستعمل مع التصريف إلا في اسم الله تعالى، فهي كاسم اللّه، والرحمان.
قلتُ: وقد وافقه على ذلك ابن الزاغوني في الإقناع: في الخالق، والرزاق وسائر أسماء الأفعال. قال: وهذا مبنيٌّ عندنا على أصل فإنَ صفات الأفعال قديمة، استحقها الله تعالى في القدم كصفات الذات.

يحيى بن عثمان بن الحسين بن عثمان بن عبد الرحمن البيع، الأزجي، الفقيه أبو القاسم بن الشواء:

وُلدَ في شوال سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.
وقرأ القران بالروايات. وسمع من ابن المهتدي، وابن المسلم، والجوهري، والقاضي أبي يعلى، وأبي الغنائم بن المأمون، وأبوي الحسين بن حسنون، وابن النقور. وتفقه على القاضي أبي يعلى، ثم على القاضي يعقوب. وكان فقيهًا حسناً، صحيح السماع. وحدّث بشيء يسير.
روى عنه أبو المعمر الأنصاري في معجمه. وقال أبو الحسين: سمع من الوالد، وحضر درسه، ونسخ معظم كتبه.

توفي ليلة الثلاثاء، تاسع عشر جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. ودفن بمقبرة باب حَرب. رحمه اللّه تعالى.

حمد بن نصر بن أحمد بن محمد بن معروف الهمذاني الحافظ الفقيه، الأديب أبو العَلاء، المعروف بالأعمش:

وُلد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.
وسمع بهمذان من عبيد الله بن الحافظ بن منده، وأبي مسلم بن عوف النهاوندي، وأبي محمد بن ماهلة وطبقتهم.
روى عنه السلفي وأبو العلاء القطان، وأبو الفتوح الطائي، وغيرهم.
ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ، فقال: شيخ، حافظ ثقة، مكثر.
وكان- مع بصره بهذا الشأن- عارفًا بفقه أحمد بن حنبل، ناصِرًا للسنة، عالمًا بالعربية، وافر الجلالة بهمذان، وأملى عدة مجالس من حفظه.
قال أبو سعد السمعاني: أجاز لي مروياته. وكان عارفًا بالحديث، حافظًا، ثقة.
سمع الكثير بنفسه، وأملى، وحَدَّث.
توفي عاشر شوال سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. رحمه الله تعالى.

علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي

الظفري، المقرىء الفقيه، الأصولي، الواعظ المتكلم، أبو الوفاء، أحد الأئمة الأعلام، وشيخْ الإسلام: وُلد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في جمادى الآخرة. كذا نقله عنه ابن ناصر السلفي.
قال ابن الجوزي. ورأيتُه بخطّه.
ونقل عنه عَلي بن مسعود بن هبة الله البزار أنه قال: ولدت في جُمادي الأولى سنة إحدى وثلاثين، وتفقهت في سنة سبع وأربعين.
وذكر أبو محمد بن السمرقندي عنه: أنه وُلد سنة ثلاثين. والأول أصح. وحفظ القرآن. وقرأ بالروايات القرآن على أبي الفتح بن شيطا، وغيره.
وكان يقول: شيخي في القراءة: ابن شيطا. وفي النحو والأدب: أبو القاسم بن برهان. وفي الزهد: أبو بكر الدينوري، وأبو بكر بن زيدان، وأبو الحسين القزويني، ذكر جماعة غيرهم من الرجال والنساء. وفي آداب التصوف: أبو منصور صاحب الزيادة العطار، وأثنى عليه بالزهد والتخلق بأخلاق متقدمي الصوفية. وفي الحديث: ابن النوري، وأبو بكر بن بشران، والعشاري، والجوهري وغيرهم. وفي الشعر والترسل: ابن شبل، وابن الفضل. وفي

الفرائض: أبو الفضل الهمذاني. وفي الوعظ: أبو طاهر بن العلاف صاحب ابن سمعون. وفي الأصول: أبو الوليد وأبو القاسم بن التبان. وفي الفقه: القاضي أبو يعلى المملوء عقلاً وزهدًا وورعًا. قرأت عليه سنة سبع وأربعين، ولم أخل بمجالسه وخلوته التي تتسع لحضوري، والمشي معه ماشيًا وفي ركابه إلى أن توفي. وحظيت من قربه بما لم يحْظ به أحد من أصحابه مع حداثة سني. والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، إمام الدنيا وزاهِدُها، وفارسُ المناظرة وواحدها. كان يُعَلمني المناظرة، وانتفعتُ بمصنَّفاته. وأبو نصر بن الصباغ، وأبو عبد الله الدامغاني، حضرت مجالس درسه ونظره. وقاضي القضاة الشامي انتفعت به غاية النفع، وأبو الفضل الهمذاني. وأكبرهم سنًا وأكثرهم فضلاً: أبو الطيب الطبريّ حظيتُ برؤيته، ومشيت في ركابه. وكانت صحبتي له حين انقطاعه عن التدريس والمناظرة، فحظيت بالجمال والبركة.
ومن مشايخي: أبو محمد التميمي. كان حسنة العالم، وماشطة بغداد.
ومنهم: أبو بكر الخطيب. كان حافظ وقته. وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء. وكان ذلك يحرمني علمًا نافعًا. وأقبل علي أبو منصور بن يوسف، فحظيتُ منه بأكبر حظوة. وقدمني على الفتاوى، مع حضور من هو أسن مني، وأجلسني في حلقة البرامكة، بجامع المنصور، لما مات شيخي سنة ثمان وخمسين. وقام بكل مؤونتي وتحملي، فقمتُ من الحلقة أتتبع حلق العلماء لتلقط الفوائد.
وأما أهل بيتي: فإن بيت أبي كلهم أرباب أقلام، وكتابة، وشعر، وآداب. وكان جدّي محمد بن عقيل كاتب حضرة بهاء الدولة. وهو المنشىء لرسالة عزل الطايع وتولية القادر ووالدي أنظر الناس وأحسنهم جزلاً وعلمًا. وبيت أبي بيت الزهري صاحب الكلام والدرس على مذهب أبي حنيفة.
وعانيتُ من الفقر والنسخ بالأجرة، مع عفة وتقى. ولا أزاحم فقيهًا في حلقة، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة. وتقلبت عليَّ الدول فما أخذتني دولة سلطان ولا عامة عما أعتقده أنه الحق، فأوذيت من أصحابي حتى طلب الدم وأوذيت في دولة النظام بالطلب والحبس- فيا من خفت الكل لأجله، لا تخيب ظني فيك- وعصمني الله تعالى في عنفوان شبابي

بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله، فما خالطتُ لعَّابًا قط، ولا عاشرتُ إلا أمثالي من طلبة العلم.
قال: والغالب على أحداث طائفة أصحاب أحمد العفة، وعلى مشايخهم الزهادة والنظافة. آخر كلامه.
والأذية التي ذكرها من أصحابه له، وطلبهم منه هجران جماعة من العلماء، نذكر بعض شرحها. وذلك: أن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد، وابن التبان شيخي المعتزلة. وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة، وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله.
ففي سنة إحدى وستين اطلعوا له على كتب فيها شيء من تعظيم المعتزلة، والترحُّم على الحلاَّج وغير ذلك. ووقف على ذلك الشريف أبو جعفر وغيره، فاشتد ذلك عليهم، وطلبوا أذاه، فاختفى. ثم التجأ إلى دار السلطان، ولم يزل أمره في تخبيط إلى سنة خمس وستين، فحضر في أولها إلى الديوان، ومعه جماعة من الأصحاب، فاصطلحوا ولم يحضر الشريف أبو جعفر لأنه كان عاتبًا على ولاة الأمر بسبب إنكار منكر قد سبق ذكره في ترجمته.
فمضى ابن عقيل إلى بيت الشريف وصالحه وكتب خَطّه: يقول علي بن عقيل بن محمد: إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم، والتكثر بأخلاقهم. وما كنت علّقته، ووُجد بخَطّي من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته. ولا تَحل كتابته، ولا قراءته، ولا اعتقاده.
وإنني علقت مسألة في جملة ذلك. وإن قوماً قالوا: هو أجساد سود.
وقلت: الصحيح: ما سمعته من الشيخ أبي عليّ، وأنه قال: هو عَدمٌ ولا يسمى جسماً، ولا شيئًا أصلاً. واعتقدتُ أنا ذلك. وأنا تائب إلى الله تعالى منهم.
واعتقدتُ في الحلاج أنه من أهل الدَين والزُّهد والكرامات.
ونصرتُ ذلك في جزء عملته. وأنا تَائب إلى الله تعالى منه، وأنه قتل بإجماع علماء عصره، وأصابوا في ذلك، وأخطأ هو. ومع ذلك فإني أستغفر اللّه تعالى، وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة، والمبتدعة، وغير ذلك، والترحم عليهم، والتعظيم لهم فإن ذلك كله

حرام. ولا يحل لمسلم فعله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عظَّم صاحب بدعة فقد أعان على هَدْمِ الإسلام".
وقد كان الشريف أبو جعفر، ومن كان مَعه مِن الشيوخ، والأتباع، سادتي وإخواني- حرسهم الله تعالى- مصيبين في الإنكار عليَّ لما شاهدوه بخالي من الكتب التي أبرأ إلى الله تعالى منها، وأتحققُ أني كنتُ مخطئًا غير مصيب.
ومتى حفظ عليَّ ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار: فلإمام المسلمين مكافأتي على ذلك. وأشهدت الله وملائكته وأولي العلم، على ذلك غير مجبر، ولا مكرَه وباطني وظاهري- يعلم الله تعالى- في ذلك سواء. قال تعالى: "وَمنْ عَادَ فَيَنتقِمُ اللّهُ مِنْهُ، وَاللّهُ عَزِيز ذُو انْتِقَام" المائدة: 199.
وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة.
وكانت كتابته قبل حضوره الديوان بيوم، فلما حضَر شَهِدَ عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء.
قال ابن الجوزي: وأفتى ابن عقيل، ودرَسَ وناظر الفحول، واستفتى في الديوان في زمن القائم، في زمرة الكبار. وجمع علم الفروع والأصول وصنَّف فيها الكتب الكبار. وكان دائم التشاغل بالعلم، حتى أني رأيتُ بخطه: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عُمري، حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعةٍ، أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره. وإني لأجدُ من حرصي على العلم.
وأنا في عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجدُه وأنا ابن عشرين سنة.
قال: وكان له الخاطر العاطر، والبحث كن الغامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى ب "الفنون" مناطًا لخواطره وواقعاته. من تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل.
وتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدة. فلما كانت سنة خمسٍ وسبعين وأربعمائة جرت فيها فتنٌ بين الحنابلة والأشاعرة فترك الوعظ واقتصر على التدريس. ومتعه الله تعالى بسمعه وبصره، وجميع جوارحه.
قال: وقرأت بخطه. قال: بلغتُ الاثنتي عشرة سنة، وأنا في سنة الثمانين وما أرى نقصًا في الخاطر والفكر والحفظ، وحدة النظر، وقوة البصر، لرؤية الأهلة الخفية، إلاَّ أن القوة بالإضافة إلى قوة الشبيبة والكهولة ضعيفة.

قلتُ: وذكر ابن عقل، في فنونه: قال حنبلي- يعني نفسه-: أنا أقصرُ بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة، لم أدركها فيه. قال ابن الجوزي: وكان ابن عقيل قوي الدين، حافظًا للحدود. وتوفي له ولدان، فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه. وكان كريمًا ينفق ما يجد، ولم يخلف سوى كتبه وثياب بدنه. وكانت بمقدار كفنه، وقضاء دينه.
وقال ابن عقيل: قدم علينا أبو المعالي الجويني بغداد، أول ما دخل الغزالي فتكلم مع أبي إسحاق، وأبي نصر الصباغ، وسمعتُ كلامه. ثم ذكر عنه مسألة العلم بالأعراض المشهورة عنه، وبالغ في الرد عليه.
ولما ورد الغزالي بغداد، ودرس بالنظامية، حضَره ابن عقيل، وأبو الخطاب، وغيرهُما. وكان ابن عقيل كثير المناظرة للكيا الهراسي. وكان الكيا ينشده في المناظرة:

بعبدك إنَّ فيه فهاهة ولك العراق وماؤها

قال السلفي: ما رأت عيناي مثل الشيخ أبي الوفاء بن عقيل ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه، وحسن إيراده، وبلاغة كلامه، وقوة حجته. ولقد تكلم يومًا مع شيخنا أبي الحسن الكيا الهرّاسي في مسألة، فقال شيخنا: هذا ليس بمذهبك. فقال: أنا لي اجتهادٌ، متى ما طالبني خصمي بحجة كان عندي ما أدفع به عن نفسي، وأقوم له بحجتي، فقال له شيخنا: كذلك الظنُّ بك.
وذكر ابن النجار في تاريخه: أن ابن عقيل قرأ الفقه على القاضي أبي يعلى، وعلى أبي محمد التميمي، وقرأ الأصول والخلاف على القاضي أبي الطيّب الطبري، وأبي نصر بن الصباغ، وقاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني.
وكان ابن عقيل رحمه الله عظيم الحرمة، وافر الجلالة عند الخلفاء والملوك.
وكان شهمًا مقدامًا، يُواجه الأكابر بالإنكار بلفظه، وخطه، حتى إنه أرسل مرة إلى حماد الدباس، مع شهرته بالزهد والمكاشفات، وعكوف العامة عليه، يتهدده في أمر كان يفعله ويقول له: إن عدتَ إلى هذا ضربتُ عنقك.
وكتبَ مرة إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير لما بنى سور بغداد، وأظهر العوام، في الاشتغال ببنائه المنكرات.

لولا اعتقاد صحة البعث، وأن لنا دارًا أكون فيها على حال أحمدها، لما نصبت نفسي إلى مالك عصري، وعلى الله أعتمد في جميع ما أورده، بعد أن أشهده: أني محبٌ متعصبٌ. لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بني جهير، فوالله ما أردت هذه بهذه، ولو كنت كذلك كنت كافرًا. فقلت: إن هذا الخرق الذي جرى بالشريعة لمناصبة واضعها. فما بالنا نعقد الختمات ورواية الأحاديث؟ فإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا بجميع الختمات، والدعاء عقيبها، ثم بعد ذلك طبول وصَواني، ومخانيث، وخيال، وكشف عورات الرجال مع حضور النساء، إسقاطًا لحكم اللّه تعالى.
وما عندي يا شرف الدين، أن تقوم بسخطة من سخطات الله تعالى. ترى بأي وَجهٍ تلقى محمدًا صلى الله عليه وسلم بل لو رأيته في المنام مقطبًا كان ذلك يزعجك في يقظتك. وأيّ حرمةٍ تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله، إذا وضعنا الجباه ساجدة له ثم كيف تطالب الأجناد بتقبيل عتبة، ولثم ترابها، وتقيم الحدّ في دهليز الحريم، صباحًا ومساءً، على قدح نبيذٍ مختلف فيه، ثم تمرح العوام في المسكر المجمع على تحريمه؟ هذا مضاف إلى الزنا الظاهر بباب بدر، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب.
يا شرف الدين، اتق سخط الله تعالى فإن سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض وإن فسدت حالي بما قلتُ فلَعَلّ اللّهَ يلطف بي، ويكفيني هوائج الطباع. ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت، والاختفاء عن العوام لأنهم إن سألونا لم نقل إلاّ ما يقتضي الإعظام لهذه القبائح، والإنكار لها، والنياحة على الشريعة. أترى لو جاءت معتبة من الله سبحانه في منام أو على لسان نبي- لو كان للوحي نزول- أو ألقى إلى روع مسلم بإلهام: هل كانت إلا إليك. فاتق اللّه تقوى من علم بمقدار سخطه، فقد قال: "فَلَمَّا آسَفُونا انتقَمْنَا مِنْهُم" الزخرف: 56، وقد ملأتكم في عيونكم مدائح الشراء ومداجاة المتمولين بدولتكم، الأغنياء الأغبياء، الذين خسروا الله فيكم، فحسنوا لكم طرائقكم. والعاقل من عرف نفسه، ولا يغره مدح من لا يخبرها.
وكتب ابن عقيل إلى السلطان جلال الدولة "ملكشاه" وقد كانت الباطنية أفسدوا عقيدته، ودَعوه إلى إنكار الصانع:
أيُّها الملك، اعلم أن هؤلاء العوام والجهال يطلبون الله من طريق الحواس، فإذا فَقدوه جحَدوه. وهذا لا يحسن بأرباب العقول الصحيحة. وذلك أن لنا موجودات ما نالها الحس ولم يجحدها العقل

ولا يمكننا جحدها لقيام العقل على إثباتها.
فإن قال لك أحد من هؤلاء: لا تثبت إلا ما ترى. فمن ههنا دَخل الإلحادُ على جُهّال العوام، الذين يستثقلون الأمر والنهي، وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة، التي تنمى ولا تفسد، وتقبل الأغذية وتصدر عنها الأعمال المحكمة، كالطب، والهندسة فعَلِموا أن ذلك صادر عن أمرٍ وراء هذه الأجساد المستحيلة وهو الروح والعقل، فإذا سألناهم: هل أدركتم هذين الأمرين بشيء من إحساسكم قالوا: لا، لكننا أدركناهُما من طريق الاستدلال بما صَدر عنهما من التأثيرات قلنا: فما لكم جحدتم الإله، حيث فقدتموه حسًا، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم، وإدارة الأفلاك، وإنبات الزرع، وتقليب الأزمنة وكما أن لهذا الجسد عقلاً وروحًا بهما قوامه لا يحركهما الحس، لكن شهدت بهما أدِلةُ العقل من حيث الآثار، كذلك الله سبحانه- وله المثل الأعلى- ثبت بالعقل، لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه، وإتقان أفعاله.
وأرسل هذا الفصل إلى السلطان مع بعض خواصه. قال: فحكى لي أنه أعادهُ عليه فاستحسنه، وهش إليه، ولعن أولئك، وكشف إليه ما يقولون له.
وكتب ابن عقيل أيضًا مرة إلى أبي شجاع، وزير الخليفة المقتدي.
كان ديناً كثير التعبد، لكن كانت به وسوسة في عباداته: أما بعد، فإن أجل تحصيل عند العقلاء، بإجماع العلماء: الوقتُ، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص. فالتكاليف كثيرة، والآداب خاطفة. وأقلّ متَعَبدٍ به الماء. ومن اطلع على أسرار الشريعة علم قدر التخفيف.
فمن ذلك قوله: "صُبوا على بول الأعرابي ذنوبًا من الماء".
وقوله في المني: "أمطه عنك".
وقوله في الخف: "طهوره أن تدلكه بالأرض". وفي ذيل المرأة: "يطهره ما بعده".
وقوله: "يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام". و "كان يحمل بنت أبي العاص في الصلاة".
ونهى الراعي في إعلام السائل عن الماء وما يرده، وقال: "يا صاحب الميزاب لا تخبره"، فإن خطر بالبال نوعُ احتياط في الطهارة، كالاحتياط في غيرها في مراعاة الإطالة، وغيبوبة الشمس، والزكاة، فإنه يفوتُ من الأعمال ما لا يفي به الاحتياط في الماء، الذي أصله الطهارة.

وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي وركب الحمار وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء. وقد توضأ من سقاية المسجد. ومعلوم حال الأعراب الذين بان من أحدهم الإقدام على البول في المسجد. وتوضأ من جرة نصرانية وما احترز تعليمًا لنا وتشريعًا. وأعلمنا أن الماء أصله الطهارة. وتوضأ من غدير كان ماؤه نقاعة الحناء.
فأما قوله: "تنزهوا من البول" فإن للتنزه حدًا معلومًا. فأما الاستشعار: فإنه إذا نما وانقطع الوقت، ولا يقتضي مثله الشرع.
وكتب ابن عقيل غير مَرّة إلى قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني رسائل تتضمن توبيخه على تقصير وقع منه في حقّه. وفيها كلام خشن وعتاب غليظ.
ولما دخل السلطان جلال الدولة إلى بغداد، ومعه وزيره نظام الملك، سنة أربع وثمانين، قال النظام: أريدُ أن أستدعي بهم، وأسألهم عن مذهبهم، فقد قيل: إنهم مجسمة- يعني: الحنابلة.
قال ابن عقيل: فأحببتُ أن أصوغ لهم كلامًا يجوز أن يقال إذًا، فقلت: ينبغي لهؤلاء الجماعة أن يُسألوا عن صاحبنا؟ فإذا أجمعوا على حفظه لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، إلا ما كان للرأي فيه مدخل من الحوادث الفقهية، فنحن على مذهب ذلك الرجل الذي أجمعوا على تعديله، على أنهم على مَذهب قوم أجمعنا على سلامتهم من البدعة. فإن وافقوا على أننا على مذهبه فقد أجمعوا على سلامتنا معه؟ لأن متبع السليم سليم. وإن ادّعوا علينا أنّا تركنا مذهبه، وتمذهبنا بما يخالف الفقهاء، فليذكروا ذلك ليكون الجواب بحسبه. وإن قالوا: أحمد ما شبَّه وأنتم ما شبَّهتم، قلنا: الشافعي لم يكن أشعريًّا، وأنتم أشعرية. فإن كان مكذوبًا عليكم فقد كذب علينا. ونحن نفزع من التأويل مع نفي التشبيه، فلا يُعَاب علينا إلا ترك الخوض والبحث وليس بطريقة السلف. ثم ما يريد الطاعنون علينا، ونحن لا نزاحمهم على طلب الدنيا.
وفي هذه السنة المذكور: توفي أبو طاهر بن علك. وكان من صدر الشافعية، وأكابر المتمولين. فشيّعه نظام الملك وأرباب الدولة. ودفن بتربة أبي إسحاق الشيرازي، وجاء السلطان إلى القبر بعد دفنه.
قال ابن عقيل: جلستُ إلى جانب نظام الملك، بتربة أبي إسحاق، والملوك قيامٌ بين يديه، واجترأتُ على ذلك بالعلم. وكان جالسًا

للتعزية بابن علك. ولما بويع المستظهر حضر ابن عقيل مع الغزالي والشاشي للمبايعة. فلما توفي المستظهر غسله ابن عقيل مع الشيبي.
قال ابن عقيل: ولما تولد المسترشد تلقاني من المستخدمين يقول كل واحد منهم: قد طلبك مولانا أمير المؤمنين. فلما صرت بالحضرة، وقال لي قاضي القضاة- وهو قائم بين يديه-: طلبك مولانا أمير المؤمنين ثلاث مرات، فقلت: ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس. ثم مددتُ يدي فبسط لي يده الشريفة، فصافحته بعد السلام، وبايعتُ، فقلتُ: أبايعُ سيّدنا ومولانا أميرَ المؤمنين المسترشد باللّه على كتاب اللّه وسنة رسوله، وسنّة الخلفاء الراشدين، ما أطاق واستطاع، وعلى الطاعة مني.
وكان ابن عقيل رحمه الله من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم. وكان خبيرًا بالكلام، مطلعًا على مذاهب المتكلمين. وله بعد ذلك في ذم الكلام وأهله شيء كثير، كما ذكر ابن الجوزي وغيره عنه أنه قال: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا، ما عرفوا الجوهر والعَرض. فإن رضيتَ أن تكون مثلهم فكن، وإنْ رأيتَ أنَّ طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر، فبئس ما رأيتَ.
وذُكر عنه أنه قال: لقد بالغتُ في الأصول طول عمري، ثم عدتُ القهقرى إلى مذهب المكتب.
وقد حكى هذا عنه القرطبي في شرح مسلم. وله من الكلام في السنة والانتصار لها، والرد على المتكلمين شيء كثير. وقد صنّف في ذلك مصنفًا.
وقرأتُ بخط الحافظ أبي محمد البرزالي قال: قرأتُ بخط الحافظ ضياء الدين المقدسي، قال: كتب بعضُهم إلى أبي الوفاء بن عقيل يقول له: صِف لي أصحابَ الإمام أحمد على ما عرفتمن الإنصاف. فكتب إليه يقول: هُم قوْم خُشُنٌ ، تقَلّصتْ أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجدّ، وقلَّ عندهم الهزل، وغربتْ نفوسهم عن ذل المراءاة، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات، وتمسكوا بالظاهر تحرّجًا عن التأويل، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة، فلم يدققوا في العلوم الغامضة، بل دققوا في الورع، وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها، من خشية باريها. لم أحفظ على أحد منهم تشبيهًا، إنما غلبت

عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار، من غير تأويل ولا إنكار. والله يعلم أنني لا أعتقد في الإسلام طائفة محقة، خالية من البدع، سوى من سلك هذا الطريق. والسلام.
وكان رحمه اللّه بارعًا في الفقه وأصوله.- وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، وتحريرات كثيرة مستحسنة. وكانت له يد طولى في الوعظ، والمعارف. وكلامه في ذلك حسن، وأكثره مستنبطٌ من النصوص الشرعية، فيستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة وإشارات دقيقة.
ومن معاني كلامه يستمدّ أبو الفرج بن الجوزي في الوعظ.
فمن ذلك ما قاله في الفنون: لقد عظم الله سبحانه الحيوان، لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، وخوف الضرر على نفسه، فقال: "إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان" النحل: 106.
من قدَّم حرمة نفسك على حرمته، حتى أباحك أن تتوقى وتحامي عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لحقيق أن تعظم شعائره، وتقر أوامره، وزواجره.
وعصم عرضك بإيجاب الحدّ بقذفك، وعَصَم مالك بقطع مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقًا عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدًّا لرمقك، وحفظًا لصحتك، وزجرك عن مضارك بحد عاجلٍ، ووعيد آجل، وَخَرق العوائد لأجلك، أنزل الكتب إليك. أيحسن بك- مع هذا الإكرام- أن تُرى على ما نهاك منهمكًا، وعما أمرك متنكبًا، وعن داعيه معرضًا، ولسنته هاجرًا، ولداعي عدوك فيه مطيعًا؟ يعظمك وهُوَ هُو، وتهمل أمره وأنت أنت. هو حط رتب عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجُدها لك. هل عاديتَ خادمًا طالتْ خدمته لك لترك صلاة. هل نفيته من دارك للإخلال بفرض، أو لارتكاب نهي. فإن لم تعترف العبيد للموالي، فلا أقل من أن تقتضي نفسك للحق سبحانهُ، اقتضاء المساوي المكافي.
ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا يكون بحضرة الحق، وملائكةُ السماء سجودٌ له، تترامى به الأحوال والجهالات بالمبدأ والمآل، إلى أن يوجد ساجدًا لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمسٍ أو لقمر، أو لصورة ثور خار، أو لطائر صفرة ما أوحش زوال النعم، وتغيّر الأحوال، والجَوْرَ بعد الكور!.

لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوان أن يُرى إلا عابدًا للّه في دار التكليف، أو مجاورًا لله في دار الجزاء والتشريف. وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير مواضعها.
ومن كلامه في تقرير البعث والمعاد: واللّه لا أقنع من الله سبحانه بهذه اللمحة التي مزجت بالعلاقم، ولا أقنع من الأبدي السَّرمدي ولا يليق بذا الكرم إلا إدامة النعم. والله ما لوّح إلا وقد أعدّ ما تخافه الآمال. وما قدح أحدٌ في كمال جود الخالق وإنعامه بأكثر من جحده البعث مع تشريف النفوس، وتعليق القلوب بالإعادة، والجزاء على الأعمال الشاقة، التي هجر القوم فيها اللذات، فصبروا على البلاءة طمعًا في العطاء.
قال: ويَدُلُّ على أنّ لنا إعادةً تتضمن بقاءً دائمًا، وعيشًا سالمًا: أن أصح الدلالة قد دلّت على كمال البارىء سبحانه وتعالى، وخروجه عن النقائص. وقد استقرينا أفعالَه، فرأيناهُ قد أعدّ كل شيء لشيء. فالسمعُ للمسموعات، والعين للمبصرات، والأسنان للطحن، والمنخران للشمّ، والمعدة لطبخ الطعام. وقد بقي للنفس غرض قد عجن في طينها: وهو البقاء بغير انقطاع، وبلوغ الأغراض من غير أذى. وقد عدمت النفس ذلك في الدنيا. ثم إنا نرى طالما لم يقابل ولا تقتضي الحكمة لذلك. فينبغي أن يكون لها ذلك في دار أخرى.
قال: ولأنظر إلى صُورة البلى في القبور، فكم من بداية خالفتها النهاية. فإن بداية الآدمي والطير ماء مُسَخَّن مستقذَرٌ ، ومبادي النبات حَبٌّ عَفِن، ثم يخرج الآدمي والطاوس. وكذلك خروجُ الموتى بعد البلى.
قال: وبينا أنا نائم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، لاحت لي مقبرة، وكأن قائلاً يقول: هذه خيم البلى، على باب الرجاء وعلى الوفاء.
قال: وهذا الإلقاء من الله تعالى لكثرة لهجي بالبعث، وتشوفي إلى الاجتماع بالسلف النطاف، وتبرمي من مخالطة السفساف.
وكان ابن عقيل يقول: لا يعظم عندكَ بَذْلُك نفسك في ذاتِ الله فهي التي بذلتها بالأمس في حب مغنية، وهوى أمرد، وخاطرتَ بها في الأسفار لأجل زيادة الدنيا. فلما جئت إلى طاعة الله تعالى عظمت ما بذلتَه، والله ما يحسن بذل النفس إلا لمن إذا أباد أعاد، وإذا أعاد أفاد، وإذا أفاد خلد فائدته على الآباد. وذاك الله الذي يحسن فيه بذل النفوس، وإبانة الرءوس. أليس هو القائل: "وَلاَ تَحْسَبَن الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا" آل عمران: 170.

سَمع ابن عقيل الحديث الكثير من أبي بكر بن بشران، وأبي الفتح بن شيطا، وأبي الحسن التوزي، وأبي محمد الجوهري، وأبي طالب العشاري، والقاضي أبي يعلى، وأبي على المباركي، وغيرهم.
وحدث، وروى عنه ابن ناصر، وعمر بن ظفر المغازلي، وأبو المعمر الأنصاري، وأبو الرضى الفارسي وأبو القاسم الناصحي وأبو المظفر السَّنجيّ وأبو الفتح محمد بن يحيى البرداني، وغيرهم. وأجاز لأبي سعد بن السمعاني الحافظ، وعبد الحق اليوسفي، ويحيى بن بوش.
أنبأتنا زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم عن علي بن عبد اللطيف الدينوري، عن أبي الحسين بن عبد الحق بن عبد الخالق، أخبرنا أبو الوفاء علي بن عقيل الإمام، أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح، أخبرنا محمود بن عمر العكبري، أخبرنا أبو بكر بن محب إجازة، حدثنا أبو حفص الجوهري، حدثنا أبو أحمد بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن محمد الأنماطي- الذي كان ينزل سامرَّا- أخبرنا أحمد بن نصر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله مَنْ تركت لنا في عصرنا هذا ممن يُقتدى به. قال: عليكم بأحمد بن حنبل.
ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلم.
وأكبر تصانيفه: كتاب "الفنون" وهو كتاب كبير جدًا، فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ، والتفسير، والفقه، والأصلين، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والحكايات. وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره قَيَّدَها فيه.
وقال ابن الجوزي: وهذا الكتاب مائتا مجلد. وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة.
وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره. قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعتُ الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول: وقفتُ على السَّفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون.
وقال الحافظ الذهبي في تاريخه: لم يُصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة.
قلتُ: وأخبرني أبو حفص عمر بن علي القزويني ببغداد، قال: سمعتُ بعض مشايخنا يقول: هو ثمانمائة مجلدة.
وله في الفقه كتاب "الفصول"، ويُسمى "كفاية المفتي" في عشر مجلدات، كتاب "عمدة الأدلة"، كتاب "المفردات"، كتاب "المجالس النظريات"، كتاب "التذكرة" مجلد، كتابُ "الإشارة" مجلد لطيف،

وهو مختصر كتاب "الروايتين والوجهين"، كتاب "المنثور".
وفي الأصلين كتاب "الإرشاد في أصول الدين"، وكتاب "الواضح في أصول الفقه"، و "الانتصار لأهل الحديث"، مجلد، "نفي التشبيه"، "مسألة في الحرف والصوت"، جزء، "مسائل مشكلة في آيات من القرآن" وأحاديث سُئل عنها فأجاب. وله كتاب "تهذيب النفس"، "تفضيل العبادات على نعيم الجنات".
وكان ابن عقيل كثير التعظيم للإمام أحمد وأصحابه، والرد على مخالفيهم.
ومن كلامه في ذلك: ومن عجيب ما نسمعه من هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه، لكنه مُحَدِّث. وهذا غاية الجهل لأنه قد خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم. وخرج عنه من دقيق الفقه ما لا تراه لأحد منهم. وذكر مسائل من كلام أحمد، ثم قال: وما يقصد هذا إلا مبتدع، قد تمزق فؤاده من خمود كلمته، وانتشار علم أحمد، حتى إن أكثر العلماء يقولون: أصلي أصلُ أحمد، وفرعي فرع فلان. فحسبك بمن يرضى به في الأصول قدوة.
وكان يقول: هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات. فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم. فأما أصحاب أحمد: فإنه قل فيهم من تعلق بطرفٍ من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم.
وكان مع ذلك يتكلم كثيرًا بلسان الاجتهاد والترجيح، واتباع الدليل الذي يظهر له ويقول: الواجب اتباع الدليل، لا اتباع أحمد.
وكان يخونه قلة بضاعته في الحديث. فلو كان متضلعًا من الحديث والآثار، ومتوسعًا في علومهما لكملتْ له أدوات الاجتهاد.
وكان اجتماعه بأبي بكر الخطيب، ومن كان في وقته من أئمة الحفاظ، كأبي نصر بن ماكولا، والحميدي، وغيرهم أولى وأنفع له من الاجتماع بابن الوليد وابن التبان. وتركه لمجالسة مثل هؤلاء هو الذي حرمه علمًا نافعًا في الحقيقة. ولكن الكمال لله.
وله مسائل كثيرة ينفرد بها، ويخالف فيها المذهب. وقد يخالفه في بعض تصانيفه، ويوافقه في بعضها، فإن نظره كثيرًا يختلف، واجتهاده يتنوع.

وكان يقول: عندي أن من أكبر فضائل المجتهد: أن يتردد في الحكم عند تردد الحجة والشبهة فيه. وإذا وقف على أحد المترددين دلّه على أنه ما عرف الشبهة، ومن لا تعترضه شبهة لا تصفو لي حجة. وكل قلب لا يقرعه التردد، فإنما يظهر فيه التقليد والجمود على ما يقال له ويسمع من غيره.
فمن المسائل التي تفرَّد بها: أن النساء لا يجوز لهن استعمال الحرير في اللبس دون الافتراش والاستناد. ذكره في الفنون.
ومنها: أن صلاة الغد تصح في صلاة الجنازة خاصة. وهو معروف عنه.
ومنها: أن الربا لا يجري إلاّ في الأعيان الستة المنصوص عليها. ذكره في نظرياته.
ومنها: أن الوقف لا يجوز بيعه، وإن خرِب وتعطل نفعه. وله في ذلك كلام في جزء مفرد.
ومنها: أن الأب ليس له أن يتملك من مال ولده ما شاء، مع عدم حاجته ذكره في الفصول في كتاب النكاح.
ومنها: أن المشروع في عطية الأولاد: التسوية بين الذكور والإناث. ذكره في الفنون.
ومنها: أنه يجوز استئجار الشجر المثمر تبعًا للأرض لمشقة التفريق بينهما. حكاه عنه الشيخ تقي الدين بن تيمية.
ومنها: أنه لا يجوز أن يؤخذ العشر من تجار أهل الحرب ولا أهل الذمة، إذا اتجروا في بلاد الإسلام، إلا بشرطٍ أو تراضٍ. ذكره في فنونه.
وقد حكى القاضي في شرحه الصغير رواية عن أحمد كذلك. ذكرها ابن تميم لكنها غريبة جدًا.
ومنها: إذا حلف على فعل يتعلق بعين معينة، فتغيرت صفاتها بما يزيل اسمها: لم يتعلق الحنثُ بها على هذه الحال مطلقًا.
ومنها: أنه لا يجوز وَطء المكاتبة، وإن اشترط وطأها في عقد الكتابة. وحكاه في مفرداته رواية.
ومنها: أنه لا زكاة في حليّ المواشط المعد للكراء. ذكره في "عمدة الأدلة" وخرج من قول الأصحاب بالوجوب وجهًا يوجب الزكاة في سائر ما يعد للكراء من الأملاك، من عقارٍ وغيره.
ومنها: أن الزروع والثمار التي تسقى بماء نجسٍ طاهرة مُباحة، وإن لم تسقَ بعده بماء طاهر.

ومنها: أن الزوجة إذا كانت نِضوة الخُلق لا يُمكن وطأها إلا بجناية عليها: فإنه يملك فسخ نكاحها بذلك.
ومنها: أن الإمام لا يمتنع من الصلاة على الغالّ، ولا على من قتل نفسه، وأن امتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهما كان من خصائصه.
ومنها: تحريم الاستمناء بكل حال. وحكاه رواية.
ومنها: أنه يجب الحد بقذف العبد العفيف كالحرّ. ذكره في مفرداته.
ومن المسائل الغريبة التي ذكرها ابن عقيل: مسألة في الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على ولديهما: فهل تكون الكفارة على الأم من مالها، أو بينها وبين من تلزمه نفقته. ذكر في الفنون: فيها احتمال.
قال: والأشبه أنه على الأم لأنها هي المرتفقة بالإفطار لاستضرارها، وتغير لبنها، والولد تبع لها.
قال: ولأنه لو كان الطفل معتبرًا في إيجاب التكفير لكان على كل واحدٍ منهما كفارة تامة، كالجماع في رمضان، وكالمشتركين في قتل الصيد، على أصح الروايتين.
قلتُ: وهذا ضعيف فإن المشتركين في الجماع كل منهما أفسد صومه والمشتركين في القتل كل منهما جنى على إجرامه، فهما متساويان في الجناية، بخلاف الطفل والأم ههنا.
وذكر أيضًا في الفنون: قال: سأل سائل عن قائل قال: والله لا رددت سائلاً- أو قال: للّه عليّ لا رددت سائلاً- وليس يتسع حاله لذلك، وإن اعتمد ذلك لم يبقَ له وقت لعمل ولا لتجارة، ولو كان له مال يفي، فكيف ولا مال يفي، ولا وقت يتسع لذلك مع كثرة السؤال؟ فأجاب حنبلي: بأن هذا قياس قولنا فيمن نفر أن يتصدق بجميع ماله: فإنه في اليمين مخيّر بين الثلث، وكفارة يمين. وفي النذر: يلزمه أن يتصدق بثلث ماله، فيجب أن يتصدق بثلث ما يتحصل له، مما يزيد على حاجته. وإن لم يتحصل له ما يحتاج إليه: لم يدخل تحت نذره لزومُه التصدق به، ويكفر كفارة يمين.
قال قائل: يشتري بُرًّا أو حَبَّ رُمان، ويُعطي كل سائل حبة من ذلك؟ قال له الحنبلي: هذا لا يجيء على أصلنا لأنا نعتبر المقاصد في الأيمان والنذور، والقصد: أن لا يردّ سائلاً عن سؤاله. وحبة رمان وحبة بر ليست سؤال السائل، فإعطاؤه كردِّه.
وقال حنبلي: يحتمل أن يصح خروجه من نذره بِبَرّة بُرّ أنَّا قد علّقنا

حكم الربا على برة ببرتين. وما علق عليه الشرع مأثمًا، فأحرى أن يعلق عليه ما يحصل به الثواب.
وقول عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اتَّقُوا النارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمرَة" يعضد القول بالتصدق بالبرَّة.
وقال حنبلي آخر: بل إذا لم يجد شيئًا أصلاً وَعَدَ، فكانت العِدة مخلصة له من الردّ. فإن الردَّ لا يتحقق مع العِدة. ألا ترى أن من وَعَد بزكاة ماله للساعي لا يستحق القتال، ولا التغرير، ولا يأثم؟ ولا يقال: إنه ردَّ الساعي ولا المطالب بدينه، ولا الفقير. وللحديث الذي جاء: "العِدَةُ دَيْنٌ" وهذه العدة نافعة في منع الحنث، من حيث إنها لا تقف مع العزم على الإعطاء على التوفية، بل من وعد فعزم أنه متى حصل له مال أعطى السائل ما سأله فما ردّه. والله أعلم.
ومن غرائب ابن عقيل: أنه اختار وجوب الرضى بقضاء الله تعالى في الأمراض والمصائب. ذكره في مواضع من كلامه. لكنه فسر الرضى في الفنون: بأنه الرضى عن الله تعالى بها، ثقة بحكمه وإن كانت مؤلمة للطبع، كما لا يبغض الطبيب عند بطء الدمّل وفتح العروق. وليس المراد هشاشة النفس وانشراحها لها، فإن هذا عنده مستحيل.
وصَرَّح بأنه لم يحصل للأنبياء. كذا قال. وهو فاسد
واختار: أن النهار أفضل من الليل.
واختار: أنه لا تجوز الصلاة على القبر في شيء من أوقات النهي، بخلاف الصلاة على الجنازة. وخالفه بعض مشايخ أصحابنا في زمنه.
ومن كلامه الحسن: أنهُ وَعظ يومًا فقال: يا من يجد في قلبه قسوة، احذر أن تكون نقضت عهداً فإن اللّه تعالى يقول: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُم لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَة" 5: 15.
وسُئِلَ فقيل له: ما تقول في عزلة الجاهل؟ فقال: خبال ووبال، تضره ولا تنفعه.
فقيل له: فعزلة العالم؟ قال: مَا لَك ولها، معها حِذَاؤها وسِقاؤُها: ترد الماء وترعى الشجر، إلى أن يلقاها ربها.
ومن كلامه في صفة الأرض أيام الربيع: إن الأرض أهدتْ إلى السماء غبرتها بترقية الغيوم، فكستها السماء زهرتها من الكواكب والنجوم.
وقال: كأنَ الأرض أيام زهرتها مرآة السماء في انطباع صورتها.

قال ابن النجار: قرأتُ في كتاب أبي نصر المعمر بن محمد بن الحسن البيع بخطه، وأنبأنا عنه أبو القاسم الأزجي، قال: أنشدنا أبو الوفاء عليّ بن عقيل بن محمد بن عقيل الحنبليّ لنفسه:

يقولون لي: ما بال جسمك ناحلٌ ... ودمعك من آماق عينيك هاطلُ.
وما بال لون الجسم بدلّ صفرةً ... كان محمرًّا فلونك حائلُ.
فقلتُ: سقامًا حلّ في باطن الحشا ... ولوعة قلب بلبلته البلابلُ
لمثلي أن يبين لناظري ... ولكنني للعالمين أُجاملُ
فلا تغترْ يوماً ببشري وظاهري ... باطن قد قطّعته النوازلُ
أنا إلا كالزناد تضمّنها ... ولكنّ اللهيبَ مُداخلُ
إذا حُمل المرء الذي فوق يرى ... طوره عن قريب من تجلد عاطلُ
لعمري إذا كان التجمّل كيفما ... يكون كذا بين الأنام مجامِلُ
فأما الذي أثنى له الدهر عطفه ... ولان له وعر الأمور مواصلُ
بألطاف قربٍ يسهل الصعب عندها ... وينعم فيها بالذي كان يأملُ
رخيّ البال من كل علقةٍ ... وقد صميت منه الكَلا والمفاصلُ

توفي أبو الوفاء بن عقيل رحمه اللّه بكرة الجمعة، ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاثة عشرة وخمسمائة- وقيل: توفي سادس عشر الشهر- والأول أصح. وصُلي عليه في جامعي القصر والمنصور. وكان الإمام عليه في جامع القصر ابن شافع. وكان الجمعُ يفوت الإحصاء.

قال ابن ناصر: حزَرْتُهم بثلاثمائة ألف. ودُفن في دكة قبر الإمام أحمد رضي الله عنه. وقبره ظاهر رضي اللّه عنه. فما كان في مذهبنا أحدٌ مثله. آخر كلام ابن ناصر.

وذكر المبارك بن كامل الخفاف: أنه جرت فتنة- يعني: على حمله- قال: وتجارَحُوا، وقال الشيخ مطيع: كفن ونطع.

قال ابن الجوزي: حدثني بعض الأشياخ: أنه لما احتضر ابن عقيل، بكى النساء.
فقال: قد وقعت عنه خمسين سنة، فدعوني أتهنا بلقائه.

قال بن السمعاني، أنشدني، الإمام أبو المحاسن مسعود بن محمد بن غانم الأديب الغانمي لنفسه يمدح الإمام أبا الوفاء بن عقيل:

لعليّ بن عقـيل الـبـغـدادي لفرق الفرقدين محـاذي
كان ينصر أحمدًا خير الورىوكلامه أحـلـى مـن الأَزاذ
تلهّب في الجدال فعنسبحان فيه في التجارب هذي
أخرجت بغداد فحلاً مثـلـهُلّه در الفاضل الـبـغـدادي
مضى لسبيله مع عصـبةٍانوا لدين الحق خـير مـلاذِ

وقد قرأ على ابن عقيل الفقه الأصول خلقٌ من أصحابنا، يأتي ذكرهم في مواضعهم إن شاء الله تعالى من الطبقة التي بعد هذه.

وممن قرأ عليه أبو الفتح بن برهان الأصولي، صاحب التصانيف في الأصول، ومدرّس النظامية. وكان أولاً حنبليًا، ثم انتقل لجفاء أصحابنا له.

وكان لابن عقيل ولدان ماتا في حياته: أحدهما:

أبو الحسن عقيل:

كان في غاية الحسن. وكان شابًا، فهمًا، ذا خط حسن.
قال ابن القطيعي: حكى والده أنه وُلد ليلة حادي عشر رمضان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.
وذكر غيره: أنه سمع من هبة الله بن عبد الرزاق الأنصاري، وعلي بن حسين بن أيوب، وغيرهما، وتفقه على أبيه، وناظر في الأصول والفروع.
وسمع الحديث الكثير، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني، فقبل قوله. وكان فقيهًا فاضلاً يفهم المعاني جيدًا، ويقول الشعر. وكان يشهد مجلس الحكم، ويحضر المواكب.
وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء، منتصف محرم سنة عشر

وخمسمائة. وصُلي عليه يوم الأربعاء. كذا ذكر ابن شافع وغيره. وفي تاريخ ابن المنادي: أنه توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. ودُفن يوم السبت بدكة الإمام أحمد.

فعلى هذا: تكون وفاته قبل والده بشهرٍ واحد. ولا أظن هذا إلا غلطًا. وكان له من العمر سبع وعشرون سنة. ودفن في داره بالظفرية، فلما مات أبوه نُقل إلى دكة الإمام أحمد رضي الله عنه.

قال والده: مات ولدي عقيل. وكان قد تفقه وناظر وجمع أدباً حسناً فتَعَزّيتُ بقصة عمرو بن عبد ودّ الذي قتله علي رضي الله عنه، فقالت أمه ترثيه:

كان قاتل عمرو غير قاتلهزلتُ أبكي عليه دائم الأبدِ
لكن قاتله مـن لا يقـاد بـهكان يُدعى أبوه بيضة البلدِ

فأسلاها، وعزاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرتُ إلى قاتل ولدي الحكيم المالك، فهان عليَّ القتل والمقتول لجلالة القاتل.

وذكر عن الإمام أبي الوفاء: أنه كب عليه وقبَّله، وهو في أكفانه. وقال: يا بُنَيَّ، استودعتُك الله الذي لا تضيع ودائعه. الربُ خيرٌ لك مني. ثم مضى، وصلى عليه بجنان ثابت. رحمه الله.

ومن شعر عقيل هذا:

شاقَهُ والشوقُ مـن غـيرِهْ طللٌ عـافٍ سـوى أثـرِهْ
مقـفـرٌ إلا مَـعـالـمُـهُواكف بالودق من مطـرِهْ
فانثنى والدمعُ مـنـهـمـلٌكانسلال السِلك عـن دررِهْ
كشحاً عـلـى نُـوَبٍسبحات لَسْنَ مـن وَطَـرِهْ
رحلة الأحباب عـن وطـرٍوحُلولُ الشيب في شعـرِهْ
شِيَمٌ لـلـدهـر سـالـفةٍ مستبيناتٌ لـمـخـتـبـرِهْ
وقبول الدر مـبـسـمـهـا أبلج يفترّ عـن خَـضِـرِهْ
هزَّ عطفيها الشبابُ كمالس غصنُ البان في شجرِهْ
ذاتُ فرع فوق ملـتـمـع كدجى أبدي سنـا قـمـرِهْ
وبـنـان زانـه تـــرفٌذاده التسليم عـن خَـفَـرِهْ
خَصْرُها يشكـو روادفـهكاشتكاء الصبُّ من سهـرِهْ
نَصبت قلبي لهـا غـرضـاً فهو مصميّ بمـعـتـورِهْ
وزهتْ تيهـاً كـأن لـهـا منبتاً تزهى بمـفـتـخـرهْ

وأناختْ في فـنـا مـلـكدَنتِ الأخطارُ عن خَطَـرِهْ

والآخر:

أبو منصور هبة الله:

ولد في ذي الحجة سنة أربع وسبعين وأربعمائة. وحفظ القرآن وتفقه وظهر منه أشياء تدل على عقل غرير، ودين عظيم. ثم مرض وطال مرضه، وأنفق عليه أبوه مالاً في المرض، وبالغ.
قال أبو الوفاء: قال لي ابني، لما تقارب أجله: يا سيدي قد أنفقتَ وبالغتَ في الأدوية، والطب، والأدعية، ولله تعالى في اختيارٌ، فدعني مع اختياره. قال: فوالله ما أنطق الله سبحانه وتعالى ولدي بهذه المقالة التي تشاكل قول إسحاق لإبراهيم: "افعَل مَا تُؤمَرُ" الصافات: 103، إلاّ وقد اختاره الله تعالى للحظوة.
توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وله نحو أربع عشرة سنة.
وحمل أبو الوفا رحمه الله في نفسه من شدة الألم أمرًا عظيمًا، ولكنه تصبَّر، ولم يظهر منه جزع. وكان يقول: لولا أن القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين.
وقال في آخر عمره- وقد دخل في عشر التسعين، وذكر من رأى في زمانه من السادات من مشايخه وأقرانه، وغيرهم-: قد حمدتُ ربي إذْ أخرجني ولم يبق لي مرغوب فيه، فكفاني صحبة التأسف على ما يفوت لأن التخلف مع غير الأمثال عذاب. وإنما هوّن فقداني للسادات نظري إلى الإعادة بعين اليقين وثقتي إلى وعد المبدىء لهم، فلكأني أسمع داعي البعث قد دعا، كما سمعتُ ناعيهم وَقَد نعى. حاشا المبدىء لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من الوجود بتلك الأيام اليسيرة، المشوبة بأنواع التنغيص وهو المالك. لا والله، لا قنع لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه: نعيم بلا ثبور، وبقاء بلا موت، واجتماع بلا فرقة، ولدات بغير نغصة.

المبارك بن علي بن الحسين بن بندار البغدادي المخرّمِي

الفقيه القاضي، أبو سعد قاضي باب الأزج: ولد في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة.

وسمع الحديث من القاضي أبي يعلى، وأبي الحسين بن المهتدي، وأبي جعفر بن المسلمة، وجابر بن ياسين، والصريفيني، وابن المأمون، وابن النقور.
وسمع من القاضي أبي يعلى شيئًا من الفقه، ثم تفقه على صاحبه الشريف أبي جعفر، ثم القاضي يعقوب البَرْزَبيني. وأفتى ودرّس وناظر، وجمع كتبًا كثيرة لم يسبق إلى جمع مثلها. وشهد عند أبي الحسن الدامغاني في سنة تسع وثمانين، ثم ناب في القضاء. وكان حسن السيرة، جميل الطريقة، سديد الأقضية، وبنى مدرسة بباب الأزج، ثم عزل عن القضاء في سنة إحدى عشرة، ووكل به في الديوان على حساب وقوف الترب، فأدى مالاً.
ثم توفي في ثاني عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. ودُفن إلى جانب أبي بكر الخلال عند رجلي الإمام أحمد رضي الله عنه.
ذكر هذا كله أبو الفرج في تاريخه.
وقال أبو الحسين: تُوفي ليلة الجمعة ثاني عشر المحرم. ودُفن يوم الجمعة. قبل الصلاة. وصُلي عليه في عدة مواضع.
قال: وكان مليح المناظرة، سيرته جميلة، وعشرته مليحة. وكان بيني وبينه امتراج، واجتمعنا في مجلس الشريف للدرس. غفر اللّه له.
وفي تاريخ القضاة للميداني: أنه توفي ليلة الأحد رابع عشر محرم. وهو وهم.
و "المخرّمي" بكسر الراء- منسوب إلى المخرّم: محلة ببغداد شرقيها. نزلها بعض ولد يزيد بن المخرم، فنسبت إليه. ذكره المنذري.
والمدرسة المذكورة التي بناها: هي المنسوبة الآن إلى تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلي لأنه وسعها وسكن بها، فعُرفت به.
وللمخرّمي ذرية فيهم شيوخ تصوف، ورؤساء ذوو ولايات، ورواة حديث.
ولأبي سعد المخرمي مع ابن عقيل مناظرة في مسألة بيع الوقف إذا خرب وتعطل. ونحن نذكر مضمون المناظرة ملخصًا: قال ابن عقيل: أنا أخالف صاحبي في هذه ة لدليل عرض لي، وهو أنَّ الباقي بعد التعطل والدروس صالح لوقوع البيع وابتداء الوقف عليه، فإنه يصحُ وقف هذه الأرض العاطلة ابتداء، فالدوام أولى. ألا ترى أن الرّدَّة والعدة يمنعان ابتداء النكاح، ولا يمنعان دوامه؟ اعترض عليه

المخرَّمي، فقال: يحتمل أن لا أسلم ما عولت عليه في صحة إنشاء وقفها، بل لا يصح وقف ما يجب نقله؟ قال ابن عقيل: هذا لا يجوز أن يقال جملة، فإنك تقول: تباع ويُصرف ثمنها في وقف آخر. فهذه المالية التي قبلت البيع، وهو عقد معاوضة مستأنف كيف لا يصلح لبقاء دوام عقد قد انعقد بشروطه؟ وكثر ما يقدر أن المسجد بقي في بَريَّة، فيصالح لصلاة المارة والقوافل، ويصحّ أن يستأجر البقعة أهلُ قافلة لإيقاف دوابهم، وطرح رحالهم، وهذا القدر من بقاء مالية الأصل والمنافع، وقبلها للعقود المستجدة، لا يجوز معه قطع دوام الوقف.
قلتُ: هذا ليس بجوابٍ لما قاله المخرَّمي من منع صحة إنشاء وقفها، فإن أكثر ما يفيد هذا: أن وقفيتها لم تزل بالخراب، والمخرمي موافق على ذلك، ولكنه يقول: إنه يجوز أو يجبُ بيعها وصرف ثمنها إلى مثلها، وهذا شيء آخر. ولم يستدل ابن عقيل على صحة إنشاء وقفها.
فإن قال: فإذا صح إنشاء عقد البيع عليها صح إنشاء الوقف.
قلنا: هذا ممنوع، فكم من عين يصحّ بيعها، ولا يصح وقفها. فإن الواقف إنما يصح في عين يدوم نفعها مع بقائها. ولو جاز وقفُ ما يجب بيعه ونقله لجاز بيع وقف المطعومات ونحوها، وتباع ويصرف ثمنها في غيرها. ثم يقال: إذا وقفها ابتداء وهي متعطلة، فإن كان يمكن الانتفاع بها فيما وقفت له كوقف أرض سباخ مسجدًا: صح وقفها.
فإن قيل: مع هذا يُقَر لحاله، ولا يباع فلأنه لم يفقد منه شيء من منافعه الموقوفة. بخلاف المسجد العامر إذا خرب، وإنْ لم يمكن الانتفاع بها فيما وقفتْ له، كفرس زَمِنٍ حُبس للجهاد، فهذا كيف يصح وَقفهُ والمقصود منه مفقود؟ فإنَّ هذا بمنزلة إجازة أرض سَبِخة لنزع، وبعير زَمِن للركوب. وإنْ سلَّمنا صحة إنشاء وقفها، وأنها تباع، ويُصرف ثمنها، فيما ينتفعُ به، كما هو ظاهر كلام أحمد في مسألة السرج الفضية.
وأفتى بمثله جماعة في وقف الستور على المسجد. فهذا حجة لنا، لأن صحة الوقف لما لم تنافِ جواز البيع والإبدال، بل وجوبها في الابتداء، فكذا ينبغي أن يكون في الدوام.
وقوله: وهذا القدر من بقاء المالية لا يجوز معه قطع دوام الوقف دعوى مجردة.

قال المخرمي: فما طلب بالنقل والبيع إلا دوام النفع، فإن نقل الوقف إلى مكان ينتفع به أبقى للنفع.
قال ابن عقيل: إلا أنك لما أسقطت حكم العين والتعيين، وذلك إسقاطٌ، كمراعاة تعيين الواقف. وأحق الناس بمراعاة بقايا المحل أحمدُ. حتى إنه قال: إذا حلف: لا دخلتُ هذا الحمام فصار مسجدًا ودخله، أو لا أكلتُ لحم هذا الجدي فصار تيسًا، أو هذا التمر فاستحال ناطفًا أو خلاً: حنث بكله، فهذا في باب الأيمان.
وفي باب المالية والملك: تزول المالية بموت الشاة، وشدة العصير، ويبقى تخصيصه به بدءًا، بحيث يكون أحق بالجلد دبغًا واستصلاحًا، وبالخمر تخليلاً في رواية. وكذلك الجلاَّلة والماء النجس.
قلت: الإمام أحمد يراعي المعاني في مسائل الأيمان، ومسألة الوقف، فإنَّ الواقف إنما قصد بوقفه دوام الانتفاع بما وقفه، فإذا تعذّر حصول ذلك النفع من تلك العين أبدلناها بغيرها مما يحصل منه ذلك النفع، مراعاة بحصول النفع الموقوف ودوامه به. وهو المقصود الأعظم للواقف، دون خصوصية تلك العين المعينة. وكذلك الحالف قصد الامتناع من تلك العين المحلوف عليها دخولاً وكلاً. وهذا القصد لا يتغير بتبدل صفات تلك العين، فإنَ ذاتها باقية. وهذا أفقه وأحسن مما اختاره ابن عقيلٍ من تعليق الحكم على مجرد الاسم. فراعى العين في صورة الوقف ولم يجز إبدالها، وإن فات المقصود منها لتعلق الوقف بها، وراعى الاسم المعلق به اليمين، فمنع الحنث بتبدله مع بقاء العين، ووجود المعنى الذي قصد اجتنابه باليمين.
وأما مسألة الميتة والخمر وما أشبههما: فهناك عين باقية على اختصاص صاحبها وتحت يده الحكمية لما بقي فيها من المنافع، فلذلك كان أحق بها. كذلك هنا العين باقية على الوقفية، لكن نحن نقول: يجوز إبدالها، والمخالف لم يذكر حجة على منع ذلك.
قال المخرمي: لا يجوز أخذ حكم الدوام من الابتداء، كما لم يجز في باب تملك القريب ذي الرحم المحرم، وكما لم يجز في باب تملك الكافر العبد المسلم بالإرث. فإنه لا يدوم الملك على الأب ولا على المسلم، ويصح ابتداء الملك فيهما، والأضحية المعينة يجوز نقلها إلى ما هو أسمن منها، فيقطع الدوام بالإبدال.
قال ابن عقيل: أما مسألة تملك في الرحم المحرم: فذاك ضد ما نحن فيه لأن ذاك التملك جعل وسيلة الوسائل إلى الأغراض

المقصودة، يعفى فيها عن خلل يدخل وضرر يحصل، كما في مسألة النجاسة باليد، وإزالة المحرم الطيبَ عنه بيده. فالتملك للأب سبب للمجازاة والمكافأة التي نطق بها الشرع، وهي عتقه، ولا يمكنه ذلك في ملك غيره، فصار التملك ضرورة لحريته، إذ لو ملكه ودام ملكه صار مكافأة الشيء بضده لما فيه من إذلاله لأبيه، والمطلوب مكافأته بالإعتاق والإطلاق، واغتفر دخوله في ملكه لحظة لما يعقبه من العزّ الدائم. فهذه علّة انقطاع الدوام هناك وهو ضدّ ما نحن فيه، فإن الموقوف موضوع لدوام الانتفاع، ولهذا لا يصح إلا في محل يبقى على الدوام.
وأما الأضحية: فمن الذي أخبرك أنّي أنصر مذهب أحمد وأبي حنيفة، حتى يلزمني إبدالها بخير منها، على أنها انقطعتْ لجواز المشاركة بالثلث أكلاً للمضحى، وإهداء لثلثها، بخلاف مسألتنا. فههنا إبدال قليلة الانتفاع بأنفع منها لا يجوز. فالأمران مختلفان. والله أعلم.
قلتُ: كان المخرّمي رجع معه، على وجه التنزل، إلى أن الوقف المعطل، وإنْ صحّ ابتداؤه، فلا يلزم منه صحة دوامه، كشراء ذي الرحم، فاستطال ابن عقيل عليه، وقال: المقصودُ من شراء ذي الرحم قطع الدوام بخلاف الوقف. ولكن لا حاجة إلى ما ذكره المخرمي هنا فإن التحقيق في ذلك ما تقدم، وهو أن العين المعطلة إن كان يمكن الانتفاع بها على وجه ما: صحّ وقفها ابتداء ودوامًا، لكن في الدوام تبدل، وإن لم تبدل في الابتداء لما سبق من الفرق. وفي الموضعين الوقف صحيح، لكن جواز الإبدال أو وجوبه أمر زائد على صحة الوقف. ولم يذكر ابن عقيل دليلاً على امتناعه.
وأما إن كانت العين مسلوبة النفع بالكلية: فهذه لا يصح وقفها ابتداء ولا دوامًا، بل تخرج بذلك عن الوقفية، وإن سلم صحة بقائها على الوقفية في الدوام- وهو ظاهر كلام الأصحاب- فلأنه يفتقر في الدوام ما لا يفتقر في الابتداء
وأما الأضحية وتفريقه بينها وبين الوقف بالمشاركة فيها دون الوقف: فالوقف أيضًا قد يدخله المشاركة، بأن يقف على نفسه، أو يقف مسجدًا ويصلي فيه مع الناس، ونحو ذلك.
وأما تفريقه بجواز الإبدال في الأضحية بأنفع منها دون الوقف، فيقال: والوقف فيه رواية أخرى عن أحمد: بجواز الإبدال كالأضحية، فلمن نصر هذا القول أن ينتصر لهذه الرواية، فلا يبقى بينهما فرقٌ. والله أعلم.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الغازي البدليسي أبو الحسن:

أحد الفقهاء الأعيان. اشتغل قديمًا على أبي الحسن الآمدي بآمد، ولازمه وتفقه عليه، وسمع منه الحديث، وبرع في الفقه.
وقد ذكره القاضي أبو الحسين في ترجمة شيخه أبي الحسن.
وشغل الناس، وتفقه عليه طائفة. وأظنه قديم الوفاة.
قرأتُ بخط شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية قال: نقلتُ من خط شيخنا يحيى بن الصيرفي الحراني قال: ذكر الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن سلامة الحراني فيما علقه عن الشيخ أبي الحسن بن الغازي، فقال: وإذا وقع الإناء الذي أصَابه الولوغ في ماء كثير، فهو غسلة واحدة على ظاهر كلام أصحابنا، سواء أكان واقفًا أو جاريًا.
ولا يعتبر لكل غسلة جرية. قال: ويحتمل وجهاً آخر. وهو أن يكون وقوعه في الماء الواقف يحتسب به غسلة واحدة، وفي الماء الجاري يحتسب بكل جرية غسلة. وكلا الوجهين محتملان.
قال: وذكر: إذا مات في الماء ما ليست له نفس سائلة، فإنه لا ينجس ما مات فيه من الماء اليسير والكثير المائع على الظاهر من المذهب.
قال: وفيه رواية أخرى أنه ينجس ما مات فيه. والأول أصح.

الحسن بن محمد العكبري، أبو المواهب:

أحد الفقهاء الأكابر، وله تصانيف في المذهب أظنه من أصحاب القاضي- أو أصحابه القدماء- ووقفت له على رؤوس المسائل، وهي منتخبة من الخلاف الكبير، على طريق أبي جعفر، وأبي الخطاب.
وقد روى عن محمد بن عبد اللّه بن أحمد بن عبد اللّه الخيَّاط العكبري المقرىء حديثًا.
وروى عنه نصر المقدسي. وشيخه العكبري هذا كان من أصحاب ابن بطة فقيهًا.
مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة. ذكره ابن البناء في طبقات الفقهاء.
ورواية نصر المقدسي عن أبي المواهب تدل على تقدم وفاته.

أبو علي بن شهاب العكبري:

صاحب كتاب عيون المسائل، متأخر. ونقل من كلام القاضي وأبي الخطّاب كأنه من ولد ابن شهاب المتقدم. ما وقعت له على ترجمة.

ومن الناس من يظنه الحسن بن شهاب الكاتب الفقيه صاحب ابن بطة. وهو خطأ عظيم.

عبد الوهاب بن حمزة بن عمر البغدادي، الفقيه المعدل، أبو سعد:

وُلد في أحد الربيعين سنة سبع وخمسين وأربعمائة. وسمع من ابن النقور، والصريفيني، وأبي القاسم بن البسري، وأبي عبد الله الحميدي. وتفقه على أبي الخطاب. وأفتى وبرع في الفقه. وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني.

وكان مرضيّ الطريقة جميل السيرة من أهل السنة. وهو شيخ أبي حكيم النهرواني، الذي تفقه عليه. وروى عنه حكاية، ولم يحدث إلا باليسير.

توفي ليلة الثلاثاء ثالث شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة. ودُفن بمقبرة الإمام أحمد رضي اللّه عنه.

محمد بن علي بن عبيد الله بن الدَّنِف البغدادي المقرىء الزاهد، أبو بكر:

وُلد في صفر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

وسَمع الحديث من ابن المسلمة، وابن المهتدي، والصريفيني، وابن المأمون، وابن النقور، وطبقتهم. وتفقه على الشريف أبي جعفر، وحدث بشيء يسير.

سمع منه ابن ناصر. وروى عنه المبارك بن خضير، وذاكر بن كامل، وابن بوش وغيرهم. وكان من الزهاد الأخيار، ومن أهل السنة، انتفع به خلق كثير. ذكره ابن الجوزي.

وقال ابن النجار: كان مشهورًا بالصلاح والدين. درس الفقه على الشريف أبي جعفر وصحبه، وانتفع به جماعة قرأوا عليه، وعادت عليهم بركته.

توفي يوم الإثنين سابع شوال سنة خمس عشرة وخمسمائة. ودُفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب. رحمه الله.

و "الدنف": بفتح الدَّال المهملة وكسر النون وآخره فاء. قيّده ابن نقطة الحافظ وغيره.

محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن دَاوُد الأصبهاني، أبو سعد بن أبي العَباس، وَيُعرف بالخيَّاط:

من أهل أصبهان، قدم بغداد، واستوطنها مدة طويلة. وسمع من مشايخها، وانتخب، وعلّق وكتب بخطه كثيرًا. وحصل الأصول والنسخ، وجمع شيئًا كثيرًا جدًا من الحديث والفقه، ونفذه إلى أصبهان. وأدركه أجله ببغداد.
حدّث ببغداد عن أبي القاسم بن منده إجازة، وعن غيره سماعاً.
كتب عنه ابن عامر العبدري وابن ناصر، وخطه حسن.
قال ابن النجار: وكان من أهل السنة المحققين المبالغين المتشددين، ظاهر الصلاح، قليل المخالطة للناس. كان حنبليًا متعصبًا لمذهبه، متشددًا في ذلك.
توفي يوم الخميس سادس عشرين ذي الحجة سنة سبع عشرة وخمسمائة. ودُفن بباب حرب، ولم يخلف وارثًا لأنه لم يتزوج قط رحمه الله.

علي بن المبارك بن علي بن الفاعُوس، البغدادي، الأسكاف، المقرىء، الزاهِد أبو الحسن:

سمع من القاضي أبي يعلى، وأبي منصور عبد الباقي بن محمد بن غالب العَطار وغيرهما. وصَحِب الشريف أبا جعفر. وكان مشهورًا بالزهدِ والورع والتقشف وحسن الطريقة، للخلق فيه اعتقاد عظيم.
وذكر ابن ناصر: أنه كان أزهد الناس في عصره. وكان يقرأ يوم الجمعة على الناس أحاديث قد جمعها بغير أسانيد.
قال ابن الجوزي: حدثني أبو حكيم النهرواني قال: كان ابن الفاعُوس إذا صلى الجمعة جلس يقرأ على أصحابه الحديث، فيأتي ساقي الماء، فيأخذ منه فيشرب ليريهم أنه مفطر، وربما صامها في بعض الأيام.
وكان ابن الفاعوس يتورع عن الرواية. وحدَّث وسمع منه أبو المعمر الأنصاري، وأبو القاسم بن عساكر الحافظ.
وقال: كان أبو القاسم بن السمرقندي يقول: إن أبا بكر بن الخاضبة كان يسمى ابن الفاعوس الحجري لأنه كان يقول: الحجر الأسود يمين اللّه حقيقة.
قلتُ: إنْ صحَّ عن ابن الفاعوس أنه كان يقول: الحجر الأسود يمين الله حقيقة فأصل ذلك: أن طائفة من أصحابنا وغيرهم نَفَوْا وُقوع المجاز في القرآن، ولكن لا يعلم منهم من نفى المجاز في اللغة، كقول أبي إسحاق الإسفراييني. ولكن قد يسمع بعض صالحيهم إنكار المجاز في القران، فيعتقدُ إنكارهُ مطلقًا.

ويؤيد ذلك: أن المتبادر إلى فهم كثر الناس من لفظ الحقيقة والمجاز: المعاني والحقائق دون الألفاظ.
فإذا قيل: إنَّ هذا مجاز فهموا أنه ليس تحته معنى، ولا له حقيقة، فينكرون ذلك، وينفرون منه. ومن أنكر المجاز من العلماء فقد ينكر إطلاق اسم المجازة لئلا يوهم هذا المعنى الفاسد، ويصير ذريعة لمن يريد جحد حقائق الكتاب والسنة ومدلولاتهما.
ويقول: غالب من تكلم بالحقيقة والمجاز هم المعتزلة ونحوهم من أهل البدع، وتطرفوا بذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه، فيمنع من التسمية بالمجاز، ويجعل جميع الألفاظ حقائق، ويقول: اللفظ إنْ دل بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى، وإن دلّ بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنى الآخر، فهو حقيقة في الحالين. وإن كان المعنى المدلول عليه مختلفًا فحينئذ يقالُ: لفظ اليمين في قوله سبحانه وتعالى: "والسّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينهِ" 39: 67، حقيقة. وهو دَالٌ على الصفة الذاتية. ولفظ اليمين في الحديث المعروف: "الحَجَرُ الأسوَدُ يَمِينُ اللهِ في الأَرْضِ. فَمَنْ صَافَحَهُ فَكَأَنما صَافَح اللهَ عز وَجلَّ".
وقيل: يمينه يُرادُ به- مع هذه القرائن المحتفة به- محل الاستلام والتقبيل. وهو حقيقة في هذا المعنى في هذه الصورة، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلاً، بل دلالته على معناه الخاص قطعية لا تحتمل النقيض بوجهٍ، ولا تحتاج إلى تأويل ولا غيره.
وإذا قيل: فابن الفاعوس لم يكن من أهل هذا الشأن- أعني: البحث عن مدلولات الألفاظ؟ قيل: ولا ابن الخاضبة كان من أهله، وإن كان محدثاً. وإنما سمع من ابن الفاعوس، أو بلغه عنه إنكار أن يكون هذا مجازًا، لما سمعه من إنكار لفظ المجاز فحمله السامع لقصوره أو لهواه على أنه إذا كان حقيقة لزم أن يكون هو يد الرب عزَّ جل، التي هي صفته. وهذا باطل. واللّه أعلم.
توفي ابن الفاعوس ليلة السبت تاسع عشر شوال- وقيل: العشرين منه، والأول أصح- سنة إحدى وعشرين وخمسمائة. وصُلي عليه من الغد بجامع القصر. ودُفن قريبًا من قبر الإمام أحمد رضي الله عنه. وكان ذلك يومًا مشهودًا، غلقت فيه أسواق بغداد. وكان أهل بغداد يصيحون في جنازته: هذا يَوم سُنيّ حنبلي، لا قشيري ولا أشعري. وكان حينئذٍ ببغداد أبو الفرج الإسفرايني الواعظ، وكان العوام قد رجموه غير مرة في الأسواق، ورموا عليه الميتات، فأظهروا في

ذلك اليوم لعنَه وسبَّه، فبلغ ذلك المسترشد، فمَنَعَهُ من الوعظ، وأمره بالخروج من بغداد. وظهر في ثاني يوم عند رجل من أصحابه كراريس فيها ما يتضمن الاستخفاف بالقرآن، فطيف به البلد، ونودي عليه، وهَمّت العامة بإحراقه. وظهر الشيخ عبد القادر، وجلس للوعظ، وعكف الناسُ عليه، وانتَصرَ به أهل السنة. رحمه الله تعالى.

موسى بن أحمد بن محمد النشادري الفقيه أبو القاسم:

كان يذكر أنه من أولاد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
سمع الحديث الكثير. وقرأ بالروايات، وتفقه على أبي الحسن بن الزغواني، وناظر.
قال ابن الجوزي: رأيته يتكلم كلامًا حسنًا.
توفي رابع رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة. ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب. رحمه اللّه تعالى.
وقال غيره: توفي ليلة الخميس خامس رجب.
وذكر ابن القطيعي: أنه سمع من أبي منصور الخازن، وأنه كمل التعليقة، وناظر، وتبصر في المذهب.
قلت: أظنه مات شاباً فإن شيخه ابن الزاغوني عاش بعده مدةً.

محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء، القاضي الشهيد، أبو الحسين ابن شيخ المذهب، القاضي أبي يَعْلى:

وُلد ليلة نصف شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.
وقرأ ببعض الروايات على أبي بكر الخيَّاط. وسمع الحديث من أبيه، وعبد الصمد بن المأمون، وأبوي الحسين بن المهتدي. وابن النقور، وأبي بكر الخطيب، والعاصمي، وطبقتهم. وتوفي والده وهو صغير، فتفقه على الشريف أبي جعفر، وبرع في الفقه، وأفتى وناظر.
وكان عارفًا بالمذهب، متشددًا في السُنة.
وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول، وغير ذلك، منها: "المجموع في الفروع"، "رؤوس المسائل"، "المفردات في الفقه"، "التمام لكتاب الروايتين والوجهين" الذي لأبيه، "المفردات في أصول الفقه"، "طبقات الأصحاب"، "إيضاح الأدلة في الردّ على الفرق الضالة المضلة"، "الرد على زائغي الاعتقادات في منعهم من سماع الآيات"، "شرف الاتباع وسرف الابتداع"، "تنزيه معاوية بن أبي سفيان المقنع في النيات"، "المفتاح في الفقه".

وقرأ عليه جماعة، منهم: الشيخ عبد المغيث الحربي، وغيره.
وحَدّث، وسمع منه خلق كثير من الأصحاب وغيرهم، منهم: ابن ناصر، ومعمر بن الفاخر، وابن الخشاب، وأبو الحسين البراندسي الفقيه، والجنيد بن يعقوب الجيلي الفقيه، وحَدَّثا عنه، وعبد الغني بن الحافظ أبي العلاء الهمداني، وأبو نجيح محمود بن أبي المرجا الأصبهاني الحنبلي، وعبد الوهاب بن أبي حبسة، ويحيى بن بوش.
وحَدَث عنه أيضًا: علي بن المرحب البطائحي، والمبارك بن الطباخ، وابن الحريف، وابن عساكر الحافظ. وبالإجازة أبو موسى المديني، وابن كليب.
وكان للقاضي أبي الحسين بيت في داره بباب المراتب يبيت فيه وحده، فعلم بعض من كان يخدمه ويتردّدُ إليه بأن له مالاً، فدخلوا عليه ليلاً، وأخذوا المال وقتلوه، ليلة الجمعة- ليلة عاشوراء- سنة ست وعشرين وخمسمائة. وصلى عليه يوم السبت حادي عشر المحرم. ودُفِن عند أبيه بمقبرة باب حرب. وكان يومًا مشهوداً.
وقدر الله ظهور قاتليه، فقتلوا كلهم.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو علي ضياء بن أحمد بن الحسن النجار، أخبرنا القاضي أبو الحسين ابن القاضي أبي يعلى، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن المأمون، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، حدثنا أبو القاسم البغوي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس قال: "وقّت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة: أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة" أخرجه مسلم.
نقلت من خط القاضي أبي الحسين في مفرداته في الأصول:
اختلفت الرواية عن أحمد هل يَصِح الاستثناء في اليمين بالله?
فقال: مع انقطاع يمينه على روايتين: إحداهما: يصح، وإن كان منقطعًا، وهي مذهب عبد الله بن عباس.
والرواية الثانية: لا يصح الاستثناء. اختارها الخرقي والوالد، وبها قال أكثرهم.
وجه الأولى: أن النسخ والتخصيص يجوز أن يتأخرا، فكذلك الاستثناء.
ووجه الثانية: أن الاستثناء يجري مجرى الشرط لأنه إذا انفصل عما قبله لم يفد ألا ترى أنه إذا قال: اضرب زيدًا أو أعطه درهمًا، ثم قال

بعد يوم: إذا قام أو كل لم يفد ذلك، ولم يكن شرطًا كذلك في اليمين? هذا لفظه بحروفه. وهو ظاهر في أن الرواية الأولى، كما حكي عن ابن عباس من صحة الاستثناء. في اليمين، وإن طال الفصل. ولا أعلم أحدًا من الأصحاب حكى ذلك عن أحمد.

علي بن الحسن الدواحي، أبو الحسن الواعظ:

تفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، وسمع منه الحديث.
توفي ليلة الجمعة خامس شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد. ودُفِنَ بمقبرة باب حرب.

محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن عبد الله الشيباني الحاجي، المَزْرَفي، المقرىء، الفرضي أبو بكر:

وُلد في سلخ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة. وقيل: سنة أربعين.
وقرأ القرآن بالروايات على جماعة من أصحاب الحمامي، منهم: أبو بكر بن موسى الخياط، وطاهر بن الحسين القواس.
وسمع من ابن المسلمة وابن المأمون، والصريفيني، وابن المهتدي، وابن النقور، والنهرواني، وأبي الحسين العاصمي، وابن البري، وأبي الغنائم بن الدجاجي. وكتب بخطه كثيرًا. وبرع في القراءات وتفرد بعلم الفرائض وألف فيه.
وذكر ابن ناصر أنه كان مقرىء زمانه، قرأ عليه القرآن جماعة، منهم: أبو موسى المديني الحافظ، وعليّ بن عساكر البطائحي.
وحدث عنه ابن ناصر، وابن عساكر، واليونارتي، وأبو سعد بن أبي عصرون، وابن الجوزي، وجماعة آخرهم أبو الفتح الميْداني، ودرس عليه جماعة الفرائض والحساب.
قال أبو نصر اليونارتي في معجمه. هو وحيدُ عصره في خلقه، وحسن قراءته.
قال ابن الجوزي: كان ثقة عالمًا ثبتًا، حسن العقيدة.
وقال ابن القطيعي: سمعت ابن الأخضر يقول: سمعت أبا محمد الخشاب يقول: قد سمعت من يحيى بن منده سنة ثمان وتسعين، وحضر معي في الطبقة أبو منصور الخياط المقرىء، ولا أفرح بسماعي منه مثل ما أفرح بسماعي من المزرفي، وذلك لأنه طلب الحديث بنفسه وفهم.
توفي يوم السبت مستهل سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجأة.
وقيل: إنه توفي في سجوده. ودفن بباب حرب.
"والمزرفي" نسبة إلى المزرفة: قرية بين بغداد وعكبرا، ولم يكن

منها، وإنما انتقل أبوه إليها أيام الفتنة، فأقام بها مدة، فلما رجع إلى بغداد قيل له: المزرفي.
أخبرنا أبو الفتح المصري بها، أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزي، أخبرنا أبو بكر المزرفي- سنة عشرين وخمسمائة- أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة، أخبرنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري، أخبرنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آيةُ المُنافِقِ ثَلاَثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا ائتمن خَانَ". أخرجاه عن قتيبة.

علي بن عبيد الله بن نصر بن السري:

كذا نسبه ابن شافع وابن الجوزي وغيرهما.
وقال ابن النجار: ابن نصر بن عبيد الله بن سهل بن السري.
وقال ابن نقطة: نصر بن عبيد الله بن أبي السري.
وقال ابن السمعاني نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزاغواني البغدادي، الفقيه المحدث الواعظ، أبو الحسن، أحد أعيان المذهب.
وُلد سنة خمس وخمسين وأربعمائة في جمادى الأولى- فيما نظنه.
وقرأ القران بالروايات، وطلب الحديث بنفسه، وقرأ وكتب بخطه.
وسمع من أبي الغنائم بن المأمون، وأبي جعفر بن المسلمة، وأبي محمد الصّريفيني وأبي الحسين بن النقور، وأبي القاسم بن اليسري، وأبي محمد بن عبد الله بن عطاء الهروي، وجماعة آخرين.
وقرأ الفقه على القاضي يعقوب البرزبيني، وقرأ الكثير من كتب اللغة والنحو والفرائض. وكان متفننًا في علوم شتى، من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله.
قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر، ووعظ مدة طويلة.
قال. وصحبته زمانًا، فسمعتُ منه الحديث، وعلقت عنه من الفقه والوعظ وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم يعظ بعد الصلاة. ويجلسُ يوم السبت أيضًا.
وذكر ابن ناصر: أنه كان فقيه الوقت في الطبقة الثالثة عشرة.
وكان مشهورًا بالصلاح والديانة والورَع والصيانة.

قال ابن السمعاني: سمعت أبا عبد الله حامد بن أبي الفتح المديني يقول: سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الله بن الزاغوني- يعني: أخا أبي الحسن هذا- يقول: ذكر بعضُ الناس ممن يوثق بهم: أنه رأى في المنام ثلاثة، يقول واحد منهم: أخسف، وواحد يقول: أغرق، وواحد يقول: أطبق- يعني: البلد- فأجاب أحدهم: لا لأن بالقرب منا ثلاثة: أبو الحسن بن الزاغوني، والثاني أحمد بن الطلاية، والثالث محمد بن فلان من الحربية.
ولابن الزاغوني تصانيف كثيرة، منها: في الفقه: "الإقناع" في مجلد، و "الواضح" و "الخلاف الكبير" "المفردات" في مجلدين، وهي مائة مسألة. وله مصنف في الفرائض يسمى "التلخيص" وجزء في "عويص المسائل الحسابية" ومصنف في "الدور والوصايا". وله "الإيضاح في أصول الدين"، مجلد، و "غرر البيان في أصول الفقه" مجلدات عدة. وله ديوان خطب أنشأها، ومجالس في الوعظ وله تاريخ على السنين من أول ولاية المسترشد إلى حين وفاته هو، ومناسك الحج، وفتاوى، ومسائل في القرآن والفتاوى الرجعية، وجزء في تصحيح حديث الأطيط، سدره في المستحيل وسماع الموتى في قبورهم.
وكان ثقة صدوقًا، صحيح السماع. حدَّثَ بالكثير.
وروى عنه ابن ناصر، وأبو المعمر الأنصاري، وابن عساكر، وابن الجوزي، وعمر بن طبرزد، وغيرهم.
وتفقه عليه جماعة، منهم: صدقة بن الحسين، وابن الجوزي.
توفي يوم الأحد سادس عشر محرم سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وصُلي عليه يوم الإثنين بجامع القصر وجامع المنصور ودفن بمقبرة الإمام أحمد، بباب حرب. وكان له جمع عظيم يفوت الإحصاء رحمه الله تعالى.
هذا الذي ذكرناه في تاريخ وفاته هو الذي ذكره صدقة بن الحسين. نقله عنه ابن النجار.
وذكره ابن السمعاني عن ابن عساكر، وغيره.
والذي ذكره ابن شافع وابن الجوزي في عدة مواضع وابن نقطة: أنه توفي يوم الأحد بعد الظهر سابع عشر محرم. والأول أصح فإن ابن شافع وابن الجوزي وافقا على أن وفاة المزرفي- المذكور قبله- كانت يوم السبت مستهل محرم. ومتى كان السبت مستهل محرم، فالأحد سادس عشره، لا سابع عشره. وقد علق ابن الجوزي في

جزء وفاة ابن الزاغوني، فقال: في الأحد سادس عشر محرم، على الصواب.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بفسطاط مصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، أخبرنا أبو الحسين بن الزاغوني، أخبرنا أبو الحسين بن النقور. أخبرنا عيسى بن علي بن الجراح، حدثنا أبو القاسم البغوي، حدثنا نعيم بن الهيضم، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله "أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم، فقالوا: ما عندنا إلا خل. فدعا به، فجعل يأكل، ويقول: نعمَ الأدمُ الْخَل- مرتين" تفرّد به مسلم، فرواه عن يحيى بن يحيى عن أبي عوانة.
ذكر ابن الزاغوني في مناسكه: أن رمي الجمار أيام منى، ورمي جمرة العقبة يوم النحر يجوز قبل الزوال وبعده، والأفضل بعده. ولهذا لم يوافقه عليه أحد فيما أعلم. وهو ضعيف مخالف للسنة في رَمي جمرة العقبة يوم النحر.
وحكي في الإقناع رواية عن أحمد: أنه إذا اتخذ عصيرًا للخمر، فانقلبت خلاً لم تطهره لأن اتخاذه كان محرمًا.
وحكى فيه رواية عن أحمد: أنه لا ينتقض عهد أهل الذمة بشيء غير منع الجزية.
وقال فيه: المشهور من المذهب أن السم نجس، وفي المذهب ما يحتمل أنه ليس بنجس لأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من الذراع المسمومة.
وذكر فيه: أن المتوفى عنها زوجها لا يلزمُها المقام في منزل الوفاة، إلا إذا تبرع لها الورثة بالسكنى، ولا يلزمها فيما عدا ذلك، حتى لو كان المنزل ملكاً لها لم يلزمها المقام فيه.
وحكي فيه رواية: أن البائن تجب لها السكنى والنفقة، وإن كانت حاملاً.
وذكر فيه: أن الحامل المتوفى عنها زوجها تجب لها النفقة والسكنى إن قلنا: إن النفقة للحَمْل، كما لو كان الأب حيًا. ولم أعلم أحدًا من الأصحاب بنى رواية وجوب النفقة والسكنى لها على هذا الأصل، ولا جعلها من فوائد الخلاف في أن النفقة: هل هي للحمل أو للحامل. فإن نفقة الأقارب تسقط بالموت، فكيف تجب نفقة الحمل من التركة؟.
وحكي في باب نفقة الزوجات في ثمن ماء الغسل والسدر

والمشط والدهن الطيب وما أشبه ذلك وجهين.
أحدهما: أنه عليها لأن به يحصل التمكين من الاستمتاع. والثاني: هو عليه، وشبهه بالقوت وتوابعه، ولا أعلم أحدًا من الأصحاب ألزم الزوج ثمن الطيب مطلقًا، ولا حكى في لزوم ثمن البواقي خلافًا، سوى ماء الغسل الواجب.
وقال أيضًا، في نفقة الأقارب: إذا كان بعض ورثة الفقير موسرًا، وبعضهم مُعْسرًا: فإن كان الفقير أباً أو أمًا لزم الموسر كمال النفقة عليه، وإن كان جدًا أو جدة فوجهان. أما سائر الورثة: فلا تلزم الموسر منهم النفقة إلا بقدر حصته من الميراث. وهنا تفصيل غريب.
وحكي فيه رواية عن أحمد: أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث إذا كان صومًا، ويجوز بالمال.
وذكر فيه: أن نذر اللجاج والغضب نذر صحيح يلزم الوفاء به، وهذا لا يعرف في المذهب، لكن فد قيل: إنه وقع في كلام ابن أبي موسى ما يوهمه.
وذكر فيه أيضًا: أن المستأمن إذا دخل دار الإسلام بتجارة أخذ منه الخمس، وأن الذمي إذا اتجر في دار الإسلام في غير بلده أخذ منه العشر. وهو غريب مخالف لنصوص أحمد وقول الأصحاب، والمأثور عن عمر رضي الله عنه.

محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن الفراء

الفقيه، الزاهد، أبو خازم ابن القاضي الإمام أبي يعلى. وأخو القاضي أبي الحسين المتقدم ذكره: وُلد في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة.
وسمع الحديث من أبي جعفر بن المسلمة، وابن المأمون، وجابر بن ياسين.
وذكر ابن نقطة: أنه حدث عن أبيه القاضي أبي يعلى، وما أظنه إلا بالإجازة ة فإنه وُلد قبل موت والده بسنة.
وقد ذكر أخوه القاضي أبو الحسين: أن والده أجاز له ولأخيه أبي خازم، وقرأ الفقه على القاضي يعقوب ولازمه، وعلق عنه وبرع في معرفة المذهب والخلاف والأصول.
وصنف تصانيف مفيدة، وله كتاب "التبصرة" في الخلاف وكتاب "رؤوس المسائل"، وشرح مختصر الخرقي، وغير ذلك.

وكان من الفقهاء الزاهدين، والأخيار الصالحين. وحدث وسمع منه جماعة ورَوَى عنه ابنته نعمة، وأبو المعمر الأنصاري، ويحيى بن بوش.
وتوفي يوم الإثنين تاسع عشرين صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة. وصُلّي عليه يوم الثلاثاء مستهل ربيع الأول بجامع القصر. وكان يومه يومًا مشهودًا. ودفن بداره بباب الأزج، ثم نقل في سنة أربع وثلاثين إلى مقبرة الإمام أحمد، فدُفِن عند أبيه. رحمهما الله تعالى.
و "أبو خازم" بالخاء والزاي المعجمتين.
نقلت من خط ابن الصيرفي الحراني، مسألة: إذا حلق شاربه بحيث إنه لا ينبت.
فقال ابن أبي موسى: تجب فيه حُكُومة، وقال القاضي أبو خازم ابن القاضي أبي يعلى: يتوجَّهُ أن لا يجب فيه لأنه مأمور بحفَّه. قال: ويتوجه أن يجب إذا كان شابًا دون الشيخ لما روى عن قتادة أنه قال: من الشيخ سُنَة، من الشابِّ مُثْلة- يعني: حلق الشارب.

عبد الله بن المبارك ويعرف بعسكر بن الحسن العكبري، المقرىء، الفقيه أبو محمد، ويُعرف بابن نيال:

سمع من أبي نصر الزينبي، وأبي الغنائم بن أبي عثمان، وأبي الحسين العاصمي وغيرهم. وتفقه على أبي الوفاء بن عقيل، وأبي سعد البرداني. وكان يصحب شافعًا الحنبليَّ، فأشار عليه بشراء كتب ابنِ عقيل، فباع ملكاً له واشترى بثمنه كتاب الفنون، وكتاب الفصول، ووقفها على المسلمين. وكان خيرًا مِن أهل السنة، وحَدَّث.
وتوفي ليلة الثلاثاء ثاني عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وصلى عليه أبو محمد المقرىء الزاهد من الغد بجامع القصر. ودفن بمقبرة الإمام أحمد عن نيف وسبعين سنة. رحمه الله تعالى.

عبد الواحد بن شنيف بن محمد بن عبد الواحد الديلمي، البغدادي الفقيه أبو الفرج:

أحد أكابر الفقهاء. تفقه على أبي علي البرداني وبَرَع. وكان مناظرًا مجودًا، وأمينًا من قبل القضاة، وباشر بعض الولايات، وله دنيا واسعة. وكان ذا فطنة وشجاعة وقوة قلب وعفةٍ ونزاهة وأمانةٍ.

قال ابن النجار: كان مشهورًا بالديانة وحسن الطريقة، ولم يكن له رواية في الحديث.
قال ابن الجوزي: حدثني أبو الحسن بن عربية قال: كان تحت يده- يعني: ابن شنيف- مال لصبي، وكان قد قبض بعض المال، وللصبي فهم وفطنة، فكتب الصبي جملة التركة عنده، وأثبتَ ما يأخذ من الشيخ. فلما مرض الشيخ أحضر الصبي وقال له: أي شيء لك عندي. فقال: والله ما لي عندك شيء لأن تركتي وصلت إليّ بحساب محسوب. فأخرج الشيخ سبعين دينارًا وقال: خذ هذه، فهي لك فإني كنت أشتري لك بشيء من مالك وأعود فأبيعه، فحصل لك هذا.
قال: وحدثني أبو الحسن قال: توفي رجل حشري بدار القز. وكان أبو العباس ابن الرطبي يتولى التركات. فكتب إلى الشيخ عبد الواحد يتولى تركة فلان، فحضر وأعطى زوجته حقها، وأعطى الباقي ذوي أرحامه، وكتب بذلك إليه. فكتب ابن الرطبي مع مكتوبه إليه رقعة إلى المسترشد يخبره بما صنع، وأنه وَرَّث ذوي الأرحام. فكتب: نعم، ما فعل إذا عمل بمذهبه، إنما الذنب لمن استعمل في هذا حَنْبليًا. وقد علم مذهبه في ذلك.
توفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت حادي عشرين شعبان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وصلّى عليه الشيخ عبد القادر. ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه.

ثابت بن منصور بن المبارك الكيلي، المقرىء المحدّث، أبو العز:

سمع من أبي محمد التميمي، وأبي الغنائم بن أبي عثمان، وغانم بن الحسين وطبرزد، ونصر بن البطر، والحسين بن طلحة وخلق كثير. وعني بالحديث.

وسمع الكثير، وكتب الكثير. وخَرَّج تخاريج لنفسه عن شيوخه في فنون، وحَدَّث وسمع منه جماعة.
وروى عنه السلفي، والمبارك بن أحمد الأنصاري، وأبو الفرج الجوزي وغيرهم.

وقال أبو الفرج: كان دينًا، ثقة، صحيح الإسناد. ووقف كتبه قبل موته.

وقال السلفي عنه: فقيه على مذهب أحمد. كتب كثيْرًا، وسمع معنا وقبلنا على شيوخ. وكان ثقة وعر الأخلاق.

وقال ابن السمعاني: سألتُ ابن ناصر عنه. فقال: صحيح السماع، ما كان يعرف شيئًا.
وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة. وقيل: سنة ثمان.

قال ابن النجار: قرأت بخط يحيى بن الطَراح: أن ثابتًا توفي يوم الإثنين سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين. ودفنَ يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله تعالى. ورأيت جماعة من المحدثين وغيرهم قد نعتوه في طابق السماع بالإمام الحافظ رحمه الله.
وهو منسوب إلى "كيل": قرية على شاطىء دجلة على مسيرة يوم من بغداد مما يلي طريق واسط، ويقال لها: "جيل" أيضًا.

أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزي، أخبرنا أبو العز ثابت بن منصور الكيلي بقراءة شيخنا ابن ناصر عليه، أخبرنا أبو القاسم الفضل بن أبي حرب، أخبرنا أحمد بن محمد الجرجاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن عبيد اللّه المنادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: شهدتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن أبي خالد بن عبد الله بن أسيد في هذا المسجد- يعني: مسجد البصرة- قال: وجاء الحسن، فجلس إليه قال: فحدث قال: حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: "الشَّمْسُ وَألقَمَرُ ثوران مُكَوَّرانِ في النَّار يَوْمَ القيَامَةِ". قال: فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. قال: فسكت الحسن.

علي بن أبي القاسم بن أبي زرعة الطبري، المقرىء، المحدّث الزاهد أبو الحسن:

من أهل آمل طبرستان. ذكره ابن المسعاني، فقال: شيخ صالح خيّر دين كثير العبادة والذكر، مستعمل للسنن، مبالغ فيها جهده. وكان مشهورًا بالزهد والديانة. رحل بنفسه في طلب الحديث إلى أصبهان، وسَمِع بها جماعة من أصحاب أبي نعيم الحافظ، كأبي سعد المطرز، وأبي علي الحداد، وغيرهما.
وسمع ببلده آمل من أبي المحاسن الروياني الفقيه، وأبي بكر بن الخطاب الاخباري قال: وكتب لي الإجازة ولم أره، ثم روى حديثًا عن رجل عنه. ثم قال: توفي بالعُسَيْلَةِ بعدَ فراغه من الحج والعمرة والزيادة في المحرّم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. ودُفن بها. وصلى عليه أبو زيد البصري الخطيب رحمه الله تعالى.

أحمد بن علي بن عبد الله بن الأبرادي البغدادي، الفقيه، الزاهد أبو البركات:

سَمِع من أبي الغنائم بن أبي عثمان، وأبي الحسن بن الأخضر الأنباري، وأبي الحسن بن النحاس، وأبي القاسم بن فهد العلاف وغيرهم. وقرأ الفقه على ابن عقيل، وصحب الفاعوسَ وغيره من الصالحين. وتعبد ووقف دارًا له بالبحرية شرق بغداد على أصحابنا مدرسة. وحَدث وسمع منه جماعة.
وروى عنه أبو المعمر الأنصاري، وأبو القاسم بن عساكر.
وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة. ودُفِن بباب أبرز.
قال ابن النجار: قرأته في تاريخ ابن شافع بخطه. والذي رأيت في تاريخ مختصر ابن شافع لابن نقطة: في هذه السنة وفاة أبي الحسن محمد بن أبي البركات أحمد بن الأبرادي. وقد تابعه على ذلك ابن الجَوزي في تاريخه، وترجماه بترجمة أبي البركات. وهو وهم. وسنذكر ابنه أبا الحسن في موضعه إن شاء الله تعالى.

يحيى بن الحسن بن أحمد بن عبد اللّه بن البناء، أبو عبد الله

ابن الإمام أبي علي المتقدم ذكره، وأخو أبي نصر المتقدم ذكره أيضًا: ولد يوم الجمعة رابع عشرين ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.، وبكر به أبوه في السماع، فسمع من أبي الحسين بن المهتدي، وابن الأبنوسي، وابن النقور، وأبي الغنائم، وجابر بن ياسين، والده أبي علي بن البناء، وغيرهم.

وَحَدث وروى عنه جماعة من الحُفاظ وغيرهم، منهم: ابن عساكر، وابن الجوزي، وابن بوش.

وروى عنه ابن السمعاني إجازة، وقال: كان شيخًا صالحًا حسن السيرة واسع الرواية حسن الأخلاق متوددًا متواضعًا، برًا لطيفًا بالطلبة، مشفقًا عليهم.

قال: وسمعت أبا محمد عبد الله بن عيسى بن أبي حبيب الأندلسي الحافظ قاضي اشبيلية يثني عليه كثيرًا، ويمدحه ويطريه، يصفه بالعلم والتمييز والفضل وحسن الأخلاق، وعمارة المسجد. وقال: ما رأيت ببغداد في الحنابلة مثلهُ.

قال: وكان شيخنا أبو شجاع البسطامي كثير الثناء عليه، يصفه بالخير والصلاح والعلم. وكذلك كل من رأيته ممن سمع منه أخذ عنه كان يثني عليه ويمدحهُ.

وتوفي ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة. ودُفن صبيحة يوم الجمعة بمقبرة الإمام أحمد.

أخبرنا أبو الفتح الميدومي بالفسطاط، أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن عَلي الحافظ، أخبرنا يحيى بن أبي علي البناء بقراءة شيخنا أبي الفضل بن ناصر، أخبرنا أبو الحسين بن محمد بن علي بن المهتدي، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد اللّه بن الخضر السوسنجردي، حدثنا محمد بن عمرو بن البحتري، حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "لقد اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدٍ بنِ مُعَاذٍ".

أحمد بن محمد بن أحمد الدّينوري البغدادي الفقيه، الأمام أبو بكر بن أبي الفتح:

أحد الفقهاء الأعيان، وأئمة أهل المذهب.

سمع الحديث من أبي محمد التميمي، وجعفر السراج وغَيرهما. وتَفقه على أبي الخطاب وَبَرَع في الفقه. وتقدم في المناظرة على أبناء جنسه، حتى كان أسعد الميهني شيخ الشافعية يقول: ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلم فيه ثلمة.
وله تصانيف في المذهب، منها: كتاب "التحقيق في مسائل التعليق" وتخرج به أئمة، منهُم: أبو الفتح بن المنى، والوزير ابن هبيرة.

قال ابن الجوزي: حَضَرتُ دَرْسَه بعد موت شيخنا ابن الزاغوني نحوًا من أربع سنين.
قال وأنشدني:

أن تمسي فقيهاً مناظرًا بغير عناء، والجنُون فُـنـون
وليس اكتساب المالِ دون
مشقةٍ تُلقيتها، فالعِلمُ كـيف يكـون.

قال: وحدثني قال: كنت أتفقه على شيخنا أبي الخطاب. وكنت في بدايتي أجلس في آخر الحلقة، والناص فيها كلى مراتبهم، فجرى بيني وبين رجل كان يجلس قريبًا من الشيخ بيني وبينه رَجُلان أو ثلاثة كلام. فلما كان في الثاني جلست في مجلسي على عادتي في آخر الحلقة، فجاء ذلك الرجل، فجلس إلى جانبي، فقال له الشيخ: لم تركتَ مكانك. فقال: أترك مثل هذا، فأجلسُ معَه يُزرِي عليّ. فوالله ما مضى إلا قليل حتى تقدمت في الفقه، وقويت معرفتي به، فصرت أجلس إلى جانب الشيخ، وبيني وبين ذلك الرجُل رجال.

قال ابن الجوزي: وكان يرق عند ذكر الصالحين، ويبكي ويَقُول: للعلماء عند الله قَدر، فَلعلّ الله أن يجعلني منهم.
توفي يوم السبت غرة جمادي الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. ودُفن عند رجل أبي منصور الخياط، قريبًا من قبر الإمام أحمد رضي الله عنه.
وقيل: إنه لم يُشَيِّعْهُ إلاَ عدد يسير. رحمه اللّه تعالى.
قال أبو البقاء بن طبرزد: كنت يوم مَوته عند القاضي أبي بكرٍ بن عبد الباقي، فخبر بذلك، فقال: لا إله إلا اللّه، موت الأقران هَدَّ الأركان. وقال: إذا رأيت أخاك يحلق فبلّ أنت.

ومن غرائب أبي بكر الدينوري: أنه خرّج رواية عن أحمد: أنه من اشتبهتْ عليه القبلة لزمهُ أن يصلي أربع صلوات إلى أربع جهات، وقد قيل: إنه قول مخالف للإجماع.
وحكى ابن تميم عنه: أنه ذكر وجهًا أن باطن اللحية الكثة في الغسل كالوضوء.
قال ابن الجوزي في كتاب "تلبيس إبليس": كنتُ أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدينوري في زَمن الصّبا فكنت- يعني: إذا دخلتُ مَعه في الصلاة وقد بقي في الركعة يسير- أستفتح وأستعيذ، فيركع قبل أن أقرأ، فقال لي: يا بُنيّ، إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلفَ الإمام، ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة، فاشتغل بالواجب ودعِ السُّنَة.

محمد بن محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني الفقيه أبو جعفر

ابن الإمام أبو الخطاب، المتقدم ذكره: وُلد سنة خمسمائة، فيما ذكره أبو الحسن بن القطيعي في تاريخه عن ابن أخيه محفوظ بن أحمد بن محفوظ.
قال ابن القطيعي: وتفقه على أبيه وبَرَع في الفقه.
قلتُ: هذا محال فإنَّ عمره يوم مات أبوه- على ما ذكر في مولده- يكون عشر سنين، فكيف تفقه عليه وبرع?.
قال: وصنف كتاباً سماه "الفريد" وهو عندي بخطه، ثم ساق منه حديثًا وحكايات وأشعاراً.
قال: وتوفي- فيما ذكره لي ابن أخيه- في سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. ودُفن بمقبرة باب حرب.
قلتُ: وفي تاريخ ابن شافع: أنه توفي ليلة الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين. ودُفن في منزله بباب الأزج.
ورأيت في تاريخ القضاة لابن المندائي: أن المتوفى في هذه السنة أبو الفرج أحمد ين الإمام أبي الخطاب. وكان من المعدلين ببغداد، وأن وفاته يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين. ودُفن بمقبرة باب حرب عند أبيه.

محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك

أحد الثلاثة الذين خلفوا، ثم تاب الله عليهم- الأنصاري الكعبي البغدادي البصري البزاز الفرضي، القاضي أبو بكر بن أبي طاهر، ويعرف بقاضي المارستان.

كان والده أبو طاهر عبد الباقي- ويعرف بصهر هبة المقرىء، وكان من أكابر أهل بغداد والملازمين للقاضي أبي يعلى- شيخًا صالحًا محدثًا، معدلاً. سمع الحديث وحدَّث، وتوفي في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وأما ولده أبو بكر هذا: فَوُلد يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة. وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين. وَحَضر على أبي إسحاق البرمكي سنة خمس وأربعين.

سمع من أخيه أبي الحسن علي، والقاضي أبي الطيب الطبري وأبي طالب العشاري، وأبي الحسن الباقلاني، وأبي محمد الجوهري، وأبي القاسم عمر بن الحسين الخفاف، وأبي الحسين بن حسنون، وأبي علي بن غالب، وأبي الحسين بن الأبنوسي، وأبي الحسن بن أبي طالب المكي، وأبي الفضل بن المأمون، وتفرد بالرواية عن هؤلاء كلهم. وسمع من خلقٍ آخرين.

وسمع بمكة من أبي معشرٍ وغيره، وبمصر من أبي إسحاق الحبال. وقد خرجت له مشيخة عن شيوخه في خمسة أجزاء سمعتُها بالقاهرة. وكانت له إجازة من أبي القاسم التنوخي، وابن شيطا، والقضاعي مُصَنف الشهاب.

وتفقه في صباه على القاضي أبي يعلى، وقرأ الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة، وبرع في ذلك، وله فيه تصانيف.

وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني وتفنن في علوم كثيرة.

قال ابن السمعاني: عارف بالعلوم متفنن، حسن الكلام، حُلو المنطق، مليح المحاورة. ما رأيت أجمع للفنون منه نظر في كل علمٍ. وسمعته يقول: تبت من كل علم تعلمته إلا الحديث وعلمه.

قال: وكان سريع النسخ حسن القراءة للحديث سمعته يقول: ما ضيعت ساعة من عمري في لهو أو لعب.
قال: وسمعته يقول: أسرتني الروم، وبقيت في الأسر سنة ونصفًا، وكان خمسة أشهر الغلّ في عنقي، والسلاسل على يدي ورجلي. وكانوا يقولون لي: قل: المسيح ابن اللّه، حتى نفعل ونصنع في حقك، فامتنعتُ وما قلت. قال: ووقت أن حبست كان ثَمَّ معلم يعلم الصبيان الخط بالرومية، فتعلمت في الحبس الخط الرومي.
وسمعته يقول: حفظتُ القرآن ولي سبع سنين، وما من علم في عالم الله إلا وقد نظرتُ فيه، وحصلت منه كله أو بعضه، وتفرد في الدنيا بعلو الإسناد ورحل إليه المحدثون من البلاد.
قال ابن الجوزي: كان حسن الصورة، حلو المنطق، مليح المعاشرة، كان يُصلي في جامع المنصور، فيجيء في بعض الأيام، فيقف وراء مجلسي وأنا على منبر الوعظ فيسلّم عليّ. وأملى الحديث في جامع القصر باستملاء شيخنا ابن ناصر، وقَرأت عليه الكثير. وكان ثقة فهمًا، ثبتًا حجة، متفننًا في علوم كثيرة، منفردًا في علم الفرائض.
وكان يَقُول: ما أعلم أني ضيَّعت من عُمري شيئًا في لَهو أو لعب، وما من علم إلا وقد حصلت بعضه أو كله.
وكان قد سافر فوقع في أيدي الروم، فبقي في أسرهم سنة ونصفًا، وقَيّدوه وجعلوا الغل في عنقه، وأرادوا منه أن ينطق بكلمة الكفر فلم يفعل، وتعلم منهم الخط الرومي.
قال: وسمعته يقول: يجب على المعلم أن لا يعنف، وعلى المتعلم أن لا يأنف. وسمعته يقول: من خدم المحابر خدمته المنابر.
قال: وأنشدني:

لي مدّة لا بُـدّ أَبْـلُـغُـهَا إذا انقضَتْ وتَصرَّمَتْ مُـتُّ

عَاندتنـي الأسـدُ ضـاريةضرّني ما لم يجىء الوقتُ
قال: ذُكر لنا أنّ منجمين حَضَرا حين وُلد، فأجمعا أن عمره اثنتان وخمسون سنة. قال: وها أنا قد جاوزت التسعين.
قال: ورأيته بعد ثلاث وتسعين صحيح الحواس، لم يتغير منها شيء، ثابت العقل، يقرأ الخط الدقيق من بُعد. ودخلنا عليه قبل موته بمدَيدة، فقال: قد نزلت في أذني مادة، فقرأ علينا من حديثه، وبقي على هذا نحوًا من شهرين، ثم زال ذلك، وعاد إلى الصحة ثم مرض فأوصى أن يعمق قبره زيادة على ما جرت به العادة، وقال: لأنه إذا حفر ما جرت به العادة لم يَصلوا إلي وأن يكتب على قبره "قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ. أَنْتُم عنهَ مَعرِضُون" ص: 68، 69. وبقي ثلاثة أيام قبل موته لا يفتر من قراءة القران، إلى أن توفي يوم الأربعاء قبل الظهر ثاني رجب سنةَ خمس وثلاثين وخمسمائة. وصلي عليه بجامع المنصور. وحضر قاضي القضاة الزينبي، ووجوه الناس وشيعناه إلى مقبرة باب حرب، فدُفن إلى جانب أبيه، قريبًا من بشر الحافي رضي الله عنه.
قلتُ: وحدّث القاضي أبو بكر بالكثير من حَديثه، وسمع منه الأئمة الحفاظ وغيرهم، وأثنوا عليه.
قال ابن الخشاب عنه: كان مع تفرده بعلم الحساب والفرائض، وافتنانه في علوم عديدة، صدوقاً، ثبتًا في الرواية، متحريًا فيها.
وقال ابن ناصر عنه: كان إمامًا في الفرائض والحساب، وهو آخر من حدث عن البرمكي، وذكر جماعة.
وكان سماعه صحيحًا، ومتعه الله بعقله وسمعه وبصره وجوارحه إلى حين وفاته.
ولم يخلف بعده من يقوم مقامه في علمه. وكان قد خرجت له مجالس سنة ثمان عشرة، فأملاها بالجامع من دار الخليفة.
وقال ابن شافع: سمعتُ ابن الخشاب يقول: سمعتُ قاضي المارستان يقول: قد نظرتُ في كل علم حصلت منه بعضه أو كله، إلا هذا النحو فإني قليل البضاعة فيه.
قال ابن شافع: وما رأيت أبا محمد- يعني: ابن الخشاب- يعظم أحدًا من مشايخه تعظيمه له. وكان أبو القاسم بن السمرقندي يقول: ما بقي مثله ويطريه في الثناء.
أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم- بمصر- أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم، أخبرنا الحافظان: أبو الفرج عبد

الرحمن بن علي بن الجزي، وأبو محمد بن عبد العزيز بن محمود بن الأخضر، وأبو أحمد بن عبد الوهاب بن علي بن سكينة وغيرهم وأخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي بها- غير مرة- أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم التنوخي، وأبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحارثي وأبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي، وأبو الغنائم المسلم بن محمد بن علان وغيرهم، قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي. زاد الأولان: وأبو البركات عبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي، وزاد الأول وحده: وأحمد بن تُزمش البغدادي. قالوا كلهم: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي -حضوراً- أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم البزار حدثنا أبو مسلم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حميد عن أنس قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "مَن كَذَبَ عَليَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتبوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار": أنبئت عن يوسف بن خليل الحافظ قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم عبد اللّه بن أبي الفوارس محمد بن علي بن حسن الخزاز الصوفي البغدادي ببغداد قال: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول: كنتُ مجاورًا بمكة- حرسها الله تعالى- فأصابني يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيسًا من إبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدتُ فيه عقدًا من لؤلؤ لم أرَ مثله، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعَه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يَرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس، فقُلت له: تعالى إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعَدَدَه، والخيط الذي هو مَشدُود به، فأخرجته ودَفعته إليه. فسلم إليّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب عليّ أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح عليَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى. وأما ما كان مني: فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب، فبقيت مُدّةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصَلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعَدتُ في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم

يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال.
قال. ثم إني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب?. فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيَّةً يتيمة، ولها شيء من الدُنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لا بل، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك.
فلما زفوها إليَّ مددتُ عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرتَ قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلتُ: ما بكم. فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي رد عليَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت، فبقيتُ معها مدة ورزقتُ منها بولدين.
ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال. هكذا ساق هذه الحكاية يوسف بن خليل الحافظ في معجمه.
وساقها ابن النجار في تاريخه، وقال: هي حكاية عجيبة. وأظن القاضي حكاها عن غيره. وقد ذكرها أبو المظفر سبط بن الجوزي في تاريخه في ترجمة أبي الوفاء بن عقيل.
وذكر عن ابن عقيل: أنه حكى عن نفسه: أنه حج، فالتقط العقد ورده بالموسم، ولم يأخذ ما بذل له من الدنانير، ثم قدم الشام، وزار بيت المقدس، ثم رجع إلى دمشق، واجتاز بحلب في رجوعه إلى بغداد، وأنَ تزوجه بالبنت كان بحلب. ولكن أبا المظفر ليس بحجة فيما ينقله، ولم يذكر للحكاية إسنادًا متصلاً إلى ابن عقيل، ولا عزاها إلى كتاب معروف، ولا يعلم قدوم ابن عقيل إلى الشام، فنِسبتُها إلى القاضي أبي بكر الأنصاري أنسب. والله أعلم.
وقد تضمنت هذه القصة: أنه لا يجوز قبول الهدية على رد الأمانات لأنه يجب عليه ردها بغير عوض، وهذا إذا كان لم يلتقطها

بنِيَّة أخذ الجُعْل المشروط وقد نص أحمد رضي اللّه عنه على مثل ذلك في الوديعة، وأنه لا يجوز لمن ردها إلى صاحبها قبولُ هديته إلا بنية المكافأة.

عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي، ثم الدمشقي، المعروف بابن الحنبلي

الفقيه الواعظ المفسر، شرف الإسلام أبو القاسم.
كذا كناه ابن القلانسي في تاريخه. وكناه المنذري وغيره أبا البركات ابن شيخ الإسلام أبي الفرج الزاهد- المتقدم ذكره- شيخ الحنابلة بالشام في وقته.
توفي والده وهو صغير فاشتغل بنفسه، وتفقه وبرع، وناظر وأفتى، ودرس الفقه والتفسير ووعظ، واشتغل عليه خلق كثير. وكان فقيهًا بارعًا، وواعظًا فصيحًا، وصدرًا معظمًا، ذا حُرمةٍ وحشمه وسؤددٍ ورئاسة، ووجاهةٍ وَجَلالة وهيبة.
ولما ورد الفرنج إلى دمشق سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، أرسله صاحب دمشق إلى الخليفة المسترشد ببغداد ليستنجدهم على الفرنج، فخلع عليه ووَعَده بالإنجاد.
وكان له بجامع دمشق مجلس يعقده للوعظ، وقيل: إنه منع منه بسبب الفتن.
قال ابن السمعاني: سمعتُ أبا الحجاج يُوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي- مذاكرة- يقول: سمعتُ الشيخ الإمام عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي الدمشقي- بدمشق- ينشد على الكرسي في جامعها، وقد طاب وقته:

سيدِي عَلِّلِ الفُـؤَاد الـعَـلـيلا ... وأحيني قَبْل أن تراني قـتـيلا
تكن عَازماً على القبض ... فتَرفَّق بهـا قَـلـيلاً قَـلـيلاً رحي

قرأت بخط حفيده ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم قال: حكى لنا الفصيح الحنفي قال: احتجت، فأشار عليّ بعضُ الناس أن أقوم في مجلس شرف الإسلام فأمتدحه بقصيد شعر. قال: فَفَعَلْتُ، فرمى عليّ الشيخُ منديلاً كان في يده، فخلع على جماعة أصحابه ثيابًا كثيرة، ونثروا عليّ، فخرجتُ من المجلس ومعي جمال تحمل الخلع. فبلغ ذلك البرهان البلخي شيخ الحنفية، فشكاني إلى والدي، فقلتُ: كنت محتاجًا، ورحت إلى رجل أغناني، فاسكتوا عني وإلا رُحتُ إليه بُكرةً.
قال ناصح الدين: وكان وجيه الدين مسعود بن شجاع شيخ الحنفية- بدمشق- يذكر شرف الإسلام جدّي، ويقول: كان يَذكر مجلدة من التفسير في المجلس الواحد ويُثني عليه.
قال: وكان زين الدين بن الحكيم الواعظ الحنفي يذكر جدي شرف الإسلام على المنبر، ويثني عليه، وربما ذكره فبكى.
قلت: ولشرف الإسلام تصانيف في الفقه والأصول، منها "المنتخب في الفقه" في مجلدين و "المفردات"، و "البرهان في أصول

الدين" ورسالته في الرد على الأشعرية.
وحدث عن أبيه ببغداد ودمشق وسمع منه ببغداد أبو بكر بن كامل، وناظر مع الفقهاء ببغداد في المسائل الخلافيات.
قال ابن النجار: حدث عن والده بحديث منكر. وبنى بدمشق مدرسة داخل باب الفراديس، وهي المعروفة بالحنبلية. ولما شرع في بنائها طلع بعض المخالفين إلى "زمرّد خاتون" أم شمس الملوك- وكان حكمها نافذًا في البلد- فقالوا لها: هذا ابن الحنبلي يبني مدرسةً للحنابلة، وهذا البلد عامته شافعية، وتصير الفتن وبناؤها مفسدة وضرر كبير. فبعثتْ إلى الشيخ، وقالت له: بطل هذا البناء، فقال: السمع والطاعة. وقال للصناع: انصرفوا، فانصرفوا. فلما كان الليل أحضر الصُّنَاع والفعلة وأصحابه، وأشعلوا المشاعل والشمع، وشرعوا في تأسيس حائط القبلة، ونصبوا المحراب ليلاً، وقال: اغدوا على عملكم، فغدوا، وقال أولئك لها: قد خالفَ أمرك. فنزل إليه عشرة من القلعة، وقالوا له: أما قد نهتك خاتون عن بناء هذا المكان. فقال: أنا قد بنيتُ بيتًا من بيوت اللّه عز وجل، ونصبتُ محرابًا للمسلمين، فإن كانت هي تهدمه تبعث تهدمه، وصاح على الصناع: اعملوا. فبلغها ما قال. فقالت: صدق. أنا ما لي وللفقهاء.
ذكر ذلك الناصح عن بعض أصحاب أبي شرف الإسلام.
قال: سمعتُ والدي يقول: جاء رجل من أصحاب أبي شرف الإسلام إليه، فقال: رأيتُ الليلة في منامي أبي، فقال لي: هذا الذي يقوله لكم الشيخ ما هو صحيح، ما رأينا لا جنةً ولا نارًا، ولا قيامةً ولا حسابًا، وهو يبكي، فقال له الشيخ: ما ذاك والدك. فقال: يا سيدي، والدي، أنا أعرفه، فقال له الشيخ: ذاك الشيطان، الساعة.
يعود ويقول لك مثل ما قال. فقل أنت له: بالله الذي لا إله إلا هو، أنت والدي. فيولي عنك ويضرط لك. فلما كانت الليلة الثانية أصبح وجاء إلى الشيخ، فقال له: ضرط لك؟ قال: أي واللّه يا سيدي.
توفي رحمه الله في ليلة الأحد سابع عشر صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة.
ودفن عند والده بمقابر الشهداء من مقابر الباب الصغير.
وذكره أبو المعالي بن القلانسي في تاريخه، فقال: كان على

الطريقة المرضية، والخلال الرضية، ووفور العلم وحسن الوعظ وقوة الدين، والتنزه عما يقدح في أفعال غيره من المتفقهين، وكان يوم دفنه مشهودًا من كثرة المشيعين له والباكين حوله، والمؤبنين لأفعاله والمتأسفين عليه. رحمه الله تعالى.
وللمهذب أحمد بن منير الشاعر الحلبي المشهور رسالة إلى شرف الإسلام يمدحه فيها وأهل بيته بقصيدة، يقول فيها:

ولعمري لـولا بـقـية عـبـدالواحد الحنبـلـيّ أعـضـل داؤه
أعادوا المعروف غضاً وقد صوّ محضـره وغـاض بـهـاؤه
أرضعوا النباهة مـن عـنوضار مـاء الـمـروءة مـاؤه
كل معروفهم لمعروفهـم طـلـق في مكـروهـه شـركـاؤه
ألسن توّج المـنـابـر مـنـهعاضب فلّ القضاء مـضـاؤه
فالكتابُ العَـزيز يشـهـدُ أن قسلمـت خـصـلة لـه قـراؤه
أنتـم، وَمَـن لـم يقـل قـو عمّمـت عـينـه أعـضـاؤه
فقـهـاء الإسـلام إنْ عـزَّلبس أحـبـاره خـطـبـاؤه

قال ناصح الدين حفيد شرف الإسلام: قد عرضت هذه القصيدة على أبي البقاء العكبري، فأثنى عليها كثيرًا.

عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي، الحافظ أبو البركات

محدّث بغداد: ولد في رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة.
وسمع الكثير من أبي محمد الصريفيني، وأبي الحسين بن النقور، وأبي القاسم الأنماطي، وابن البسري، وأبي نصر الزينبي، وطراد، وخلق كثير بعدهم. وكتب بخطه الكثير، وسمع العالي والنازل، حتى إنه قرأ على أبي الحسين بن الطيوري جميع ما عنده.
قال ابن ناصر عنه: كان بقية الشيوخ، سمع الكثير. وكان يفهم، مضى مَسنُورًا وكان ثقةً، ولم يتزوج قط.
وقال السلفي: كان عبد الوهاب رفيقًا حافظاً ثقة، لديه معرفة جيدة. وقال الحافظ أبو موسى المديني في معجمه: هو حافظ عصره ببغداد.
وذكره ابن السمعاني، فقال: حافظ ثقة، واسع الرواية، دائم البشر،

سريع الدمعة عند الذكر، حسن المعاشرة. جمع الفوائد وخرج التخاريج، لعله ما بقي جزء مروي إلا وقد قرأه وحصل نسخته. ونسخ الكتب الكبار، مثل الطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب. وكان متفرغًا للتحديث: إما أن يقرأ عليه، أو ينسخ شيئًا.
وذكره ابن الجوزي في عِدَّة مواضع من كتبه، كمشيخته، وطبقات الأصحاب المختصرة، والتاريخ، وصفوة الصفوة، وصيد الخاطر. وأثنى عليه كثيرًا، وقال: كَان ثقة ثبتًا، ذا دين وورع، وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته. وكان على طريقة السلف، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره، ودخلت عليه في مرضه- وقد بلي وذهَبَ لحمُه- فقال لي: إنَّ اللّه عز وجل لا يُتهمُ في قضائه.
وقال أيضًا: ما رأينا في مشايخ الحديث أكثر سماعًا منه، ولا أكثر كتابة للحديث بيده مع المعرفة به، ولا أصبر على الإقراء، ولا أسرع دمعة وأكثر بكاء مع دوام البشر وحسن اللقاء.
وقال أيضًا: كنت أقرأ عليه الحديث من أخبار الصالحين، فكلما قرأتها بكى وانتحب. وكنا ننتظره يوم الجمعة بجامع المنصور، فلا يجيء من قنطرة باب البصرة وإنما يجيء من القنطرة العتيقة. فسألته عن هذا؟ فقال: تلك كانت دار ابن معروف القاضي، فلما غضب عليه السلطان أخذها وبنى عليها القنطرة.
قال لنا: وسمعتُ أبا محمد التميمي يحكي عن ابن معروفٍ: أنه أحل كل من يَجوزُ عليها، إلا أني أنا لا أفعل.
قال: وكانت فيه خلة أخرى عجيبة: لا يغتاب أحدًا، ولا يُغتاب عنده. وكان صبورًا على القراءة عليه، يقعد طول النهار لمن يطلب العلم. وكان سهلاً في إعارة الأجزاء لا يتوقف، ولم يكن يأخذ أجرًا على العلم، ويعيبُ من يفعل ذلك، ويقول: علِّمْ مجانًا كما عُلِّمتَ مجانًا.
قلتُ: حَدَّث عبد الوهاب بالكثير، وسمع منه خلق عظيم.
وروى عنه من الحفاظ والأئمة وغيرهم خلق كثير منهم: ابن ناصر والسلفي وابن عساكر، وأبو موسى المديني، وأبو سعد السمعاني، وابن الجوزي، وابن الأخضر، وأبو أحمد بن سكينة، وابن طبرزد، وأحمد بن الديبقي، وعبد الوهاب بن أحمد. هذا خلاف عبد الوهاب بن أحمد بن هذيمة، وهو خاتمة أصحابه.
وكان ابن السمعاني وغيرهُ مِن الحُفاظ يستفيدون منه، ويرجعون إلى قوله في أحوال الرواة وجرحهم وتعديلهم.

ومن الفوائد المذكورة عنه: أنه كان لا يجيز الرواية بالإجازة عن الإجازة وجمع في ذلك تأليفًا. ذكره ابن السمعاني عنه. وهو مذهبٌ غريب.
تُوفي رحمه اللّه تعالى يوم الخميس حادي عشر المحرم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، ودفن من الغد بالشونيزية، وهي مقبرة أبي القاسم الجنيد غربي بغداد.
أخبرنا أبو الفتح محمد بن إبراهيم- بمصر- أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، أخبرنا الحافظ عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي بقراءتي عليه، أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن محمد الصريفيني، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الصيرفي، حدثنا أبو القاسم البغودي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَ آخِرَ مَا أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ الْنبُوّةِ الأُولى: إذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ".
أخرجه البخاري عن آدم عن شعبة.

محمد بن علي بن صدقة بن جلب الصائغ، أبو البركات، أمين الحكم بباب الأزج:

سمع من أبي محمد التميمي، وقرأ الفقه على القاضي أبي خازم.
وذكر ابن القطيعي عن أبي الحسين بن أبي البركات الصائغ قال: سمعت أبي قال: جاءت فتوى إلى القاضي أبي خازم، وفيها مكتوب:

ما يقول الإمام أصلحه اللّـ ـهُ وللسبيل هَدَاهُ
في محب أَتى إليه حبيب في ليالي صيامه فأتاه
أَفْتِنا: هل صباح ليلته أفطر أم لا؟ وقل لنا ما تراه

قال: فقال في القاضي أبو خازم: أجب يا أبا البركات، فكتبتُ الجواب وبالله التوفيق:

السائل عن الوطء في لي الصيام الذي إليه دعاه
وجده بالذي أحبَّ وقد أحرق نارُ الغرام منه حَشَاه
تَعْصي؟ ولو تفَكَّر في قد رة ربي مفكرِ ما عصاه
أأمِنْتَ الذي دحا الأرض أنْ تطدُونَ الورى علَيك سماه؟
فيما أتيتَ ما يُبْطِل الصَّوجوابي فاعلم هداك اللّـه

تُوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر رجب سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة. ودُفِن بباب حرب.

وكان سبب موته: أن زوجتَه سمَّتْهُ في طعام قدَّمَتْه له، وأكل معه منه رجلان فمات أحدهما من ليلته، والآخر من غده. وبقي أبو البركات مَرِيضًا مديدة، ثم مات رحمه الله تعالى.

موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد الجواليقي، أبو منصور بن أبي طاهر

شيخ أهل اللغة في عصره: ولد في ذي الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة. ذكره ابن شافع وابن الجوزي.
وقال ابن السمعاني: سألته عن مولده?. فقال: سنة ست وستين.
وذكر غيره: أنه سأله عن ذلك? فقال: في أواخر سنة خمس، أو أوائل سنة ست. وسمع الحديث الكثير من أبي القاسم بن البسري، وأبي طاهر بن أبي الصقر وأبي الحسن علي بن محمد الخطيب الأنباري، وطراد الزينبي، ونصر بن البطر، وأبي الحسين بن الطيوري، وجعفر السراج، وأبي طاهر بن سوار، وجماعة من بعدهم.
وقرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي سبع عشرة سنة. وبرع في علم اللغة والعربية. ودرس العربية في المدرسة النظامية بعد شيخه أبي زكريا مدّة، ثم قربه المقتفي لأمر اللّه تعالى، فاختص بإمامته في الصلوات. وكان المقتفي يقرأ عليه شيئًا من الكتب، وانتفع بذلك، وبان أثره في توقيعاته. وكان من أهل السنة المحامين عنها. ذكر ذلك ابن شافع.
وقال ابن السمعاني في حقه: إمام في اللغة والأدب. وهو من مفاخر بغداد وهو متدين ثقة، ورع. غزير الفضل، كامل العقل، مَليحَ الخطّ، كثير الضبط. صنف التصانيف، وانتشرت عنه، وشاع ذكره. نقل بخطه الكثير.
وقال ابن الجوزي: انتهى إليه علم اللغة. وكان غزير العقل، متواضعًا في ملبسه ورئاسته، طويل الصمت، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل. وكثيرًا ما كان يقول: لا أدري. وكان من أهل السنة. سمعت منه كثيرًا من الحديث وغريب الحديث، وقرأتُ عليه كتابه "المعرب: وغيره من تصانيفه وقطعة من اللغة.
وقال ابن خلكان في تاريخه: صنَّف التصانيف المفيدة وانتشرتْ عنه، مثل شرح كتاب "أدب الكاتب" وكتاب "المعرب" وتتمة "دُرَةِ الغَوَّاص" للحريري. وخطه مرغوب فيه.
كان يصلي بالمقتفي بالله، فدخل عليه- وهو أول ما دَخل- فما زاد

على أن قال: السلام على أمير المؤمنين. فقال: ابن التلميذ النَّصراني- وكان قائمًا، وله إدلال الخدمة، والطب-: ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ، فلم يلتفت إليه ابن الجواليقي وقال: يا أمير المؤمنين، سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية، وروى الحديث، ثم قال: يا أمير المؤمنين، لَوْ حَلَفَ حَالِفٌ أنَّ نصرانيًا أو يهوديًا لم يَصِل إلى قلبه نوعٌ من أنواع العلم على الوَجْه المرضي لما لزمته كفارة، لأن اللّه خَتم على قلوبهم ولن يفك ختم اللّه إلا الإيمان. فقال: صَدَقت وأحسنت، وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر، مع فضله وغزارة أدبه.
وقال المنذري: الإمام أبو منصور، أحد الفضلاء في اللغة والنحو، وهو من مفاخر بغداد، وله التصانيف المشهورة. حدث أبو منصور بالعوالي من حديثه لعزة أوقاته.
وسمع منه جماعة، منهم: ابن ناصر، وابن السمعاني، وابن الجوزي، وأبو اليمن الكندي.
وتوفي سحر يوم الأحد خامس عشر محرم سنة أربعين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد في جامع القصر، وحضر الصلاة عليه أربابُ الدولة والعلماء، وتقدمهم في الصلاة قاضى القضاة أبو القاسم الزينبي. ودفن بباب حرب عند والده. رحمهما الله تعالى.
ووهم ابن السمعاني في وفاته، فقال: في سنة تسع وثلاثين.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا عبد الرحمن بن علي الحافظ، أخبرنا موهوب بن أحمد بن الجاليقي بقراءتي عليه، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن البسري، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت، حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا أبو مصعب الزهري عن مالك عن سمي- مولى أبي بكر- عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السَّفر قطْعَةٌ مِن العَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نومَه وَطَعامَه وَشَرابَه. فإذا قَضَى أَحَدُكم نَهْمَتَه مِن وَجْهِهِ فَليُعَجّلْ الرُّجُوعَ إلى أَهْلِهِ".
أخرجاه عن القعنبي عن مالك.
نصر بن الحسين بن حامد الحراني، أبو القاسم: أحد شيوخ حران، وفقهائها الأكابر. وهو من أصحاب أبي الفتح بن جَلَبة القاضي، وأبي الحسين بن عمرو الزاهد، وعنهما أخذ العلم.
ولا أعلم سنة وفاته.

ذكره أبو الفتح بن عبدوس، وقد عدَّ شيوخ حرَّان، وعلماءها، وفقهاءها، وذكر منهم: أبا المحاسن هبة الله بن نصر بن الحسين بن حامد ولد المذكور.
قلت: أبو المحاسن هذا تفقه ببغداد، وقرأ على ابن الزاغوني، وأبي الخطاب وغيرهما، وسمع من طلحة العاقولي.
وله تصنيف أظنه في أصول الدين سماه "كفاية المنتهى ونهاية المبتدي"، نقل منه الشيخ فخر الدين بن تيمية في تفسيره.
وذكر ابن عبدوس: أبا القاسم صدقه بن عمي بن محشي، وصاحبه أبا المعالي رافع بن محمد بن الحكيم، ولده أبا الحسن محمد بن رافع. وقد كان روى السلفي عن أبي الفتح أحمد بن حامد الأسدي الحراني بماكسين.
قال: وكان قد ولي قضاءها حديثًا بإجازته من أبي طالب العُشَاري، وبسماعه من القاضي أبي الفتح بن جلبة، بسماعه من العشاري.
وذكر ابن نقطة عن السلفي قال: سمعت المؤتمن بن أحمد الساجي يقول: علي بن محمد بن علي بن جلبة قاضي حران كان محبًا للحديث، مجدًّا في السنة.

نجيب بن عبد اللّه السمرقندي، أبو بكر:

ذكره يحيى بن الصيرفي الحراني الفقيه في بعض تصانيفه، وقال: أظنه من تلامذة ابن عقيل.
قال: وله تخاريج حَسَنَةٌ في المذهب.
وذكر من ذلك: أنه خرج رواية: أنه لا يجب القود في صورة الإكراه على القتل إلا على المكره، ولا على المكرَه، من الرواية التي يقول فيها: لا تقتل الجماعة بالواحدة لامتزاج الأفعال، فكذلك هنا وأولى لأن السبب غير صالح.

الحسين بن الهمذاني أبو عبد الله شمس الحفاظ:

له كتاب "المقتدى" في الفقه في المذهب.
ذكره ابن الصقال الحراني في رسالته المسماة ب "الإنباء عن تحريم الربا".
وذكر: أنه ذكر في هذا الكتاب: أن العروض المحلى بأحد النقدين

لا يجوز بيعه بأحدهما، قولاً واحدًا. وهذا موافقةً لطريقة ابن أبي موسى وغيره. ولا أعلم من حاله غير هذا.

المبارك بن عبد الملك بن الحسين البغدادي، الحريمي، الفقيه، الإمام أبو علي، المعروف بابن القاضي:

تفقه في المذهب وبرع فيه. وسمع في حال كبره من غير واحد. وكان من أكابر الفقهاء.
تفقه عليه جماعة. ولا أعلم سنة وفاته.
وله ابن يقال له: أبو منصور عبد الملك كان موصوفًا بالصلاح والخير. ولي القضاء بمدينة المنصور بالحريم الطاهري.
وسمع من أبي منصور القزاز، وأبي البدر الكرخي وطبقتهما، وحدث.
وكان مولده سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.
وتوفي في عشرين ذي الحجة سنة تسع وستمائة. ودُفن بباب حرب.
سمع منه النجيب الحراني. وسيأتي عنه حديث في ترجمة ابن الطلاية.

بقية وفيات المائة السادسة

من سنة 541 ه- إلى سنة 600 ه

عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله البغدادي

المقرىء النحوي الأديب الزاهد أبو محمد، سبط أبي منصور الخياط: وُلد ليلة الثلاثاء سابع عشرين شعبان سنةْ أربع وستين وأربعمائة.
وتلقن القرآن من شيخه أبي الحسن بن الفاعوس، وقرأ بالروايات على جده أبي منصور الزاهد، والشريف عبد القاهر العباسي، وابن سوار: وجماعة.
وسمع الحديث الكثير من أبي الحسين بن النقور، وأبي منصور بن عبد العزيز، وطراد، وغيرهم.
وقرأ الأدب على أبي الكرم بن فاخر، وبرع عليه في العربية واللغة، وقرأ عليه كتاب سيبويه، وتصانيف ابن جني. وصنف في القراءات

كتباً وقصائد، وأم بمسجد ابن جردة وأقرابه، من سنة سبع وثمانين وأربعمائة إلى وفاته، وختم ما لا يحصى.
وقرأ عليه بالروايات خلق كثير. آخرهم موتاً تاج الدين زيد بن الحسن الكندي.
وسمع منه الحديث خلق كثير من الحفاظ وغيرهم، منهم: ابن ناصر، وابن السمعاني، وابن الجوزي. وكان أكابر العلماء وأهل بلده يقصدونه.
قال ابن الجوزي: قرأت عليه القرآن والحديث الكثير، ولم أسمع قارئاً قط أطيب صوتًا منه، ولا أحسن أداء على كبر سنه، وجمع الكتب الحسان. وكان كثير التلاوة، لطيف الأخلاق، ظاهر الكياسة والظرافة، وحسن المعاشرة للعوام والخواص.
وقال أيضًا: كان قويًا في السّنة. وكان طول عمره منفردًا في مسجده.
وقال ابن السمعاني: كان له معرفة بالنحو واللغة، متوددًا متواضعاً، حسن القراءة والتلاوة في المحراب، خصوصًا في ليالي رمضان، يحضر الناس عنده لاستماع قراءته. وصنف تصانيف في القراءات وعلوم القرآن، وخولف في بعضها، وشنعوا عليه. وسمعت أنه رجع عن ذلك. والله تعالى يغفو لنا وله وكتبت عنه وعلقت عنه من شعره.
وقال ابن شافع: سار ذكر سبط الخياط في البلاط والأغوار والأنجاد ورأس أصحاب الإمام أحمد، وصار أوحد وقته ونسيج وحده، لم أسمع في جميع عمري من يقرأ الفاتحة أحسن ولا أوضح منه. وكان جمال العراق بأسره. وكان ظريفًا كريمًا لم يخلف مثله في أكثر فنونه.
ولصدقة بن الحسين في مدحه:

يا قـدوة الـقـراء والأدبـا ومحجة الفقهاء والعلـمـا
والعالم الحبر الإمام من سمى بالعلم مرتبة على الجـوازا

وقال ابن نقطة: كان شيخ العراق يوجع إلى دين وثقة وأمانة. وكان ثقة صالحًا من أئمة المسلمين.
وقال الذهبي في طبقات القراء: صنف التصانيف المليحة في القراءات، مثل "المبهج" و "الكفاية" و "القصيدة المتحدة" و "الروضة" و "الإيجاز في السبعة" و "المؤيدة للسبعة"، و "الموضحة في العشرة" و "الاختيار" و "التبصرة" وغير ذلك.
وله شعر حسن كثير، فمنه ما أنشده ابن السمعاني عنه:

من تمسك بالدنـيا ولـذتـهـا في جمعها بالكد والتعـب

هل لا عمرت لدار سوف تسكنها القرار وفيها معدن الطلب?
فعن قليل تراها وهي دائرة مزق ما جمعت من نشب

ومنه قوله:

لم تؤدبه الليالي وصرفها فما ذاك إلا غائب العقل والحس
يظن بأن الأمر جار بحكمه وليس له علم: أيصبح أم يمسي?

وقوله:

كان أمر الله في الخلق مقدوره فيهم يقيم ويقعد ونافذا
ينفع الحرص المركب في الفتى أحد فيه يحل ويعقد

وقوله:

أيها الزائرون بعد وفاتي حدثاً ضمني ولحدًا عميقا
سترون الذي رأيت من الموت عياناً وتسلكون الطريقا

وقال الحافظ الضياء المقدسي: أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن سلطان ببغداد، أخبرنا محمد المقرىء، أجاز لهم، وأنشدنا لنفسه:

ترك التكلف في التصوف واجب المحال تكلف الفقراء
إذا امتد الظلام رأيتهم يتركعون تركع القراء
والوجد منهم في الوجوه السماع يحل في الأعضاء محله
يرفعون بذاك صوتاً مجهرًا يتجنبون مواقع الأهواء
ويواصلون الدهر صوماً دائماً في البأس إن يأتي وفي السراء
وتراهم بين الأنام إذا أتوا النجوم الغر في الظلماء
صدقت عزائمهم وعز مرامهم وعلت منازلهم على الجوزاء
صدقوا الإله حقيقة وعبوديةً وحفظوا حقوق الله في الآناء
والرقص نقص عندهم في عقدهم القضيب بغير ما إخفاء
شعار الصالحين ومن مضى سادة الزهاد والعلماء
رأيت مخالفًا لفعالهم حكم عليه بمعظم الإغواء

وله أيضًا:

الفقه علم به الأديان ترتفع ... النحو عز به الإنسان ينتفع
الحديث إذا ما رمته فرج ... كل معنى به الإنسان يبتدع
الكلام فذره، فهو زنـدقة ... وفرقه فهو خرق ليس يرتقع

وله أيضًا:

ظهرت في الأنام بدعة قوم ... جحدوا الله والقرآن المبينا
عطلوا وصفه، وحادوا عن الحق ... جميعاً، وخالفوه يقينا

قال ابن الجوزي: توفي بكرة يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وتوفي في غرفته التي في مسجده، فحط تابوته بالحبال من سطح المسجد، وأخرج إلى جامع القصر، فصلى عليه عبد القادر. وكان الناس في الجامع أكثر من يوم الجمعة ثم صلى عليه في جامع المنصور.

وقال: وقد رأيت أنا جماعة من الأكابر، لما رأيت أكثر جمعًا من جمعه على تقدير الناس، من نهر معلى إلى قبر أحمد، وغلقت الأسواق، ودفن في دكة الإمام أحمد عند جده أبي المنصور.

أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بفسطاط مصر- أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم، أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي المقرىء- بقراءتي عليه- أخبرنا الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة، أخبرنا أبو عمر بن مهدي، حدثنا المحاملي، حدثنا يوسف بن موسى القطان، حدثنا إسماعيل بن علية، حدثني علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا". أخرجه البخاري عن أبي معمر عن عبد الوارث، ومسلم عن أبي الربيع الزهراني عن يزيد بن زريع، كلاهما عن حسين المعلم عن يحيى بن أبي كثير.

دعوان بن علي بن حماد بن صدقة الجبائي

ويقال له: الجُبّي أيضًا- نسبة إلى قرية بسواد بغداد عند العقر على طريق خراسان، المقرىء الفقيه الضرير أبو محمد: ولد سنه ثلاث وستين وأربعمائة بالجبة المذكورة.

وقدم بغداد فسمع بها من أبي محمد التميمي، وأبي عبد الله

البسري، والحسين بن طلحة وثابت بن بندار، والصريفيني، وابن البطر، وابن السراج.
وقرأ بالروايات على الشريف عبد القاهر المكي، وابن سوار، وتفقه على أبي سعد المخرمي، وأحكم الفقه، وأعاد شيخه المذكور في درس الخلاف، وأقرأ القرآن، وحدث، وانتفع به الناس. قرأ عليه جماعة، وحدث عنه آخرون، منهم ابن السمعاني.
قال ابن الجوزي: كان خيرًا دينًا، ذا ستر وصيانة وعفاف، وطرائق محمودة، على سبيل السلف الصالح.
توفي يوم الأحد ساس عشر ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة أبي بكر- غلام الخلال- إلى جانبه.
قال ابن الجوزي: كتب إليّ عبد اللّه الجبائي الشيخ الصالح، قال: رأيت دعوان بن علي بعد موته بنحو من شهر في المنام، وكأن عليه ثيابًا بيضاء شديدة البياض، وعمامة بيضاء، وهو يمضي إلى الجامع لصلاة الجمعة، وقد أخذت يده اليسرى بيدي، ومضينا. فلما بلغنا إلى حائط الجامع، قلت له: يا سيدي، إيش لقيت. قال لي: عرضت على الله تعالى خمسين مرة، وقال لي: إيش عملت. فقلت له: قرأت القرآن وأقرأته. قال لي: أنا أتولاك، أنا أتولاك. قال عبد اللّه: فأصابني عن الوجد، وصحتُ وضربت بكفي اليمنى حائط الجامع ثلاث مرات، أتأوه وأضرب الحائط بكفي، ثم استيقظت.

صالح بن شافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجيلي الفقيه المعدل، أبو المعالي:

ولد ليلة الجمعة لست خلون من المحرم سنة أربع وسبعين وأربعمائة.
وسمع من أبي منصور الخياط، وابن الطيوري، وغيرهما. وصحب ابن عقيل وغيره من الأصحاب. وتفقه ودرس بالمسجد المعروف به بدرب المطبخ شرقي بغداد.
قال ابن المنذري في تاريخ القضاة: كان فقيهًا زاهدًا من سروات الناس.

قال ابن الجوزي: كان من المعدلين، فجرت حالة أوجبت أن عزل من الشهادة.
وقال ابن المنذري: كان أحد الفضلاء الشهود. وحدث عنه الحافظان: أبو القاسم الدمشقي وأبو سعد السمعاني.
توفي يوم الأربعاء سادس عشر رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. وصلى عليه من الغد. وتقدم عليه في الصلاة ولده أبو الفضل أحمد صاحب التاريخ. ودفن في دكة الإمام أحمد رضي الله عنه. وذكر ابن الجوزي: أنه دفن على ابن عقيل.

المبارك بن كامل بن أبي غالب محمد بن أبي طاهر الحسين بن محمد البغدادي، الظفري المحدث، مفيد العراق، أبو بكر، ويعرف أبوه بالخفاف:

ولد يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة سنة خمس وتسعين وأربعمائة.
وقرأ القران بالروايات. وسمع الحديث الكثير. وأول سماعه سنة ست وخمسمائة، وعنى بهذا الشأن.
سمع من أبي القاسم بن بيان، وأبي علي بن شهاب، أبي طالب بن يوسف، وأبي سعد بن الطيوري، وابن شجاع الذهلي، وأبي الغنائم النرسي، وأبي الوفاء بن عقيل، وخلق كثير غيرهم.
قال ابن الجوزي وما زال يسمع العالي والنازل، ويتتبع الأشياخ في الزوايا وينقل السماعات، فلو قيل: إنه سمع من ثلاثة آلاف شيخ لما رد القائل. وجالس الحفاظ، وكتب بخطه الكثير، وانتهت إليه معرفة المشايخ، ومقدار ما سمعوا والإجازات.
وكان قد صحب هذا رست، ومحمود الأصبهاني، وغيرهما ممن يعنى بهذا الشأن، وانتهى الأمر في ذلك إليه، إلا أنه كان قليل التحقيق فيما ينقل من السماعات مجازفة لكونه يأخذ عن ذلك ثمنًا، وكان فقيرًا إلى ما يأخذ. وكان كثير التزويج والأولاد.
وقال ابن النجار: أفاد الطلبة والغرباء، وخرج التخاريج، وجمع مجموعات، منها كتاب "سلوة الأحزان" نحو ثلاثمائة جزء وأكثر، وحدث بأكثر ما جمعه، وبقليل من مروياته. وسمع منه الكبار والقدماء.
وكان صدوقًا مع قلة فهمه ومعرفته، وخرج لنفسه معجماً

لشيوخه.
وقال: الذهبي سمع الكثير، كتب عن الجم الغفير، وأفاد الطلبة، وانتفع به خلق كثير.
توفي في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن بالشونيزية. رحمه الله تعالى.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن قثامى الحريمي الفقيه المعدل، أبو القاسم بن أبي علي:

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.
وسمع من أبي نصر الزينبي، وأبي الحسين العاصمي، وأبي الغنائم بن أبي عنان، وثابت بن بندار، وغيرهم.
قال ابن الجوزي: كان صدوقًا فقيهًا مفتيًا مناظرًا، وروى عنه حكاية في غير موضع من كتبه.
وسمع منه ابن السمعاني، وقال: فقيه فاضل على مذهب أحمد، حسن الكلام في المسائل، جميل الصورة، مرضي الطريقة، متواضع، كثير البشر راغب في الخير.
وقال ابن شافع: كان فقيهاً مفتيًا مناظرًا. صدوقًا أمينًا. ذكره شيخنا- يعني: ابن ناصر- وأثنى عليه.
روى عنه أحمد بن عبد الملك بن يوسف بن بانانة.
وتوفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب. رحمه اللّه تعالى.

عبد الله بن عبد الباقي بن التبان الواسطي

ثم البغدادي، أبو بكر الفقيه، ويسمى محمد وأحمد أيضاً: قال ابن الجوزي: كان من أهل القرآن، وسمع من أبي الحسين بن الطيوري وتفقه على ابن عقيل، وناظر وأفتى ودرس. كان أميًا لا يكتب.
توفي في شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن تسعين سنة. ودفن بمقبرة باب حرب. رحمه الله تعالى.
وقال ابن شافع: كان مذهبيًا جيدًا، وخلافيًا مناظرًا، ومن أهل القرآن. بقي على حفظه لعلومه إلى أن مات.

وذكر: أنه توفي يوم الخميس ثامن شوال المذكور، وله تسعون سنة أو أزيد.
وقال ابن النجار: درس المذهب على ابن عقيل حتى برع فيه.
وكان يتكلم في مسائل الخلاف، ويفتي ويدرس.
سمع الحديث من أبي منصور الخياط، وابن الطيوري وأبي الحسن بن الدهان المرتب. وحدث باليسير.
وسمع منه المبارك بن كامل، وأبو الفضل بن شافع.

الجنيد بن يعقوب بن الحسن بن الحجاج بن يوسف الجيلي

الفقيه الزاهد، أبو القاسم بن أبي يوسف بن أبي علي: ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بتولم: من أرض جيلان. كذا ذكره ابن السمعاني عنه.
وذكر ابن شافع عنه: أنه ولد سنة خمسين. ثم قدم بغداد، وأقام بباب الأزج.
وقرأ الفقه على يعقوب البرزبيني، والأدب على أبي منصور بن الجواليقي.
وسمع الحديث من أبي محمد التميمي، أبي الحسن الهكاري، وأبي الحسن بن العلاف، ومن طلحة العاقولي، والقاضي أبي الحسين، وغيرهم. وحدث باليسير. وكتب بخطه الكثير من الفقه والأصول والخلاف والحديث والأدب.
وكان فاضلاً دينًا، حسن الطريقة. جمع كتابًا كبيرًا في استقبال القبلة ومعرفة أوقات الصلاة. ذكر ذلك ابن النجار.
وروى عنه ابن عساكر، والسمعاني، وقال: شيخ صالح حسن السيرة.
وقال أبو العباس بن لبيدة عنه: كان صادقًا زاهدًا ثبتًا، لم يعرف عليه إلا خيرًا.
قال: وتوفي يوم الأربعاء سادس عشري جمادى الآخرة سنة ستة وأربعين وخمسماية. وصلى عليه الشيخ عبد القادر بمدرسته. ودفن من يومه بمقبرة الجلبة. رحمه الله تعالى.
قرأت بخط أبي القاسم الجنيد بن يعقوب الجيلي في بعض تعاليقه في حادثة جاءت من بلد الهكار: قطعة جبل لرجل عليها شجر نابت،

وتحتها أرض لرجل آخر مزروعة، انقطعت القطعة فسقطت على الأرض التي تحتها، فسترتها وصارت حاضنة لها، مانعة لصاحبها من زراعتها، والشجر بحاله ثابت في تلك القطعة لا يستضر ساحبها، لكن صاحب الأرض التي تحتها يستضر: ما الحكم في ذلك.
الجواب- وباللّه التوفيق-: أنه يحتمل القيمة، لأنها صارت كالمستهلكة فهي كاللآلىء إذا ابتلعها عبده. انتهى. ولم يعز الجنيد هذا الجواب إلى أحد بعينه والظاهر: أنه جوابه بنفسه.
وفيما قاله نظر فإن جناية العبد تفارق بقية جنايات الأموال لأن العبد مكلف مختار، فلا تسقط جنايته وتتعلق برقبته، وإن لزم من ذلك فوات حق المالك. وهذا بخلاف جنايات البهائم فإنه لا يضمن مالكها إلا أن ينسب إلى نوع من تفريط في حفظها، على ما فيه من اختلاف وتفصيل.
وأما الجنايات الحادثة من أمواله التي لا حياة فيها: فلا ضمان عليه فيها إلا أن ينسب إلى نوع تفريط، مثل من مال حائطه إلى جاره أو إلى الطريق، فإنه إذا لم يعلم به فلا نعلم خلافًا في أنه لا ضمان عليه، وإن علم وامتنع من النقض حتى سقط فأتلف، ففي وجوب الضمان عليه خلاف مشهور. فهذه الأرض الساقطة بسيل أو غيره على أرض الغير تشبه ما تلف بسقوط الجدار ونحوه.
وقد يقال: المتلف نوعان.
أحدهما: ما فات ولم يمكن إعادته من مال ونفس، فهذا الذي تكلم الفقهاء في ضمانه على ما سبق ذكره.
والثاني: ما هو باقي، ولكن المالك بينه وبين مالكه. فهذا يلزم المالك الذي حال ملكه بينه وبين مالكه: أن يخلي بين المالك ليأخذه. فإذا عجز فهل يقال: يلزمه ضمانه لحيلولة ملكه. فقد ذكره صاحب المحرر في مسودته على الهداية فيما إذا ابتلعت بهيمته جوهرة في حال لا يلزم المالك ضمان جنايتها: هل يلزمه هنا شيء أم لا. وبيض لذلك.
ولكن كلام ابن عقيل وغيره في مسألة من وقع في محبرته دينار لغيره بغير تفريط منه: أنه يلزمه بذلها للكسر مضمونة، ولا يلزمه أكثر من ذلك يدل على أنه لا يلزمه ضمان ما حال ملكه بينه وبين مالكه، وأنه لا يلزمه أكثر من بذل التسليم للمالك، ليخلص ملكه. وهذا يبقى الضمان عند العجز. وهو الأظهر.
ولو قيل: إنه يلزمه الأجرة مدة الانتفاع ببقاء أرضه على أرض

غيره، إلحاقًا بمن حمل السيل غراسه إلى أرض آخر.
قلنا: يلزمه الأجرة، وفيه نظر. والله أعلم.
والذي ذكره القاضي وابن عقيل فيمن ابتلعت بهيمته ما لا لغيره يبقى، كذهب وجوهر: فإن كان يلزمه الضمان وكانت مأكولة: فهل تذبح لاستخراجه. على وجهين للنهي عن ذبح الحيوان لغير مأكلة، وإن كانت غير مأكولة تعين الضمان، وإن لم تكن مضمونة عليه فلا ضمان.
ولكن قياس ما ذكر ابن عقيل في سقوط الدينار في المحبرة: أنه يخير مالك المال المبتلع بين أن يذبح المأكول ويضمن نقصه، وبين أن يتركه. والله أعلم.

عبد الملك بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد علي الأنصاري الشيرازي

ثم الدمشقي، القاضي بهاء الدين بن شرف الإسلام ابن الشيخ أبي الفرج. وقد تقدم ذكر أبيه وجده: تفقه وأفتى ودرس وناظر.
وذكره أبو المعالي حمزة بن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق، فقال: كان إمامًا فاضلاً، مناظرًا مستقلاً، مفتيًا على مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة، يحكم عليه، ما كان عليه عند إقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم. وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي. وهو حسن الحديث في الجد والهزل.
توفي يوم الإثنين سابع عشر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة. وكان له يوم مشهود. ودفن في جوار أبيه في مقابر الشهداء- يعني: بالباب الصغير، وكثر الباكون حول سريره من العالم، والمثنون له والمتأسفون عليه. رحمه الله تعالى.

عبد اللّه بن هبة الله بن أحمد بن محمد السامري الفقيه، أبو الفتح:

ولد يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة.
وسمع الكثير من أبي بكر الطريثيثي، وثابت بن بندار، والمبارك بن عبد الجبار، وأبي سعد بن خشيش، وجعفر السراج، وغيرهم. وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني. وحدث باليسير، روى عنه

جماعة.
توفي ليلة الإثنين ثالث عشر محرم سنة خمس وأربعين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب.

أيوب بن أحمد بن تيموه الباجرائي

الفقيه الحنبلي. ويكتب بخطه: القاضي أيوب: قال ابن النجار: سمع ابن ناصر الدسكري. والقاضي أبا الحسين بن الفراء. وحدث عنه بأصبهان بيسير.
سمع منه أبو الكرم سعد بن الحسين بن ولاد المديني.
توفي في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
قلتُ: ووجدت خطه كثيرًا على كتب كثيرة من كتب الأصحاب، قرئت عليه، وحدث بالغيلانيات. سماعه من ابن الحصين.

الحسن بن محمد بن الحسين الراذاني

الأواني، ثم البغدادي، الفقيه الواعظ أبو علي الزاهد، ابن الزاهد أبي عبد الله. وقد تقدم ذكر أبيه: وُلد أبو علي بأوانا، وسمع ببغداد من أبي الحسين بن الطيوري، من بيان وابن شهاب، وابن خشيش، ومن الحافظ بن ناصر، ولازمه إلى أن مات.
وتفقه على أبي سعد المخرمي، ووعظ تقدم. ولما توفي ابن الزاغوني أخذ حلقته بجامع المنصور في النظر والوعظ، وطلبها ابن الجوزي فلم يعطها لصغر سنه.
سمع منه ابن السمعاني، وقال: واعظ حسن السيرة متودد.
وسمع منه أبو الحسن بن عبدوس الحراني الفقيه جزءًا فيه أجوبة عن مسائل وردت من الموصل، تتضمن عدة مسائل من أصول الدين، أجاب عنها في كراس، بجواب حسن موافق لمذهب أهل الحديث.
وذكر عبد المغيث الحربي، في بعض مؤلفاته: فتيًا من فتاويه، في تحريم السماع.
قال ابن الجوزي: توفي يوم الأربعاء رابع صفر سنة ست وأربعين وخمسمائة.
ودفن من الغد إلى جانب ابن سمعون بمقبرة الإمام أحمد. وكان موته فجأة ة فإنه دخل إلى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر، فقاء فمات.

وكان قد تزوج وعزم تلك الليلة على الدخول بزوجته.
وفي تاريخ ابن السمعاني وابن شافع: أنه توفي سادس صفر.

عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد الحلواني

الفقيه الأمام أبو محمد بن أبي الفتح، وقد سبق ذكر أبيه: وُلد سنة تسعين وأربعمائة.
تفقه على أبيه، وأبي الخطاب، وبرع في الفقه وأصوله، وناظر وصنف تصانيف في الفقه والأصول، منها: كتاب "التبصرة" في الفقه، كتاب "الهداية" في أصول الفقه.
رأيت بخطه ما يقتضي أن له تعليقة في مسائل الخلاف كبيرة، وله تفسير القرآن في إحدى وأربعين جزءًا حدث به.
وروى عن أبيه، وعلي بن أيوب البزار، والمبارك بن عبد الجبار، والحسين الخلال، وأبي نصر بن ودعان، وغيرهم.
سمع منه يحيى بن طاهر بن النجار الواعظ، وغيره.
قال ابن شافع: كان فقيهًا في المذهب، يفتي وينتفع به جماعة أهل محلته.
وقال ابن النجار: كان موصوفًا بالخير والصلاح والفضل.
وقال ابن الجوزي: كان يتجر في الخل، وينتفع به، ولا يقبل من أحد شيئًا.
وتوفي في يوم الإثنين سلخ ربيع الأول سنة ست وأربعين وخمسمائة. وصلى عليه من الغد الشيخ عبد القادر بالمصلى القديم بالجلبة. ودفن بداره بالمأمونية.
وذكر الحافظ المنذري في التكملة في ترجمة ولده أبي عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن الحلواني المتوفي سنة أربع عشرة وستمائة: أنه سمع بإشادة والده هذا من ابن المعالي بن السمين وغيره.
قال: ووالده أبو محمد عبد الرحمن كان من شيوخ الحنابلة وله معرفة بالفقه والتفسير، وحدث.
قال: والحلواني- بفتح الحاء المهملة وسكون اللام- وهذه النسبة إلى بيع الحلواء أو عملها.
قلت: المعروف أنه بضم الحاء، وما أظنه منسوبًا إلا إلى حلوان البلد المعروف بالعراق.

محمود بن الحسين بن بندار أبو نجيح بن أبي المرجا بن أبي الطيب الأصبهاني

الطلحي، الواعظ المحدث: سمع الحديث الكثير، وطلب بنفسه وقرأ.
سمع بأصبهان كثيرًا من يحيى بن منده الحافظ، ومن أبي الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحداد. ورحل إلى بغداد، وسمع بها من أبي الحصين، والقاضي أبي الحسين والطبقة. وكتب بخطه كثيرًا.
وخطه حسن متقن. ووعظ وقال الشعر.
وسمع منه يحيى بن سعدون القرطبي، حدث عنه أبو عبد اللّه محمد بن بكر الأصبهاني وغيره. وأجاز للشيخ عبد المغيث زهير وأولاده، ولأبي المعالي بن شافع وغيرهما.
وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة- أظنه بأصبهان- رحمه الله.
قرأت بخطه في الإجازة: فليرووا عني بلفظة التحديث، وإن أرادوا بلفظة الإخبار.
قلت: وهذا وإن اشتهر عند المحدثين من المتأخرين إنكاره، كما أنكره الخطيب على أبي نعيم الأصبهاني، لكن هو قول طوائف من علماء الحديث.
وقد روي عن الإمام أحمد رضي الله عنه، أخبرنا أبو الفتوح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، حدثنا أبو المعالي أحمد بن يحيى الخازن من لفظه ببغداد، حدثنا أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري إملاء، قال: سمعت الإمام أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي يقول: حدثني عمي أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي قال: سمعت غلام الخلال يقول: سمعت الخلال يقول: قال الإمام أبو عبد اللّه أحمد رضي الله عنه لولده صالح: إذا أجزت لك شيئًا فلا تبالي. قلت: أخبرنا أو حدثنا.
وروى الخطيب بإسناده عن أبي اليمان الحكم بن نافع قال: قال لي أحمد بن حنبل: كيف سمعت الكتب من شعيب بن أبي حمزة. قلت: قرأت عليه بعضًا، وبعضًا قرأه علي، وبعضًا أجاز لي، وبعضًا مناولة. فقال أحمد: قل في كل: أخبرنا شعيب. وقد روي هذا المذهب عن مالك، والحارث بن مسكين.
ذكره ابن الصلاح في كتابه عن الزهري ومالك وغيرهما من المتقدمين. وحكاه ابن شاهين عن طائفة من العلماء.

وذكر السلفي في مقدمته لإملاء الاستذكار: أن مذهب أبي عمر بن عبد البر وعامة حفاظ الأندلس: الجواز فيما يجاز قول حدثنا وأخبرنا، أو ما شاء المجاز مما يقرب منه. قال: بخلاف ما نحن وأهل المشرق عليه من إظهار السماع والإجازة، وتمييز أحدهما عن الآخر بلفظ لا إشكال فيه.
وقد صنف بعض المحدثين المتأخرين في جواز إطلاق: حدثنا وأخبرنا في الإجازة جزءاً.

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن نجا بن محمد بن علي بن محمد الأزجي، القاضي أبو علي بن شاتيل:

سمع من أبى محمد التميمي، ونصر بن البطر، وابن طلحة النعالي، وأبي بكر بن سوسين، وشيخ الإسلام الهكاري- وسمع منه سنة أربع وخمسين وأربعمائة. كذا ذكره القطيعي. وفيه نظر- وغيرهم.
وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، وولي القضاء بربع سوق الثلاثاء مدة، ثم ولي قضاء المدائن.
ذكره ابن السمعاني، فقال: أحد فقهاء الحنابلة وقضاتهم. قال: وكتبت عنه يسيراً.
وذكر ابن القطيعي في تاريخه: أنه سمع منه جماعة. ثم روى عن أبي إسحاق الصقال الفقيه عنه.
وذكر: أنه توفي يوم السبت سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.
رحمه الله تعالى.

أحمد بن أبي غالب بن الطلاية الحربي الزاهد، أبو العباس الوراق:

ولد بعد الستين وأربعمائة.
وقرأ القرآن. وسمع من أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأنماطي جزءًا من حديث المخلص، واشتهر به.
وسمعه منه خلق، فنسب الجزء إليه. وقد سمعناه. ثم اشتغل بالعبادة، ولازم المسجد يتعبد فيه ليلاً ونهارًا حتى انطوى من كثرة التعبد، فكان رأسه إذا قام عند ركبتيه.

قال ابن الجوزي: حدثني أبو الحسن بن غريبة، قال: جاء إليه رجل فقال: سل لي فلانًا في كذا، فقال أحمد: قم معي فصل ركعتين، واسأل الله تعالى فإني لا أترك بابًا مفتوحًا وأقصد بابًا مغلقًا.
توفي ليلة الاثنين حادي عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. ودفن إلى جانب ابن سمعون بمقبرة الإمام أحمد، بباب حرب.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي، أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا القاضي أبو منصور عبد الملك بن أبي علي المبارك بن عبد الملك بن الحسن البغدادي الحريمي- ويعرف بابن القاضي، وقد سبق ذكر ترجمته في هذا الكتاب- أخبرنا أبو العباس ابن الطلاية، أخبرنا أبو القاسم الأنماطي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص، حدثنا يحيى بن صاعد، حدثنا زياد بن يحيى، حدثنا مالك بن سعيد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ستر على مسلم عورة ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة- وذكر الحديث"

محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي

الفارسي الأصل، ثم البغدادي، الأديب اللغوي، الحافظ أبو الفضل بن أبي منصور: ولد ليلة السبت نصف شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة. كذا ذكره ابن الجوزي وابن السمعاني عنه.
وفي تاريخ ابن النجار: ليلة الخميس، وكان والده شابًا تركيًا، محدثاً فاضلاً من أصحاب أبي بكر الخطيب الحافظ توفي في شبيبته.
ومحمد جده اسمه "ابتغدى" وأبو جده على اسمه "تكين المضافري" التركي الحر.
وتوفي ناصر وأبو الفضل هذا صغير، فكفله جده لأمه أبو حكيم الحيري الفرضي، فأسمعه في صغره شيئًا من الحديث يسيرًا، وشغله بحفظ القرآن، والفقه على مذهب الشافعي. ثم إنه صحب أبا زكريا التبريزي اللغوي، وقرأ عليه الأدب واللغة، حتى مهر في ذلك. ثم جد في سماع: الحديث، وصاحب في قراءة الأدب على التبريزي، وسماع الحديث أبا منصور بن الجواليقي.
وكان في أول الأمر أبو الفضل أميل إلى الأدب، وابن الجواليقي

أميل إلى الحديث. وكان الناس يقولون: يخرج ابن ناصر لغوي بغداد، وابن الجواليقي محدثها. فانعكس الأمر، فصار ابن ناصر محدث بغداد، وابن الجواليقي لغويها. ولازم ابن ناصر أبا الحسن بن الطيوري. وسمع منه الكثير.
وسمع من أبي القاسم بن البسري، وأبي طاهر بن أبي الصقر- وهو أول شيخ سمع عليه. وذلك سنة ثلاث وسبعين وأبي الحسن العاصمي ومالك البانياسي وأبي الغنائم بن أبي عثمان، وأبي محمد التميمي، وطراد، والنعال، وابن البطر. وأكثر عن المتأخرين بعدهم، وعنى بهذا الفن. وبالغ في الطلب والسماعات.
وكانت له إجازات قديمة من أبي الحسين بن النقور، والصريفيني، وأبي القاسم بن عليك، وأبي صالح المؤذن، وابن ماكولا الحافظ وغيرهم، وخالط أصحابنا الحنابلة ومال إليهم، وانتقل إلى مذهبهم لمنام رأى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: عليك بمذهب الشيخ أبي منصور الخياط. وقد سقناه بكماله في ترجمة الشيخ أبي منصور.
وساقه ابن النجار مختصرًا، وفي آخره قال ابن ناصر: ثم أخذت في سماع كتب أحمد ومسائله، والتفقه على مذهبه، ذلك في رمضان سنة ثلاث وتسعين.
قال السلفي: سمع ابن ناصر معنا كثيرًا، وهو شافعي أشعري، ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع، ومات عليه، وله جودة حفظ وإتقان، وحسن معرفة. وهو ثبت إمام.
قال أبو موسى المديني: هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد.
وقال ابن الجوزي: كان حافظًا ضابطًا، متقنًا، ثقة من أهل السنة، لا مغمز فيه.
وكان كثير الذكر، سريع الدمعة. وهو الذي تولى تسمعي الحديث، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث.
وقال أيضًا: قرأت عليه ثلاثين سنة، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه.
وقال ابن النجار: كان جيد النقل، صحيح الضبط، كثير المحفوظ، له يد باسطة في معرفة النحو واللغة. وكانت أصوله في غاية من الصحة والإتقان. وكان ثقة نبيلاً، حجة، حسن الطريقة، متدينًا فقيرًا، متعففًا نظيفًا نزهًا، وقف كتبه على أصحاب الحديث.
رأيت بخطه وصية له أوصى بها، ذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة،

وهو ثياب بدنه، وكلها خلق مغسولة، وأثاث منزله- وكان مختصرًا جدًا- وثلاثة دنانير من العين، لم يذكر سوى ذلك، ومات ولم يعقب.
قال: وسمعت ابن سكينة، وابن الأخضر وغيرهما يكثرون الثناء عليه، ويصفونه بالحفظ والإتقان والديانة، والمحافظة على السنن والنوافل.
وذكره ابن السمعاني في كتابه، فقال: حافظ ثقة، دين خير، متقن متثبت وله حظ كامل من اللغة ومعرفة تامة في المتون والأسانيد كثير الصلاة دائم التلاوة وللقرآن الكريم، مواظب على صلاة الضحى، غير أنه يحب أن يقع في الناس، ويتكلم في حقهم. وقد رد هذا عليه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ردًّا بليغًا.
وقال صاحب الحديث: ما يزال يجرحُ ويعدل. وقد احتج بكلام ابن ناصر في أكثر التراجم، فكيف عول عليه في الجرح والتعديل، ثم طعن فيه. ولكن هذا من تعصب ابن السمعاني على أصحاب أحمد. وذكر كلامًا كثيرًا.
ونقل ابن السمعاني في ترجمة أحمد بن علي الطريثيثي عن ابن ناصر: أن الطريثيثي، كان كذابًا ضعيفًا في الرواية، لا يحتج به، ولا يعتمد على روايته.
ثم قال أبو الفضل: لا يحسن الكلام فإنه إذ قال: كذاب، لا يحتاج أن يقول: لا يعتمد على روايته، وإذا رماه بالكذب فلا يقال: إنه ضعيف في الرواية فإن الضعف دون الكذب.
قال الحافظ أبو محمد بن الأخضر ما معناه: قول شيخنا "كذاب" لأنه روى ما ليس من سماعه، ونهى عن ذلك فلم ينته. وقوله "ضعيف في الرواية" حيث لم يميز صحيح حديثه من سقيمه. و "لا يحتج به" لأنه ليس من شرط الصحيح بهذا الوصف. و "لا يعتمد على روايته" لوجوب هذا التخليط في معرفته وحديثه، فلو وصفه بمجرد الكذب لما كان من أهله لأنه ليس من قبيل من يضع متنًا ولا يهيىء على متن إسناد، فصاحب الترجمة لم ينفرد بوصف من هذه الأوصاف، بل اشتمل عليها جميعها، فكان الجرح على حسبها.
قال: وقول ابن السمعاني: إن ابن ناصر لا يحسن الكلام، عِيٌ من القول وقصور عن إدراك الفهم، أتراه من أدرك في رحلته من اشتمل بصفة شيخنا في طبقته من حفظ وإتقان، ودوام صلاة وصيام، وأوراد كثيرة، لا يقطعها في أوقاتها، وحسن خط لم

يماثله عالم في تحقيقه وضبطه، حتى إنه لا يفتقر من قرأ كتابه إلى إسناد، ولا من يعرفه طريق الإسناد، ويفيد من حفظه علومًا جمة. له في كل وصف شريف سيرة حسنة، يعلو شخصه المهابة، كأنه أحد الصحابة، فكيف يستجيز من تعقل وتفهم أن يطلق من لفظه، وقد شاء هذه أنه لا يحسن أن يتكلم.
قلت: حدث ابن ناصر بالكثير، وأملى الحديث، واستملى للأشياخ الكثير وخرج لهم التخاريج الكثيرة، وتكلم فيها على الأسانيد، ومعاني الأحاديث وفقهها، وله مصنف في مأخذ في اللغة على الغريبين للهروي، ومصنف في مناقب الإمام أحمد في مجلد وجزء في الرد على من يقول: إن صوت العبد بالقرآن غير مخلوق.
وروى عنه خلق كثير من الحفاظ وغيرهم. كالسلفي، وابن عساكر، وأبي موسى، وابن السمعاني، وابن الجوزي، وابن الأخضر، وابن سكينة، وعبد الرزاق بن عبد القادر، ويحيى بن الربيع مدرس النظامية، وأبي بكر محمد بن غنيمة بن الحلاوي الفقيه الحنبلي، وأبي اليمن الكندي، وخلق كثير. وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن بن المقير.
وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة، وصلى عليه قريبًا من جامع السلطان، ظاهر السور بالجانب الشرقي، ثم بجامع المنصور، ثم بالحربية ودُفن بمقبرة باب حرب، إلى جانب أبي منصور بن الأنباري تحت السدرة.
وذكر ذلك ابن الجوزي، وقال: حدثني أبو بكر بن الخضري الفقيه، قال: رأيته في المنام، فقلتُ: يا سيدي، ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وقال لي: قد غفرتُ لعشرة من أصحاب الحديث في زمانك لأنك رئيسهم وسيدهم. رحمه الله تعالى.
وذكر غيره: أنه صلى عليه أولاً على باب جامع السلطان أبو الفضل بن شافع بوصية منه، ثم صلى عليه الشيخ عبد القادر، ثم ابن القواريري بجامع المنصور، ثم عمر الحربي بالحربية، ودفن وقت الظهر، وكانت جنازته عظيمة، وحضره عالم كثير. رحمه الله تعالى.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو الفرج الحافظ، حدثنا محمد بن ناصر الحافظ من لفظه، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر، أخبرنا أبو

الحسن بن ميمون بن محمد الحضرمي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوه. حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: "سأل الحارث بن هشام رسول الله-صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ قال: في مثل صلصلة الجرس، فَيَفْصِم عني وقد وعيت عنه، وهو أشد علي، وأحيانًا يأتيني في مثلى صورة الفتى، فيفيده إلي".
ومن غرائب ما حكي عن ابن ناصر: أنه كان يذهب إلى أن السلام على الموتى، يقدم فيه لفظة "عليكم" فيقال: عليكم السلام لظاهر حديث أبي حري الهجيمي.
وذكر في بعض تصانيفه: أن الإحداد على الميت بترك الطيب والزينة لا يجوز للرجال بحال، ويجوز للنساء على أقاربهن ثلاثة أيام، دون زيادة عليها ويجب على المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرًا.

عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن دويل اليعقوبي، المؤدب أبو الكرم:

ولد بعد السبعين والأربعمائة، وسمع من أبي النرسي، وأبي الغنائم بن المهتدي، وإسماعيل بن ملة، وعبد القادر بن يوسف.
وحدث وسمع منه ابن الخشاب، ابن شافع، وابن المندائي، وابن الأخضر.
قال أبو الفضل بن شافع: كان رجلاً صالحًا من خيار أصحابنا، تفقه على ابن عقيل، وسمع الحديث الكثير.
وتوفي سنة خمسين وخمسمائة، ودفن بباب أبرز.
قال وأنشدنا:

أهل ودي ويا أهلا دعوتكم ... حق لكنها العادات والنوب
أشبهتم الدهر في تلوين صبغتكم ... كلكم حائل الألوان منقلـب

أحمد بن الفرج بن راشد بن محمد المدني الوراق البغدادي، القاضي أبو العباس

من أهل المدينة، قرية فوق الأنبار: ولد في عشر ذي الحجة سنة تسعين وأربعمائة.

وقرأ القرآن بالروايات على مكي بن أحمد الحنبلي وغيره. وتفقه على عبد الواحد ابن سيف.
وسمع من أبي منصور محمد بن أحمد الخازن، وأبي العباس بن قريش، وأبي غالب القزاز، أبي بكر بن عبد الباقي وغيرهم.
وشهد عن قاضي القضاة الزينبي. وولي القضاء بدجيل مدة.
وحدث، وروى عنه ابن السمعاني، وغيره.
وتوفي يوم السبت سادس ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب. رحمه الله تعالى.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سعدان الأزجي، الفقيه أبو المظفر؟

سمع الحديث من القاضي أبي الحسين وابن العز بن كادش.
وتفقه على القاضي أبي الحسين، وأبي بكر الدينوري، ولازمه.
وروى عن أبي محمد بن القحف الواعظ شيئًا.
روى عنه أحمد بن طارق. وكتب عنه المبارك بن كامل حكاية بغير إسناد في معجمه.
قال صدقة بن الحسين في تاريخه. كان فقيهًا كيسًا من أصحاب أبي بكر الدينوري.
توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة. ودفن بباب حرب وسماه مظفرًا.

محمد بن خذاذ بن سلامة بن خذاذ

العراقي المأموني المباردي الحداد الكاتب الفقيه الأديب، أبو بكر بن أبي محمد، ويعرف بنقاش المبارد: سمع من نصر بن البطر، والحسين بن طلحة، وأبي نصر الزينبي، وأبي الخطاب بن الجراح، وطراد، وأبي طاهر بن قيداس، والمبارك بن عبد الجبار، وابن الحصين. وغيرهم. وتفقه على أبي الخطاب. وكتب خطًا حسنًا.
ذكره ابن السمعاني، فقال: أحد فقهاء الحنابلة. درس الفقه على محفوظ الكلوذاني، يسكن المأمونية، شيخ صالح، كتبت عنه يسيرًا.
وقال ابن نقطة: حدث، وسماعه صحيح.
وذكره ابن القطيعي، فقال: من أهل القران والفقه، وطريقته في النسخ معروفة بالسرعة.
وروى قديمًا عن عبد اللّه بن جابر بن ياسين. ثم ساق حديثًا عن أحمد بن أبي السرايا التاجر عن محمد بن خذاذ حدثنا عبد الله بن جابر بن ياسين سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.
قال ومما أنشده لنفسه:

رأيت أوار الحب في كبدي ... أجريت دمعي على الخدين مهمولا
وقلت: يا قلب صبرًا بعد بيني ... يقضي الله أمرًا كان مفعولا

وقال ابن النجار: كان فقيهَا مناظرًا أصوليًا، تفقه على أبي الخطاب، وعلق عنه مسائل الخلاف، وقرأ الأدب، وقال الشعر. وكان خطه رديئًا.
روى لنا عنه ابن الأخضر، وثابت بن شرف. وكان صدوقًا.
وتوفى محمد بن خذاذا ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة. وصلى عليه من الغد بمسجد بن جرعة. ودفن بباب حرب. رحمه الله تعالى. وأبوه خذاذا بن سلامة أبو محمد الحداد، نقاش المبارد.
ذكره ابن السمعاني أيضًا، وقال: كان من فقهاء الحنابلة، يسكن المأمونية.
سمع أبا نصر الزينبي. وحدث بشيء يسير. سمع منه، أفاد الطلبة، كتب لي الإجازة.
وتوفي في نصف رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة. وصلى عليه بجامع المنصور. ودفن بباب حرب.
وقال ابن نقطة: حدث عنه أبو القاسم بن عساكر.
وقيد ابن نقطة "خذاذا" بدال مهملة بين ذالين معجمتين.

سالم بن عبد الله بن عبد الملك الشيباني

الفقيه الزاهد، أبو الفتح: صحب أبا بكر الدينوري، وسمع من الشريف أبي العز بن المختار، وأبي الغنائم النرسي، وغيرهما. وحدث باليسير.
سمع منه الشريف أبو الحسن الزيدي، وإبراهيم بن الشعار، وأبو الفضل بن شافع، وقال عنه: كان فقيهًا زاهدًا مخمولاً، ذكره عند أبناء الدنيا، رفيعًا عند الله، وصالح عباده، وقال صدقة بن الحسين: كان فقيهًا متزهدًا.
توفي ليلة الأربعاء سابع شعبان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. ودفن بباب حرب. رحمه اللّه تعالى.

أحمد بن معالي بن بركة الحربي:

تفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، وبرع في النظر.
ذكره ابن الجوزي في عدة مواضع من كتبه، كالطبقات والتاريخ، وقال: كان له فهم حسن، وفطنة في المناظرة.

قال: وسمعت درسه مدة، وكان قد انتقل إلى مذهب الشافعي، ثم عاد إلى مذهب أحمد، ووعظ.
وقال صدقة بن الحسين: كان شيخًا كبيرًا قد نيف على الثمانين، فقيهًا مناظرًا عارفًا له مخالطة مع الفقهاء، ومعاشرة مع الصوفية. وكان يتكلم كلامًا حسنًا، إلا أنه كان متلونًا في المذهب.
وتوفي في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وخمسمائة وصلى عليه الشيخ عبد القادر. ودفن بمقبرة باب حرب.
وكان سبب موته: أنه ركب دابة فانحنى في ضيق ليدخل، فاتكى بصدره على قربوس السرج فأثر فيه، وانضم إلى ذلك إسهال، فضعفت القوة. وكان مرضه يومين أو ثلاثة. رحمه الله.
وله تعليقة في الفقه وقفت على جزء منها.

الحسين بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل على الله العباسي الهاشمي المقرىء، الأديب أبو علي:

ولد في حادي عشر شوال سنة سبع وسبعين وأربعمائة.
وقرأ القرآن. وسمع قديمًا من أبي غالب الباقلاني، وأبي الحسن بن العلاف وشهفير، وابن أبي الفوارس الشاعر، وابن الحصين، وأبي بكر اللفتواني وغيرهم. وحدث.
وكان يؤم في مسجد ابن الثعلبي الزاهد، وكان فيه لطف وظرف وأدب، ويقول الشعر الحسن، مع دين وخير. وجمع سيرة المسترشد، وسيرة المقتفى، وجمع لنفسه مشيخة، وجمع كتابًا سماه "سرعة الجواب ومداعبة الأحباب" أحسن فيه.
قال ابن النجار: وكان أديبًا فاضلاً، يقول الشعر ويروي الحكايات والنوادر. وكان صالحًا متدينًا صدوقًا.
روى لنا عنه ابن الأخضر، وغيره.
وذكره ابن السمعاني، وقال: كان صالحًا فاضلاً، له معرفة بالأدب والشعر.
ومن شعره مما كتبه في بعض الأجايز:

أجزت للسادة الأخيار مـما ... فليرووا عني بلا بخـس ولا كـذب
سألـوا
مهما أحيوه من شعر ومـن ... ومن جميع سماعاتي من الكـتـب
خـبـر
وليحذروا السهو والتصحيف وسلكوا ... سنة الحفـاظ فـي غلط
وهن
الأدب

قال ابن النجار: أنشدنا أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن هبة الله الضرير النحوي. أنشدنا الشريف أبو علي الحسن بن جعفر لنفسه هذه القصيدة في آخر ترجمة الحسين بن جعفر الآتي ذكره:

الدهر يعقب ما يضـر وينـ ... ـفع فالصبر أحمد ما إليه المرجـع
والمرء فيما منه كان مـصـيره ... وليس عن المنية مـدفـع
فاحذر مفاجآت المنـون فـإنـ ... ـه يلتجي منها ولا يستـشـفـع
الذين تجمعوا وتحـصـنوا ... وتوثقوا وتجيشوا وتـمـنـعـوا

وتعظموا وتحشموا وتجبروا وتمولوا وترفعوا?

صاحت بهم نوب الزمان وحدى بهم حادي البلى فأسرعوا فتقطعوا

احتموا عنه بعضب باتر وبمنعوه بالذي قد جمعوا?

كانت منازلهم بهم مأنوسة فتوحشت أوصالهم وتضعضعوا

واستوطنوا الأجداث بعد قصورهم وسفت على الآثار ريح زعزع

أعدوا في الجواب لمنكر غرهم فيه، وماذا يصنع?

وجدوا الذي عملوا: فوجه أبيض بتجميل طاعته، ووجه أسفع

كن متمسكاً بنصيحتي فالدهر ذو غر يجور ويخدع

واحذر مجاورة الحسود، فإنه بخلاف ما في نفسه يتذرع

وعليك بالخلق الجميل، فإنه كل شيء يقتنى لك أنفع

وتجنب الدنيا وكن متقنعاً فالحرّ يرضى بالقليل ويقنع

الكتاب بقوة، واعمل بما المهيمن فهو حق يتبع

واسلك سبيل رسوله في أمره تنجو به فهو الطريق المهيع

واعلم بأن الله "ليس كمثله شيء" إليه مصيرنا والمرجع

حي قديم واحد متنزه، تذل له الرقاب وتخضع

بالقسط يعطي من يشاء متكلم عدل جواد منعم ويمنع

ذو العرش لا يخفى عليه سريرة ويعلم ما نقول ويسمع

في الحشر يظهر للعباد بلطفه كل يذل له، وكل يخضع

يحكم في القيامة بيننا وبينا فينا إليه يشفع

خير البرية بعده صديقه في الخلافة سابق مستتبع

وكذلك الفاروق أكرم صاحب بعده، حبر جواد سلفع

ومجهز الجيش العظيم، ومن سلماً في الدار وهو يبضع

ثوى
وحبيبه ونـسـيبـه وصـفـيه ... وسـامه ذاك البطـين الأنـزع
لهم المناقب والمواهب والعلـى ... والصواحب والنجوم الطـير
الذين بهم يفوز محـبـهيوم المعاد وكل ذخـر ينـفـع

قال ابن القطيعي: أنشدني إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد الفقيه- هو ابن الصقال- أنشدنا الشريف أبو علي بن المتوكل على الله لنفسه:

الذي أضحى يصول ببدعة وتشيع ... وتمشعر وتـمـعـزل
تنكرن تحنبلي وتسـنـنفيهما يوم المعاد معـولـي
كان ذنبي حب مذهب أحمد ... فليشهد الثقلان أني حنبـلـي

ومن شعره أيضًا:

بشرقي بغداد لـي حـاجـة ... أقضي وما خلتها تنقضي
ديون على ماطل ظـالـم ... ووجد بمستكبر معـرض
أحن إليه حنين المـحـب ... ويهجرني هجر المبغض

ومن شعره أيضًا:

بأبي من صدّ عنـي، وإنـه ... صده شخص إليّ حبـيب
تجنبني خف الوشاة وفي ... رسيس جوى ما ينقضي الحشـا ووجيب
ولي كبد حري عـلـيه قـريحة ... تقلب معنيّ فـي هـواه يذوب
نسبوا حبي إلى غير عوض ... فنوا بنا سوءًا وذلـك حـوب
واللّه، ما حدثت نفسـي بريبة ... ولا لمثلي أن يقـال مـريب

قال ابن الجوزي: توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ودفن بمقبرة باب حرب.

وفي تاريخ ابن القطيعي: أنه توفي ليلة الإثنين لخمس عشرة ليلة مضت من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

وذكر ابن النجار عن عمر القرشي: أنه توفي يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى.

محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الابرادي البغدادي الفقيه أبو الحسن بن أبي البركات

وقد سبق ذكر أبيه: تفقه على ابن عقيل. وسمع منه، ومن أبيه أبي البركات، وأبي الحسن بن الفاعوس. وحدث باليسير.
سمع منه أبو الفضل بن شافع.
وتوفي يوم الجمعة خامس شعبان سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ودفن عند باب المختارة.
أرخ وفاته: صدقة بن الحسين، وابن نقطة، وابن النجار. وقد اشتبه على بعض الناس وفاته بوفاة أبيه، كما سبق في ترجمة أبيه.

أحمد بن مهلهل بن عبد اللّه بن أحمد البرداني

قال ابن النجار: هو من قرية "برد" بسكون الراء- من بلد إسكاف المقرىء- الزاهد الضرير، أبو العباس، ويعرف بالأزجي.
كان من أهل القرآن والزهد والعبادة.
روى عن أبي طالب اليوسفي وغيره، وحدث.
ذكره ابن القطيعي، وقال: سمعت أبا الحسن البراندسي الفقيه يقول: كان هذا الشيخ يصلي في كل يوم أربعمائة ركعة.
وتوفي يوم الخميس غرة جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ودفن بمقبرة باب حرب. رحمه اللّه تعالى.
وقال ابن النجار: كان منقطعًا في مسجده لا يخالط أحدًا، مشتغلاً بالله عز وجل.
وكان الإمام المقتفي يزوره، وكذلك وزيره ابن هبيرة. والناس كافة يتبركوا به. وكان قرأ طرفًا صالحًا من الفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، ثم على أبي بكر الدينوري.
وسمع الحديث من أبي غالب الباقلاني، وأبي الغنائم النرسي، وأبي طالب اليوسفي، وغيرهم. وحدث باليسير.
روى عنه أبو الفضل بن شافع وأبو بكر الباقداري.

سعيد بن الحسين بن شنيف بن محمد الديلمي الدارقزي، الأمين أبو عبد الله:

ولد سنة تسع وسبعين وأربعمائة.
وسمع من أبي عبد الله الحسين بن محمد السراج، والحسين بن طلحة النعال، وابن الطيوري، وغيرهم.

وتفقه في المذهب. وكان إمامًا بجامع دار القز، وأمينًا للقاضي بمحلته وما يليها. وكان شيخًا صالحًا، ثقة، حدث.
وروى عنه جماعة، منهم: ابنه أبو عبد اللّه الحسين.
وتوفي ليلة السبت رابع عشر ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب. رحمه الله تعالى.

أحمد بن أبي غالب بن أحمد بن غالب بن عبد الله الحربي

الفقيه الفرضي المعدل، أبو بكر: سمع الحديث من أحمد بن الحسين بن قريش، وابن الحصين، وأبي بكر الأنصاري، وأبي الحسين بن الفراء، وغيرهم. وتفقه في المذهب. قال ابن النجار: كان أحد الفقهاء على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد ابن حنبل، حافظًا لكتاب اللّه تعالى، له معرفة بالفرائض، والحساب والنجوم، وأوقات الليل والنهار، وشهد عند قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي، وتولى قضاء دجيل مدة، ثم عزل، حدث باليسير.
وسمع منه عبد المغيث الحربي، والقاضي أبو القاسم بن الفراء، وغيرهما.
وتوفي يوم الأحد يوم عيد الأضحى، سنة خمس وخمسين وخمسمائة. ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

محمد بن أحمد بن علي بن الحسين البرمكي العباسي

الهاشمي المعدل الشريف الخطيب أبو المظفر: توفي في نصف ذي القعدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة.
ودفن بالقرب من قبر معروف رحمه اللّه.
وكان مولده سنة سبعين وأربعمائة.
روى عن طراد، وأبي نصر الزينبي، والعاصمي، وغيرهم.
وحدث، وسمع منه جماعة. وكان جليل القدر. وكان من رجالات الهاشميين، ذا أدب وعلم. وله نظم، وخطب بجامع له.

علوي الإسكاف

توفي في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وخمسمائة.
وكان شيخًا صالحًا من أصحاب أبي الحسن بن الزاغوني. وكان يقرأ كتاب الخرقي. وصلى عليه بجامع القصر بكرة النهار. ودفن بمقبرة الوردية. ذكره صدقة بن الحسين في تاريخه.

إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد بن إبراهيم النهرواني الرزاز

الفقيه الفرضي، الزاهد الحكيم الورع، أبو حكيم: ولد سنة ثمانين وأربعمائة.
وسمع الحديث من أبي الحسن بن العلاف، وأبي عثمان بن ملة، وأبي القاسم بن بيان، وأبي الخطاب الكلوذاني، وأبي علي بن شهاب، وابن الحصين، وغيرهم.
وتفقه على أبي سعد بن حمزة صاحب أبي الخطاب، وبرع في المذهب والخلاف والفرائض، وأفتى وناظر.
وكانت له مدرسة بناها بباب الأزج، وكان يدرس ويقيم بها. وفي آخر عمره فوضت إليه المدرسة التي بناها ابن الشمحل بالمأمونية، ودرس بها أيضًا. وقرأ عليه العلم خلق كثير، وانتفعوا به.
قال ابن الجوزي: قرأت عليه القرآن والمذهب والفرائض، وممن قرأ عليه: السامري صاحب المستوعب، ونقل عنه في تصانيفه.
قال ابن الجوزي: وكان زاهدًا عابدًا، كثير الصوم، يضرب به المثل في الحلم والتواضع.
وقال أيضًا: كان من العلماء العاملين بالعلم، كثير الصيام والتعبد، شديد التواضع، مؤثرًا للخمول.
وكان المثل يضرب بحلمه وتواضعه، وما رأينا له نظيرًا في ذلك.
قال ابن القطيعي: سمعت ابن الجوزي يقول: كان الشيخ أبو حكيم تاليًا للقرآن.
يقوم الليل ويصوم النهار، ويعرف المذهب والمناظرة، وله الورع العظيم. وكان يكتب بيده، فإذا خاط ثوبًا فأعطى الأجرة مثلاً قيراطًا، أخذ منه حبة ونصفًا ورد الباقي، وقال: خياطتي لا تساوي أكثر من هذا. ولا يقبل من أحد شيئًا.
قلت: وقد صنف أبو حكيم تصانيف في المذهب والفرائض. وصنف شرحًا للهداية. كتب منع تسع مجلدات، ومات ولم يكمله.
وحدث، وسمع منه جماعة منهم: ابن الجوزي، وعمر بن علي القرشي الدمشقي وله نظم.
وقال ابن القطيعي: أنشدني أحمد التاجر، أنشدني إبراهيم بن دينار الفقيه لنفسه:

يا دهر إن جارت صروفك ... ورميتني في ضيقة وهوان
واعتدت ... أكون عليك يوماً ساخطاً لاستفدت معارف الإخوان

قال القطيعي: وقرأت في كتاب أبي حكيم النهرواني بخطه:

وإني لأذكر غور الكلام ... لئلا أجاب بما أكره
أصم عن الكلم المحفظاتوأحكم والحكم بي أشبه
ما آثرت سفاة السفيه ... عليَّ، فإني أنا الأسفه
من فتى يعجب الناظرين ... له ألسن وله أوجه
ينام إذا حضر المكرمات ... وعند الدناءة يستنبه

قال: وقرأت في كتابه بخطه:

لي وقد مررت بآثار التي ... اهتديت نهج الطريق
أترانـي أنسيت عهدك ... فيها? صدقوا، ما لميت من صديق

قال ابن الجوزي: رأيت بخطه- يعني: أبا حكيم- على ظهر جزء له: رأيت ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين- فيما يرى النائم- كأن شخصًا في وسط داري قائمًا، قلت: من أنت? قال: أنا الخضر. قال: تأهب للذي لا بد منه من الموت الموكل بالعباد ثم كأنه علم أني أريد أن أقول له: هل ذلك عن قرب? فقال: قد بقي من عمرك اثنا عشر سنة تمام سني أصحابك.

وعمري يومئذ خمس وستون سنة.
قال ابن الجوزي: فكنت دائمًا أترقب صحة هذا، ولا أفاوضه في ذكره لئلا أنعي إليه نفسه، فمرض رحمة الله عليه اثنين وعشرين يومًا.

وتوفي يوم الثلاثاء بعد الظهر ثالث عشر جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وخمسمائة، فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة، فتأولت ذلك وقلت: لعله دخول سنة لإتمامها، أو لعله رأى في آخر سنة، ومات في أول الأخرى أو لعلها من السنين الشمسية. ودفن رحمه اللّه قريبًا من بشر الحافي رضي الله عنه.

وقد امتدحه الصرصري في قصيدته اللامية، التي مدح فيها الإمام أحمد وأصحابه، فقال:

وبالحلم والتقوى وصفة الرضى حكيم غدا للفقه أكبر مجمل

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم- بمصر- أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ، أخبرنا أبو حكيم النهرواني قال الحراني: وأخبرنا- عاليًا- أبو الفرج بن عبد المنعم ابن عبد الوهاب التاجر قالا: أخبرنا أبو علي محمد بن نبهان أبو الحسن بن الحسين بن دوما، أخبرنا أحمد بن نصر الزارع. حدثنا صدقة بن موسى، وأحمد بن محمد الأنباري، والقاسم بن أحمد، قالوا: حدثنا سويد بن سعيد الجدثاني، حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عشق وكتم وعف فمات، فهو شهيد".

علي بن عمر بن أحمد بن عمار بن أحمد بن علي بن عبدوس الحراني

الفقيه الزاهد، العارف الواعظ، أبو الحسن: ولد سنة عشر- أو إحدى عشرة- وخمسمائة، على ما نقله القطيعي عن أبي المحاسن الدمشقي عنه.

وسمع ببغداد بآخر سنة أربع وأربعين من الحافظ أبي الفضل بن

ناصر، وغيره.
وتفقه وبرع في الفقه والتفسير والوعظ، والغالب على كلامه التذكير وعلوم المعاملات. وله تفسير كبير- وهو مشحون بهذا الفن. وله كتاب "المذهب في المذهب" ومجالس وعظية، فيها كلام حسن، على طريقة كلام ابن الجوزي.

قرأ عليه قرينه أبو الفتح نصر الله بن عبد العزيز، وخاله الشيخ فخر الدين بن تيمية في أول اشتغاله، وقال عنه: كان نسيج وحده في علم التذكير، والاطلاع على فنون التفسير، وله فيه التصانيف البديعة، والمبسوطات الوسيعة.

وسمع منه الحديث أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي بحران، سنة ثلاث وخمسين، قال: هو إمام الجامع بحران، من أهل الخير والصلاح والدين.

قال: وأنشدني لنفسه:

سألت حبيبي وقد زرته ومثلي في مثله يرغب
فقلت: حديثك مستظرف ويعجب منه الذي يعجب
أراك مليح الجا فصيح الخطاب، فما تطلب
فهل فيك من خلة تزدري بها الصد والهجر به يقرب؟
فقال: أما قد سمعت المقال مغنية الحي ما تطرب؟

ومما أورد الشيخ أبو الحسن في قوله لنفسه:

حاملاً ثقل الذنوب تجاهلت من أثقالها العظائما
بد من يوم عبوس هائل يكون من أسرف فيه نادما
خفف الثقل بحسن توبة تكون في المعاد سالما
وكن بأنوار اليقين مبصرًا كنت في ليل المعاد هائما
فإن للّه عبادًا أبصروا بأعين الفكر المعاد قائما
فشمروا أذيالهم وقصروا آمالهم وحققوا العزائما
وصيروا أفراحهم في قربه وأقلبوا أعراسهم مآتما
واستفرغوا من العيون ماءها وأسعدوا على البكا الحمائما
أولئك الناجون في معادهم يعطيهم الله نعيماً دائما

ومما أورده أيضاً لنفسه:

أقاموا فقاموا له ركعاً وكبروا فخروا لديه سجودا

وأجروا دموعـهـم خـشـيـة قبلوا بتلك الدموع الـخـدودا
ولما أطالوا لديه الـسـجـود جوا منه وعدًا وخافوا وعيدا
فأعطاهم منه ما يرتـجـون وأمنهم بعد ذاك الـصـدودا
فمعظم أشغـالـهـم ذكـره فطورًا قياماً وطورًا قعـودا
فورثهـم ذكـرهـم ذكـرو زادهم في الجنان الخلـودا

ومن ذلك قوله:

عين من صدق بعزمه عقتنى الدر الذي من ناله نال الشرفا
الصدق
وإنما الدنيا متاع زائل لمـن نال منها طرفاً فليعطها منه طرفا
عـرفـا

توفي رحمه اللّه وإيانا في آخر نهار يوم عرفة- وقيل: ليلة عيد النحر- سنة تسع وخمسين وخمسمائة بحران.

ورثاه الإمام فخر الدين بن تيمية وهو يومئذ شاب له دون العشرين بقصيدة وهي:

زادني حزني واستمكنت عـلـلـي رحلت عن الإخـوان يا أمـلـي
عالماً أوحش الـدنـيا بـغـيبـتـه صنع لي في قضاء اللّـه والأجـل
أهل حران وا لهفـي ووا أسـفـي فراق ابن عبدوس الفقيه علـي
واحسرتاه على زين الـزمـان ومـن كانت عقيدته بالـقـول والـعـمـل
قوم ما الصنع من بعد الفـراق لـه صنع للعبد في شيء من الـحـيل
الفقيه علـي عـالـمـاً ورعـاً وكان مسلكه في أحسـن الـسـبـل
كان الفقيه عـلـي فـوق مـنـبـره العروس ترى في أحسن الحلـل
الفقيه عـلـي غـير مـبـتـدع كان في دينه كالفارس الـبـطـل
يقـول: إن كـلام الـلـه ذو حرف وصوت على التحقيق قـــدم كيف تلي
الـفـقـيه عـلـي دائمـاً أبـدًا يذكـر مـولاه ذا خـوف وذا وجـل

وروحه قبضت في ليلة حظى بها كل محبوب وكل ولي شرفت

أبكى عيون الورى حزناً وأرسل الدمع يا روحي من لفرقته المقل

بكت عليه عيون الناس وأوحش الكل من سهل ومن جبل كلهم

عليه الزوايا الخاليات كان يؤنسها من غير ما كما ملل

بكت دفاتره حزناً له كان عنها غير مشتغل وأسى

عليه طيب سلام غير على ممر ليالي الدهر منفصل متصل

ذكر أبو الحسن بن عبدوس في كتاب المذهب: أن فائدة الخلاف في أن الغرض في استقبال القبلة: هل هو استقبال العين أو الجهة. أنا إن قلنا: الغرض استقبال العين، فمتى رفع رأسه ووجهه إلى السماء حتى خرج وجهه عن مسامتة القبلة فسدت صلاته، وإن قلنا: الغرض استقبال الجهة لم تفسد. كذا قال. وفيه نظرة فإن فائدة هذا الخلاف إنما يظهر في صرة يخرج فيها المصلي عن استقبال العين إلى استقبال الجهة. وهذا لم يخرج عن العين إلى الجهة، بل أخرج وجهه خاصة عن استقبالهما جميعًا.

وحكى ابن حمدان عن ابن عبدوس.

محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء

القاضي أبي يعلى الصغير. ويلقب عماد الدين ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى، شيخ المذهب في وقته: ولد يوم السبت لثمان عشرة من شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

وسمع الحديث من أبيه وعمه القاضي أبي الحسين، وأبي البركات طلحة العاقولي وأبي عليّ التككي، وأبي الحسن بن العلاف، وأبي العز بن كادش، وأبي الغنائم النرسي، وابن نبهان، وابن بيان، وغيرهم.

وظهر له إجازة لابن الجواليقي معه من الحريري صاحب المقامات. وتفقه على أبيه القاضي أبي خازم، وعلى عمه القاضي أبي الحسين. وبرع في المذهب والخلاف والمناظرة. وأفتى ودرس وناظر في شبيبته.
وكان ذا ذكاء مفرط، وذهن ثاقب، وفصاحة وحسن عبارة.
قال ابن القطيعي: قرأت عليه شيئًا من المذهب، وحضرت درسه، ولم ير مثله في حسن عبارته، وعذوبة محاورته، وحسن سمته، ولطافة طبع، ولين معاشرة، ولطف تفهيم. عطر بالرياسة، خليق بالتصدر، جد واجتهد حتى صار أنظر أهل زمانه، وأوحد أقرانه، ذو خاطر عاطر، وفطنة ناشئة، أعرف الناس باختلاف أقوال الفقهاء. ظهر علمه في الآفاق، ورأى من تلاميذه من ناظر ودرس وأفتى في حياته. وولي القضاء بباب الأزج سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. ثم ولي قضاء واسط سنة سبع وثلاثين، وبقي مدة بها حاكمًا، ثم عزله قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني.
وذكر عنه: أنه لم يلتفت إلى عزله واستمر على الحكم، ثم خاف عاقبة ذلك فتشفع بصاحب البطيحة إلى الخليفة، ثم قدم بغداد بعد إحدى عشرة سنة، وقد ذهب بصره، فلازم بيته.
وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة، وبنيت له في بعض الأوقات موضعها دكة، ثم أزيلت، وذلك قبل ولايته للقضاء. ولما بنى أبو المعالي بن النبل مدرسة بالريان جعلها للحنابلة، وفوض أمرها إلى القاضي أبي يعلى هذا. وكان ذا فصاحة، لسن.
ومن بعض كتبه إلى بعض العلماء: فلو أن الكرم مقلة كان هو إنسانها، أو المجد لغة لكان هو لسانها، أو السؤدد دهراً لكان هو ربيع أزمانه، أو الشرف عمرًا كانت صفوة ريعانه، أو الأجواد شهبًا لكان هو الشمس التي إذا ظهرت خفيت الكواكب لظهورها، وإذا تأملها الراءون ردت أبصارهم عن شعاعها ونورها.
وللشيخ أبي الفرج بن الجوزي في القاضي أبي يعلى هذا مدائح كثيرة.
فمن ذلك قوله يهنيه بقدوم رجب، أنشده عنه ابن القطيعي في تاريخه:

تهن بشهر قـد أتـاك عـلـى يبشر بالإقبـال والـسـعـد

يمـن والأمـن
وعش سالماً من كل مـنـية شر ذي شر ومن كيد ذي ضغن
حـاسـد
ومرْ وانْه وانعم واعل وانق وارق وازدد واسم بالفهم والذهن
وطب وجد
تدبرت بالفكـر الـسـلـيم الأمور ولم تقبل على مثمر الغـبـن
عـواقـب
وسابقت أهل العلم حتى السبق منهم حين سعيك في وهـن
سـبـقـهـم
وكلهم في الـدين أصولـه وأنـت في الإسلام كالشرط والركن
كـهـيئة
وكم ليلة نـامـوا وبـت أبت من لم يبت ساهراً لجفـن
مـؤانـسـاً
إذا أنت جادلت الخصـوم بلا ضـرب يقـد ولا طـعـن
تـجـدلـوا
فهت بالتدريس نظمـت تسطر الفتوى فكالدر في القطـن
لـؤلـؤاً
فبيتك معروف وعـلـمـك وفضلك مشهور، فما حصل المثنـي
ظـاهـر
عليك سوى تشـريفـه فعلم الناس فيكم بـكـم يغـنـي
بـمـديحـكـم

وذكر ابن الجوزي في كتابه التلقيح: أن أبا يعلى هذا هو الذي كان فقيه العصر في الطبقة الرابعة عشر.

وصنف القاضي أبو يعلى تصانيف كثيرة، منها: "التعليقة" في مسائل الخلاف كبيرة، و "المفردات"، وكتاب "شرح المذهب" وهو مما صنفه في شبيبته، وكتاب "النكت والإشارات في المسائل المفردات".

وقرأ عيه المذهب والخلاف جماعة كثيرة، منهم: أبو إسحاق الصقال، وأبو العباس القطيعي، وأبو الحسن بن ورخذ، وأبو البقاء العكبري. وعلق عنه الخلاف بواسط يحيى بن الربيع الشافعي مدرس النظامية.

وحدث، وسمع منه جماعة، منهم: أبو العباس القطيعي، وأبو إسحاق

الصقال، وأبو المعالي بن شافع، وأبو بكر محمد بن المبارك بن الحضري، وأحمد بن صوما، وغيرهم.
وتوفي ليلة السبت- سحرًا- خامس جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة. كذا ذكره ابن الجوزي في طبقاته، وفي جزء مفرد، وابن القطيعي، وابن نقطة.
وذكر ابن الجوزي أيضًا في تاريخه وفي كتاب فضائل مقبرة أحمد: أنه توفي في خامس جمادى الآخرة. وصلي عليه من الغد بجامع القصر، وأم الناس عليه ولده أبو منصور. ودفن بمقبرة باب حرب عند أبيه وجده. رحمهم اللّه تعالى.
وذكر ابن الجوزي في موضع: أنه لم يشيعه عدد كثير، وقال في تاريخه: كان سأل في مرضه أن يدفن في دكة الإمام أحمد، فأرسل إلى الوزير يقول: في دكة جدي لأمي، فأنكر الوزير ذلك وقال: كيف تنبش عظام الموتى؟.
قرأت على أبي المعالي محمد بن عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ببغداد: أخبركم أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف البزار- سماعًا- أخبرنا أبو العباس أحمد بن صرما- قراءة عليه- أخبرنا القاضي الإمام أبو يعلى محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي- قراءة عليه- أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الحافظ بن علي بن إبراهيم المقرىء وأخبرناه- عاليًا- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري بدمشق، أخبرنا المسلم بن محمد بن علان أخبرنا، حنبل بن عبد الله، أخبرنا هبة اللّه بنّ محمد بن الحصين أخبرنا أبو علي التميمي قالا: أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا فضيل بن مرزوق، حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله- هو ابن مسعود- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك. أسألك بكل اسم هو لك، سميت بِه نفسك أو علمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي: إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا. قال: فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها. قال: فقال: بل ينبغي لمن يسمعها أن يتعلمها".

ذكر القاضي أبو يعلى الصغير في تعليقته- ونقلته من خطه- فيما إذا طرح في الماء طحلباً أو ورقًا أو طينًا تعمدًا، فتغير به الماء: فهل يسلبه طهوريته؟ على وجهين.
قال: وإن تغير بعود أو كافور أو دهن: ففيه وجهان.
قال: ويتوجه على المذهب: أن يصح الوضوء والغسل من غير نية لأن الأثرم نقل عن أحمد: أنه سأله عن رجل اغتسل يوم الجمعة من جنابة ينوي به غسل الجمعة؟ قال: أرجو أن يجزيه.
قال: وظاهر هذا يقتضي الجواز.
قال: وقد بنى القاضي هذه المسألة على أن التجديد هل يرفع الحدث أم لا؟.
وقال: فأما إخراج البعير عن خمس من الإبل فلا يجوز عندنا في أحد الوجهين، والثاني: يجوز. وإذا قلنا: يجزي: فهل البعير كله فرض، أو خمسه. فيه وجهان.
وفائدة الوجهين: أنه إذا كان الفرض قدر خمس البعير جاز هذا البعير الواحد عن خمسة وعشرين بعيرًا، وهل الأصل الشاة أم البعير؟ فيه وجهان.
أحدهما: الأصل كلاهما، أيهما أدى كان أصلاً.
والثاني: الإبل أصل، والشاة بدل. وقال: فيه وجوب الحج على التراخي في أحد الروايتين. ثم نصر هذا القول ورجحه.
وقال أيضًا: تثبت الاستطاعة ببذل الابن الطاعة على قياس المذهب. والمنصوص: أنها لا تثبت ببذل الابن ماله وبدنه. وأخذه من قاعدة أحمد في تصرف الأب في مال ابنه، وبسطه فيه.
ونصر فيه أيضًا: أن الإحرام بالحج لا ينعقد في غير أشهر الحج.
قال: ورواه هبة الله الطبري في سننه عن إمامنا أحمد، قال: والذي نقله جماعة الأصحاب واختاروه: أنه يصح في جميع السنة.
ونصر فيه: صحة الاستئجار وجواز أخذ الأجرة على سائر القرب غير المتعينة.
ومما ذكره في شرح المهذب- ونقلته من خطه-: يتوجه أن يجب الغسل بغيبوبة بعض الحشفة لأن من أصلنا: أن وجود بعض الجملة يجري مجرى وجود جميعها، كما في مسائل الأيمان.
وذكر فيه: إذا أولج رجل في قبل الخنثى المشكل: هل يجب عليه الغسل. يحتمل وجهين.
وذكر فيه: أنه يستحب للرجل إذا أجنب وأراد النوم أن يتوضأ، فإن

كان الجنب امرأة ففي استحباب الوضوء لها روايتان. قال: فإن أراد الجنب الأكل أو الشرب استحب له أن يغسل فرجه ويتوضأ، في الروايتين.
وفي الأخرى: يغسل يده وفمه.
قال: ويستحب للإنسان إذا فرغ من وضوئه أن يشرب الماء الذي فضل منه وذكر حديث عليّ في ذلك.
وذكر في جواز دخول المرأة حمامها في بيتها لغير عذر شرعي: يحتمل وجهين قال: فإن أجزناه فإنها تدخل وحدها، ولا تدخل معها امرأة قريبة ولا بعيدة.
وحكى في كفارة وطء الحائض: هل يجزىء صرفها إلى واحد من الفقراء. على وجهين: أحدهما: يجزىء، وهو اختيار أبي حفص البرمكي.
والثاني: لا يجزىء.
وعلى هذا: فبكم يتقدر? لا نص فيها عن أصحابنا، ويحتمل وجهين:
أحدهما: يجب صرفها إلى عشرة من المساكين لأنه أقل عدد يجزىء في كفارة ليمين.
والثاني: يجزىء ثلاثة لأنه أقل الجمع المطلق. وقال فيه: فأما من به جرح يجري دمه فلا يرقأ: فعليه أن يغسله عند كل فريضة ويشده. وفي إيجاب الوضوء روايتان.
وحكى رواية عن أحمد: أن أقل النفاس ثلاثة أيام، لقوله في رواية أبي داود وقد قيل له: إذا طهرت بعد يوم? فقال: "بعد يوم لا يكون ولكن بعد أيام".
وذكر فيمن اجتهد وصلى، ثم بان أنه صلى قبل دخول الوقت رواية: أنه لا يلزمه القضاء.
قال: وقد تأولها أصحابنا. وقال: إذا كان عليه سجود وسهو بعد السلام أخر لدعاء إلى تشهده ليكون خاتمة صلاته.
وحكي فيما إذا كان عليه سجود بعد السلام، فسجد قبله: هل تجزيه ويعتد به? على وجهين.
وقال فيه: فإن صلى فاسق خلف فاسق: فهل تصح أم لا? على احتمالين.
محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد بن الحراني الأزجي المعدل، أبو عبد اللّه

من أعيان عدول بغداد: توفي في جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة. ودفن بمقبرة الفيل.
روى عن أبي محمد الثقفي التميمي والنعالي. حدث.
سمع منه جماعة، منهم: ابن القطيعي، وقال: كان ثقة مأمونًا، عالمًا لطيفًا صاحب نادرة، حسن المعاشرة. جمع كتابًا سماه "روضة الأدباء" وهو آخر من مات من شهود أبي الحسن الدامغاني. وكان ينتحل مذهب الإمام أحمد. انتهى.
وله شعر حسن. قال ابن الجوزي: زرته يومًا، فأطلت الجلوس عنده، فقلت: قد ثقلت، فقال:

لئن سميت إبراماً وثـقـلا
زيارات رفعت بهن قدري
فما أبرمت إلا حبـل ودي
ولا أثقلت إلا ظهر شعَري

يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الجهم بن عمر بن هبيرة بن علوان بن الحوفزان. وهو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية الشيباني
الدوري، ثم البغدادي، الوزير العالم العادل، صدر الوزراء، عون الدين، أبو المظفر: ولد في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة بالدور: قرية من أعمال الدجيل، ودخل بغداد شاباً.
وقرأ القرآن بالروايات على جماعة. وسمع الحديث الكثير من جماعة، منهم: القاضي أبو الحسين بن الفراء، وأبو الحسين بن الزاغوني، وعبد الوهاب الأنماطي، وأبو غالب بن البنا وأبو عثمان بن ملة، وابن الحصين، وغيرهم.
وقرأ الفقه على أبي بكر الدينوري فيما ذكره ابن القطيعي.
وقيل: إنه قرأ على أبي الحسين بن الفراء، وقرأ الأدب على أبي منصور بن الجواليقي. وصحب أبا عبد الله محمد بن يحيى الزبيدي الواعظ الزاهد من حداثته، وكمل عليه فنونًا من العلوم الأدبية وغيرها، وأخذ عنه التأله والعبادة، وانتفع بصحبته، حتى إن الزبيدي كان يركب جملاً ويعتم بفوطة، ويلويها تحت حنكه، وعليه جبة صوف، وهو مخضوب بالحناء، فيطوف بأسواق بغداد ويعظ الناس، وزمام جمله بيد أبي المظفر بن هبيرة. وهو أيضًا معتم بفوطة من قطن، قد لواها تحت حنكه، وعليه قميص قطن خام،

قصير الكم والذيل، وكلما وصل الزبيدي موضعًا أشار أبو المظفر بمسبحته، وناس برفيع صوته: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.
ذكر ذلك أبو بكر التيمي ابن المرستانية، في الكتاب الذي جمعه في مناقب الوزير وفضائله.
وقال ابن الجوزي: كانت له معرفة حسنة بالنحو، واللغة، والعروض، وصنف في تلك العلوم، وكان متشددًا في اتباع السنة، وسير السلف.
قلت: صنف الوزير أبو المظفر كتاب "الإفصاح عن معاني الصحاح" في عدة مجلدات، وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم، ولما بلغ فيه إلى حديث "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" شرح الحديث، وتكلم على معنى الفقه، وآل به الكلام إلى أن ذكر مسائل الفقه المتفق عليها، والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين.
وقد أفرده الناس من الكتاب، وجعلوه مجلدة مفردة، وسموه بكتاب "الإفصاح" وهو قطعة منه، وهذا الكتاب صنفه في ولايته الوزارة، واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله، بحيث إنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار، وثلاثة عشر ألف دينار، وحدث به، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه. كتب به نسخة لخزانة المستنجد. وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها، واستنسخوا لهم به نسخًا، ونقلوها إليهم، حتى السلطان نور الدين الشهيد. واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم، يدرسون منه في المدارس والمساجد، ويعيده المعيدون، ويحفظ منه الفقهاء.
وصنف في النحو كتابًا سماه "المقتصد"، وعرضه على أئمة الأدب في عصره، وأشار إلى ابن الخشاب بالكلام عليه، فشرحه في أربع مجلدات، وبالغ في الثناء عليه. واختصر كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت، وكان ابن الخشاب يستحسنه ويعظمه.
وصنف كتاب "العبادات الخمس" على مذهب الإمام أحمد، وحدث به بحضرة العلماء من أئمة المذاهب.
وله أرجوزة في المقصور والممدود، وأرجوزة في علم الخط.

وقد صنف ابن الجوزي كتاب، "المقتبس من الفوائد العونية" وذكر فيه الفوائد التي سمعها من الوزير عون الدين، وأشار فيه إلى مقاماته في العلوم. وانتقى من زبد كلامه في الإفصاح على الحديث كتابًا سماه "محض المحض".
وكان ابن هبيرة رحمه الله في أول أمره فقيرًا، فاحتاج إلى أن دخل في الخدم السلطانية، فولي أعمالاً، ثم جعله المقتفي لأمر الله مشرفًا في المخزن، ثم نقل إلى كتابة ديوان الزمام.
ثم ظهر للمقتفي كفاءته وشهامته، وأمانته ونصحه، وقيامه في مهام الملك. فاستدعاه المقتفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة إلى داره، وقلده الوزارة، وخلع عليه وخرج في أبهة عظيمة. ومشى أرباب الدولة وأصحاب المناصب كلهم بين يديه، وهو راكب إلى الإيوان في الديوان. وحضر القراء والشعراء، وكان يومًا مشهودًا. وقرىء عهده، وكان تقليداً عظيمًا، بولغ فيه بمدحه والثناء عليه إلى الغاية. وخوطب فيه بالوزير العالم العادل، عون الدين، جلال الإسلام، صفي الإمام، شرف الأنام، معز الدولة، مجير الملة، عماد الأمة، مصطفى الخلافة، تاج الملوك والسلاطين، صدر الشرق والغرب، سيد الوزراء، ظهير أمير المؤمنين.
وكان الوزير قبل وزارته يلقب جلال الدين، وقال يومًا: لا تقولوا في ألقابي سيد الوزراء فإن الله تعالى سمى هارون وزيرًا، وجاء عِن النبي صلى الله عليه وسلم أن وزيريه من أهل السماء: جبريل وميكائيل ومن أهل الأرض: أبو بكر وعمر وجاء عنه أنه قال: "إن الله اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعلهم وزراء وأنصارًا" ولا يصلح أن يقال عني: أني سيد هؤلاء السادة.
قال صاحب سيرته: ركب الوزير إلى داره مجاورة الديوان، وبين يديه جميع من حضر من أرباب الدولة، وأصحاب المناصب والأمراء والحجاب، والصدور والأعيان، وقد أخذ قوس الخلافة باريها، واستقرت الوزارة في كفؤها وكافيها. فقام فيها قيام من عدَّله الزمان بثقافه، وزينه الكمال بأوصافه، ودبرها بجوده ونُهاه، وأورد الأمل فيها مناه، ومد الدين رواقه، وأمن بدره به محاقه. فأقام سوق الخلافة على ساقها، وابتدع في انتظام ممالكها واتساقها، وأوضح رسمها، وأثبت في حين أوانه وسمها، وتتبع ما أفسدته العين منها بالإصلاح، واستدرك لها ما أخرجته لها يد

الاجتياح، وداوى كل حال بدوائه، ورد غائر الماء إلى لجائه، وأقام الصلاة جماكة، وافترض العدل سمعًا لله وطاعة، ورعى لأهل الفضل والمعارف، وأواهم من بره إلى ظل وارف، حتى صارت دولته مشرعًا للكرم، ومستراحًا لآمال الأمم، يرتضع فيه للمكارم أخلاف، وتداريها الأماني سلاف، ونفقت فيها أقدار الأعلام، وتدفقت فيها نذر الكلام، ولاحت بها من العلماء شموس، وارتاحت فيها للطلبة بالعلوم نفوس، ولم تخل أيامه ومجالسه من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة، إلا أوقات عطلها من ذلك النظام، وأوقعها إما على صلاة وصيام، أو على تصنيف، وجمع وتأليف بحيث صنف عدة كتب، منها: كتاب "الإفصاح عن شرح معاني الصحاح" وهذا الكتاب بمفرده يشتمل على تسعة عشر كتابًا

ولما ولي الوزير أبو المظفر رحمه الله الوزارة بالغ في تقريب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين، واجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم، وارتفع أهل السنة به غاية الارتفاع. ولقد قال مرة في وزارته: واللّه لقد كنت أسأل الله تعالى الدنيا لأخدم بما يرزقنيه منها العلم وأهله.

وكان سبب هذا: أنه ذكر مرة في مجلسه مفردة للإمام أحمد تفرد بها عن الثلاثة، فادعى أبو محمد الأشتري المالكي: أنها رواية عن مالك، ولم يوافقه على ذلك أحد، وأحضر الوزير كتب مفردات أحمد، وهي منها، والمالكي مقيم على دعواه. فقال له الوزير: بهيمة أنت. أما تسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بانفراد أحمد بها، والكتب المصنفة، وأنت تنازع وتفرق المجلس؟ فلما كان المجلس الثاني، واجتمع الخلق للسماع أخذ ابن شافع في القراءة، فمنعه وقال: قد كان الفقيه أبو محمد جريء في مسألة أمس على ما يليق به عن العدول عن الأدب والانحراف عن نهج النظر حتى قلت تلك الكلمة، وها أنا فليقل لي كما قلت له فلست بخير منكم، ولا أنا إلا كأحدكم، فضج المجلس بالبكاء، وارتفعت الأصوات بالدعاء والثناء، وأخذ الأشتري يعتذر، ويقول: أنا المذنب والأولى بالاعتذار من مولانا الوزير، ويقول: القصاص، القصاص، فقال يوسف الدمشقي مدرس النظامية: يا مولانا، إذا أبى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه، فقال الأشتري: نعمك عليّ كثيرة، فأي حكم بقي لي. فقال: قد جعل الله لك

الحكم علينا بما ألجأتنا به إلى الافتيات عليك، فقال: علي بقية دين منذ كنت بالشام، فقال الوزير: يعطى مائة دينار لإبراء ذمته وذمتي، فأحضر له مائة، فقال له الوزير: عفا الله عنك وعني، وغفر لك ولي.
وذكر ابن الجوزي أنه قال: يعطى له مائة دينار لإبراء ذمته، ومائة دينار لإبراء ذمتي. وكان هذا الأشتري من علماء المالكية، طلبه الوزير من نور الدين محمود بن زنكي، فأرسل به إليه، فأكرمه غاية الإكرام.
قال ابن الجوزي: وكان ابن الوزير إذا استفاد شيئًا قال: أفادنيه فلان حتى، إنه عرض له يومًا حديث، وهو "من فاته حزب من الليل فصلاه قبل الزوال كان كأنه صلى بالليل" فقال: ما أدري ما معنى هذا؟ فقلت له: هذا ظاهر في اللغة والفقه.
أما اللغة: فإن العرب تقول: كيف كنت الليلة، إلى وقت الزوال.
وأما الفقه: فإن أبا حنيفة يصحح الصوم بنية قبل الزوال، فقد جعل ذلك الوقت في حكم الليل. فأعجبه هذا القول. وكان يقول بين الجمع الكثير: ما كنت أدري معنى هذا الحديث حتى عرفنيه ابن الجوزي، فكنت أستحي من الجماعة.
قال: وجعل لي مجلسًا في داره، كل جمعة يطلقه ويطلق العوام في الحضور وكان بعض الفقراء يقرأ القرآن في داره كثيرًا، فأعجبه، فقال لزوجته: أريد أن أزوجه ابنتي، فغضبت الأم من ذلك. وكان يقرأ عنده الحديث كل يوم بعد العصر.
وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء. وكانت أمواله مبذولة لهم، ولتدبير الدولة فكانت السنة تدور عليه وعليه ديون، وقال: ما وجبت علي زكاة قط.
قلت: وفي ذلك يقول بعض الشعراء:
يقولون: يحيى لا زكاة لـمـالـه
وكيف يزكي المال من هو باذله؟
إذا دار حول لا يرى في بـيوتـه
من المال إلا ذكره وفـضـائلـه
وقال ابن الجوزي: وكان يتحدث بنعم الله تعالى عليه. ويذكر في منصبه شدة فقره القديم، فيقول: نزلت يومًا إلى دجلة، وليس معي رغيف أعبر به الحمام.

ثم ذكر طرفًا من حلمه وصفحه وعفوه، فقال: لما جلس في الديوان أول وزارته أحضر رجلاً من غلمان الديوان، فقال: دخلت يومًا إلى هذا الديوان، فقعدت في مكان، فجاء هذا، فقال: قم فليس هذا موضعك، فأقامني. فأكرمه وأعطاه.
ودخل عليه يومًا تركي، فقال لحاجبه: أما قلت لك: اعط هذا عشرين دينارًا، وكذا من الطعام، وقل له: لا يحضر ههنا? فقال: قد أعطيناه. قال: عد واعطه، وقل له: لا يحضر. ثم التفت إلى الجماعة، وقال: لا شك أنكم ترتابون بسبب هذا? فقالوا: نعم، فقال: هذا كان شحنة في القرى، فقتل قتيلٍ قريبًا من قريتنا، فأخذ مشايخ القرى وأخذني مع الجماعة، وأمشاني مع الفرس، وبالغ في أذاي وأوثقني، ثم أخذ من كل واحد شيئًا وأطلقه، ثم قال لي: أي شيء معك? قلت: ما معي شيئًا، فانتهرني، وقال: اذهب. فأنا لا أريد اليوم أذاه، وأبغض رؤيته.
وقد ساق مصنف سيرة الوزير هذه الحكاية بأتم من هذا السياق.
وذكر: أن الوزير قال: ما نقمت عليه إلا أني سألته في الطريق أن يمهلني حسبما أصلي الفرض فما أجابني، وضربني على رأسي وهو مكشوف عدة مقارع فكنت أنقم عليه حين رأيته لأجل الصلاة، لا لكونه قبض عليَّ فإنه كان مأمورًا.
وذكر: أنه استخدمه في أصلح معايش الأمراء، واستحله من صياحه عليه وقوله: أخرجوه عني.
قال ابن الجوزي: وكان بعض الأعاجم قد شاركه في زراعة. فآل الأمر إلى أن ضرب الأعجمي الوزير وبالغ، فلما ولي الوزارة أتى به فأكرمه ووهب له وولاه.
أنبئت عن أحمد بن عبد الدائم المقدسي قال: حكى لنا ابن الجوزي قال: كنا جلس إلى الوزير ابن هبيرة، فيملي علينا كتابه "الإفصاح" فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل - معه رجل ادعى عليه أنه قتل أخاه، فقال له عون الدين: أقتلته? قال: نعم. جرى بيني - بينه كلام فقتلته: فقال الخصم: سلمه إلينا حتى نقتله فقد أقر بالقتل، فقال عون الدين: أطلقوه ولا تقتلوه، قالوا: كيف ذلك، وقد قتل أخانا. قال: فتبيعونيه، فاشتراه منهم بستمائة دينار، وسلم الذهب إليهم وذهبوا، قال للقاتل: اقعد عندنا لا تبرح. قال: فجلس عندهم، وأعطاه الوزير خمسين ديناراً. قال!: فقلنا للوزير: لقد أحسنت إلى هذا وعملت معه أمراً عظيماً وبالغت

في الإحسان إليه فقال الوزير: منكم أحد يعلم أن عيني اليمنى لا أبصر بها شيئًا. فقلنا: معاذ اللّٰه، فقال: بلى والله. أتدرون ما سبب ذلك. قلنا: لا. قال: هذا الذي خلصته من القتل جاء إلي وأنا في الدور ومعي كتاب من الفقه أقرأ فيه، ومعه سلة فاكهة، فقال: احمل هذه السلة، قلت له: ما هذا شغلي فاطلب غيري، فشاكلني، ولكمني فقلع عيني، ومضى ولم أره بعد ذلك إلى يومي هذا. فذكرت ما صنع بي، فأردت أن أقابل إساءته إلي بالإحسان مع القدرة.
قال ابن الجوزي: كان الوزير يجتهد في اتباع الحق، ويحذر من الظلم، ولا يلبس الحرير. وكان مبالغاً في تحصيل التعظيم للدولة العباسية، قامعًا للمخالفين بأنواع الحيل، حسم أمور السلاطين السلجوقية.
وذكر صاحب سيرته: أنه سمعه يذكر: أنه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا، عزم هو والخليفة على قتاله. قال: ثم إني فكرت في ذلك، ورأيت أنه ليس بصواب مجاهرته. لقوة شوكته. فدخلت على المقتفى، فقلت: إني رأيت أن لا وجه في هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى، وصدق الاعتماد عليه، فبادر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلا هذا. ثم كتبت إليه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا على رعل وذكوان شهرًا، وينبغي أن ندعو نحن شهرًا. فأجابني بالأمر بذلك.
قال الوزير: ثم لازمت الدعاء في كل ليلة وقت السحر أجلس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعود لتمام الشهر، لم يزد يومًا ولم ينقص يومًا، وأجاب الله الدعاء وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم. وهذه القصة تذكر في كرامات الخليفة والوزير. رحمهما اللّٰه تعالى.
وكاتب الوزير ابن هبيرة السلطان نور الدين محمود بن زنكي يستحثه على انتزاع مصر من يد العبيديين. فسير إليها أسد الدين شيركوه مرتين، وفي الثالثة خطب بها للمستنجد، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة تسع وخمسين، وعمل أبو الفضائل بن تركان حاجب الوزير ابن هبيرة قصيدة يهنىء بها الوزير بفتح مصر، ويذكر أن ذلك. كان بسبب سعيه وبركة رأيه، وتكامل انتزاع مصر من بني عبيد، وإقامة الخطبة لبني العباس بها بعد سبع سنين في

خلافة المستضيء فعظمت حرمة الدولة العباسية في وقته، وانتشرت إقامة الدعوة لها في البلاد.
قال ابن الجوزي: وكان المقتفي معجبًا به، يقول: ما وزر لبني العباس مثله.
قال ابن الجوزي: حدثني الوزير قال: لما رجعت من الحلة- وكان قد خرج لدفع بعض البغاة دخلت على المقتفي فقال لي: ادخل هذا البيت فغير ثيابك فدخلت فإذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير، فقلت: أنا واللّه ما ألبس هذه. فخرج الخادم فأخبر المقتفي، فسمعت صوت المقتفي وهو يقول: قد واللّه قلت: إنه ما يلبس.
ذكر صاحب سيرته هذه الحكاية مبسوطة. قال: فعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه عليّ، وقال: قد أخبرت أمير المؤمنين بامتناعك، فقال: والله لقد حسبت هذا، وأنه لا يفعل. قال: فقلت حينئذ لنفسي: يا يحيى كيف رأيت طاعة اللّه تعالى? لو كنت قد لبستها كيف كنت تكون في نفس أمير المؤمنين. وكيف كانت تكون منزلتك عنده?.
قال صاحب سيرته: وكان لا يلبس ثوبًا يزيد فيه الإبريسم على القطن، فإن شك في ذلك سلّ من طاقاته ونظر: هل القطن أكثر أم الإبريسم. فإن استويا لم يلبسه.
قال: ولقد ذكر يومًا في بعض مجالسه، فقال: له بعض الفقهاء الحنابلة: يا مولانا، إذا استويا جاز لبسه في أحد الوجهين عن أصحابنا، فقال: إني لا آخذ إلا بالأحوط.
قال: وذكر يومًا بين يديه: أنه كان للصاحب ابن عباد دست من ديباج فقال الوزير: قبح والله بالصاحب أن يكون له دست من ديباج فإنه وإن كان زينة فهو معصية وهجنة.
قال ابن الجوزي: ونقله عنه ابن القطيعي سمعت ابن هبيرة الوزير يقول: جاءني مكتوب مختوم من المستنجد في حياة أبيه المقتفي، فقلت للرسول: ارجع إليه وقل له: إن كان فيه ما تكره أن يعلم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك في فتحه فإني أعرّفه ما فيه، وإن لم تكن تكره إطلاعه عليه فافتحه، ثم أعطه الرسول، فمضى ولم يعد، وحصل في نفسه من ذلك شيء. فلما توفي المقتفي وولي المستنجد أمر بحضوره للمبايعة.

قال ابن الجوزي: فقال لي الوزير حين جاءه الرسول: إن وصلت إلى أمير المؤمنين نلت ما أريد، وإن قتلت قبل وصولي إليه فما لي حيلة. فما كان إلا ساعة دخوله عليه حتى عاد فرحًا، فقلت له: ما الخبر. قال: وصلت إليه وبايعته، ثم قلت: يكفي العبد في صدقه ونصحه أنه حابى مولانا في أبيه نصحًا لأمير المؤمنين وأشرت إلى رد مكتوبه، فقال: صدقت، أنت الوزير، فقلت: إلى متى. فقال: إلى الموت، فقلت: أحتاج واللّه إلى اليد الشريفة، فأحلفته على ما ضمن لي.
قال صاحب سيرته: وأخبرني الخادم "مرجان بن عبد اللّه- أحد خواص خدم الخليفة قال: سمعت المستنجد بالله أمير المؤمنين ينشد وزيره عون الدين أبا المظفر بن هبيرة، وفد مثل الوزير بين يدي سدته في أثناء مفاوضة جرت بينهما في كلام يرجع إلى تقرير قواعد الدين، وانظر في مصالح الإسلام والمسلمين، فأعجب الخليفة به، فأنشده الخليفة- يمدحه- أربعة أبيات: الأخيرين منهما لنفسه، والأولين لابن حيوس، وهي:

صفت نعمتان خصّتاك وعـمّـتـا
فذكرهما حتـى الـقـيامة يذكـر
وجودك والـدنـيا إلـيك فـقـيرة
وجودك والمعروف في الناس ينكر
فلو رام يا يحيى مكانك جـعـفـر
ويحيى لكفى عنه يحيى وجعـفـر
ولم أرَ من ينوي لك السـوء يا أبـا
المظفر إلا كنت أنت المـظـفـر

وقال ابن الذهبي في تاريخه: كان عالمًا فاضلاً، عابدًا عاملاً، ذا رأي صائب وسريرة صالحة، وظهرت منه كفاية تامة، وقيام بأعباء الملك حتى شكره الخاص والعام. وكان مكرمًا لأهل العلم، ويقرأ عنده الحديث عليه، وعلى الشيوخ بحضوره، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره. وكان مقربًا لأهل العلم والدين، كريمًا طيب الخلق.
قال ابن القطيعي: كان ابن هبيرة عفيفًا في ولايته، محموداً في وزارته، كثير البر والمعروف، وقراءة القرآن، والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، جميل المذهب، شديد التظاهر بالسنة.

قال: ومن كثرة ميله إلى العمل بالسنة، اجتاز في سوق بغداد- وهو الوزير- فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.
قال صاحب سيرته: ولقد بلغ به من شدة الورع بحيث أحضر له كتاب من وقف المدرسة النظامية، ليقرأ عنده. فقال: قد بلغني أن الواقف شرط في كتاب الوقف: أن لا يخرج شيء من كتب الوقف عن المدرسة، وأمر برده. فقيل له: إن هذا شيء ما تحققناه. فقال: أليس قد قيل. ولم يمكّنهم من قراءته، وحثهم على إعادته.
قال: وحدثني الفقيه أبو حامد أحمد بن محمد بن عيسى الحنبلي قال: حدثني الوزير عون الدين قال: كان بيني وبين بعض مشايخ القرى معاملة مضيت من أجلها من الدور إلى قريته فلم أجده، فقعدت لانتظارهم حتى هجم الليل، فصعدت إلى سطحه للنوم، فسمعت قومًا يسفهون بالهجر من الكلام، فسألت عنهم.
فأخبرت أنهم يعصرون بالنهار الخمر ويسفهون في الليل. فقلت: والله لا بت بها فقيل: ولم? فقلت: أخاف أن ينزل بهم عذاب وسخط فأكون معهم، فإن لم يكن خسفًا حقيقيًا كان خسفا معنويًا، مما يدخل على القلب من القساوة والفتور عن ذكر الله تعالى بسماع هذا الكلام، ومضيت ذلك الوقت إلى الدور.
قال الوزير: فلما عدت أنا والمقتفي لأمر الله من حصار قلعة تكريت مررنا بتلك القرية، فسألني المقتفي عنها. فقلت: هذه الناحية للوكلاء أجلهم الله تعالى. فقال: لئن تكون لك، إذ هي في جوارك أصلح من أن تكون لنا، فتقدم إلى عمالك بالتصرف فيها.
فذكرت له حينئذ حالتي بها، وقلت له: فمن بركة ذلك الفعل رزقت القرب منك يا أمير المؤمنين، وتملك الناحية من غير طلب مني لها، فاستظرف ذلك مني، وكثر تعجبه مني.
قال: وكان الوزير شديد التواضع، رافضًا للكبر، شديد الإيثار لمجالسة أرباب الدين والفقراء،. بحيث سمعته في بعض الأيام يقول لبعض الفقراء وهو يخاطبه: أنت أخي، والمسلمون كلهم إخوة.
قال: ولقد كنا يومًا بالمجلس على العادة لسماع الحديث، إذ دخل حاجبه أبو الفضائل بن تركان. فسار الوزير بشيء لم يسمعه أحد. فقال له الوزير: أدخل الرجل، فأبطأ عليه. فقال الوزير: أين

الرجل. فأبطأ. فقال: أين الرجل. فقال الحاجب: إن معه شملة صوف مكورة. وقلى قلت له: اتركها مع أحد الغلمان خارجًا عن الستر وادخل. قال: لا أدخل إلا وهي معي. فقال له الوزير: دعه يدخل وهي معه، فخرج وعاد. وإذا معه شيخ طوال من أهل السواد، وعليه فوطة قطن، وثوب خام، وفي رجليه جمجان، فسلم، وقال للوزير: يا سيدي، إن أم فلان- يعني: أم ولده- لما علمت أني متوجه إليه. قالت لي: باللّه سلم على الشيخ يحيى عني، وادفع إليه هذه الشملة فقد خبزتها على اسمه، فتبسم الوزير إليه وأقبل عليه، وقال: الهدية لمن حضر، وأمر بحلها، فحلت الشملة بين يديه وإذا فيها خبز شعير مشطور بكامخ اكشوت. فأخذ الوزير منه رغيفين، وقال: هذا نصيبي، وفرق الباقي على من حضر من صدور الدولة، والسادة الأجلة، وسأله عن حوائجه جميعها. وتقدم بقضائها على المكان، ثم التفت إلى الجماعة وقال: هذا شيخ قد تقدمت صحبتي له قديمًا، واختبرته في زرع بيننا فوجدته أمينًا، ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ، ولا تكبر عليه، ولا أعرض عنه، بل أحسن لقاءه، وقضى حوائجه، وأجزل عطاءه.

ثم حكى: أنه كان بينه وبين هذا الشيخ زرع، وأنهم خشوا عليه من جيش عظيم نزل عندهم فقرأوا على جوانبه القرآن فسلم ولم يرع منه سنبلة واحدة.

قال: ودخل عليه يومًا نقيب نقباء الطالبين الطاهر بن أحمد بن علي الحسيني فسلم عليه وخدمه، وسأله رفع رقعة له إلى الخليفة المستنجد، وأن يتكلم له عند عرضها ولا يهملها، فتبسم وقال: والله ما أهملت لأحد رقعة قط، ولا حاجة حضرني ذكرها، وذكر حكاية عن الوزير ابن العميد: أنه وعد رجلاً النظر في ظلامته ومطله وسوّفه وقال، سننظر فيها: فقال له بعض أصحابه، هذا كلام من لا يعرف دبيب الساعات في انخرام السدول، فانتبه لها ابن العميد، والآن يتولى رفع ظلامات المتظلمين.

قال: ودخل عليه يومًا أبو الفرج عبد الخالق بن يوسف المحدث، وقال في كلامه: المملوك شيخ من حملة القرآن وأهل العلم ورواة الحديث، وله وعليه حقوق في المال، فانظر له وعليه، مقاطعة شيء من الجانب الغربي، فليس بيده شيء. فتقدم له

الوزير بخمسين دينارًا قبضها في مجلسه، ثم قال: هذا بعض مالك على بيت المال، فأدِّ بعض ما عليك لبيت المال.
قال: وكنا يومًا عنده والمجلس غاص بولاة الدين والدنيا، والأعيان الأماثل وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فجأنا من باب الستر وراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح يرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكن ساكت، حتى أنهى ابن شافع قراءة الإسناد ومتنه. ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رسلكم، ثم قام ودخل إلى الستر ولم يلبث أن خرج، فجلس وتقدم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس. وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال، فعاودوه، فقال: كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح، ولولا تعين الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذاك الصياح لما قمت عن مجلس رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فعجب الحاضرون من صبره.
قال: وحضر يومًا في دار الخلافة بالمرخم من التاج، فجلس به وحضر أرباب الدولة بأسرهم للصلاة على جنازة الأمير إسماعيل بن المستظهر، فسقط من السقف أفعى عظيمة المقدار على كتف الوزير، فما بقي أحد من أرباب الدولة وحواشي الخدمة إلا خرج أو قام عن موضعه، إلا الوزير فإنه التفت إلى الأفعى وهي تسرح على كمه حتى وقعت على الأرض، وبادرها المماليك فقتلوها، ولم يتحرك الوزير عن بقعته، ولا تغير في هيئته ولا عبارته.
وللوزير رحمه الله تعالى من الكلام الحسن والفوائد المستحسنة والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جدًا. وله من الحكم والمواعظ والكلام في أصول السنة وذم من خالفها شيء كثير أيضًا. ونذكر هنا بعض ذلك إن شاء الله تعالى.
قال ابن الجوزي في المقتبس: سمعت الوزير يقول: الآيات اللواتي في الأنعام "قل: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم" الأنعام: 151، محكمات، وقد اتفقت عليها الشرائع، إنما قال في الآية الأولى: "لعلكم تعقلون" وفي الثانية: "لعلكم تذكرون" وفي الثالثة: "لعلكم تتقون" لأن كل آية يليق بها ذلك، فإنه قال في

الأولى: "أن لا تشركوا به شيئًا" والعقل يشهد أن الخالق لا شريك له، ويدعو العقل إلى بر الوالدين، ونهى عن قتل الولد، وإتيان الفواحش لأن الإنسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته، فكذلك هو، ينبغي أن يجتنبها، وكذلك قتل النفس، فلما لاقت هذه الأمور بالعقل، قال: "لعلكم تعقلون" ولما قال في الآية الثانية: "ولا تقربوا مال اليتيم" والمعنى: اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيمًا، واذكر عند ورثتك، لو كنت الموروث له، واذكر كيف تحب العدل لك في القول. فاعدل في حق غيرك، وكما لا تؤثر أن يخان عهدك فلا تخن، فلاق بهذه الأشياء التذكر، فقال "لعلكم تذكرون" وقال في الثالثة: "وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه"، فلاق بذلك اتقاء الزلل، فلذلك قال: "لعلكم تتقون".
قال: وسمعته يقول في قوله تعالى: "فإنك من المنظرين" 38: 80. قال: ليس هذا بإجابة سؤاله، وإنما سأل الإنظار، فقيل له: كذا قدر، لا أنه جواب سؤالك، لكنه مما فهم.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "قل: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" التوبة: 51، قال: إنما لم يقل: ما كتب علينا لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له، إن كان خيرًا فهو له في العاجل، وإن كان شرًا فهو ثواب له في الآجل.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "حجابًا مستورًا" الإسراء: 143 قال أهل التفسير: يقولون: ساترًا، والصواب: حمله على ظاهره، وأن يكون الحجاب مستورًا عن العيون فلا يرى، وذلك أبلغ.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "ولولا إذ دخلت جنتك قلت: ما شاء الله" الكهف: 39، قال: ما قال: ما شاء الله كان ولا يكون، بل أطلق اللفظ ليعم الماضي والمستقبل والراهن.
قال: وتدبرت قوله تعالى: "ولا قوة إلا بالله" فرأيت لها ثلاثة أوجه.
أحدها: أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته، ويسلم الأمر إلى مالكه.
والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا يخاف منهم إذ قواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.
والثالث: أنه رد على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى في الأشياء بطبيعتها، فإن هذه الكلمة بينت أن القويّ لا يكون إلا بالله

وسمعته يقول في قوله تعالى: "فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا" الكهف: 197 قال: "التاء"، من حروف الشدة، تقول في الشيء القريب الأمر: ما استطعته، وفي الشديد: ما استطعته، فالمعنى: ما أطاقوا ظهوره لضعفهم، وما قدروا على نقبه لقوته وشدته.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "إن الساعة آتيةٌ أكادُ أُخْفيهَا" طه: 15، قال: المعنى إني قد أظهرتها حين أعلمت بكونها، لكن قاربت أن أخفيها بتكذيب المشرك بها، وغفلة المؤمن عنها، فالمشرك لا يصدق كونها، والمؤمن يهمل الاستعداد لها.
قال: وقرأت عليه ما جمعه من خواطره، قال: قرأ عندي قارىء، قال: "هم أولاء على أثري" طه: 4، فأفكرت في معنى اشتقاقها، فنظرت فإذا وضعها للتنبيه، الله لا يجوز أن يخاطب بهذا، ولم أرَ أحدًا خاطب الله عز وجل بحرف التنبيه إلا الكفار، كما قال الله عز وجل: "قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك" النحل: 86، "ربنا هؤلاء أضلونا" الأعراف: 38، وما رأيت أحدًا من الأنبياء خاطب ربه بحرف التنبيه، والله أعلم.
فأما قوله: "وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون" الزخرف: 88، فإنه قد تقدم الخطاب بقوله: يا رب، فبقيت "ها" للتمكين، ولما خاطب اللّه عز وجل المنافقين، قال: "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا" النساء: 9، وكرم المؤمنين بإسقاط "ها"، فقال: "ها أنتم أولائي تحبونهم" آل عمران: 19، وكان التنبيه للمؤمنين أخف.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "إنه يعلم الجهر من القول" الأنبياء: 110، المعنى: أنه إذا اشتدت الأصوات وتغالبت فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان. والله عز وجل يسمع كلام كل شخص بعينه، ولا يشغله سمع عن سمع.
قال: وقوله: "قال: رب احكم بالحق" الأنبياء: 112. قال: المراد منه: كن أنت أيها القائل على الحق ليمكنك أن تقول: احكم بالحق، لأن المبطل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحق.
وقال في قوله تعالى: "قل: لا تقسموا، طاعة معروفة" النور: 53، قال: وقع لي فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أن المعنى: لا تقسموا واخرجوا من غير قسم، فيكون المحرك لكم إلى الخروج الأمر لا القسم فإن من خرج لأجل قسمه ليس كمن خرج لأمر ربه.

والثاني: أن المعنى نحن نعلم ما في قلوبكم، وهل أنتم على عزم الموافقة للرسول في الخروج. فالقسم ههنا إعلام منكم لنا بما في قلوبكم. وهذا يدل منكم على أنكم ما علمتم أن اللّه يطلع على ما في القلوب.
والثالث: أنكم ما أقسمتم إلا وأنتم تظنون أنا نتهمكم، ولولا أنكم في محل تهمة ما ظننتم ذلك فيكم. وبهذا المعنى وقع المتنبي، فقال:
وفي يمينك ما أنت واعـده
ما دل أنك في الميعاد متهم
وسمعته يقول في قوله تعالى: "أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة" الفرقان: 5، قال: العجب لجهلهم حين أرادوا أن يلقى إليه كنز أو تكون له جنة. ولو فهموا علموا أن كل الكنوز له وجميع الدنيا ملكه. أوليس قد قهر أرباب الكنوز، وحكم في جميع الملوك. وكان من تمام معجزته أن الأموال لم تفتح عليه في زمنه لئلا يقول قائل قد جرت العادة بأن إقامة الدول، وقهر الأعداء بكثرة الأموالّ، فتمت المعجزة بالغلبة والقهر من غير مال، ولا كثرة أعوان، ثم فتحت الدنيا على أصحابه، ففرقوا ما جمعه الملوك بالشره، فأخرجوه فيما خلق له، ولم يمسكوه إمساك الكافرين، ليعلموا الناس بإخراج ذلك المال: أن لنا دارًا سوى هذه، ومقرًا غير هذا.
وكان من تمام المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم: أنه لما جاءهم بالهدى فلم يقبل، سلّ السيف على الجاحد، ليعلمه أن الذي ابتعثني قاهر بالسيف بعد القهر بالحجج.
ومما يقوي صدقه أن قيصر وكبار الملوك لم يوفقوا للإيمان به لئلا يقول قائل: إنما ظهر لأن فلانًا الملك تعصب له فتقوى به، فبان أن أمره من السماء لا بنصرة أهل الأرض.
وقال في قوله تعالى: "فقد كذبوكم بما تقولون" الفرقان: 19، قال: المعنى: فقد كذبكم أصنامكم بقولكم? لأنكم ادعيتم أنها الآلهة وقد أقررتم أنها لا تنفع فإقراركم يكذب دعواكم.
وقال في قوله تعالى: "وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق" الفرقان: 25، قال: فهو يدل على فضل هداية الخلق بالعلم، ويبين شرف العالم على

الزاهد المنقطع فإن النبي صلى الله عليه وسلم كالطبيب، والطبيب يكون عند المرضى، فلو انقطع عنهم هلكوا.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي" النمل: 19، قال: هذا من تمام برّ الوالدين. كأن هذا الولد خاف أن يكون والداه قصرا في شكر الرب عز وجل، فسأل الله أن يلهمه الشكر على ما أنعم به عليه وعليهما ليقوم بما وجب عليهما من الشكر إن كانا قصرا.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "وقال الذين أوتوا العلم: ويلكم، ثواب اللّه خير لمن آمن" القصص: 80، قال: إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء، فمن كان هكذا فهو عالم. ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون" القصص: 171 وفي الآية التي تليها "أفلا تبصرون" القصص: 72، قال: إنما ذكر السماع عند ذكر الليل والإبصار عند ذكر النهار لأن الإنسان يدرك سمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل.
قال المبرد: سلطان السمع في الليل، وسلطان البصر في النهار.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "اذكروا نعمة الله عليكم: هل من خالق غير الله" فاطر: 3، قال: فطلبت الفكر في المناسبة بين ذكر النعمة وبين قوله تعالى: "هل من خالق غير الله" فرأيت أن كل نعمة ينالها العبد فالله خالقها، فقد أنعم بخلقه لتلك النعمة، وبسوقها إلى المنعم عليه.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنى وفرادى" فاطر: 46، قال: المعنى: أن يكون قيامكم خالصًا للّه عز وجل، لا لغلبة خصومكم، فحينئذ تفوزون بالهدى.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى" يس: 25، في الآية الأخرى "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى" القصص: 20، فرأيت الفائدة في تقديم ذكر الرجل وتأخيره: أن ذكر الأوصاف قبل ذكر الموصوف أبلغ في المدح من تقديم ذكره على وصفه فإن الناس يقولون: الرئيس الأجل فلان، فنظرت فإذا الذي زيد في مدحه وهو صاحب يس أمر بالمعروف وأعان الرسل وصبر على القتل، والآخر إنما حذر موسى من القتل، فسلم موسى بقبوله مشورته. فالأول هو الآمر

بالمعروف، والناهي عن المنكر، والثاني هو ناصح الآمر بالمعروف. فاستحق الأول الزيادة. ثم تأملت ذكر أقصى المدينة، فإذا الرجلان جاءا من بُعد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعدا لبعد الطريق.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "ليت قومي يعلمون. بما غفر لي ربي" يس: 26، 27. قال: المعنى: يا ليتهم يعلمون بأي شيء وقع غفرانه. والمعني: أنه غفر لي بشيء يسير فعلته، لا بأمر عظيم.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "إن هؤلاء ليقولون: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين. فائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين. أهم خير أم قوم تبع؟". الدخان: 34- 36، قال: ربما توهم جاهل أنهم لم يجابوا عما سألوا، وليس كذلك فإن الذي سألوا لا يصلح أن يكون دليلاً على البعث لأنهم لو أجيبوا إلى ما سألوا لم يكن ذلك حجة على من تقدم، ولا على من تأخر، ولم يزد على أن يكون لمن تقدم وعدًا، ولمن تأخر خبرًا، اللهم إلا أن يجيء لكل واحد أبوه، فتصير هذه الدار دار البعث. ثم لو جاز وقوع مثل هذه كان إحياء ملك يضرب به الأمثال أولى، كتبع، لا أنتم يا أهل مكة، فإنكم لا تعرفون في بقاع الأرض.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك" غافر: 7، قال: علمت الملائكة أن اللّه عز وجل يحب عباده المؤمنين، فتقربوا إليه بالشفاعة فيهم. وأحسن القرب أن يسأل المحب إكرام حبيبه، فإنك لو سألت شخصًا أن يزيد في إكرام ولده لارتفعت عنده، حيث تحثه على إكرام محبوبه.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "لو نشاء لجعلناه حطامًا" الواقعة: 65 "لو نشاء جعلناه أجاجًا" الواقعة: 75، قال: تأملت دخول اللام وخروجها، فرأيت المعنى: أن اللام تقع للاستقبال، تقول: لأضربنك، أي فيما بعد، لا في الحال. والمعنى "أفرأيتم ما تحرثون؟ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ لو نشاء لجعلناه حطامًا" الواقعة: 63- 65، أي: في مستقبل الزمان إذا تم فاستحصد، وذلك أشد العذاب، لأنها حالة انتهاء تعب الزراع، واجتماع الدين عليه، لرجاء القضاء بعد الحصاد، مع فراغ البيوت من الأقوات.

وأما في الماء: فقال: "لو نشاء جعلناه أجاجًا" أي: الآن؟ لأنا لو أخرنا ذلك لشرب العطشان وادخر الإنسان.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا" الممتحنة: 15 قال: المعنى: لا تبتلينا بأمر يوجب افتتان الكفار بنا، فإنه إذا خذل المتقي ونصر العاصي فتن الكافر، وقال: لو كان مذهب هذا صحيحًا ما غلب.
قال: وسمعته يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل رمضان سلسلت الشياطين" قال: إن الشياطين للعاصي في غير رمضان كالعكاز يقول: سوّل لي، وغرني. فإذا سلسل الشيطان قلّ عذر العاصي.
وسمعته يقول في حديث عائشة رضي الله عنها "كان أكثر صوم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في شعبان" قال: ما أرى هذا إلا على وجه الرياضة لأن الإنسان إذا هجم بنفسه على أمر لم يتعوده صعب عليه، فدرج نفسه بالصوم في شعبان لأجل رمضان.
وسمعته يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بك من شر ما لم أعمل" قال: له معنيان. أحدهما: أن الإنسان يبلغه أن الرجل قد عمل الشر فيرضى به، أو يتمنى أن يعمل مثله، فهذا شر ما لم يعمل.
والثاني: أن الرجل قد لا يشرب الخمر، فيعجب بنفسه كيف لا يشرب، فيكون العجب بترك الذنب شر ما لم يعمل.
وذكر صاحب سيرة الوزير قال: سمعته يقول في قوله تعالى: "وما تلك بيمينك يا موسى؟ قال: هي عصاي" طه: 17، 18، قال: في حمل العصا عظة لأنها من شيء قد كان ناميًا فقطع، فكلما رآها حاملها تذكر الموت.
قال: ومن هذا قيل لابن سيرين رحمه الله: رجل رأى في المنام أنه يضرب بطبل؟ فقال: هذه موعظة لأن الطبل من خشب قد كان ناميًا فقطع، ومن أغشية كانت جلود حيوان قد ذبح. وهذا أثر الموعظة.
وسمعته يقول في قوله تعالى: "في قلوبهم مرض" البقرة: 15، قال: المريض يجد الطعوم على خلاف ما هي عليه، فيرى الحامض حلوًا، والحلو مرًا وكذلك هؤلاء يرون الحق باطلاً، والباطل حقًا.

قال: وسمعت الوزير يقول: وقد قرىء عنده "أن رجلاً قال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكم قال ذاك؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله، لم أرد بذلك إلا الخير. فقال صلى الله عليه وسلم رأيت بضعًا وثلاثين ملكاً يبتدرونها".
فطفقت والجماعة عندي أفكر في معنى تخصيص هذا العدد من الملائكة، فنظرت فإذا حروف هذه الكلمات بضع وثلاثون حرفًا إذا فكك المشدد، ورأيت أنه من عظم ما قد ازدحمت الملائكة عليها، بلغوا إلى فك المشدد، فلم يحصل لكل ملك سوى حرف واحد، فصعد به يتقرب بحمله.
وسمعته يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: "وجدت على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر" فتدبرت هذا الحصر، فإذا الفائدة: أن الحسنة بعشر أمثالها، فدرهم الصدقة لا يعود فيكتب به عشر مع ذهابه، فيكون الحاصل به على الحقيقة تسعة، والقرض يضاعف على الصدقة، فيصير ثمانية عشرة لأن تسعة وتسعة ثمانية عشر. والسبب في مضاعفته: أن الصدقة قد تقع في يد غير محتاج، والقرض لا يقع إلا في يد محتاج.
وسمعته يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا شربتم فاسئروا" قال: هذا في الشرب خاصة.
فأما الأكل فمن السنة: لعق القصعة والأصابع، وإنما خص الشرب بذلك لأن التراب والأقذار ترسخ في أسفل الإناء، فاستقصاء ذلك يوجب شرب ما يؤذي. قال: وكذلك السر في الأمر بالتنفس في الإناء ثلاثاً لأن التنفس يخرج كرب القلب، كدر البدن. فكره الشارع أن يعود في الماء فيؤذي الشارب.
وسمعته يقول في قوله صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة تدخل الجنة من أمتي وجوههم كالقمر
ليلة البدر" قال: إنما لم يقل كالشمس لأن نور الشمس يؤثر في عيون الناظرين إليها، فلا يتمكنون من النظر، والجنة دار لذة وطيب عيش، فلو أشبهت وجوههم نور الشمس لم يتمكن أحد منهم أن ينظر الآخر.

ومن كلامه في السنة: قال أبو الفرج بن الجوزي: سمعت الوزير يقول: تأويل الصفات أقرب إلى الحظ من إثباتها على وجه التشبيه فإن ذلك كفر. وهذا غايته البدعة.
قال وسمعته ينشد لنفسه:
لا قول عند آية المتشابه
للراسخين غير "آمنا به"
قال: وسمعته يقول: ما أنزل الله آية إلا والعلماء قد فسروها، لكنه يكون للآية وجوه محتملات، فلا يعلم ما المراد من تلك الوجوه المحتملات إلا الله عز وجل.
قال: وسمعته يقول في قوله تعالى: "إن هذا إلا قول البشر" المدثر: 25، قال: العرب لا تعرف ذا ولا هذا إلا في الإشارة إلى الحاضر. وإنما أشار هذا القائل إلى هذا المسموع. فمن قال: إن المسموع عبارة عن القديم، فقد قال: هذا قول البشر.
قال مصنف سيرته: كثيرًا ما سمعته يقول: ليس مذهب أحمد إلا الاتباع فقط. فما قاله السلف قاله، وما سكتوا عنه سكت عنه فإنه كان يكثر أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق، لأنه لم يقل. وكان يقول في آيات الصفات: تمرّ كما جاءت.
قال: وسمعته يقول: تفكرت في أخبار الصفات، فرأيت الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها، مع قوة علمهم، فنظرت السبب في سكوتهم، فإذا هو قوة الهيبة للموصوف، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال للّه، وقد قال عز وجل: "تضربوا للّه الأمثال" النحل: 74، قال: وكان يقول: لا يفسر على الحقيقة ولا على المجاز لأن حملها على الحقيقة تشبيه، وعلى المجاز بدعة.
قال: وسمعته يقول: واللّه ما نترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الرافضة نحن أحق به منهم، لأنه منا ونحن منه، ولا نترك الشافعي مع الأشعرية فإنا أحق به منهم.
قال: وسمعته يقول: من مكايد الشيطان: تنفيره عباد اللّه من تدبر القرآن لعله أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا.
ومنها: أن يخرج جوالب الفتن مخرج التشدد في الدين.
ومنها: أن يقيم أوثاناً في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يبين الحقُّ فيقول: ليس هذا مذهبنا تقليدًا للمعظم عنده، قد قدمه على الحق.

قال: وسمعته يقول لبعض الناس: لا يحل والله أن تحسن الظن بمن يرفض، ولا بمن يخالف الشرع في حال.
ومن كلامه في فنون، قال ابن الجوزي: وسمعته يقول: يحصل العلم بثلاثة أشياء.
أحدها: العمل به، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية، دعاه ذلك إلى حفظ النحو. ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم.
والثاني: التعليم، فإنه إذا علم الناس كان أدعى إلى تعليمه.
الثالث: التصنيف، فإنه يخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه.
قال: وسمعته يقول: الحكمة في اختصاص المرأة بالحيض: أنها تحمل الولد، والولد مفتقر إلى الغذاء، فلو شاركها في غذائها، لضعفت قواها، ولكن جعلت له فضلة من فضلاتها، إن حملت فهي قوته، وإن لم تحمل اندفعت، فإذا ولدت توفرت تلك الفضلة على اللبن.
قال: وسمعته يقول لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب.
وسمعته يقول: الأيام قد ذهبت، والأعمار قد نهبت، والنفوس باتباع الهوى قد التهبت، وما يطلب منها شيء من الخير إلا أبت، وبيوت التقوى من القلوب قد خربت.
وسمعته يقول: نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة، أضر على العصاة من تفريطهم، وقال: لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي، ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاء لقهروا، فلم يحصل ذلك المعنى.
وكان يقول في قوله تعالى: "وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها" الأنعام: 123، إنه على التقديم والتأخير، أي: جعلنا مجرميها أكابر. وقال: البحر محيط بالأرض، وخلجانه تتخلل الأرض. والريح تهب على الماء، وتمر على الأرض، فيعتدل النسيم بالرطوبة. ولو كان ماء البحر عذبًا لأنتن لكونه واقفًا، فكانت الريح إذا هبت عليه أوقعت الوباء في الخلق، ولكنه جعل مالحًا، ليحصل منه نفع الرطوبة، ولا يقم به الفساد.

قال: وسمعته يقول: احذروا مصارع العقول، عند التهاب الشهوات.
قال: وسمعته يقول: العجب ممن يخاصم الأقدار ولا يخاصم نفسه، فيقول: قضى عليّ، وعاقبني! ويحك، قل لنا كيف تحب أن يكون الأمر؟ أتختار أن تخلق أعمى لا تنظر إلى المستحسن.
قال: لا. قلنا: أفتحب أن تخلق معدوم الحس؟ قال: لا. قلنا: أتختار أن ترد عن المعاصي قهرًا. قال: لا. قلنا: أفتؤثر أن تطلق فيها من غير حجر؟ فلا تغضب إذًا إن أطلق غيرك في أخواتك وبناتك. فأما أن تغضب لذلك الفعل من غيرك في حرمك، وتختار أن تفعله في حُرم غيرك فهذا في غاية الجور. فإذا جعل لك الطريق إلى مرادك بكلمة هي عقد النكاح، أو عوضت عما منعت عنه من جنسه ووعدت الأجر على الصبر فهذا غاية العدل. فإن زللت في معصية فقد جعل لك طريق النجاة بالتوبة.
قال: مصنف سيرة الوزير: سمعته يقول: قفلت في صحبة أمير المؤمنين المقتفي من الكوفة بعد وداع الحاج، فشاهدنا في الطريق بردًا كبارًا قد وقع أمامنا- وكان الجماعة يأكلون منه- فلم أستطبه على الريق فلما نزلنا الخيام وأمسينا وحضر العشاء وأكلنا الطعام ذكرت ذلك البرد وودت أن لو كان الآن منه شيء وأظن أني دعوت الله عز وجل أن يأتينا منه شيء، فما كان إلا لحظة والسحاب هملى، وإذا البرد فيه كثير. وشرع الغلمان وجمعوا منه شيئاً كثيرًا، وجاءوا به، فأكلت منه حتى تركته، وحمدت الله عز وجل على إجابة الدعاء، وإعطائه لما خطر في النفس.
قال: وسمعته يقول: كنت جالسًا في سطح أصُلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وعيناي مغمضتان، فَرأيت كاتبًا يكتب في قرطاس أبيض بمداد أسود، ما أذكره، وكلما قلت: اللهم صلِ على محمد، كتب الكاتب: اللهم صل على محمد، فقلت لنفسي: افتح عينك وانظر بها، ففتحت عيني، فخطف عن يميني حتى نظرت بياض ثوبه، وهو شديد البياض فيه صقالة.
قال: وسمعته يقول: مرضت مرة مرضًا شديدًا، انتهى بي الأمر فيه إلى مقام رفعت فيه إلى أرض ذات ظل ممدود، ورملة دمثة، وهو أطيب مستلذ، وبجانب تلك الرملة ماء على نحو دجلة لا أجراف له، وأنا أناجي في سري بما أراه من الله عز وجل، وفيه

عتاب لي على نظري إلى الخلق وعملي لهم، ونحو هذا.
فشرعت في الإنكار لذلك، فأعدم جميع من في الأرض، بحيث لم يبقَ عندي أنه بقي في الأرض غيري، فاستوحشت حينئذ من الحياة، ووددت الموت كل الوداد، حتى كنت أقول: لو كان الشرع يبيح قتل النفس كان شيئاً طيباً ثم عرضت عليّ أعمال الخير كلها فلم تخف عليّ كما كانت تخفى عليّ، فوقر حينئذ في نفسي أنك إنما كنت تريد الحياة معهم، وأعمال الخير لتبلغهم، ونحو هذا، فاعترفت حينئذ بما كنت قد ناكرت عليه، ثم نوجيت أيضًا بما معناه: إنك قد تخاف من الأشياء، وإن دواء ذلك كله أن تدخل في الخوف منه بالإيمان بأن كل مخلوف لا يقدر إلا على ما يقدره الله عز وجل عليه لوقته، أو نحو هذا.
قال: وسمعته يقول: اتباع السنة سبب لكل خير، فإني صليت الفريضة يومًا في مسجدنا، ثم قلت: يستحب أن تصلي السنة في غير موضع الفرض ومضيت إلى البيت فصليتها، ثم اشتاق قلبي إلى رؤية اللّه عز وجل، فقلت: اللهم أرني نفسك. فنمت تلك الليلة، فرأيته عز وجل. وأنشد هذه الأبيات، وقال: كان ابن سمعون كثيرًا ما ينشدها:
ركبت بحار الحب جهلاً بقدرها

وتلك بحار لا يفيق غريقـها
وسرنا على ريح تدل علـيكـم
فبانت قليلاً ثم غاب طريقهـا
إليكم بكم أرجو النجاة وما أرى
لنفسي منها سائقًا فيسوقـهـا
وذكر الوزير في كتابه "الإفصاح" قال: الصحيح عندي: أن ليلة القدر تنتقل في أفراد العشر، فإنه حدثني من أثق به أنه رآها في ليلة سبع وعشرين. وحدثني أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله: أنه رآها. فأما أنا فكنت في ليلة إحدى وعشرين وكانت ليلة جمعة، فواصلت انتظارها بذكر اللّه عز وجل، ولم أنم تلك الليلة. فلما كان وقت السحر- وأنا قائم على قدمي- رأيت في السماء بابًا مفتوحًا مربعًا عن يمين القبلة، قدرت أنه على حجرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فبقي على حاله- وأنا أنظر إليه- نحو قراءة مائة آية، ولم يزل، حتى التفت عن يساري إلى المشرق

لأنظر هل طلع الفجر? فرأيت أول الفجر. فالتفت إلى ذلك الباب فرأيته قد ذهب. وكان ذلك مما صدق عندي ما رأيت. فالظاهر من ذلك: تنقلها في ليالي الأفراد في العشر. فإذا اتفقت ليالي الجمع في الأفراد فأجدر وأخلق بكونها فيها.
وكتاب "الإفصاح" فيه فوائد جليلة غريبة.
وقال فيه: الخضر الذي لقيه موسى عليه السلام قيل: كان ملكاً. وقيل: كان بشرًا. وهو الصحيح. ثم قيل: إنه عبد صالح ليس بنبي. وقيل: بل نبي. وهو الصحيح.
والصحيح عندنا: أنه حي، وأنه يجوز أن يقف على باب أحد مستعطيًا له، وغير ذلك لما حدثني، محمد بن يحيى الزبيدي.
وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر والاجتماع به.
وقال في حديث عمران بن حصين، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "قد علمت أن بعضكم خالجنيها" فيه دليل على أنه لا يقرأ المأموم وراء الإمام.
قال: وهذا محمول عندي على غير الفاتحة.
وقال: الحبس غير مشروع إلا في مواضع.
أحدها: إذا سرق فقطعت يمينه، ثم سرق فقطعت رجله، ثم سرق: حبس ولم يقطع، في إحدى الروايتين.
الثاني: أمسك رجل رجلاً لآخر فقتله: حبس الممسك حتى يموت، في إحدى الروايتين أيضاً.
الثالث: ما يراه الإمام كفًا لفساد مسد لقوله تعالى: "وآخرين مقرنين في الأصفاد" 38: 38، وما يراه أبو حنيفة في قطّاع الطريق، فإنه يحبسهم حتى يتوبوا.
فأما الحبس على الدين فمن الأمور المحدثة، وأول من حبس فيه شريح القاضي وقضت السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان: أنه لا يحبس على الدين، ولكن يتلازم الخصمان.
فأما الحبس الذي هو الآن فإني لا أعرف أنه يجوز عند أحد من المسلمين. وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم، غير متمكنين من الوضوء والصلاة، ويتأذون بذلك بحره وبرده. فهذا كله محدث. ولقد حرصت مرارًا على فكه، فحال دونه ما قد اعتاده الناس منه، وأنا في إزالته حريص واللّه الموفق.

وقال في حديث الزبير في سراج الحرة: فيه جواز أن يكون السقي للأول، ثم الذي بعده. إلا أن هذا في النخل خاصةّ، وما يجري مجراه وأما الزرع وما لا يصبر على العطش أكثر من جمعة ونحو ذلك: فإن الماء يتناصف فيه بالسوية، كما قال تعالى: "ونبئهم أن الماء قسمة بينهم" القمر: 29.
وقال في سورة الضحى: لما توالى فيها قسمان، وجوابان مثبتان، وجوابان نافيان، فالقسمان: "والضحى والليل إذا سجى" والجوابان النافيان: "ما ودعك ربك وما قلى"، والجوابان المثبتان: "وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى".
ثم قرر بنعم ثلاث، وأتبعهن بوصايا ثلاث: كل واحدة من الوصايا شكر النعمة التي قوبلت بها.
فإحداهن: "ألم يجدك يتيمًا فآوى" وجوابها: "فأما اليتيم فلا تقهر".
والثانية: "ووجدك ضالاً فهدى" فقابلها بقوله: "وأما السائل فلا تنهر" وهذا لأن السائل ضال يبغي الهدى.
والثالثة: "ووجدك عائلاً فأغنى" فقابلها بقوله: "وأما بنعمة ربك فحدث".
وإنما قال: "وما قلى" ولم يقل: وما قلاك لأن القلى بغض بعد حب، وذلك لا يجوز على الله تعالى. والمعنى: وما قلى أحدًا قط، ثم قال: "وللآخرة خير لك من الأولى" ولم يقل: خير على الإطلاق. وإنما المعنى خير لك ولمن آمن بك.
وقوله: "فآوى" ولم يقل: فآواك، لأنه أراد: آوى بك إلى يوم القيامة.
وقال: أما كون صوم يوم عرفة بسنتين ففيه وجهان: أحدهما: لما كان يوم عرفة في شهر حرام بين شهرين حرامين: كفر سنة قبله وسنة بعده.
والثاني: إنما كان لهذه الأمة، وقد وعدت في العمل بأجرين. قال تعالى: "يؤتكم كفلين من رحمته" 57: 28
أما عاشوراء: فقد كانت الأمم قبل هذه الأمة تصومه، ففضل ما خصت به هذه الأمة، وإنما كفر عاشوراء السنة الماضية لأنه تبعها وجاء بعدها. والتكفير بالصوم إنما يكون لما مضى لا لما يأتي.

فأما يوم عرفة: فإنه يكفر السنة التي قد مضى أكثرها، ويزيد لموضع فضله بتكفير ما يأتي.
وقال في حديث تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفذ: لما كانت صلاة الفذ مفردة أشبهت العدد المفرد، فلما جمعت مع غيرها أشبهت ضرب العدد. كانت خمسًا فضربت في خمس، فصارت خمسًا وعشرين، وهي غاية ما يرتفع إليه ضرب الشيء في نفسه.
فأما رواية "سبع وعشرين" فإن صلاة المنفرد وصلاة الإمام أدخلتا مع المضاعفة في الحساب.
وقد ذكر الوزير في كلامه على شرح حديث "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" وهو الذي أفرد من كتابه "الإفصاح" فوائد غريبة.
فذكر في أول كلامه: أن اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة، فلا يقال: هذه مساجد أصحاب أحمد، فيمنع منها أصحاب الشافعي، ولا بالعكس فإن هذا من البدع. وقد قال تعالى في المسجد الحرام: "سواء العاكف فيه والباد" الحج: 25، وهو أفضل المساجد.
وأما المدارس فلم يقل فيها ذلك، بل قال: لا ينبغي أن يضيق في الاشتراط على المسلمين فيها، فإن المسلمين فيها إخوة، وهي مساجد تبنى لله تعالى، فينبغي أن يكون في اشتراطها ما يقع لعباد الله، فإني امتنعت من دخول مدرسة شرط فيها شروط لم أجدها عندي، ولعلي منعت بذلك أن أسأل عن مسألة أحتاج إليها، أو أفيد أو أستفيد.
وحكي في مسائل الخلاف رواية عن أحمد: أنه لا يشترط في المسح على العمامة ولا بحوائل الرأس خاصة لبسها على طهارة. وهنه غريبة جدًا، لا أعلم أحدًا من الأصحاب حكاها غيره.
واختار فيه: استحباب الجمع بين الاستفتاح ب "وجهت وجهي" و "سبحانك اللهم وبحمدك".
واختار: أنه يستحب أن يزاد في التشهد الأول: اللهم صلِ على محمد.
واختار: استحباب التكبير ثلاثًا في أول تكبير العيدين، وأيام التشريق.
وذكر: أن الفصاد يفطر الصائم كالحجامة، وأنه مذهب أحمد.

وكان الوزير رحمه اللّه تعالى أديبًا بارعًا، فصيحًا مفوهًا. وقد أورد له مصنف سيرته من رسائله إلى الخلفاء والملوك، والكتب الذي أنشأها بأفصح العبارات، وأجزل الألفاظ ما لا يتسع هذا المكان لذكره.
وله شعر كثير حسن في الزهد وغيره.
فمما أنشده ابن الجوزي عنه:
يا أيها الناس إني ناصح لكـم
فعوا كلامي فإني ذو تجاريب
لا تلهينكم الدنيا بزهـرتـهـا
فما تدوم على حسن ولا طيب
قال: وأنشدنا لنفسه:
يلذ بهذا العيش مـن لـيس يعـقـل
ويزهد فيه الألمعي المـحـصـل
وما عجب نفس أن ترى الرأي إنمـا
العجيبة نفس مقتضى الرأي تفعـل
إلى الـلـه أشـكـو هـمة دنـيوية
ترى النـص إلا أنـهـا تـتـأول
ينهنها موت النـبـيه فـتـرعـوي
ويخدعها روح الحياة فـتـغـفـل
وفي كل جزء ينقضي من زمانهـا
من الجسم جزءمثـلـه يتـحـلـل
فنفس الفتى في سهوها وهي تنقضي
وجسم الفتى في شغلة وهو يعمـل
قال: وأنشدنا لنفسه:
والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضـيع
قال: وأنشدنا لنفسه:
الحمد لله هـذا الـعـين لا الأثـر
فما الذي باتباع الحـق ينـتـظـر
وقت يفـوت وأشـغـال مـعـوّقة
وضعف عزم، ودار شأنها الغـير
والناس ركضاً إلى مهوى مصارعهم
وليس عندهم من ركضهم خـبـر

تسعى بهم خادعات من سلامتـهـم
فيبلغون إلى المهوى وما شعـروا
والجهل أصل فساد الناس كـلـهـم
والجهل أصل عليه يخلق البـشـر
وإنما العلم عن ذي الرشد يطرحـه
كما عن الطفل يوماً يطرح السرر
وأصعب الـداء داء لا يحـس بـه
كالدق يضعف حساً وهو يستـعـر
وإنما لم يحس المرء مـوقـعـهـا
لأن أجزاؤه قد عمهـا الـضـرر
وقال صاحب سيرته: سمعته يقول لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا؟ فإن الإنسان لما افتقر احتال فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والحطب وغير ذلك، فانتفع بذلك المقيم فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لافتقروا، لكنهم لما افتقروا تم الفناء.
قال: وأنشدنا لنفسه في المعنى. وقد أنشدها ابن الجوزي عنه أيضًا:
جسوم لا يلائمها الـبـقـاء
وأجزاء تخللـهـا الـثـواء
وكون الشيء لا ينفك يفنـى
فذلك أن غايتـه الـفـنـاء
نكب على التكاثر وهو فقـر
وتعجبنا السلامة وهـي داء
ونجزع للشدائد وهي نصـح
وتغرينا وقد عز الـرجـاء
تنافى الناس فانتفوا اضطرارا
وقد يرجى من الداء الـدّواء
وعم الفقر فاستغنوا، ولـولا
عموم الفقر ما عم الغـنـاء
قال: وأنشدنا لنفسه:
يلذ بذي الدنيا الغنيّ ويطـرب
ويزهد فيها الألمعي المجرب
وما عرف الأيام والناس عاقل

ووفق إلا كان في اليوم يرغب
إلى الله أشكو همة لعبت بهـا
أباطيل آمال تغر وتـخـلـب
فواعجبًا من عاقل يعرف الدنا
فيصبح فيها بعد ذلك يرغـب
قال: وأنشدنا لنفسه- مما قاله قديمًا-:
كل من جاء بـدين غـريب
غير دين الإسلام فهو كذوب
وإذا عالم تكلف في القـول
بلا سنة فـذاك الـمـريب
قال: وأنشدنا لنفسه:
ما لنا قط غير ما شرع الله
به يعبـد الإلـه الـكـريم
فتمسك بالشرع واعلم بأن ال
حق فيه وما سواه سمـوم
ومما يذكر من شعر الوزير رحمه الله:
تمسك بتقوى اللّه فالمرء لا يبقى
وكل امرىء ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس ما في يديهـم
ولا تذكرن إفكاً ولا تحسدن خلقا
تعود فِعال الخير جمعاً فكلـمـا
تعوده الإنسان صار له خلـقـا
وذكر ياقوت الحموي في كتابه "معجم الأدباء" بإسناد له: أن الوزير عرضت عليه جارية فائقة الحسن، وظهر له في المجلس من أدبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما أعجبه فأمر فاشتريت له بمائة وخمسين ديناراً وأمر أن يهيأ لها منزل وجارية وأن يحمل لها من الفرش والآنية والثياب وجميع ما تحتاج إليه، ثم بعد ثلاثة أيام جاءه الذي باعها، وشكى إليه ألم فراقها، فضحك، وقال له: لعلك تريد ارتجاع الجارية؟ قال: أي والله يا مولانا، وهذا الثمن بحاله، لم أتصرف فيه وأبرزه، فقال له الوزير: ولا نحن تصرفنا في المثمن، ثم قال لخادمه: ادفع إليه الجارية وما عليها، وجميع ما في حجرتها، ودفع إليه الخرقة التي فيها الثمن، وقال: استعينا به على شأنكما، فأكثرا من الدّعاء له، وأخذها وخرج.

وحكي عن الوزير: أنه كان إذا مدّ السماط فكثر ما يحضره الفقراء والعميان، فلما كان ذات يوم وأكل الناس وخرجوا بقي رجل ضرير يبكي، ويقول: سرقوا مداسي وما لي غيره، واللّه ما أقدر على ثمن مداس، وما بين إلا أن أمشي حافيًا وأصلي، فقام الوزير من مجلسه، ولبس مداسه وجاء إلى الضرير، فوقف عنده وخلع مداسه والضرير لا يعرفه، وقال له: البس هذا وأبصره على قدر رجلك، فلبسه، وقال: نعم، لا إله إلا اللّه كأنه مداسي.
ومضى الضرير، ورجع الوزير إلى مجلسه، وهو يقول: سلمت منه أن يقول: أنت سرقته.
وأخبار الوزير رحمه الله ومناقبه كثيرة جدًا. وقد مدحه الشعراء فكثروا.
وقيل: إنه رزق من الشعراء ما لم يرزقه أحد، ومن أكابرهم: الحيص بيص، وابن بختيار الأبله، وابن التعاويذي، والعماد الكاتب، وأبو علي بن أبي قيراط، ومنصور النميري، وخلق كثير. حتى قيل: إنه جمعت من مدائحه ما يزيد على مائتي ألف قصيدة في مجلدات. فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الأعداء. فغسلها.
ومن قول الحيص بيص في مدحه رحمه الله تعالى:

يفل عزب الرزايا وهي بـاسـلة
ويوسع الجار نصرًا وهو مخذول
ويشهد الهول بساماً وقد دمـعـت
شوس العيون فذم القوم إحفـيل
ويتقي مثل ما ترجى فواضـلـه
وجوده، فهو مرهوب ومأمـول
عار من العار كاسٍ من مناقبـه
كأنه مرهف الخدين مسـلـول
سهل المكارم صعب في حفيظته
فبأسه والندى مر ومـعـسـول
قالى الدنايا وصبوان العلى كلـف
فالعار والمجد مقطوع وموصول
الملك يحيى لذي قول ومعتـرك

إذا تشابه مقطـوع ومـفـلـول

يمضي الأسنة والأقوال ماضـية
فالحبر والقرن مطرود ومفصول
جواد مجد له في فخـره شـبـه
وفيه من واضح العلياء تحجـيل
يصيد وحش المعالي وهي نافـرة
كأن مسعاه للعـلـياء أحـبـول
ومما أنشده أبو الفتح بن الأديب في أول يوم جلس فيه الوزير وقرىء عهده:
إذا قلت: ليث فهو أمضى عـزيمة
وإن قلت: غيث فهو أندى وأجود
من القوم ما أبقوا سوى حسن ذكره
م وما عمروه بالجمـيل وشـيدوا
وصية موروث إلى خـير وارث
إذا سيد منهـم خـلا قـام سـيد
سيحييهم يحيى وما غـاب غـائب
إليه أحاديث المكـارم تـسـنـد
مناقب تحصى دونها عدد الحصى
بها يغبط الحر الكريم ويحـسـد
ليهن أمير المؤمنين اعـتـضـاده
برأيك والآراء تهـدي وتـرشـد
هو المقتفـي أمـر الإلـه وإنـه
ليصدر عـن أمـر الإلـه ويورد
تمنى وزيرًا صالحاً يكتـفـي بـه

وأفكاره في مـثـلـه تـتـردد
دعا زكريا النـبـي كـمـا دعـا
إمام الهدى، والأمر بالأمر يعضد
فخص بيحيى بعدما خص بـعـده
بيحيى أمير المؤمنين مـحـمـد
وهي طويلة.
ومن قصيدة لأبي علي بن الفلاس الشاعر أولها:
الحب يهجر والطيوف تـزور
وكأنما أصل الصـبـابة زور

ظلت الملوك وقصروا عن غاية
ما نالها كسرى ولا سـابـور
وعدلت حتى لم تدع من ظالـم
يده على المستضعفين تجـور
فالأرض مشرقة بعدلك والندى
وصباح عدلك ما لـه ديجـور
قد روضت بالمكرمات كأنمـا
كل البـلاد خـوريق وسـدير
ولنصر النميري:
أعلقت من يحيى رجائي لمـن
تحتكم الآمـال فـي وفـره
وكان عون الدين أحرى الورى
بنصرة الحر علـى دهـره
وزير صدق عم إحـسـانـه
فأجمع الناس على شـكـره
أبهة الملك عـلـى وجـهـه

وخشية الرحمن فـي سـره
يربى على الغيث ندى كـفـه
ونائل المرء عـلـى قـدره
قال ابن الجوزي: كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه، ويندم على ما دخل فيه. ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة، ويتعرض بأسبابها.
وكان الوزير ليس به قلبة في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة ونام ليلة الأحد في عافية فلما كان الوقت السحر قاء فحضر طبيب كان يخدمه، فسقاه شيئًا، فيقال: إنه سمه فمات، وسقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سماً، فكان يقول: سقيت كما سقيت، فمات.
قال: وكنت في تلك الليلة رأيت في النوم مع انشقاق الفجر والوزير كأنه في داره، ودخل رجل بيده حربة فضربه بها، فخرج الدم كالفوار فضرب الحائط، ورأيت هناك خاتماً من ذهب ملقى. فلما استيقظت أخبرت من معي بالحديث، فما استتممته حتى جاء الخبر بموت الوزير ونفذ إلي من داره، فحضرت أمرني ولداه

أن أغسله فغسلته، فرفعت يده ليدخل الماء في مغابنه، فسقط الخاتم من يده حيث رأيت ذلك الخاتم، فتعجبت من وجهه، ورأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده، تدل على أنه مسموم، وحملت جنازته يوم الأحد إلى جامع القصر، وصلى عليه، ثم حمل إلى مدرسته التي أنشأها بباب البصره، فدفن بها. وغلقت يومئذٍ أسواق بغداد، وخرج جمع لم نره لمخلوق قط في الأسواق وعلى السطوح وشاطىء دجلة، وكثر البكاء عليه لما كَان يفعله من البر، ويظهره من العدل.
وذكر مصنف سيرته: أنه كان ثار به بلغم وهو في قصره بالخالص، ثم خرج مع المستنجد للصيد، فسقى مسهلاً لأجل البلغم، فاستأذن الخليفة في الدخول إلى بغداد للتداوي، فأذن له، فدل يوم الجمعة في موكب عظيم. وصلى الجمعة وحضر الناس عنده يوم السبت. فلما كان وقت صلاة الصبح يوم الأحد عاوده البلغم، فوقع مغشياً عليه، فصرخ الجوار، فأفاق فسكتهن. وقيل له: إن أستاذ الدار ابن رئيس الرؤساء، قد بعث جماعة ليستعلم ما هذا الصياح? فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال، وأنشد متمثلاً:
وكم شامت بي عند موتي جاهل

بظلم يسل السيف بعد وفـاتـي
ولو علم المسكين مـاذا ينـالـه

من الضرّ بعدي مات قبل مماتي
قلت: وكذا وقع، فإن البليدي الذي تولى الوزارة بعده لم يبق من الأذى لبيت رئيس الرؤساء ممكنًا.
قال: ثم تناول مشروبًا فاستفرخ به، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة، وصلى قاعدًا فسجد فأبطأ عن القعود من السجود، فحركوه فإذا هو ميت. رحمه الله.
ورثاه جماعة من شعرائه- منهم: النميري- بقصائد. منها قوله:
ألمم على جدث حوى تاج الملوك وقل: سلام

واعقر سويد الضمير فليس يقنعني السـوام
وتوق أن يثني حياً دمـع عـينـيك أو مـلام

إن التماسك والوقار بمن أصيب بـه حـرام
فإذا ارتوت تلك الجنادل من دموعك والرغام

فأقم صدور اليعملات فبعد يحيى لا مـقـام
ذهب الذي كانت تقيدني مواهبه الـجـسـام

وإذا نظرت إليه لم يخطر على قلبي السـآم
غاض الثدي الفياض عن راحتيه واشتد الأوام

وتفرقت تلك الجموع وقوضت تلك الخـيام
ولقد عهدت أبا المظفر ذا علا لا يستـضـام

يثب القعود إذا بدا ويقبـل الأرض الـقـيام
ما للنفوس من الحمام إذا ألم بها اعـتـصـام

عجباً لمن يغتر بالدنـيا ولـيس لـهـا دوام
عقبى مسرتها الأسى، وعقيب صحتها السقام

انظر إلى أبواب عن الدين يعلوها القـتـام
وكان عون الدين لم يك للزمان به ابـتـسـام

لله ما عدمت به الدنيا وما حـوت الـرجـام
لا غرو أن أدمى الجفون لفقدك الدمع الجسام

إن المكارم بعد موتك ما لفرقتهـا الـتـئام
ما مت وحدك يوم مت، وإنما مـات الأنـام

حياك رقراق النسيم وجاد مثواك الـغـمـام
بأبي لك الإحسان إن أنساك والشيم الـكـرام

وبعض حقك إن حزني فيك ليس له انصرام
وأنشد بعض الشعراء يوم موته:

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى

ملكاً ماجدًا به يستـعـان
وإذا مات من زمان كـريم

مثل يحيى به يموت الزمان
قال مصنف سيرته: حدثني أبو حامد أحمد بن عيسى الفقيه الحنبلي ابن الشيخ الصالح أبو عبد اللّهبن زفر، قال: رأيت في المنام- وأنا بأرض جزيرة ابن عمر- كأن جماعة من الملائكة يقولون لي: قد مات في هذه الليلة ببغداد ولي من أولياء اللّه تعالى فاستيقظت منزعجاً فحدثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معي وأرخنا تلك الليلة فلما قدمت بغداد سألت: من مات في تلك الليلة. فقيل لي: مات بها الوزير عون الدين بن هبيرة.
قال: وحدثني الشيخ الصالح محمود بن النعالي المقرىء الزاهد، قال: كنت دائمًا إذا ذكرت الوزير عون الدين بن هبيرة أقول: اللهم هبه، واستوهب له. قال: ومضى على ذلك زمان، فرأيت في النوم كأنني قد دخلت إلى مدرسته لزيارة قبره، وإذا هو نائم على القبر، فقال: يا محمود، إن اللّه وهبني واستوهب لي.
وحدثني الوزير أبو شجاع محمد ابن الوزير أبي منصور محمد ابن الوزير أبي شجاع محمد قال: كنت كثير الوقوع في الوزير ابن هبيرة، فرأيته في المنام في بستان لم أرَ له في الدنيا شبيهًا، ومعه ملك يجني له من ثماره، ويترك في فمه، فهممت بدخول البستان، فصاح الملك عليّ، وقال: هذا البستان قد وهبه الله تعالى لهذا بعد أن غفر له، فلا سبيل لأحد أن يدخله إلا بإذنه.
فاستيقظت مرعوباً، وتبت إلى الله عز وجل من ذكره، إلا بالرحمة عليه، والاستغفار له.
قال. وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقرىء قال: رأيت الوزير ابن هبيرة في النوم، فسألته عن حاله؟
فأجابني بهذين البيتين:
قد سألنا عن حالنا فأجبنـا

بعد ما حاك حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفاً ما كسبنـا

ووجدنا ممحصاً ما اكتسبنا
وهذه الأبيات رواها ابن النجار عن ابن الدبيثي عن أبي شجاع محمد بن علي المؤدب، قال: سمعت أبا القاسم السلاحي، قال رأيت الوزير في النوم فذكرها.
قال صاحب سيرته: ولو استقصيت ما ذكر له من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتابًا ضخمًا.
أخبرنا أبو المعالي محمد بن عبد الرزاق بن أحمد الشيباني الزاهد- بقراءتي عليه ببغداد سنة تسع وأربعين وسبعمائة- أخبرنا الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد الأنجب بن الكسار- سماعاً- أخبرنا العلاّمةّ أستاذ دار الخلافة أبو محمد يوسف بن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي، أخبرنا أمير المؤمنين المستعصم باللّه أبو محمد عبد اللّه بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بن الناصر، أخبرنا أبو علي الحسن بن المبارك الزبيدي وأخبرناه- عاليًا- أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصري بها، أخبرنا سفير الخلافة أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ قالا: أخبرنا الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة قال: قرأت على الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن المستظهر باللّه بن المقتدي، قلت له: حدثكم أبو البركات أحمد بن عبد الله الشيبي، أخبرنا أبو محمد عبد اللّه بن محمد الصيرفي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، حدثنا إسماعيل بن العباس الوراق، حدثنا حفص بن عمرو الربالي، أخبرنا المبارك بن سحيم، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا يزداد الناس إلا شحًا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس". وفي هذا الإسناد سلسلة عجيبة بالخلفاء والملوك.
عبد الله بن سعد بن الحسين بن الهاطر الوزان العطار، الأزجي، أبو المعمر:
كان اسمه خُريفة، فغير وسار يكتب عبد اللّه.
قرأ القرآن بالروايات على أبي الخطاب بن الجراح، وغيره.

وسمع الحديث من أبي الفضل بن خيرون، وأبي الحسن بن أيوب، وأبي عبد الله بن طلحة بن البطر، وأبي القاسم الربعي، وغيرهم. وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني، وحدث.
روى عنه أبو حفص السهروردي في مشيخته، وغيره.
قال الشريف أبو الحسن الزبيدي الحافظ: كان محبًا للرواية صحيح السماع.
قال: وتوفي يوم الإثنين ثامن عشر رجب سنة ستين وخمسمائة، وصلى عليه الشيخ عبد القادر من الغد بمدرسته. ودفن بباب حرب.
وكذا أرخه القطيعي في تاريخه.
ووقع في مشيخة السهروردي: أنه توفي يوم الأربعاء تاسع عشر رجب.
إسماعيل بن أبي طاهر بن الزبير الجيلي، الفقيه، أبو المحاسن:
حدث بيسير عن أبي الحسن عليّ بن سعد الخباز، وهو حي.
سمع منه بعض الطلبة في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة.
عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن عبد الله الجيلي
ثم البغدادي، الزاهد: شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة في وقته، محيي الدين أبو محمد، صاحب المقامات والكرامات، والعلوم والمعارف، والأحوال المشهورة.
وبعض الناس يذكر نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فيزيد بعد أبي عبد الله: ابن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
ولد سنة تسعين وأربعمائة- أو سنة إحدى وتسعين- بكيلان.
وفد بغداد شابًا، فسمع بها الحديث من أبي غالب بن الباقلاني، وجعفر السراج وأبي بكر بن سوسن، وابن بيان، وأبي طالب بن يوسف، وابن خشيش، وأبي الزيني، وتفقه على القاضي أبي سعد المخرامي وأبي الخطاب الكلوذاني.
وقيل: إنه قرأ أيضًا على ابن عقيل، والقاضي أبي الحسين وبرع في المذهب والخلاف في الأصول، وغير ذلك.

وقرأ الأدب على زكريا التبريزي. وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد، ودرس بمدرسة شيخه المخرمي، وأقام بها إلى أن مات، ودفن بها.
قال ابن الجوزي: كانت هذه المدرسة لطيفة، ففوضت إلى عبد القادر، فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد. وكان له سمت وصمت، وضاقت المدرسة بالناس.
وكان يجلس عند سور بغداد مستندًا إلى الرباط، ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة ووسعت، وتعصبت في ذلك العوام. وأقام في مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي.
وذكره ابن السمعاني فقال: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر. سريع الدمعة، كتبت عنه. وكان يسكن بباب الأزج في المدرسة التي بنوا له.
وسمعت أبا الحسين بن التبان الفقيه البغدادي يقول: إن مدرسة عبد القادر كانت للقاضي المخرمي، فلما فوضت إلى عبد القادر أراد أن يوسعها ويعمرها. فكان الرجال والنساء يأتونه بشيء فشيء إلى أن عمرها، فاتفق أن امرأة مسكينة جاءت بزوجها. وكان زوجها من الفعلة الروزجارية، وقالت لعبد القادر: هذا زوجي،، ولي عليه من المهر قدر عشرين دينارًا، ووهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي، وقد تراضينا على هذا. فقبل الزوج ذلك وأحضرت المرأة الخط وسلمته إلى عبد القادر. فكان يستعمل الزوج في المدرسة، وكان يعطيه يومًا الأجرة، ويوماً لا يعطيه لعلمه بأن الرجل محتاج فقير، ولا يملك شيئًا، إلى أن علم أن الزوج عمل بخمسة دنانير، فأخرج عبد القادر الخط، ودفعه إلى الزوج، وقال: أنت في حل من الباقي.
قلت: ظهر الشيخ عبد القادر للناس، وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا به وبكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله، وأقواله وكراماته ومكاشفاته وهابه الملوك فمن دونهم.
قال الشيخ موفق الدين صاحب المغني: لم أسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكي عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحدًا يعظم من أجل الدين أكثر منه.

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر.
قرأت بخط الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي الدمشقي قال: حكى شيخنا أبو الحسن بن غريبة الفقيه: أن الوزير ابن هبيرة رحمه الله، قال له الخليفة - يريد: المقتفي لأمر الله- قد شكى من الشيخ عبد القادر، وقال إنه يستخف بي، ويذكرني وله نخلة في رباطه يتكلم ويقول: يا نخيلة لا تتعدي أقطع رأسك وإنما يشير إلي. تمضي إليه وتقول له في خلوة: ما يحسن بك أن تتعرض بالإمام أصلاً وأنت تعرف حرمة الخلافة.
قال الشيخ أبو الحسن فذهبت إليه، فوجدت عنده جماعة، فجلست أنتظر منه خلوة، فسمعته يتحدث، ويقول في أثناء كلامه: نعم. اقطع رأسها، فعلمت أن الإشارة إليّ، فقمت وذهبت، فقال لي الوزير: بلغت، فأعدت عليه ما جرى، فبكى الوزير، وقال: لا شك في صلاح الشيخ عبد القادر.
وقرأت بخط ابن الحنبلي أيضًا: أن خاله أبا الحسن بن نجا الواعظ اجتمع بالشيخ عبد القادر، وكان يحكي عنه. قال: سبقت يوم العيد إلى المصلى إلى المكان الذي يصلي فيه الشيخ عبد القادر. قال: فجاء الشيخ عبد القادر، ومعه خلق كثير، والناس يقبلون يده، فصلى ركعتين قبل الصلاة. فقلت، في نفسي: ما هذه الصلاة. فمن السنة أن لا يتنفل قبلها. قال: فلما سلم التفت إليّ وقال: لها سبب.
ونقلت من خط الإمام صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي. قال: قرأت بخط الإمام أبي أحمد عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش. قال: حدثني أحمد بن مطيع الباجسرائي. قال: كنت أجيء من مدرسة الوزير ابن هبيرة من باب البصرة إلى الشيخ عبد القادر، فجئت في بعض الأيام، وهو كأنه ضجران، فانتهرني. وقال: قم، فمضيت، فبينا أنا في بعض الطريق أنفذ خلفي، فجئت. فقال: لما حردت عليك، ومشيت نمت، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت معلم الخير لا تضجر. أنت معلم الخير لا تضجر. أنت معلم الخير لا تضجر- ثلاث مرات- قال: ثم أخذ عليّ، وأقرأني.

وكان الشيخ عبد القادر، رحمه الله في عصره معظمًا، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد. وله مناقب وكرامات كثيرة.
ولكن قد جمع المقرىء أبو الحسن الشطنوفي المصري، في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكتب فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع.
وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه، فأنقل منه إلا ما كان مشهورًا معروفًا من غير هذا الكتاب، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشطح، والطامات، والدعاوى. والكلام الباطل، ما لا يحصى ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله.
ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوي قد ذكر: أن الشطنوفي نفسه كان متهمًا فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه.
ومن أحسن ما في هذا الكتاب: ما ذكره المصنف عن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، قال: سمعت شيخنا الشيخ موفق الدين بن قدامة يقول: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علمًا وعملاً ومالاً واستفتاء. وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين، وسعة الصدر. وكان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافًا جميلة، وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله.
وذكر فيه أيضًا بإسناده عن موسى ابن الشيخ عبد القادر، وقال: سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أيامًا لا أجد ماء، فاشتد بي العطش فأظلتني سحابة، ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى. فترويت به. ثم رأيت نورًا أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، وناديت منها: يا عبد القادر أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات- أو قال: ما حرمت على غيرك- فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني، وقال: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك بحكم ربك وفقهك في أحوال منازلاتك. ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت: لربي الفضل والمنة. قال: فقيل له: كيف علمت أنه شيطان.

قال: بقوله: وقد أحللت لك المحرمات. وهذه الحكاية مشهورة عن الشيخ عبد القادر، فلي الاعتماد فيها على نقل مصنف هذا الكتاب.
وذكر في هذا الكتاب أيضًا من طريق نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر عن أبيه، قال: جاءت فتيا من العجم إلى بغداد، بعد أن عرضت على علماء العراقيين، فلم يتضح لأحد فيها جواب شاف. وصورتها: ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث: أنه لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها. فما يفعل من العبادات؟ قال: فأتى بها إلى والدي، فكتب عليها على الفور: يأتي مكة، ويخلي له المطاف، ويطوف أسبوعًا وحده، وتنحل يمينه. قال: فما بات المستفتي ببغداد.
فأما الحكاية المعروفة عن الشيخ عبد القادر أنه قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقد ساقها هذا المصنف عنه من طرق متعددة.
وأحسن ما قيل في هذا الكلام: ما ذكره الشيخ أبو حفص السهروردي في عوارفه: أنه من شطحات الشيخ التي لا يقتدي بهم فيها، ولا يقدح في مقاماتهم ومنازلهم، فكل أحد يؤخذ عليه من كلامه ويترك، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.
ومن ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطالبهم بطرائقهم، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري وأصحابه مثلاً من العلم العظيم، والعمل العظيم، والورع العظيم، والزهد العظيم، مع كمال الخوف والخشية، وإظهار الذل والحزن، والانكسار والازدراء على النفس، وكتمان الأحوال والمعارف، والمحبة والشوق ونحو ذلك- فلا ريب أنه يزدري المتأخرين، ويمقتهم، ويهضم حقوقهم. فالأولى تنزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معاذيرهم. وقد جعل اللّه لكل شيء قدرًا.
ولما كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزي عظيم الخبرة بأحوال السلف، والصدر الأول، قل من كان في زمانه يساويه في معرفة ذلك. وكان له أيضاً حظ من ذوق أحوالهم، وقسط من مشاركتهم في معارفهم. كان لا يعذر المشايخ المتأخرين في طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين، ويشتد إنكاره عليهم.

وقد قيل: إنه صنف كتابًا، ينقم فيه على الشيخ عبد القادر أشياء كثيرة، ولكن قد قل في هذا الزمان من له الخبرة التامة بأحوال الصدر الأول، والتمييز بين صحيح ما يذكر عنهم من سقيمه.
فأما من له مشاركة لهم في أذواقهم، فهو نادر النادر. وإنما يلهج أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين، ولا يميزون بين ما يصح عنهم من ذلك من غيره، فصاروا يخبطون خبط عشواء في ظلماء.
واللّه المستعان.
وللشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كلام حسن في التوحيد، والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة.
وله كتاب "الغنية لطالبي طريق الحق" وهو معروف، وله كتاب "فتوح الغيب" وجمع أصحابه من مجالسه في الوعظ كثيرًا. وكان متمسكًا في مسائل الصفات، والقدر، ونحوهما بالسنة، بالغًا في الرد على من خالفها.
قال في كتابه "الغنية" المشهور: وهو بجهة اِلعلو مستو على العرش، محتو علىِ الملك محيط علمه بالأشياء "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه". فاطر: 10، "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون" السجدة: 15 ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال "الرحمن على العرش استوى" طه: 5، وذكر آياتٍ وأحاديث، إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.
قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف. وذكر كلامًا طويلاً، وذكر نحو هذا في سائر الصفات.
وذكر الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري، الشاعر المشهور، عن شيخه العارف علي بن إدريس: أنه سأل الشيخ عبد القادر، فقال: يا سيدي، هل كان للّه ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل. فقال: ما كان، ولا يكون.
وقد نظم ذلك الشيخ يحيى في قصيدته. قال الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: حدثني الشيخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروقي، أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، صاحب العوارف، قال: كنتُ قد عزمت على أن أقرأ

شيئًا من علم الكلام، وأنا متردد: هل أقرأ الإرشاد لإمام الحرمين، أو نهاية الإقدام للشهرستاني، أو كتابًا آخر ذكره؟ فذهبت مع خالي أبي النجيب، وكان يصلي بجنب الشيخ عبد القادر قال: فالتفت الشيخ عبد القادر، وقال لي: يا عمر، ما هو من زادِ القبر، ما هو من زاد القبر، فرجعت عن ذلك.
قال الشيخ تقي الدين: ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله. انتهى.
وقال ابن النجار في تاريخه: سمعت عمر بن محمد السهروردي، شيخ الصوفية يقول: كنت أتفقه في شبابي بالمدرسة النظامية، فخطر لي أن أقرأ شيئًا من علم الكلام، وعزمت على ذلك في نفسي من غير أن أتكلم به، واتفق أني صليت يوم الجمعة مع عمي أبي النجيب في الجامع، فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلمًا، فسأله عمي الدعاء لي، وذكر له أني مشتغل بالفقه، قال: وقمت وقبلت يده، فأخذ بيدي، وقال: تب مما عزمت على الاشتغال به، فإنك تفلح، ثم سكت وترك يدي، قال: ولم يتغير عزمي عن الاشتغال، حتى تشوشت عليَّ جميع أحوالي، وتكدر وقتي عليَّ، فعلمت أن ذلك لمخالفة الشيخ، قاد: فتبت إلى الله من ذلك اليوم، ورجعت عنه، فصلحت حالي، وطاب قلبي.
ونقلت من خط السيف بن المجد الحافظ: سمعت الشيخ الزاهد علي بن سلمان البغدادي، المعرف بالخباز برباطه بالجانب الغربي من بغداد، يحكي عن الشيخ عبد القادر الجيلي، وناهيك به، فإنه صاحب المكاشفات، والكرامات التي لم تنتقل لأحد من أهل عصره، أنه قال: لا يكون وليّ لله تعالى إلا على اعتقاد أحمد رضي الله عنه.
قال الحافظ بن النجار: كتب إلى عبد الله بن أبي الحسن الجبالي، نقلته من خطه قال: كان شيخنا عبد القادر الجيلي يقول: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك. ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك. وقال: ما ثَمَّ إلا خلق وخالق، فإن اخترت الخالق فقل كما قال: "فإنهم عدو لي إلا رب العالمين" الشعراء: 77، ثم قال: من ذاقه فقد عرفه، فاعترضه سائل، فقال: يا سيدي، من غلبت عليه مرارة الصفراء كيف يجد حلاوة الذوق؟ قال: يتعمد قيء الشهوات من قلبه، وقال: طالبتني نفسي يومًا بشهوة من

السوق، فكنت أدافعها، وأخرج من عرب إلى عرب، وأطلب الصحارى. فبينا أنا أمشي إذ رأيت ورقة فأخذتها، فإذا فيها مكتوب: ما للأقوياء والشهوات؟ إنما هي للضعفاء من عبادي، ليتقووا بها على طاعتي. فخرجت تلك الشهوة من قلبي.
قال: وكنت أقتات بخرنوب الشوك، وقمامة البقل، وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أيامًا لم آكل فيها طعامًا، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها، فخرجت يومًا من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك فأتقوت به. فما ذهبت إلى موضع إلا وغيري قد سبقني إليه وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حبًا، فرجعت أمشي وسط البلد أدرك منبوذًا إلا وقد سبقت إليه، حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الريحانيين ببغداد وقد أجهدني الضعف، وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه وقعدت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز صافي وشواء، وجلس يأكل، فكنت أكاد كلما رفع يده باللقحة أن أفتح فمي من شدة الجوع، حتى أنكرت ذلك على نفسي: فقلت ما هذا. وقلت: ما ههنا إلا الله، أو ما قضاه من الموت، إذ التفت إلى العجمي فرآني، فقال: بسم الله يا أخي، فأبيت، فأقسم عليّ فبادرت نفسي فخالفتها، فأقسم أيضًا، فأجبته، فكلت متقاصرًا، فأخذ يسألني: ما شغلك. ومن أين أنت. وبمن تعرف؟ فقلت: أنا متفقه من جيلان. فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شابًا جيلانيًا يسمى عبد القادر يعرف بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد؟ فقلت: أنا هو فاضطرب وتغير وجهه، وقال: واللّه لقد وصلت إلى بغداد، معي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفذت عقتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي، إلا مما كان لك معي، وقد حلت لي الميتة، وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيبًا، فإنما هو لك، وأنا ضيفك الآن، بعد أن كنت ضيفي، فقلت له: وما ذاك. فقال: أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير، فاشتريت منها هذا للاضطرار، فأنا معتذر إليك، فسكّته، وطيبت نفسه، ودفعت إليه باقي الطعام، وشيئًا من الذهب برسم النفقة، فقبله وانصرف.
قال: وكنت أعامل بقليًا كل يوم برغيف وبقل، فبقي له عليّ، فضقت، وما أقدر على ما أوفيه، فقيل لي: امض إلى المكان

الفلاني، فمضيت، فوجدت قطعة ذهب، فوفيت بها البقلي. فكنت أشتغل بالعلم، فيطرقني الحال، فأخرج إلى الصحارى، ليلاً أو نهارًا، فأصرخ، وأهج على وجهي، فصرخت ليلة، فسمعني العبارون، ففزعوا، وجاءوا فعرفوني، فقالوا: عبد القادر المجنون، أفزعتنا، وكان ربما أغشى عليَّ، فيغسلوني، ويحسبون أني مت من الحال التي تطرقني، وربما أردت الخروج من بغداد، فيقال لي: ارجع: فإن للناس فيك منفعة.
وذكر عن ابن الخشاب، قال: كنت أشتغل بالعربية، وأسمع بمجلس عبد القادر، فلا أتفرغ له، فجئت يومًا فسمعته، ثم قلت: ضاع اليوم مني، فقال على المنبر: ويلك، تفضل الاشتغال بالنحو على مجالس الذكر، وتختار ذلك. اصحبنا، نصيرك سيبويه، فقلت: إنه يعنيني بكلامه، أو كما قال.
قال ابن النجار: وسمعت أبا محمد الأخفش يقول: كنت أدخل على الشيخ عبد القادر في وسط الشتاء وقوة برده، وعليه قميص واحد، وعلى رأسه طاقية، والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروحه، بالمروحة كما يكون في شدة الحر. وأخبار الشيخ عبد القادر كثيرة. اقتصرنا منها على هذا.
قال ابن الجوزي: توفي الشيخ عبد القادر، ليلة السبت ثامن- وقال غيره: تاسع- ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بعد المغرب. ودفن من وقته بمدرسته. وبلغ تسعين سنة.
وسمعت أنه كان يقول عند موته: رفقًا رفقًا. ثم يقول: وعليكم السلام، وعليكم السلام. أجيء إليكم، أجيء إليكم.
وسمعت من يحكي أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير، ما وعدنا بهذا. قال غيره: صلى عليه ولده عبد الوهاب. وقبره ظاهر يزار بمدرسته ببغداد. رحمه الله تعالى.
ورثاه نصر النميري- غداة دفنه- بقصيدة أولها:
مشكل الأمر ذا الصباح الجـديد

ما له ذاك السنا الـمـعـهـود
ومرامي الأبصار من كل قطر

مظلمات على النواظـر سـود
مطلع الشمس فيه داج كأن قـد

كورت، أو أتى عليها خـمـود
أترى حلت المنون بمحي الـدين

حقاً، فما لـنـوره خـمـود?
ما أرى الأمر غير ذاك، ولـن

يوجد صبر ومثلـه مـفـقـود
ذو المقام العلي فـي الـزهـد

لا ينكر قول المحب فيه الحسود
والفـقـيه الـذي تـعـذر أن

يلقى له في الورى جميعاً نـديد
تترامى إليه في العلـم بـاللّـه

وبالحكم في الفتـاوى الـوفـود
معرض الطرف والـضـمـير

عن الدنيا تصدى لوصله وتحـيد
مخلص في جميع أعمالـه لـلـه

ما إن عـلـيه فـيهـا مــزيد
لم يزغ عن طـريقة الـسـلـف

الصالح والمقتفي بهم مسـعـود
ورع كامـل، وزهـد صـحـيح

وتقى وافـر، وعـهـد وكـيد
وكلام يروق كالـدر نـاطـقـه

بأعناقهـا الـحـسـان الـغـيد
أو كنور الربيع أبداه للإبـصـار

بالأبـرقـين روض مـجــود
تخشع القلب عنده، ويظل الدمـع

يجري، وتقشـعـر الـجـلـود
واعتقاد مع غيره لـيس يرضـى

عملاً من عبـادة الـمـعـبـود
يلتقي النجح ملتقـيه، ويعـطـي

عنده غاية الـمـراد الـمـريد
حال من دونه الحمام، فـلـلـدين

خمول، ولـلـعـلـى تـبـديد
ولعمري لقد مضى، وهو عند الله

والناس كـلـهـم مـحـمـود
طيب الذكر والأحاديث لم يدنـس

بلـؤم رداؤه والـــبـــرود
شكت المكرمات لما تشكى ومض

ى إذ مضى التقـى والـجـود
هذه نكبة تساوي قريب الناس في

شرب كـأسـهـا والـبـعـيد
بكت الأرض والسموات فيها أسفاً

واعـتـرى الـنـسـيم ركـود
وقليل إن أضحت عندها الأرض

بما فوق منـكـبـيهـا تـمـيد
مات من كانت الأقاليم تـسـقـي

الغيث أغوارها به والـنـجـود
ولو أن النفوس تفدى لمـا مـات

ومنا على الـثـرى مـوجـود
سيد الأولياء في الشرق والغـرب

وبحر الفـضـائل الـمـورود
وذكر باقي القصيدة. وله فيه مرثية أخرى.
قرأت على أبي العباس أحمد بن محمد بن سلمان الحنبلي ببغداد: أخبركم أبو الحسن علي بن ثامر بن حصين، أخبرنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمد القطيعي وقرأت على أبي الفضل محمد بن إسماعيل بن الحموي بدمشق: أخبركم أبو إسحاق إبراهيم بن علي الواسطي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الفقيه وأبو طالب بن القطيعي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان، أخبرنا أحمد- يعني ابن سلمان- النجاد، حدثنا الحسن- يعني ابن مكرم- حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه، قال: "قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إذا أراد سفرًا إلا يوم الخميس".
أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعي، الفقيه، الواعظ، أبو العباس:
ولد سنة اثنتي عشرة وخمسمائة تقريبًا.
سمع الحديث بنفسه- بعدما كبر- من عبد الخالق بن يوسف، والفضل بن سهل الإسفرايني، وأبي منصور القزاز، وابن ناصر الحافظ، وغيرهم وتفقه على القاضي أبي يعلى ابن القاضي أبي خازم، ولازمه حتى برع في الفقه، وأفتى وناظر، ووعظ، ودرس بمدرسة ابن البل بالريان، ووعظ بها أيضًا، وأشغل الطلبة، وأفاد.
قال أبو الفضل بن شافع: كان فقيهًا مفتيًا، ذكريًا فطريًا، قد تأدب، وقرأ التفسير، ووعظ. وكان اعتقاده جيدًا.

وقال ابن النجار: برع في الفقه، وتكلكل في مسائل الخلاف. وكان حسن المناظرة، جريئًا في الجدال، ويعظ الناس على المنبر.
توفي يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان سنة ثلاث وستين وخمسمائة، ودفن بالحلية شرقي بغداد، وهو والد أبي الحسن القطيعي، صاحب التاريخ، ولم يسمع من والده هذا إلا حديثًا واحدًا، وذكر أن له مصنفات كثيرة.
قلت: منها: كتاب "النحول، في أسباب النزول".
هبة الله بن أبي عبد الله بن كامل بن حبيش البغدادي الصوفي، الفقيه أبو علي: سمع الحديث من القاضي أبي بكر بن عبد الباقي، وغيره. وتفقه على أبي يعلى بن القاضي، وتقدم في رباط بدرزيحان على جماعة المتصوفة. وكان من أهل الدين. وتوفي في المحرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة. ودفن بمقبرة أحمد، قريبًا من بشر الحافي.
وذكره ابن الجوزي، وابن القطيعي.
سعد الله بن نصر بن سعيد، المعروف بابن الدجاجي، وبابن الحيواني
الفقيه الواعظ المقرىء الصوفي، الأديب أبو الحسن، ويلقب بمهذب الدين: ولد في أول رجب، سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة. وقرأ بالروايات على أبي الخطاب بن الجراح، وأبي منصور الخياط، وسمع منهما، من أبي الخطاب الكلوذاني، وأبي الحسن بن العلاف، وأبي القاسم بن بيان، وابن الطيوري، وأبي الغنائم النرسي، وغيرهم. وتفقه على أبي الخطاب حتى برع.
وقد روي عنه كتابه "الهداية" تصنيفه، وقصيدته في السنة وغيرها.
وروي عن ابن عقيل كتاب "الانتصار لأهل السنة والحديث".
قال ابن الخشاب: هو فقيه، واعظ حسن الطريقة، سمعت منه.
قال ابن الجوزي: تفقه، وناظر، ودرس، ووعظ. وكان لطيف الكلام، حلو الإيراد، ملازمًا لمطالعة العلم، إلى أن مات.
وقال ابن نقطة: شيخ فاضل صحيح السماع، حدثنا عنه جماعة من شيوخنا. وكان ثقة.

وقال صدقة بن الحسين في تاريخه: كان شيخًا حسنًا، تفقه على أبي الخطاب وكان من أصحاب أبي بكر الدينوري. وكان يعظ، ويقرىء القرآن، ويسمع الحديث.
قال ابن النجار: كان من أعيان الفقهاء الفضلاء، وشيوخ الوعاظ النبلاء، مليح الوعظ، حسن الإيراد، حلو العبارة، حسن النثر والنظم. وكان يخالط الصوفية، ويحضر معهم سماع الغناء. وكان من ظراف المشايخ.
وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي. فقال: كان شيخًا حسنًا، من فقهاء أصحابنا ووعاظهم، صحب أبا الخطاب، وابن عقيل، وروى عنهما، سمعنا عليه.
قال ابن الجوزي: أنبأنا سعد اللّه بن نصر، قال: كنت خائفًا من الخليفة لحادث نزل، فأغفيت، فرأيت في المنام كأني في غرفة أكتب شيئًا، فجاء رجل فوقف بإزائي، وقال: اكتب ما أملي عليك، وأنشد:
ادفع بصـبـرك حـادث الأيام

وترج لطف الواحد الـعـلام
لا تيأسن وإن تضايق كربـهـا

ورماك ريب صروفها بسهـام
وله تعالى بـين ذلـك فـرجة

تخفى عن الأبصار والأوهـام
كم من نجا من بين أطراف القنا

وفريسة سلمت من الضرغـام
قال ابن الجوزي: وسئل في مجلس وعظه- وأنا أسمع- عن أخبار الصفات. فنهى عن التعرض لها، وأمرنا بالتسليم، وأنشد:
أبي العاتب الغضبان يا نفس أن يرض

ى وأنت التي صيرت طاعته فرضا
فلا تهجري من لا تطيقين هـجـره

وإن هم بالهجران خديك والأرضـا

قال ابن القطيعي: وأنشدني أحمد بن أبي السرايا، قال: أنشدني سعد الله بن الدجاجي لنفسه:

ملكتم مهجتي بيعاً ومـقـدرة

فأنتم اليوم أغلالي وأغلالـي
علت فخرًا ولكني ضنيت هوًى

فأنتم اليوم أعلالي وأعلالـي

وزاد غير ابن القطيعي في روايته بيتًا ثالثًا:

أوصى لي البين أن أشقى بحبكم

فقطع البين أوصالي وأوصالي

ومن شعره أيضًا رحمه الله:

لي لذة في ذلتـي وخـضـوعـي

وأحب بين يديك سفـك دمـوعـي
وتضرعي في رأي عـينـك راحة

لي من جوى قد كنّ بين ضلوعـي
ما الذل للمحبوب في حكم الهـوى

عار، ولا جور الـهـوى بـبـديع
هبني أسأت، فأين عفـوك سـيدي

عمن رجاك لقلبه الـمـوجـوع?
جد بالرضى من عطف لطفك واغن

ه بجمال وجهك عن سؤال شفـيع

قال ابن القطيعي: كان ابن الدجاجي، قد ناظر ووعظ، وأفتى وصنف، له فضل ودين وخاطر بغدادي. بلغني أنه حضر بالديوان العزيز وجماعة من الفقهاء فاستدل شخص بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن البغدادي الحنفي: هذا الحديث لا

يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الخصم: قد أخرجه البخاري ومسلم، فقال ابن البغدادي: قد طعن فيهما أبو حنيفة، فقال ابن الدجاجي: هل كان مع أبي حنيفة ملحمة?.
وقد قرأ بالروايات، وحدث، وسمع منه خلق كثير.
وروى عنه ابنه أبو نصر محمد، وابن الأخضر، وابن سكينة، والشيخ موفق الدين، وابن عماد الحراني، والأنجب الحمامي، وغيرهم.
توفي آخر نهار يوم الإثنين لاثنتي عشرة خلت من شعبان سنة أربع وستين وخمسمائة، ودفن من الغد إلى جانب رباط الزوزني بمقبرة الرباط.
قال ابن الجوزي: دفن هناك إرضاء للصوفية لأنه أقام عندهم مدة في حياته فبقي على ذلك خمسة أيام، وما زال الحنابلة يلومون ولده على هذا، يقولون: مثل هذا الرجل الحنبلي أي شيء يصنع عند الصوفية. فنبشه بعد خمسة أيام بالليل.
قال: وكان أوصى أن يدفن عند والديه. ودفن عليهما بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه.
محمد بن المبارك بن الحسين بن إسماعيل البغدادي
الفقيه القاضي أبو بكر بن أبي البركات، المعروف بابن الحضري:
ذكره ابن الجوزي، وقال: صديقنا.
ولد سنة عشر وخمسمائة.
وقرأ القرآن، وسمع الحديث من أبي عبد الله يحيى بن البنا، وأبي بكر بن عبد الباقي، وغيرهم. وتفقه على القاضي أبي يعلى، وناظر. وولي القضاء بقرية عبد الله من واسط.
وذكر القطيعي: أنه روى عن أبي بكر المزرفي، وأبي الحسن علي بن محمد الهروي، وأبي جعفر السمناني، وأبي منصور بن خيرون، وغيرهم.
وسمع منه بعض الطلبة، وناظر، ودرس وأفتى.
قال: وجرى ذكره يومًا عند الوزير أبي المظفر بن يونس- عنده الفقهاء والعلماء على اختلاف مذاهبهم- فأثنى عليه خيرًا.
فاستكثر بعض الحاضرين ذلك الثناء، فقال الوزير: والله لقد كان أدين مني فإنه كان يصلي بمسجده، ثم يقرأ عليه القرآن والفقه من بكرة إلى وقت الضحى، ثم يدخل إلى منزله فيتشاغل بالعلم إلى أن يعود إلى مسجده، دائمًا لا يقطع زمانه إلا بطاعة.

توفي رحمه اللَه تعالى فجأة في شهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة. ودفن بمقبرة الزرادين من باب الأزج.
وقد روى عنه ابن الجوزي منامًا رآه لشيخه ابن ناصر. وقد ذكرناه في ترجمته.
عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي
الفقيه، العارف، الزاهد، أبو عمرو. نزيل الديار المصرية: صحب شرف الإسلام عبد الوهاب بن الجيلي بدمشق، وتفقه واستوطن مصر وأقام بها إلى أن مات، وأفتى بها ودرس وناظر، وتكلم على المعارف والحقائق. وانتهت إليه تربية المريدين بمصر. وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء، وأثنى عليه المشايخ، وحصل له قبول تام من الخاص والعام، وانتفع بصحبته خلق كثير.
وكان يعظم الشيخ عبد القادر، ويقال: إنه اجتمع به هو وأبو مدين بعرفات ولبسا منه الخرقة، وسمعا منه جزءًا من مروياته. وسمع الحديث ورواه.
حدث عنه أبو الثناء محمود بن عبد الله بن مطروح المقرىء الجيلي، وأبو الثناء أحمد بن ميسرة بن أحمد بن موسى بن غنام الغمراني الحنبلي المصري الكامخي. وكانا صالحين. وكان الأول مقرئاً، حسن التلفظ بالقرآن. وكان الثاني كثير الذكر والتسبيح.
حدث عنه المنذري. قرأ على الأول القرآن. وكان الشيخ أبو عمرو له كرامات، وأحوال ومقامات، وكلام حسن على لسان أهل الطريقة.
فمن ذلك قوله: الطريق إلى معرفة اللّه وصفاته: الفكر، والاعتبار بحكمه. وآياته، ولا سبيل للألباب إلى معرفة كنه ذاته. ولو تناهت الحكم الإلهية في حد العقول، وانحصرت القدر الربانية في درك العلوم. لكان ذلك تقصيرًا في الحكمة، ونقصًا في القدرة، لكن احتجبت أسرار الأزل عن العقول، كما احتجبت سبحات الجلال عن الأبصار. فقد رجع معنى الوصف في الوصف، وعمي الفهم عن الدرك، ودار الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، واشتد الطلب إلى شكله "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا" طه: 108.
فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته، وحجج بالغة على أزليته، والكون جميعه ألسن ناطقة

بوحدانيته، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصرون على قدر بصائرهم.
ومن كلامه أيضًا: من لم يجد في قلبه زاجرًا فهو خراب. ومن عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه. ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه بصحبة العبيد. ومن انقطعت آماله إلا من مولاه فهو عبد حقيقة. والدعوى من رعونة النفس، واستلذاذ البلاء تحقق بالرضا، وحلية العارف الخشية والهيبة. وإياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكام الطريق، وتمكن الأقدام فإنها تقطع بكم. ودليل تخليطك صحبتك للمخلطين. ودليل وحشتك أنسك بالمستوحشين.
وكان يتمثل بهذه الأبيات:
يا غارس الحب بين القلب والكبد

هتكت بالصّد ستر الصبر والجلد
يا من تقوم مقام الموت فرقـتـه

ومن يحل محل الروح في الجسد
قد جاوز الحب في أعلا مراتبـه

فلو طلبت مزيداً منه لـم أجـد
إذا دعى الناس قلبي عنك مال بـه

حسن الرجاء، فلم يصدر ولم يرد
إن ترضني لم أرد ما دمت لي بدلاً

وإن تغيرت لم أسكن إلـى أحـد
وحكي عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن مرسيل الضرير، الفقيه الشافعي الزاهد رحمه اللّه تعالى، قال: كان الشيخ أبو عمرو بن مرزوق، من أوتاد مصر. كان شائع الذكر، ظاهر الكرامات. زاد النيل سنة زيادة عظيمة، كادت مصر تغرق، وأقام على الأرض، حتى كاد وقت الزرع يفوت، فضج الناس بالشيخ أبي عمرو بن مرزوق بسبب ذلك، فأتى إلى شاطىء النيل، وتوضأ منه، فنقص

في الحال نحو ذراعين، ونزل عن الأرض حتى انكشفت، وزرع الناس في اليوم الثاني.
قال: وفي بعض السنين لم يطلع النيل ألبتة، وفاضت أكثر وقت زراعته. وغلت الأسعار وظن الهلاك، وضجوا بالشيخ أبي عمرو بن مرزوق، فجاء إلى شاطىء النيل، وتوضأ فيه بإبريق كان مع خادمه، فزاد النيل في ذلك اليوم. وتعاقبت زيادته إلى أن انتهت إلى حده. وبلغ الله به المنافع، وبارك في زرع الناس تلك السنة.
قرأت بخط الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي قال: حكى لي الشيخ زين الدين عليّ بن نجا. قال: زرت الشيخ عثمان بن مرزوق- بمصر- فقال: يجيء أسد الدين شيركوه إلى هذه البلاد ويروح، ولا يحصل له شيء، ثم يعود يجيء ويروح، ولا يأخذ البلد، ثم يجيء فيأخذ- ما أدري قال في الثالثة أو الرابعة.- فيملك مصر، فجرى الأمر كما ذكر.
فقلت له: يا سيدي من أين لك هذا؟ فقال: والله يا ولدي ما أعلم الغيب وإنما لي عادة: أن أرى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أراه في بعض الجمع، فيخبرني، قلت: لعله أراد في المنام.
قال الناصح: وسمعت خادم الشيخ عثمان بن مرزوق، وكان يعرف بسيف السنة، وعليه آثار الصلاح، وقال له زين الدين بن نجا: أتعرف الأبيات التي أنشدت تلك الليلة بحضرة الشيخ عثمان بن مرزوق، فسمع وبكى. قال: نعم، قال: قلها، فقال:
فديت من واصلني مختفياً في وصـلـه

كنا على وعد فما كـدره بـمـطـلـه
وعاد عندي كله مشـتـغـلاً بـكـلـه

ما خلت أن يصلح مثلي في الهوى لمثله
وإنما جاد عليّ منعـمـاً بـفـضـلـه

ولم أكن أهلاً له لكنـه مـن أهـلـه
وذكر الناصح في ترجمة ولد الشيخ أبي عمرو بن مرزوق سعد- وسنذكره في موضعه إن شاء اللّه تعالى-: أن والده- يعني الشيخ: أبا عمرو- كان يذكر عنه أنه كان يقول في أفعال العباد: إنها غير مخلوقة.

وكذا حكى ابن القطيعي في تاريخه، قال: حكى لي أبو محمد بن سعيد البزار التاجر، قال: كنت بمصر ووقع بها فتنة بين والد الشيخ سعد- يعني عثمان بن مرزوق- وبين الكيزاني، وتلك الفتنة كانت سبب قدوم سعد إلى بغداد، فقلت له: ما كانت. فقال: كان عثمان بن مرزوق يقول: أفعال العباد قديمة، وكان له بمصر قبول، وبمصر يومئذ رجل آخر له قبول، يعرف بابن الكيزاني، أبو عبد الله يقول: ليست قديمة، فثارت الفتن، فقالوا: طريق الحق أن تكتب إلى بغداد في ذلك، فكتبوا إلى علماء بغداد، فأفتوهم على اختلاف مذاهبهم بحدثها، فقال سعد- يعني: ابن الشيخ عثمان بن مرزق-: الآن قد شككت في هذا الأمر، والمكتوب لا يقلد، ولا بد من المضي إلى بغداد، وأسمع مقالة العلماء، وأعود أخبر أبي بذلك، فدخل بغداد، وسمع مقالة العلماء، فمات أبوه بمصر وبلغه وفاته، فأقام ببغداد.
قلت: وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان: أن أبا عبد الله بن الكيزاني كان يقول: إن أفعال العباد قديمة، فحينئذ فقد اختلف في نسبة هذا القول: هل هو إلى ابن الكيزاني، أو إلى ابن مرزوق، ولم يثبت لنا من وجه صحيح عن ابن مرزوق أنه كان يقول ذلك، ولعل ذلك ألزموه به لقوله: إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق، وإن هذا القول يقوله طائفة من أصحابنا، وربما نسبوه إلى الإمام أحمد.
والصحيح الصريح عن أحمد: أنه كان يبدع قائل ذلك، ولعله لما التزم هذا القول الضعيف طرده في سائر الأفعال. والله أعلم بحقيقة الحال.
ثم وجدت لأبي عمرو بن مرزوق مصنفات في أصول الدين، ورأيته يقول: إن الإيمان غير مخلوق، أقواله وأفعاله، وإن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد.
وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى: وثمَّ جماعات منتسبون إلى الشيخ أبي عمرو بن مرزوق، ويقولون أشياء مخالفة لما كان الشيخ أبو عمرو عليه، وهذا الشيخ كان ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد، وكان من أصحاب الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج، وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعي، ويقولون أقوالاً مخالفة لمذهب الشافعي وأحمد، بل ولسائر أئمة

المسلمين، ولشيخهم الشيخ أبي عمرو. وهذا الشيخ أبو عمرو: شيخ من شيوخ أهل العلم والدين، وله أسوة أمثاله، وإذا قال قولاً قد علم أن قول أحمد والشافعي بخلافه، وجب تقديم قول الشافعي وأحمد على قوله، مع دلالة الكتاب والسنة على قول الأئمة، فكيف إذا كان القول مخالفًا لقوله، ولقول الأئمة، وللكتاب والسنة؟ وذلك مثل قولهم: لا نقطع، ولا نقول قطعًا، ويقولون: نشهد أن محمدًا رسول الله، ولا نقطع ونقول: السماء فوقنا، والأرض تحتنا، ولا نقطع بذلك، ويروون في ذلك أثرًا عن علي، أو حديثًا مرفوعًا، وهو من الكذب المفترى.
قال: وأصل شبههم: أن السلف كانوا يستثنون في الإيمان، فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء اللّه تعالى، وعلى ذلك كان أهل الثغر- عسقلان، وما يقرب منها- فإنه كان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي، وكان يأمر بذلك، وكان شديدًا على المرجئة، وعامة هؤلاء القوم جيران عسقلان، ثم صار كثير منهم يستثنى في الأعمال الصالحة، فيقول: صليت إن شاء الله، وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أمر، ولا تقبلت منه، فيستثنى خوفًا من ذلك.
وصنف في ذلك بعض أهل الثغر مصنفًا، وشيخهم أبو عمرو بن مرزوق، غايته أن يتبع هؤلاء، ولم يكن الرجل ولا أحد قبله من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا: لما يعلم أنه موجود: هذا موجود قطعًا، لكن لما مات أحدث بعض أتباعه الاستثناء في كل شيء، حتى في الإخبار عن الماضي والحاضر.
وقد نقل عن بعض الشيوخ: أنه كان يستثني في كل شيء، كأنه- والله أعلم- في الخبر عن الأمور المستقبلة، لقوله تعالى "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين" الفتح: 27، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" وصاروا يمتنعون عن التلفظ بالقطع مع أنهم محقون بقلوبهم أن محمداً رسول الله ولا يشكون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن يكرهون لفظ القطع. وهذا جهل منهم. والواجب عليهم موافقة جماعة المسلمين.
فإن قول القائل: أقطع بذلك، مثل قوله: أشهد بذلك وأجزم وأعلم بذلك وأطال الشيخ الكلام في ذلك.

توفي الشيخ أبو عمرو بن مرزوق بمصر سنة أربع وستين وخمسمائة. وقد جاوز السبعين. ودفن بالقرافة، شرقي في الشافعي رضي اللّه عنه، وقبره ظاهر يزار، رحمه اللّه.
أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجيلي
الحافظ أبو الفضل بن أبي المعالي بن أبي محمد، مفيد العراق.
وقد تقدم ذكر أبيه وجده: ولد في ثامن عشر ذي القعدة، سنة عشرين وخمسمائة.
وقرأ القرآن بالروايات على أبي محمد سبط الخياط وغيره، وبكر به أبوه في سماع الحديث، فأسمعه من أبي غالب بن البناء، وأبي الحسين بن الفراء، والقاضي أبي بكر الأنصاري، وأبي القاسم الحريري، وأبي البدر الكرخي، وأبي الحسن بن عبد السلام، ووالده صالح بن شافع، وخلق كثير.
وطلب هو بنفسه، ولازم أبا الفضل بن ناصر الحافظ، حتى قرأ عليه كثر ما كان عنده، واختص بصحبته وكان يقتفي أثره، ويسلك مسلكه، ثم أكثر الأخذ عن أصحاب ابن البطر، وطراد، وطبقتهما. وبالغ في الطلب حتى سمع من أصحاب ابن بيان، وابن نبهان، ثم من أصحاب ابن الحصين، وابن كادش، وطبقتهما، ولم يزل مشتغلاً بالطلب والسماع، إلى أن مات. وكتب بخطه الكثير، وحصل الأصول الحسان، ولم يحدث إلا باليسيرة لأنه مات قبل أوان الرواية.
قال ابن النجار: كان حافظًا، متقنًا، ضابطًا محققًا، حسن القراءة، صحيح النقل، ثبتًا حجة، نبيلاً ورعًا، متدينًا تقيًا، متمسكاً بالسنة على طريقة السلف. وصنف تاريخًا على السنين، بدأ فيه بالسنة التي توفي فيها أبو بكر الخطيب، وهي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، إلى بعد الستين وخمسمائة، يذكر السنة وحوادثها، ومن توفي فيها، ويشرح أحوالهم. ومات ولم يبيضه.
وقد نقلت عنه من هذا الكتاب كثيرًا، يعني ابن النجار بهذا الكتاب: تاريخه المذيل على تاريخ بغداد.
قلت: وأنا فقد نقلت من تاريخ ابن شافع في هذا الكتاب فوائد مما وقع لي منه، فإنه وقع لي منه عدة أجزاء من منتخبه لابن نقطة.

وقد ذكره ابن نقطة في كتابه "الاستدراك" ونعتة بالحافظ.
وقال: كان موصوفًا بحسن القراءة للحديث. وكان صالحًا ثقة مأمونًا. وقال في موضع آخر منه: هو متقن.
وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي؟ فقال: كان حافظًا ثقة يقرأ الحديث قراءة حسنة مبينة صحيحة بصوت رفيع إمام في السنة. وكان شاهدًا معدلاً. بلغني أنه دعي إلى الشهادة للخليفة بما لا يجوز، فامتنع من الشهادة، وطرح الطيلسان، وقال: ما لكم عندنا إلا هذا.
قال ابن النجار: أنشدني عبد الوهاب بن علي الأمين أنشدني أبو الفضل بن شافع:
في زخرف القول تزيين لباطله

والقول قد يعتريه سوء تعبـير
يقول: هذا مُجاج النحل تمدحـه

وإن تعب قلت: هذا قيء زنبور
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما

حسن البيان يرى الظلماء كالنور
توفي يوم الأربعاء بعد الظهر ثالث شعبان سنة خمس وستين وخمسمائة.
وكان مرضه البرسام والسرسام ستة أيام، وأسكت منها ثلاثة أيام، وشُدّ تابوته بالحبال، وصلى عليه خلق كثير. ودفن على أبيه في دكة قبر الإمام أحمد رضي الله عنه.
علي بن بردواق بن زيد بن الحسين بن سعيد بن عصمة بن حمير الكندي البغدادي
النحوي الأديب، شمس الدين أبو الحسن، ابن عم الشيخ تاج الدين أبي اليمن زيد: سمع ببغداد. وقرأ وكتب الطباق بخطه على يحيى بن البنا وغيره ويغلب على ظني: أني وقفت على قراءته للهداية على الشيخ عبد القادر.
وقرأ النحو واللغة على ابن الجواليقي. ثم قدم دمشق، وأدرك شرف الإسلام بن الحنبلي وصحبه. وكان فاضلاً أديبًا، حسن

الخط. كتب بخطه كثيرًا من الأدب. ومن دواوين العرب، وحظي عند السلطان نور الدين.
قرأت بخط أبي الفرج بن الحنبلي: كان عارفًا بالنحو واللغة. قيل: كان أعلم بها من ابن عمه أبي اليمن، ويقول الشعر، وهو حنبلي من أهل السنة. وكتب من الدقائق والكلام الوعظي الكثير، وطلب من شرف الإسلام أن يجلس بمدرسته للوعظ، فأذن له في ذلك، فغلبه الحياء، فلم يتمكن من الإيراد، ثم نزل وترك الوعظ.
قلت: توفي سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق.
ومن شعره:
هتك الدمع بصوت هـتـف

كلما أضمرت من سر خفيّ
يا أخلائي على الخيف، أمـا

تتقون الله في حث المطـيّ
وله أيضًا:
درت عليك غوادي المزن يا دار

ولا عفت مـنـك آيات وآثـار
دعا من لعبت أيدي الغرام بـه

وساعدتها صبابـات وتـذكـار
وقصد بعض الأكابر مرة فلم يصادفه، فكتب على باب داره حفزًا بسكين:
حضر الكندي مغناكم فلـم

يركم من بعد كد وتـعـب
لو رآكم لتجـلـى هـمـه

وانثنى عنكم بحسن المنقلب
محمد بن حامد بن حمد بن عبد الواحد بن علي بن أبي مسلم الأصبهاني

الواعظ الحنبلي، أبو سعيد. ويعرف بسرمس: سمع أبا مسعود محمد بن عبد الله السودرجاني، وأبا مطيع المصري، والدرني، ويحيى بن منده، وجماعة. وببغداد أبا القاسم بن السمرقندي. وكتب بخطه، وحدث ببغداد وغيرها.
وكان من أعيان الوعاظ. وله القبول التام عند العوام.
توفي في سلخ شعبان سنة ست وستين وخمسمائة. ودفن بمقبرة برديان في جوار قبر الإمام أبي مسعود الرازي.
النفيس بن مسعود بن أبي سعد بن علي، المعروف بأبي صعوه السلامي
الفقيه أبو محمد: قرأ القرآن. وتفقه على أبي الفتح بن المنى، ووعظ.
واحتضر في شبابه، فتوفي يوم الثلاثاء تاسع شوال سنة ست وستين وخمسمائة وصلي عليه عند جامع السلطان بالجانب الشرقي. ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه.
وذكره ابن الجوزي، وقال المنذري: تفقه على ابن المنى، وتكلم في مسائل الخلاف وسمع من غير واحد.
قال: و "صَعَوة" لما بفتح الصاد والعين المهملتين وبعدها تاء تأنيث- لقب لجده مسعود.
فتيان بن مباح بن حمد بن سليمان بن المبارك بن الحسين السلمي الحراني الضرير
المقرىء الفقيه أبو الكرم: قال ابن القطيعي في تاريخه: ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة على ما بلغني.
قلت: وهذا بعيد. ولعله سنة ثلاث عشرة.
قال: وقدم بغداد، وسمع الحديث من أبي البركات عبد الوهاب الأنماطي، وصالح بن شافع، وأبي زيد الحموي، وغيرهم. وتفقه بمذهب الإمام أحمد، وعاد إلى بلده فأفتى ودرس به إلى أن مات. سمع منه أبو المحاسن القاضي القرشي.
قلت: كان بارعًا في علم القراءات. وله مصنف في علم التجويد.
وقال: الشيخ فخر الدين ابن تيمية في أول تفسيره، وقد ذكر شيوخه في العلم فأول ما قال: كنت برهة مع شيخنا الإمام الورع أبي الكرم فتيان بن مياح وكان طويل الباع في علم اللغة والإعراب، مبسوطًا في الإغراق فيهما، والإعراب يشق الغبار في علم القراءات، ومعاناة المعاني فهمًا، واللغات، وأحكام فهم

الأحكام والوقوف على موارد الحلال والحرام. وعمه أبو الفتح بن عبدوس من شيوخه وشيوخ حران وفقهائها وعلمائها.
قال ابن القطيعي: حدث فتيان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. ودخلت حران سنة ست وستين وخمسمائة، فسألت عنه. فقالوا: توفي عن قريب رحمه الله.
قلت: وفيه أيضًا نظر فإن الشيخ فخر الدين ابن تيمية ذكر أنه لازم أبا الحسن بن عبدوس بعد موت فتيان هذا. وهذا يشعر بتقديم وفاته على وفاة ابن عبدوس، ويمكن أنه أراد أن ملازمته لابن عبدوس كانت بعد ملازمته لفتيان، لا بعد موته. والله أعلم.
عبد اللّه بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب البغدادي
اللغوي النحوي، المحدث، الإمام أبو محمد بن أبي الكرم: ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ظناً.
وقرأ القرآن بالروايات. وسمع الحديث من أبي القاسم الربعي، وأبي الغنائم النرسي، ويحيى بن منده. وطلب بنفسه، وقرأ الكثير على ابن الحصين، وأبي العز بن كادش وأبي غالب بن البنا، وأبي القاسم الحريري، وأبي بكر- بن عبد الباقي، وأبي القاسم بن السمرقندي، والمزرفي، وأبي الحسن بن الزاغوني، وأبي الحسين بن الفراء، وخلق من الطبقة، ولم يزل يقرأ حتى قرأ على أقرانه.
وقد عده ابن نقطة في أول استدراكه من الحفاظ الذين يعتمد على ضبطهم، وقرنه مع السلفي وأبي العلاء، وابن عساكر وأخذ اللغة والعربية عن أبي بكر بن حوامرد القطان وأبي الحسن الفصيحي، وأبي الحسن المحولي، وأبي منصور الجواليقي، وأبي السعادات بن الشجري.
وقرأ الحساب والهندسة على أبي بكر محمد بن عبد الباقي، والفرائض على أبي بكر المزرفي. وشارك في أنواع العلوم، وبرع في كثير منها.
قال ابن الجوزي: انتهى إليه معرفة النحو واللغة.
وقال الشيخ فخر الدين ابن تيمية: كثر التردد إلى مجلس شيخنا العلاّمة حجة الإسلام أبي محمد بن الخشاب لتحصيل فني النحو واللغة، وما بلغ أحد من أبناء عصره فيهما ما بلغه.

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي. فقال: كان إمامًا في عصره في علم العربية، والنحو واللغة. وكان علماء أهل عصره يستفتونه فيهما، ويسألونه عن مشكلاتها. وحضرت كثيرًا من مجالسه للقراءة عليه، ولكن لم أتمكن من الإكثار عليه لكثرة الزحام عليه. وكان حسن الكلام في السنة وشرحها.
وقال ابن النجار: كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال: إنه كان في درجة أبي علي الفارسي.
قال: وكانت له معرفة بالحديث واللغة، والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة.
وقال ياقوت الحموي: رأيت قومًا من نحاة بغداد يفضلونه على أبي علي الفارسي.
قال: وسمع الحديث الكثير، وتفقه فيه، وعرف صحيحه من سقيمه، وبحث عن أحكامه، وتبحر في علومه.
وذكره ابن السمعاني في كتابه، فقال: له معرفة تامة بالحديث، ويقرأ الحديث قراءة سريعة، حسنة صحيحة مفهومة، ويديم القراءة من غير فتور سمع الكثير بنفسه وجمع الأصول الحسان من أي وجه اتفق له، وكان يضنّ بها.
قال: وسمعت أبا شجاع البسطامي يقول: قرأ على ابن الخشاب غريب الحديث المقتفي قراءة ما سمعت قبلها بمثلها في الصحة والسرعة، وحضر جماعة من الفضلاء لسماعها. كانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلتة لسان، فما قدروا على ذلك.
قال ابن السمعاني: وكتبت عنه جزءًا من حديث أبي الحسن بن مخلد كان يرويه عن الربعي حدثنا بلفظه. وهذا كله وابن السمعاني إنما رآه وله نحو الأربعين سنة.
قال ابن القطيعي في تاريخه: سمعت ابن الأخضر الحافظ يقول: سمعت أبا محمد بن الخشاب يقول: إني متقن في ثمانية علوم، ما يسألني أحد عن علم منها، ولا أجد لها أهلاً.
وذكر غيره وعن ابن الأخضر، قال: دخلت عليه يومًا وهو مريض وعلى صدره كتاب ينظر فيه، قلت: ما هذا؟ قال: ذكر ابن جني مسألة في النحو، واجتهد أن يستشهد عليها ببيت من الشعر فلم يحضره، وإني لأعرف على هذه المسألة سبعين بيتًا من الشعر، كل بيت من قصيدة تصلح أن يستشهد به عليها.

ووصفه جماعة: بأنه كان عالماً بالتفسير والحديث والفرائض والحساب والقراءات.
قال ابن القطيعي: كان الغالب على علومه علم النحو وضروبه وأنواعه، وما يتعلق به. وانتهى إليه معرفة علوم جمة، أنهاها وشرح الكثير من علومه. وكان ضنينًا بها مع لطف مخالطة، وعدم تكبر، وإطراح تكلف، مع تشدد في السنة، وتظاهر بها في محافل علومه، ومجالس تلاميذه وأصحابه، ينتحل مذهب الإمام أحمد، وينتصر له على غيره من المذاهب، ويصرح ببراهينه وحججه على ذلك.
وذكر ياقوت الحموي قال: كان الحافظ بن ناصر ابن عمه أمَّ ابن الخشاب قال ابن الخشاب: قالت لي أمي: يا بني، ما أراك تصلي صلاة الرغائب على عادة الناس، فقلت: يا أمي، أنا أوثر من الصلوات ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهذه الصلاة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه، فقالت: أسمع ذلك منك، فاسأل لي ابن عمتي: فاتفق أني لقيته، فقلت: الوالدة تسلم عليك، وتسألك عن صلاة الرغائب: هل وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه؟ فقال لي: فهل لا أخبرتها بحقيقة ذلك. فقلت: قد أبت إلا أن أخبرها عنك، فقال: سلم عليها، وقل لها: أنا أسنّ منها، فإنها أحدثت في زمني وعصري. وقد مضت برهة ولا أرى أحداً يصليها. وإنما وردت من الشام، وتداولها الناس حتى أجروها مجرى ما ورد من الصلوات المأثورة.
ولابن الخشاب تصانيف، منها كتاب "المرتجل في شرح الجمل" للزجاجي وقد ترك فيه أبوابًا من وسط الكتاب لم يشرحها، وكتاب "الرد على ابن نادستاد في شرح الجمل"، وكتاب "الرد على أبي زكريا التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت"، وكتاب "أغلاط الحريري في مقاماته"، وشرح اللمع لابن جني إلى باب النداء في ثلاث مجلدات، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو في أربع مجلدات. ويقال: إنه وصله عليها بألف دينار. وله جواب المسائل الاسكندرانية في الاشتقاق.
ويقال: إنه كان ضيق العطن في تصانيفه لا يتمها، وأن كلامه كان أجود من قلمه.

وكان ابن الخشاب يكتب خطًا حسنًا، ويضبط ضبطًا متقنًا. فكتب كذلك كثيرًا من الأدب والحديث وسائر الفنون، وحصل من الكتب والأصول وغيرها ما لا يدخل تحت الحصر، ومن خطوط الفضلاء وأجزاء الحديث شيئًا كثيرًا.
وذكر ابن النجار: أنه لم يمت أحد من أهل العلم وأصحاب الحديث إلا وكان يشتري كتبه كلها، فحصلت أصول المشايخ عنده.
وذكر عنه: أنه اشترى يومًا كتبًا بخمسمائة دينار ولم يكن عنده شيء، فاستمهلهم ثلاثة أيام، ثم مضى ونادى على داره، فبلغت خمسمائة دينار، فنقد صاحبها وباعه بخمسمائة دينار ووفي ثمن الكتب وبقيت له الدار. ولما مرض أشهد عليه بوقف كتبه فتفرقت وبيع أكثرها ولم يبقَ إلا عشرها، فتركت في رباط المأمونية وقفًا.
وقرأ عليه الخلق الكثير الحديث والأدب، وانتفعوا به وتخرج به جماعة.
وسمع منه كبار الأئمة. وروى عنه خلق من الحفاظ وغيرهم.
وكان الحافظ أبو محمد بن الأخضر يقول في روايته عنه: حدثنا حجة الإسلام أبو محمد بن الخشاب. وكذلك يقول الشيخ موفق الدين المقدسي في تصانيفه حين يروي عن ابن الخشاب. وكان ثقة في الحديث والنقل، صدوقًا حجة نبيلاً.
وذكر ابن الجوزي: أنه كان يذكر عنه نوع تفريط في الدين، وأنه كان قليل الفقه، بحيث إنه سئل عن رفع اليدين في الصلاة ما هو؟ فقال: هو ركن، فضحك منه. وكان - سامحه اللّه- قليل المبالاة بحفظ قاموس العلم والمشيخة بحيث إنه كان يلعب بالشطرنج على قارعة الطريق مع العوام، ويمازح السفهاء، ويقف في الشوارع على حلق المشعبذين وأصحاب اللهو، واللعابين بالقرود والذباب من غير مبالاة. وإذا عوتب على ذلك يقول: إنه يندر منهم نوادر لا يكون أحسن ولا ألطف منها، ومع ذلك فكان لا يخلو كمه من كتب العلم.
وكان رؤساء زمانه وزراء وقته يودون مجالسته، ويتمنون محاضرته فلا يفعل.
قال مسعود بن البادر: كنت يومًا بين يدي المستضيء، فقال لي: كل من نعرفه قد ذكرنا بنفسه، ووصل إليه برنا، إلا ابن الخشاب،

فأخبره فاعتذرت عنه بعذر اقتضاه الحال، ثم خرجت فعرفت ابن الخشاب ذلك، فكتب إليه هذين البيتين:
ورد الورى سلسال جودك فارتووا

فوقفت دون الورد وقـفة حـائم
ظمآن أطلب خفة مـن زحـمة

والورد لا يزاد غـير تـزاحـم
قال ابن البادر: فأخذتها منه فعرضتها على المستضيء، فأرسل إليه بمائتي دينار وقال: لو زادنا زدناه. وكان متبذلاً في لباسه ومطعمه ومشربه، ولم يكن له زوجة ولا جارية.
ويقال: إنه كان بخيلاً مقترًا على نفسه. وكان يعتم العمة، فتبقى معتمة أشهرًا حتى تتسخ أطرافها من عرقه، فتسود وتتقطع من الوسخ، وترمي عليها العصافير ذرقها، وكان إذا رفعها عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق، فتجيء عذبتها تارة من تلقاء وجهه، وتارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فلا يغيرها.
فإذا قيل له في ذلك يقول: ما استوت العمة على رأس عاقل قط.
وكان رحمه الله ظريفاً مزاحاً ذا نوادر.
فمن نوادره: أن بعض أصحابه سأله يومًا، فقال: القفا يمد أو يقصر. فقال: يمد ثم يقصر.
ومنها: أنه لما صنف الكمال الأنباري كتاب "الميزان" في النحو عرض عليه، فقال: احملوا هذا الميزان إلى المحتسب ففيه عين.
ومنها: أنه كان يومًا في داره في وقت القيلولة والحر الشديد وقد نام، إذ طرق عليه الباب طرقًا مزعجًا، فانتبه فخرج مبادرًا، وإذا رجلان من العامة، قال: ما خطبكما؟ فقالا: نحن شاعران، وقد قال كل واحد منا قصيدة وزعم أنها أجود من قصيدة صاحبه. وقد رضينا بحكمك، فقال: ليبدأ أحدكما.
قال: فأنشد أحدهما قصيدته وهو مصغ إليه، حتى فرغ منها، وهم الآخر بالإنشاد، فقال له ابن الخشاب: على رسلك، فشعرك أجود. فقال: كيف خبرت شعري ولم تسمعه. فقال: لأنه لا يكون شيء أبخس من شعر هذا.

ومنها: أن بعض المعلمين كان يقرأ علية شيئًا من الأدب، فجاء فيه قول العجاج:
أطربا وأنت قـنّـسْـري

وإنما يأتي الصبيّ الصبيُّ
فقرأ المعلم: وإنما يأتي الصبيَّ الصبيُّ، فقال ابن الخشاب: هذا عندك في الكتاب وفقك الله. فأما عندنا فلا، فاستحى المعلم.
ومنها: ما حكاه ابن الأخضر قال: كنت يومًا عنده- وعنده جماعة من الحنابلة- فسأله مكي القراد: عندك كتاب الخيال. فقال: يا أبله، ما تراهم حولي؟ ومنها: أنه كان ببغداد رجل يقال له: العتابي نحوي، وكان يدعي من علم النحو فوق ما عنده، فاجتمع ابن الخشاب مرة بابن القصار اللغوي عند قدومه من مصر، فقال ابن الخشاب: ما رأيت من عجائب مصر. قال: رأيت أشياء ذكرها. ثم قال: ورأيت فيها حمارًا عتابيًا، فقال ابن الخشاب: ماذا عجب فإن عندنا ببغداد عتابى حمار.
ولابن الخشاب شعر كثير حسن فمنه ما ألغزه في الكتاب:
وذي أوجه لكنـه غـير بـائح

بسر، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهـه

فتسمعها، ما دمت بالعين تنظر
وله لغز في الشمعة:
صفراء لا من سقم مسهـا

كيف وكانت أمها الشافية؟
عارية باطنها مـكـتـس

فاعجب لها عارية كاسية
ومنه- وأنشده ابن القطيعي- في المديح:
تلقاه إما عالماً أو متعلـمـاً

يومي حجاج أو عجاج الهبا

فمجادل يهدي غوياً مشغبـاً

ومجدل يرثي كميا محربـا
وينسب إليه قصيدة طويلة في الألغاز والعويص في جميع أنواع العلوم. قيل: إنه كتبها إلى بعض فضلاء عصره ممتحنًا له ومعجزًا، وأظنه ابن الدهان.
ومما ينسب إليه قصيدة نونية، منها:
واذكر إذا قمت يوم العرض منتفضاً

من التراب بلا قطـن ولا كـفـن
وجىء بالنار قد مد الصراط عـلـى

حافاتها تتلظى فعـل مـغـتـبـن
وتنشر الصحف فيها كل محتـقـب

من المخازي وما قدمت من حسـن
قد كنت تنسى وتلك الصحف محصية

ما كنت تأتي، ولم تظلم ولم تـخـن
هناك إن كنـت قـدمـت مـدخـرًا

تُسقى من الحوض ماء غير ذي أسن
عند الجزاء تعض الكـف مـن نـدم

على تخطيك في سر وفي عـلـن
لا تركنن إلى الدنيا ففـي جـدث

يكون دفنك بين الطين واللـبِـن

واستن بالسلف الماضي وكن رجلاً

مبرأ من دواعي الغي والفـتـن

ودع مذاهب قوم أحدثـت إثـمـا

فيها خلاف على الآثار والسنـن

قال ابن الجوزي: مرض ابن الخشاب نحوًا من عشرين يومًا، فدخلت عليه قبل موته بيومين، وقد يئس من نفسه، فقال لي: عند الله أحتسب نفسي.
وتوفي يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة. وصلي عليه على باب جامع السلطان يوم السبت. ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريبًا من بشر الحافي رضي الله عنهما.
وحدثني عبد الله الجبائي العبد الصالح قال: رأيته في النوم بعد موته بأيام، ووجهه يضيء، فقلت له: ما فعل اللّه بك. قال: غفر لي قلت: وأدخلك الجنة. قال: وأدخلني الجنة، إلا أنه أعرض عني، فقلت له أعرض عنك؟ فقال: نعم وعن جماعة من العلماء تركوا العمل. سامحه اللّه وغفر له.
مكي بن محمد بن هبيرة البغدادي
الأديب أبو جعفر: كان فاضلاً عارفًا بالأدب. نظم "مختصر الخرقي" وقرىء عليه مرات.
توفي بنواحي الموصل سنة سبع وستين وخمسمائة. ذكره الحافظ الذهبي.
قلت: وأظنه أخا الوزير أبي المظفر. وكان يلقب فخر الدولة. وكان خرج من بغداد بعد موت الوزير وكان للوزير ولدان. أحدهما: عز الدين محمد. وكان فاضلاً كبير الشأن، ناب عن والده في الوزارة. قبض عليه، وقتل بعد موت والده سنة إحدى وستين.

والآخر: شرف الدين ظفر، ناب عن والده في الوزارة أيضًا. وكان أديبًا بارعًا له نظم حسن جداً. قبض عليه، وقتل في صفر سنة اثنتين وستين.
ومن نظمه:
أخلف الغيث مواعيد الخزامى

فقف الأنضاء تستقي الغماما
وأبحني ساعة من عـمـري

نملأ الدار شكاة وسـلامـا
وخُذ اليمنة من أعلا الحمـى

تلق بالفور حميماً وحمـامـا
أصف الأشواق في تلك الربى

وأعاطي الترب سقياً والتثاما
أحمد بن محمد بن شُنيف بن محمد البغدادي الدارقزي
المقرىء أبو الفضل: قرأ القران بالروايات على أبي طاهر بن سوار، وثابت بن بندار، وأبي منصور الخياط، وغيرهم.
وسمع الحديث منهم، ومن أبي غالب القزاز، وعلي بن نبهان، ويحيى بن منده الحافظ. وتفقه في المذهب وحصل منه طرفًا صالحًا. وأقرأ بالروايات جماعة. وحدث وطال عمره، وأضر في آخر وقته، وتفرد بعلو الإسناد في القراءات.
قال القطيعي: كان من أهل الدين والصلاح.
وقال ابن النجار: كان شيخًا فاضلاً متدينًا، صدوقًا أمينًا.
توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وخمسمائة، وله ست وتسعون سنة. ودفن بمقبرة باب حرب رحمه الله.
الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة بن عثكل بن حنبل بن إسحاق الهمداني
المقرىء المحدث، الحافظ الأديب اللغوي الزاهد أبو العلاء، المعروف بالعطار شيخ همدان: ولد بكرة يوم السبت رابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

وقرأ القرآن بالروايات على أبي علي الحداد وغيره بأصبهان، وعلى أبي العز القلانسي بواسط، وببغداد على البارع الدباس، وأبي بكر المزرفي وغيرهم.
وسمع الحديث من عبد الرحمن الدوني سنة خمس وتسعين، وهو أول سماعه ثم سمع بأصبهان من أبي عليّ الحداد، وأكثر عنه ولازمه مدة. وسمع بخراسان من أبي عبد الله الفراوي وغيره.
وارتحل إلى بغداد، فسمع عن أبي القاسم بن بيان، وأبي علي بن نبهان، وأبي علي بن المهديَ، وأبي طالب اليوسفي، وابن الحصين، وخلق كثير.
ودخل بغداد مرة أخرى فأسمع ابنه، ثم مرة أخرى بعد الثلاثين وخمسمائة، فأكثر بها، ثم دخلها بعد الأربعين، وحدث بها، وأقرأ بها القرآن.
قرأ عليه ابن سكينة وغيره، ثم عاد إلى همدان، وعمل داراً للكتب وخزانة وقف جميع كتبه فيها وكان قد حصّل الأصول الكثيرة، والكتب الكبار الحسان بالخطوط المعتبرة، وانقطع إلى إقراء القرآن، ورواية الحديث إلى آخر عمره وحدث بأكثر مسموعاته.
وسمع منه الكبار والأئمة الحفاظ ورووا عنه، منهم: ابن عساكر، ومحمد بن محمود الحمامي الواعظ، وأبو المواهب بن صصري، وعبد القادر الرهاوي، ويوسف بن أحمد الشيرازي وسمع منه خلق كثير.
وآخر من روى عنه ابن المقيروري عنه إجازة.
قال ابن السمعاني في حقه: حافظ متقن، ومقرىء فاضل، حسن السيرة، مرضي الطريقة، عزيز النفس، سخي بما يملك، مكرم للغرباء، يعرف القراءات والحديث والأدب معرفة حسنة، سمعت منه.
وذكره ابن الجوزي في طبقات الأصحاب التي في آخر المناقب، وفي التاريخ، وقال فيه: كان حافظًا متقناً، مرضي الطريقة سخيًا. وانتهت إليه القراءات والتحديث.
وذكر في آخر كتابه "التلقيح": أن أبا العلاء كان هو محدث عصره ومقرئه.
وقال الحافظ عبد القادر الرهاوي: شيخنا الحافظ أبو العلاء أشهر من أن يعرف بل تعذر وجود مثله في أعصار كثيرة على ما بلغنا

من سيرة العلماء والمشايخ. أربى على أهل زمانه في كثرة السماع، مع تحصيل أصول ما سمع وجودة النسخ، وإتقان ما كتب بخطه. فإنه ما كان يكتب شيئًا إلا متقنًا معرباً.
وبرع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى، والقصص والسير ولقد كنا يومًا في مجلسه، وقد جاءته فتوى في أمر من أمر عثمان رضي الله عنه، فأخذ الفتوى وكتب فيها من حفظه- ونحن جلوس- درجًا طويلاً يذكر فيه عثمان رضي الله عنه ونسبه ومولده ووفاته وأولاده، وما قيل فيه من شعر، وغير ذلك مما يتعلق به.
وله التصانيف الكثيرة في أنواع من علوم الحديث والزهديات والرقائق وغير ذلك.
ومن جملة ما صنف "زاد المسافر" نحو من خمسين مجلدة.
وكان إمامًا في القرآن وعلومه، وحصل من القراءات المسندة ما أنه صنف العشرة والمفردات. وصنف الوقف والابتداء والتجويد والمئات والعدد، ومعرفة القراء. وهو نحو من عشرين مجلدًا، واستحسنت تصانيفه. وكتبت ونقلت إلى خوارزم وإلى الشام.
وبرع عنده جماعة كثيرة في القراءات. وكان إذا جرى ذكر القراء يقول: فلان مات عام كذا، وفلان مات في سنة كذا، وفلان يعلو إسناده على فلان بكذا.
وكان إمامًا في النحو واللغة، سمعت أن من جملة ما حفظ في اللغة كتاب "الجمهرة" وخرج له تلامذة في العربية أئمة يقرأون بهمدان. وبعض أصحابه رأيته.
وكان من محفوظاته كتاب "الغريبين للهروي" إلى أن قال: وكان عفيفاً من حب المال، مهينًا له، باع جميع ما ورثه. وكان من أبناء التجار فأنفقه في طلب العلم حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشيًا يحمل كتبه على ظهره.
سمعته يقول: كنت أبيت ببغداد في المساجد، وآكل خبز الدخن.
وسمعت أبا الفضل بن نبهان الأديب يقول: رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه لأن السراج كانت عالية، ثم نشر الله تعالى ذكره في الآفاق، وعظم شأنه في قلوب الملوك وأرباب المناصب الدنيوية والعلمية والعوام، حتى إنه كان يمر بهمدان، فلا يبقى أحد رآه إلا قام، ودعا له حتى الصبيان واليهود. وربما كان يمضي إلى بلده

مشكان فيصلي بها الجمعة، فيتلقاه أهلها خارج البلد: المسلمون على حدة، واليهود على حدة ويدعون له إلى أن يدخل البلد.
وكان يفتح عليه من الدنيا جمل فلم يدخرها، بل ينفقها على تلامذته. وكان عليه رسوم لأقوام. وما كان يبرح عليه ألف دينار همدانية أو أكثر من الدين مع كثرة ما كان يفتح عليه. وكان يطلب لأصحابه من الناس، ويعز أصحابه ومن يلوذ به ولا يحضر دعوة حتى يحضر جماعة أصحابه، وكان لا يأكل من أموال الظلمة، ولا قبل منهم مدرسة قط ولا رباطًا، وإنما كان يقرىء في داره ونحن في مسجده سكان، وكان يقرىء نصف نهاره الحديث، ونصفه القرآن والعلم.
وكان لا يخشى السلاطين، ولا تأخذه في اللّه لومة لائم، ولا يمكن أحد أن يعمل في مجلسه منكرًا ولا سماعًا.
وكان ينزل كل إنسان منزلته، حتى تآلفت القلوب على محبته، وحسن الذكر له في الآفاق البعيدة، حتى أهل خوارزم، الذين هم معتزلة مع شدته في الحنبلة.
وكان حسن الصلاة، لم أرَ أحدًا من مشايخنا أحسن صلاة منه.
وكان مشددًا في أمر الطهارة، لا يدع أحدًا يمس مداسه.
قلت: هذه زلة من عالم.
قال: وكانت ثيابه قصارًا، وأكمامه قصارًا، وعمامته نحو من سبعة أذرع، وكانت السنة شعاره ودثاره، اعتقادًا وفعلاً، بحيث إنه كان إذا دخل مجلسه رجل، فقدم رجله اليسرى، كلفه أن يرجع فيقدم اليمنى، ولا يمس الأجزاء إلا على وضوء، ولا يدع شيئًا قط إلا مستقبل القبلة تعظيمًا لها، إلى أن قال: سمعت من أثق به يحكي. قال: رأى السلفي طبقة بخط الحافظ، فقال: هذا خط أهل الإتقان، وسمعته يحكي عنه أنه ذكر له، فقال: قدمه دينه.
قال: وسمعت من أثق به يحكي عن أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، أنه قال للحافظ أبي العلاء، لما دخل نيسابور: ما دخل نيسابور مثلك.
وسمعت الحافظ أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله يقول- وذكر رجلاً من أصحابه سافر في طلب الحديث-: إن رجع ولم يلقَ الحافظ أبا العلاء ضاعت سَفْرَته.
وقد روى عنه الحافظ أبو القاسم. وقال القاسم بن عساكر الحافظ: سمعت التاج المسعودي يقول: سمعت أبا العلاء

الهمداني يقول لرجل استأذنه في الرحلة: إن عرفت أحدًا أعرف مني، فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه، إلا أن تسافر إلى ابن عساكر، فإنه حافظ كما يجب.
وقرأت بخط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي: أما حرمة الحافظ أبي العلاء، ومكانته في العامة والخاصة فمشهورة، وكراماته كذلك.
ومن نوادر الحافظ رحمه الله تعالى: أنه كان يمشي في اليوم الواحد ثلاثين فرسخاً.
حدثني الإمام طلحة بن مظفر العلثي قال: بيعت كتب ابن الجواليقي في بغداد، فحضرها الحافظ أبو العلاء الهمداني، فنادوا على قطعة منها: ستين دينارًا، فاشتراها الحافظ أبو العلاء بستين دينارًا، والإنظار من يوم الخميس إلى يوم الخميس. فخرج الحافظ، واستقبل طريق همدان، فوصل فنادى على دار له، فبلغت ستين دينارًا. فقال: بيعوا. قالوا: تبلغ أكثر من ذلك. قال: بيعوا. فباعوا الدار بستين دينارًا فقبضها، ثم رجع إلى بغداد. فدخلها يوم الخميس، فوفى ثمن الكتب. ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة.
توفي رحمه اللّه ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة.
ذكره الحافظ بن النجار عن الحافظ أبي جعفر بن الحمامي الواعظ.
وذكر مكي وابن الجوزي: أنه توفي ليلة الخميس لتسع عشرة بقيت من جمادى الأولى.
قال ابن الجوزي: وبلغني: أنه رئي في المنام في مدينة جميع جدرانها من الكتب، وحوله كتب لا تحد، وهو مشتغل بمطالعتها. فقيل له: ما هذه الكتب. قال: سألت اللّه تعالى أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا، فأعطاني.
ورأى له شخص آخر: أن يدين خرجًا من محراب مسجده، فقال: ما هذه اليدان؟ فقال: هذه يدا آدم بسطهما ليعانق أبا العلاء الحافظ. قال: وإذا بأبي العلاء قد أقبل. قال: فسلمت عليه، فردّ علي السلام. وقال: يا فلان: أرأيت ابني أحد حين قام على قبري يلقنني. أما سمعتهم يقولون حتى صحت على الملكين فما قدرا أن يقولا لي شيئًا، ورجعا رضي الله عنه.

دهبل بن علي بن منصور بن إبراهيم بن عبد الله، المعروف بابن كاره البغدادي
الحريمي، الخباز أبو الحسن: ولد سنة خمس وتسعين وأربعمائة. وسمع من الحسين بن علي بن البُسري، وأبي غالب القزاز، وأبي علي بن المهدي، وابن بيان، وابن نبهان وغيرهم.
وذكره ابن السمعاني في كتابه.
وقال الشيخ موفق الدين المقدسي: كان فقيهًا من فقهاء أصحابنا، وكان يحضر في حلقة الفقهاء في جامع المنصور يوم الجمعة. وكان شيخًا صالحًا، أتى بكتاب "الجراح" ليحيى بن آدم.
وقال أبو المحاسن القرشي: كان فقيهًا حسنًا، فاضلاً زاهدًا، صادقًا ثقة، وذكر غيره: أنه أضر بآخره. وقال ابن نقطة: هو ثقة صالح. قال ابن القطيعي: كان فقيهًا حنبليًا ثقة. حدث، وسمع منه جماعة.
وقال المنذري: تفقه على مذهب الإمام أحمد، وسمع من غير واحد، وحدث.
قلت: روى عنه ابن الأخضر، وجماعة. توفي في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من محرم سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب حرب.
و "دهبل" بفتح الدال المهملة والباء الموحدة بينهما هاء ساكنة.
عبد الصمد بن بديل بن الخليل الجيلي المقرىء، أبو محمد
ذكره ابن القطيعي، فقال: قدم بغداد، ونزل باب الأزج، وقرىء عليه القرآن بالروايات الكثيرة، ورواها عن أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني.
قلت: وقد سمع من أبي العلاء الحديث.
قال: وكان عالمًا ثقة ثبتًا، فقيهًا مفتيًا. وكان اشتغاله بالفقه على والدي رحمه الله. وناظر ودرس وأفتى، وكتب إلي- وأنا مسافر- كتابًا ذكر فيه ما أحببت ذكره لبركته: الله الله، كن مقبلاً، مديمًا على شؤونك، مشتغلاً بما أنت بصدده، ولا تكن مضيعًا، أنفاسًا معدودة، وأعمارًا محسوبة، واجعل ما لا يعنيك دبر أفنك، واغمض عينيك عما ليس من حظها، واطلب من ريحانة ما حل لك، ودع ما حرم عليك. وبذلك تغلب شيطانك. وتحوز مطالبك والسلام.

توفي رحمه الله سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن بمقبرة الإمام أحمد بالقرب من قبر بشر الحافي. قال "وبديل" بفتح الباء.
وذكره ابن النجار، فقال: صحب القاضي أبا يعلى بن أبي خازم، وتفقه عليه.
وكان خصيصًا به قرأ عليه جماعة القرآن. وكان مقرئاً مجوداً، وفقيهًا فاضلاً، صالحًا متدينًا. وأنه توفي يوم السبت سلخ ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. كذا نقله عن تميم بن البندنيجي.
عبد الرحمن بن النفيس بن الأسعد الغياثي، الفقيه المقرىء أبو بكر، ويعرف بالأعز البغدادي:
كان في ابتداء أمره يغني، وله صوت حسن، ثم تاب وحسنت توبته.
وقرأ القران في زمن يسير، وتعلم الخط في أيام قلائل، وحفظ كتاب الخرقي وأتقنه. وقرأ مسائل الخلاف على جماعة من الفقهاء. وكان ذكيًا جدًا، يحفظ في يوم واحد ما لا يحفظه غيره في شهر.
وسمع من عبد الوهاب الأنماطي، وسعد الخير الأنصاري، وعسكر بن أسامة النصيبي. وتكلم في مسائل الخلاف، وسافر إلى الشام، وسكن دمشق مدة، وَأَمَّ بالحنابلة في جامعها، ثم توجه إلى ديار مصر، فاستوطنها إلى حين وفاته، وحدث. وكان فقيهًا فاضلاً، قارئاً مجودًا، مليح التلاوة، طيب النغمة.
قال أبو بكر محمد بن علي بن زيد بن اللتي عنه: كان قوياً في دين الله متمسكاً بالآثار، لا يرى منكرًا، ولا يسمع به إلا غيّره، لا يحابي في قول الحق أحدًا.
قال: وصحبته وسمعت عليه، معتقدًا في السنة، وقرأت عليه أبوابًا من الخرقي.
قال: وخرج من بغداد سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.
وقيل: إنه توفي بمصر بعد سنة ستين وخمسمائة. رحمه اللّه تعالى.
روى عنه أبو الجود حاتم بن سنان بن إبراهيم الحبلي أناشيد.
يحيى بن نجاح بن مسعود بن عبد الله اليوسفي

المؤدب الأديب الشاعر أبو البركات: سمع من أبي العز بن كادش وغيره.
قال ابن الجوزي: سمع الحديث الكثير، ثم قرأ النحو واللغة. وكان غزير الفضل، يقول الشعر الحسن. وقال ابن القطيعي: كان من أهل الأدب والعلم، وفيه فضل، وله خط حسن، وشعر رقيق، سمع منه جماعة من الطلبة. وكان حنبلي المذهب، حسن الاعتقاد.
قال: وأنشدنا أبو البقاء الفقيه قال: أنشدنا أبو البركات يحيى بن نجاح اليوسفي لنفسه:

أقلا منك ذا الـجـفـا أم دلال

كل يوم يروعني منـك حـال
أعذول يغريك أم غره المعشوق

أم هكـذا يتـيه الـجـمـال?
نظرة كنـت يوم ذاك، فـإنـي

صرت في القلب عثرة لا تقال
أنا عرضت مهجتي يوم سلـع

للهوى، فالغرام داء عـضـال
عبثاً تقـتـل الـنـفـوس ولا

تحسب، إلا أن الدمـاء حـلال
من عجيب أن لا يطيش لها سهم

ولم تدر قط كيف النـضـال?
لي قلب قد استراح من العـذل

وسـمـع تـكـده الـعـذال
وهي قصيدة طويلة.

توفي رحمه الله يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شوال، سنة تسع وستين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد. كذا ذكره القطيعي.
وقال ابن الجوزي: توفي في أواخر شوال.
و "اليوسفي" نسبة إلى ولاء بيت ابن يوسف. وكان جده مسعود مولى الشيخ الأجل، أبي منصور محمد بن عبد الملك بن يوسف، رحمه اللّه تعالى.
حامد بن محمود بن حامد بن محمد بن أبي عمرو الحراني الخطيب الفقيه الزاهد، أبو الفضل، المعروف بابن أبي الحجر، ويلقب تقي الدين، شيخ حران وخطيبها، ومفتيها ومدرسها: ولد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بحران، فيما قرأته بخط الإمام أبي العباس ابن تيمية، وذكر أنه نقله من خط أحمد بن سلامة بن النجار الحراني الزاهد.
ورحل إلى بغداد، وسمع بها من عبد الوهاب الأنماطي الحافظ، ويحيى بن حبيش الفارقي، وعمر بن عبد الله بن علي الحربي وغيرهم، وتفقه بها، وبرع وناظر، ولقي بها الشيخ عبد القادر، ولازمه، فرآه الشيخ يومًا يمشي على سجادته، على بساط للشيخ، فقال له الشيخ عبد القادر: كأني بك، وقد دست على بساط السلطان. كذا ذكره أبو عبد الله بن حمدان الفقيه.
وقال ناصح الدين بن الحنبلي رضي الله عنه: حدثني ولده إلياس- يعني: ولد أبي الفضل حامد- قال: خرج والدي مع الشيخ عبد القادر في زيارة، وكان معه جماعة، وانفرد والدي عنه، ورفع ثوبه على قصبة، فقال الشيخ عبد القادر: من هذا. فقالوا: الفقيه حامد الحراني، فقال: هذا يكون له تعلق بالملوك، وكان كما قال.
وذكره ابن الجوزي في تاريخه، فقال: صديقنا. قدم بغداد. وتفقه وناظر، وعاد إلى حران، وأفتى، ودرس. وكان ورعًا، به وسوسة في الطهارة.
وذكر ابن القطيعي في تاريخه نحوًا من ذلك، وقال: كان تاليًا للقرآن، كتبت عنه. وكان ثقة.
وقال الشيخ فخر الدين ابن تيمية في أول تفسيره، وبعد رجوعي إلى حران: كنت كثير المباحثة لشيخنا الإمام البارع أبي الفضل حامد بن محمود بن أبي الحجر رحمه الله في مشكل الآيات، وحل ما فيها من الإشكالات.

وكان رحمه الله إذا شرع في التفسير والتذكير شبيهًا بالجواد المفرط، والجواد القطقط، يوسع المسامع هدير شقاشقه، ويزعزع المسامع زجر رواشقه، هذا مع ما كان قد منحه الله من الرشاقة، وعسولة المنطق واللباقة.
وقال الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي: كان شيخ حران في وقته. بنى نور الدين محمود المدرسة في حران لأجله، ودفعها إليه، ودرس بها، وتولى عمارة جامع حران، فما قصر فيه، قيل: إنه راح إلى الروم، وتولى نشر الخشب بنفسه.
وكان نور الدين محمود، يقبل عليه، وله فيه حسن ظن. وكان عنده وسواس في الطهارة.
ورحل إلى بغداد، ونزل بمدرسة الشيخ عبد القادر، وسمع درسه، وكان من أصحابه. وجاء إلى دمشق في حوائج إلى نور الدين، ونزل عندنا في المدرسة، وأضافه والدي.
وقال ابن حمدان: كان شيخ حران، وخطيبها ومدرسها، ولأجله بنيت المدرسة النورية بحران. وله ديوان خطب. وقيل: إن أكثرها كان يرتجلها إذا صعد إلى المنبر، فلما ولاه السلطان نور الدين الشهيد، قال: بشرط أن تترك المظالم والضمانات، وتورث ذوي الأرحام فأجابه إلى ذلك. وكان ولده الفقيه إلياس إذا غاب عن المدرسة يومًا، لا يعطيه خبزه، ويقول: هو كالمستأجر.
قال: ولم يأخذ على نظره في الجامع، وأوقافه شيئًا، حتى إن غلامه اشترى تجارة كما اشتراه العوام من تجارة خشب الجامع، فلم يأكل ما خبز في بيته. وسيرته في الورع والزهد مشهورة بحران بين أهلها.
قلت: أخذ عنه العلم جماعة من أهل حران، منهم: الخطيب فخر الدين ابن تيمية، وأبو الفتح نصر اللّه بن عبدوس، وغيرهما.
وسمع منه الحديث بحران جماعة من الطلبة والرحالين، منهم: أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي، سنة ثلاث وخمسين، وأبو الحسن بن القطيعي، سنة ست وستين.
وروي عنه في تاريخه، وقال: توفي لسبع خلون من شوال سنة سبعين وخمسمائة بحران. وكذا ذكر ابن الجوزي: أنه توفي بحران سنة سبعين.
وقرأت بخط الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى، قال: نقلت من خط الزاهد أحمد بن سلامة بن النجار: توفي الفقيه حامد بن

محمود بن أبي الحجر- وكان من أهل العلم والبراعة والفصاحة- سنة تسع وستين وخمسمائة، ثم قال الشيخ تقي الدين: عندي في هذا نظرة لأن الشيخ الفخر ذكر أنه كان يذاكره بعد رجوعه إلى حران، وذكر الشيخ فخر الدين ابن تيمية في كتابه "ترغيب المقاصد" أن شيخه حامد بن أبي الحجر اختار: أن الفاسق تثبت له ولاية النكاح.
المبارك بن الحسن بن طراد الباماوردي الفرضي، أبو النجم بن أبي السعادات، المعروف بابن المقابلة:
ولد سنة خمس وخمسمائة تقريبًا.
وسمع من طلحة العاقولي سنة عشر، وهو أقدم سماع وجد له، ومن القاضي أبي الحسين بن الفراء، وأبي نصور القزاز، والقاضي أبي بكر، وابن الحصين، وأبي الفضل عبد الملك بن يوسف، وأبي غالب الماوردي وغيرهم.
قال ابن الجوزي: كان عارفاً بعلم الفرائض، والمواقيت.
وذكره ابن القطيعي، وقال: كتبت عنه. وكان ثقة.
قال: وكان أعلم أهل زمانه بالفرائض، والحساب، والدور، حسن العلم بالجبر والمقابلة، وغامض الوصايا والمناسخات، حنبلي المذهب، أمَّارًا بالمعروف، شديدًا على أهل البدع، عارفًا بمواقيت الشمس والقمر.
وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ودفن بمقبرة الطبري، بقرية الزاويان، ظاهر بغداد. رحمه الله تعالى.
محمد بن عبد الباقي بن هبة الله بن حسين بن شريف المجمعي، الموصلي أبو المحاسن:
ذكره ابن القطيعي، فقال: أحد فقهاء الحنابلة المواصلة. ورد بغداد، وتفقه على القاضي أبي يعلى محمد بن محمد بن محمد بن الفراء، وسمع بها الحديث والأدب، كان تاليًا لكتاب الله، جمع كتابًا اشتمل على طبقات الفقهاء من أصحاب أحمد.
قلت: وله مصنف في شرح غريب ألفاظ الخرقي.
قال: وكان بالموصل عمر الملا، مقدمًا في بلده، فاتهمه بشيء من ماله. وكان خصيصًا به، وضربه إلى أن أشفي، ثم أخرجه إلى بيته وبقي أيامًا يسيرة.

وتوفي في رجب- أو شعبان- سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بالموصل رحمه الله.
وعمر هذا، كان يظهر الزهد والديانة، وأظنه كان يميل إلى المبتدعة. وقد تبين بهذه الحكاية أيضًا: ظلمه وتعديه.
علي بن عساكر بن المرحب بن العوام، البطائحي، المقرىء النحوي أبو الحسن الضرير:
ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائة- أو سنة تسعين- على الشك منه. وقرأ بالروايات على أبو العز القلانسي، وأبي عبد الله الدباس البارع، وسبط الخياط، وأبي بكر المزرفي، وأبي سعد الطيوري، وأبي طالب بن يوسف، وأبي الحسين بن الفراء. وقرأ الأدب على أبي البركات عمر بن إبراهيم الزيدي بالكوفة. وسمع الحديث من ابن الحصين، وأبي الحسين بن الزاغواني، وأبي بكر بن عبد الباقي، وأبي منصور القزاز، والمزرفي، وأبي القاسم السمرقندي، وغيرهم.
وكان من أئمة القراء وصنف في القراءات عدة مفردات، وكان بارعًا في العربية، ثقة جليلاً صالحًا. قال ابن النجار: كان إمامًا كبيرًا في معرفة القراءات، ووجوهها وعللها وطرقها وضبطها وتجويدها، وحسن الأداء والإتقان والصدق والثقة. وكانت له معرفة تامة بالنحو. وكان متدينًا، جميل السيرة، مرضي الطريقة. انتهى.
وقال الشيخ موفق الدين المقدسي عنه: كان مقرىء بغداد في وقته، وكان عالمًا بالعربية، إمامًا في السنة. قرأ عليه القرآن جماعة من الكبار، منهم: عبد العزيز بن دلف، وأبو الحسن بن الجمري. وحدث عنه جماعة، منهم: الحافظ بن الأخضر، وعبد الغني المقدسي، وعبد القادر الرهاوي، وأحمد بن البندنيجي، والشيخ موفق الدين، والشهاب بن راجح، وغيرهم.
وروى عنه بالإجازة: الخليفة الناصر العباسي، وقرأ عليه القرآن أيضًا: الوزير ابن هبيرة، وأكرمه ونوه باسمه. وكان الوزير قد قرأ بالروايات على رجل يقال له: مسعود بن الحسين الحنبلي، وادعى أنه قرأ على ابن سوار، وأسند الوزير القراءات عنه عن ابن سوار في كتاب "الإفصاح" فحضر البطائحي دار الوزير وابن شافع يقرأ عليه. فلما انتهى إلى قوله: وأما رواية عاصم فإنك قرأت بها على مسعود بن الحسين. قال: قرأت بها على ابن

سوار. وكان البطائحي قاعدًا في غمار الناس لأنه لم يكن حينئذ معروفًا، ولا له ما يتجمل به. فقام وقال: هذا كذب. ورفع صوته، ثم خرج. وبلغ الوزير الخبر، فطلبه وطلب مسعودًا وحاققوه. فتبين كذبه، وأنه لم يدخل بغداد إلا بعد موت ابن سوار بكثير، وأحضر البطائحي نسخة من المستنير بخط ابن سوار، فقوبل بخطها الخط الذي مع مسعود، ويدعي أنه خط ابن سوار، فبان الفرق بينهما.
وقال البطائحي: هو خط مزور بخط أبي رويح الكاتب. وكان خطه شبيهًا بخط ابن سوار. فأهان الوزير مسعودًا، ومنعه من الصلاة بالناس، قال له: لولا أنك شيخ لنكلت بك. ثم قرأ الوزير على البطائحي، وأسند عنه القراءات، وعلاّ قدره.
وذكر مضمون هذه الحكاية ابن النجار عن أحمد بن البندنيجي وكان شاهداً للقصة. وصار للبطائحي بعد ذلك اتصالاً بالدولة، ويدخل بواطن دار الخلافة. وكان ضريرًا يحفي شاربه. ووقف كتبه بمدرسة الحنابلة بباب الأزج.
وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد إسماعيل بن الجواليقي بجامع القصر، ودفن بمقبرة باب حرب. رحمه الله تعالى.

مسلم بن ثابت بن القاسم، بن أحمد بن النحاس البزاز البغدادي المأموني، الفقيه أبو عبد الله بن أبي البركات. ويعرف بابن جُوالق بضم الجيم: ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة.
وسمع من أبي علي بن نبهان، وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني وناظر وتطلس.
ذكره ابن القطيعي، وقال: سمع منه جماعة من الطلبة، وكتبت عنه. وكان صحيح السماع.
قلت: روى عنه ابن الأخضر. توفي يوم الأحد عشرين ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب حرب.

أحمد بن محمد بن المبارك بن أحمد بن بكروس بن سيف الدينوري
ثم البغدادي، أبو العباس بن أبي بكر بن أبي العز. ويعرف أيضًا بابن الحمامي. الفقيه الزاهد العابد: قرأ بالروايات على جماعة. سمع من ابن كادش وأبي بكر المزرفي. وتفقه على أبي بكر الدينوري. وكان رفيق ناصح الإسلام أبي الفتح بن المنّي في

سماع الدرس على الدينوري. وله مدرسة بدرب القيار ببغداد بناها. وكان يدرس بها: تفقه عليه جماعة منهم: الشيخ فخر الدين ابن تيمية، وحدث. روى عنه الشيخ موفق الدين.
وقرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي: كان فقيهًا زاهدًا، عابدًا مفتيًا.
وسمعته يتكلم في حلقه شيخنا ابن المنى، وعليه من نور العبادة وهدى الصالحين ما يشهد له.
وسئل عنه الشيخ موفق الدين. فقال: كان فقيهًا، صاحب مسجد ومدرسة يتكلم فيها في مسائل الخلاف ويدرس. وكان يتزهد.
وكان متزوجًا بابنة ابن الجوزي، وما علمنا منه إلا الخير.
توفي يوم الثلاثاء خامس صفر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.
وكان يومه مشهودًا.
ورأى رجل النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بعد موت أحمد بن بكروس وهو يقول: مات عابد الناس. وشاع هذا المنام في الناس. قرأته بخط ابن الحنبلي وكان أبوه أبو بكر محمد رجلاً صالحًا كثير الحج. سمع الحديث في كبره على جماعة.
ولأبي العباس ولد اسمه محمد، يكنى أبا بكر. سمع من أبيه وعمه على زمن ابن البطي، ويحيى بن بندار، وطبقتهم. وكان فقيهًا صالحًا. وتوفي شابًا سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.
صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحماد البغدادي الفقيه الأديب، الشاعر المتكلم، الكاتب المؤرخ أبو الفرج: ولد سنة سبع وسبعين وأربعمائة. وقرأ بالروايات. وسمع الحديث من أبي السعادات المتوكلي، وأبي الوفاء بن عقيل الإمام، وأبي الحسن الزاغوني، وأبي علي المبارك، وغيرهم. وتفقه على ابن عقيل، ثم من بعده على ابن الزاغوني، وبرع في الفقه، فرعه وأصوله.
وقرأ علم الجدل والكلام، والمنطق والفلسفة، والحساب، ومتعلقاته من الفرائض وغيرها. وكتب خطًا حسناً صحيحًا، وقال الشعر المليح، وأفتى وناظر، وانقطع بمسجده بالبحرية شرقي بغداد يؤم الناس فيه، وينسخ ويفتي، ويتردد إليه الطلبة يقرأون عليه فنون العلم، وبقي على ذلك نحوًا من سبعين سنة، حتى توفي.
وممن قرأ عليه من أصحابنا: الوزير أبو المظفر بن يونس.

وحدث وسمع منه جماعة، وروى عنه أبو المعالي بن شافع، والفقيه يعيش بن مالك بن ريحان. وله مسائل مفردة من أصول الدين، وجزء سماه "ضوء الساري، إلى معرفة الباري".
قال ابن النجار: وله مصنفات حسنة في أصول الدين. وقد جمع تاريخًا على السنين، بدأ فيه من وقت وفاة شيخه ابن الزاغوني، سنة سبع وعشرين وخمسمائة، مذيلاً به على تاريخ شيخه، ولم يزل يكتب فيه إلى قريب من وقت وفاته، يذكر فيه الحوادث، والوفيات. وقد نسخ بخطه كثيرًا للناس من سائر الفنون. وكان قوته من أجرة نسخه، ولم يطلب من أحد شيئًا، ولا سكن مدرسة، ولم يزل قليل الحظ، منكسر الأغراض، متنغص العيش، مقترًا عليه أكثر عمره.
وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء، سأل عن مسألة في الحكمة. فقيل له: إن صدقة الناسخ، له يد قوية في ذلك، فأنفذها إليه. فكتب فيها جوابًا حسنًا شافيًا، استحسنه الوزير، وسأل عنه حاله. فأخبر بفقره، فأجرى له ما يقوته، وعلمت الجهة "بنفشا" بحاله- يعني جهة الخليفة- فصارت تفتقده في بعض الأوقات، بما يكون بين يديها من الأطعمة الفاخرة والحلوى، فيعجز عن أكله، فيعطيه لمن يبيعه له، فكان ربما شكى حاله لمن يأنس به، فيشنع عليه من له فيه غرض، ويقول: هو يعترض على الأقدار، وينسبه إلى أشياء، الله أعلم بحقيقتها.
قال: وحكى لي بعض أصحابنا، قال: دخل بعض الناس على صدقة، وإلى جانبه مركن، وعليه خرقة مبلولة، قد اجتمع عليها الذباب، فقال له: ما هذا المركن. قال: فيه حلوى السكر يابسة، قد نقعتها في الماء لتلِين، وأقدر على أكلها لذهاب أسناني، وأعجبك أنه لما كانت لي أسنان صحاح قوية لم يقدرني القدر على التمر، فلما كبرت، وذهبت أسناني، رزقت هذه الحلوى اليابسة، لأزداد بنظري إليها، وعجزي عن أكلها حسرة، فكان الناس ينسبونه بهذا الكلام، وبما كان يعلم من العلوم القديمة إلى أشياء، لعله بريء منها.
قلت: يشير بذلك ابن النجار إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، فإنه حط عليه في تاريخه حطًا بليغًا، وذكر له أشعارًا رديئة، تتضمن الحيرة والشك، وكلمات تتضمن الاعتراض على الأقدار، وقال: هذا من جنس اعتراضات ابن الرواندي، ونسبه أيضًا إلى

تعاطي فواحش، وإلى المسألة من غير حاجة، وأنه خلف ثلاثمائة دينار.
وقال: لما كثر عثوري على هذا منه، وعجز تأويلي له، هجرته سنين، ولم أصل عليه حين مات والشيخ أبو الفرج رحمه الله ثقة فيما ينقل وإذا لبث أو اشتهر عن أحد مثل هذه الأمور، فهاجره وذامه معيب فيما يفعل.
وقال ابن القطيعي: كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة وكل واحد يقول في صاحبه مقالة، الله أعلم بها.
قال!: سمعت الوزير بن يونس- ومجلسه حفل بالعلماء- يثني على صدقة، وينكر على ابن الجوزي قدحه فيه، بقوله: صليت إلى جانب صدقة، فما سمعته يقرأ. وقال: الواجب أن يسمع نفسه، لا مَن إلى جانبه، وأين حضور قلب ابن الجوزي من سماع قراءة غيره؟ ثم من جعل همته إلى تتبع شخص، إلى هذا الحد في الصلاة، دل بفعله على عداوته، واللّه يغفر لهما.
قلت: هذا من أسهل ما أنكره ابن الجوزي عليه، ثم إنه قال: كنت أتأمله إذا قام إلى الصلاة، فأكون في أوقات إلى جانبه، فلا أرى شفتيه تتحرك أصلاً، لم يقل: لم أسمعه يقرأ.
وأما الفتيا التي عرفه الوزير بسببها، فقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه قال: جرى بين الوزير أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء وزير المستضيء مسألة في العلم: هل هو واحد، أم أكثر. وكان عنده جماعة من أهل العلم، كابن الجوزي وغيره، فسألهم عن ذلك؟ فكل كتب بخطه: إن العلم واحد، فلما فرغوا، قال: ترى ههنا من هو قيم بهذا العلم غير هؤلاء. فقال له بعض الحاضرين: ههنا رجل يعرف بصدقة الناسخ، يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها، فنفذ بالفتوى، وفيها خطوط الفقهاء، وقال: انظر في هذه، وقل ما عندك، فلما وقف عليها فكر طويلاً، متعجبًا من اتفاقهم على ما لا أصل له، ثم أخذ القلم، وكتب: العلم علمان: علم غريزي، وعلم مكتسب.
فأما الغريزي: فهو الذي يدرك على الفور، من غير فكرة، كقولنا: واحد وواحد، فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان.
وعلم مكتسب: وهو ما يدرك بالطلب، والفكرة والبحث، أو كلامًا هذا معناه، وأنفذ الخط إلى الوزير. فلما وقف عليه، أعجب به، وقال: أين يكون هذا الرجل؟ فعرف حاله وفقره، فاستدعاه إليه،

وتلقاه بالبشر، وخلع عليه خلعة حسنة، وأعطاه أربعين دينارًا، ففرح فرحًا عظيمًا، وقال: يا مولاي، قد حضر لي بيتان. قال: أنشدهما، فقال:
ومن العجائب والعجائب جـمة

شكر بطيء عن ندى متسـرع
ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب

فلأشكرن ندى أجاب وما دعى
فاستحسن ذلك، وما زال يبره إلى أن مات، سامحه الله.
توفي صدقة يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد برحبة الجامع، ودفن بباب حرب.
وقيل: إنه توفي يوم الأحد، رابع عشر.
وذكر ابن الجوزي عمن حدثه: أنه رئي له منامات غير صالحة، وأنه عريان، وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه، وأنه لم يغفر له، فالله تعالى يسامحه ويتجاوز عنه.
وذكر ابن النجار عن علي الفاخراني الضرير، قال: رأيت صدقة الناسخ في المنام، فقلت له: ما فعل اللّه بك. قال: غفر لي بعد شدة، فسألته عن علم الأصول. فقال: لا تشتغل به، فما كان شيء أضر عليّ منه، وما نفعني إلا خمس قصيبات- أو قال: تميرات- تصدقت بها على أرملة. قلت: هذا المنام حق، وما كانت مصيبته إلا من علم الكلام. ولقد صدق القائل: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح. وبسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة، كان يقع له أحيانًا حيرة وشك، يذكرها في أشعاره، ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع.
وقد رأيت له مسألة في القران، قرر فيها: أن ما في المصحف ليس بكلام الله، حقيقة، وإنما هو عبارة عنه، ودلالة عليه، وإنما يسمى كلام الله مجازًا.
قال: ولا خلاف بيننا، وبين المخالفين في ذلك، إلا أن عندنا: أن مدلوله هو كلام الله الذي هو الحروف والأصوات، وعندهم مدلول الكلام، الذي هو المعنى القديم بالذات.

أحمد بن أبي غالب بن أبي عيسى بن شيخون الأبرودي الحبابيني أبو العباس
الفقيه الضرير، كذا نسبه ابن النجار: وقال ابن الجوزي: أحمد بن عيسى بن أبي غالب، من قرية بدجيل، يقال لها: الحبابين.
دخل بغداد في صباه، وحفظ القرآن، وقرأه بالروايات على أبي محمد سبط الخياط، وسمع منه الحديث، ومن سعد الخير الأنصاري، ومن جماعة دونهما.
وقرأ الفقه على أبي العباس، أحمد بن بكروس، وحصل منه طرفًا صالحًا، ولما مات ابن بكروس، خلفه في مسجده ومدرسته.
وكان صالحًا. متدينًا. ومات شاباً لم يرو شيئًا. ذكر ذلك ابن النجار.
وقال ابن الجوزي: قرأ القرآن وسمع الحديث، وتفقه وناظر، وكان فيه دين.
قال ابن النجار: قرأت في كتاب أبي بكر عبد اللّه بن علي المارستاني بخطه قال: دخلت على أحمد الحبابيني عائدًا، فأنشدني متمثلاً:
سيبكي عليّ باكيَ العين بعد موتـه

ويبكي علي باكي البكاء إلى الحشر
فنفسي أعِدِّي فضل زاد من التقـى

فإنك في الدنيا ورجلاك في القبـر
توفي يوم الجمعة عاشر رجب سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه يومئذ بجامع القصر. ودفن بمقبرة الإمام أحمد عن نيف وأربعين سنة رحمه الله تعالى.
المظفر بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء أبو منصور ابن القاضي أبي يعلى ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى:
ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة.
وسمع الحديث، واشتغل بالفقه أصولاً وفروعاً. وبرع وناظر وتأدب، وقال الشعر الجيد.
ومن شعره:
لست أنسى من سليمى قولـهـا

يوم جد البين منـي وبـكـت
قطع اللـه يد الـدهـر لـقـد

قرطست إذ بالنوى شملي رمت
فجرى دمعي لمـا سـمـعـت

ووعت أذناي منها مـا وعـت
يا لها من قولة عن نـاظـري

نومة طول حياتي قـد نـفـت
ومن شعره أيضاً:
يا ربة الطرف الكحيل الذي

يرمي مني الأكباد بالنبـل
وربة الخد الأسـيل الـذي

يفعل فعل الصارم المجلي
هويتكم والقلب ذو صـحة

واليوم قد أصبح ذا خبـل
كان خليًّا فارغاً فانـثـنـى

بكم عن العالم في شغـل
عوفيتم من سقم حـل بـي

ولا رأتكم مقلتي مثـلـي
لا تقتلوا عبدًا أسـيرًا غـدا

وهو لكم أطوع من نعـل
والله لو جئت ومن دونكـم

نار ثوت تعمل في الجزل

وقلتم: طأها، ووطئي لهـا

يرضيكم أقحمتها رجلـي
توفي رحمه اللّه في عنفوان شبابه، يوم الجمعة لخمس عشرة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة. ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب.
محمد بن أبي غالب بن أحمد بن مرزوق بن أحمد الباقداري البغدادي الضرير المحدث، الحافظ أبو بكر: ولد بباقدار، قرية من قرى بغداد. وقدم بغداد في صباه، فتلا على جماعة.
وسمع الحديث من أبي محمد سبط الخياط، وأبي بكر بن الزاغوني، وابن الطلاية، وأبي الوقت، وابن ناصر الحافظ، وطبقتهم. وكثر السماع عليهم، وعلى من بعدهم.
وحدث، وسمع منه أبو الحسن علي بن عمر الزيدي الحافظ، وغيره.
وذكره ابن الدبيثي الحافظ، فقال: انتهى إليه معرفة رجال الحديث وحفظه. وعليه كان المعتمد فيه. وقال أبو الفتوح نصر بن الحصري الحافظ: كان آخر من بقي من حفاظ الحديث الأئمة.
قال الدبيثي: سمعت غير واحد من شيوخنا يذكرون أبا بكر الباقداري، ويصفونه بالحفظ ومعرفة الرجال والمتون، مع كونه ضريرًا مقصورًا، إلا أنه كان حفظة، حسن الفهم. بلغني: أن ابن ناصر كان يراجعه في أشياء، ويصير إلى قوله.
وقال الحافظ عبد العظيم المنذري: كان أحد حفاظ بغداد، المشهورين بمعرفة الرجال، والمتقدم مع ضرره، حدث وخرج.
قال الحافظ أبو بكر الباقداري: روى أبو بكر بن أبي داود عدة أحاديث، يقول فيها: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا سعد حدثنا الأعمش، بأسانيد متصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكنت لا أدري من إسحاق بن إبراهيم، ولا سعد? فأمعنت النظر، وأجدت التفتيش فلم أجده إلا فيما قرئ على المبارك بن أبي نصر البزاز -وأنا أسمع- قيل له: حدثكم عبد الله بن أحمد حدثنا أحمد بن علي الحافظ قال: حدثنا ذكر إسحاق بن إبراهيم الشيرازي: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن الحسين المحالمي- إملاء- حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف. حدثنا أحمد بن إبراهيم البردعي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الشيرازي، حدثنا جدي سعد

بن الصلت، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر من غير خوف ولا مطر. فقيل لابن عباس: لِمَ فعل ذلك. قال: كي لا يحرج أمته". وجمع أبو بكر في هذا جزءًا.
قلت: إسحاق هذا يعرف بشاذان، وهو إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله النهشلي الفارسي، وهو ابن بنت سعد بن الصلت قاضي فارس. روى عن جده أبي أمه سعد بن الصلت، وأبي داود الطيالسي، والأسود بن عامر.
قال ابن أبي حاتم: كتب إلى أبي، وإليَّ، وهو صدوق.
توفي أبو بكر الباقداري لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وهو في سن الكهولة. ودفن بالشونيزية، بتربة مقبرة أبي القاسم الجنيد، وهو والد عجيبة مسندة العراق.
المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد الطباخ البغدادي
نزيل مكة المكرمة، وإمام الحنابلة بالحرم، المحدث الحافظ أبو محمد: سمع الكثير ببغداد من أبي سعد بن الطيوري، وأبي العز بن كادش، وابن الحصين، وأبي بكر المزرفي، وابن غالب بن البنا، والقاضي أبي الحسين بن الفراء، وأبي منصور القزاز، وأبي القاسم بن السمرقندي، وأبي الحسين بن الزاغوني، وبهرام بن بهرام بن فارس البيِّع، وأبي بكر اللفتواني الأصبهاني، وغيرهم. وعنى بالطلب. وسمع الكثير. وقرأ بنفسه، وكتب بخطه. وكان صالحًا دينًا ثقة، وهو كان حافظ الحديث بمكة في زمانه، والمشار إليه بالعلم بها.
وحدث، وسمع منه خلق من القدماء، منهم: ابن السمعاني، وسمع منه جماعة من أصحابنا، منهم: أبو القاسم عبيد الله بن الفراء، وأبو العباس أحمد بن محمد بن الفراء، وأبو الفتح بن عبدوس الحراني، والوزير ابن يونس، وأبو عبد الله الأرتاحي، وغيرهم.
وتوفي في ثامن شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة بمكة. وكان يوم جنازته مشهودًا رحمه الله.
إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد بن الجواليقي

الأديب ابن الأديب، أبو محمد بن أبي منصور: ولد في شعبان سنة اثني عشرة وخمسمائة.
وسمع من أبي القاسم بن الحصين، وأبي بكر الأنصاري، وأبي الحسين بن الفراء، وأبي العز بن كادش، وأبي غالب بن البنا، وأبي القاسم بن السمرقندي وغيرهم.
وقرأ القرآن والأدب على أبيه، وكان عالمًا باللغة والعربية والأدب. وله سمت حسن. وقام مقام أبيه في دار الخلافة.
قال ابن القطيعي: سمعت ابن الجوزي يقول: ما رأينا ولدًا أشبه أباه مثله حتى في مشيه وأفعاله.
وتوفي يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة. وصلى عليه من الغد بجامع القصر. ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه.
وقال المنذري: هو أحد الفضلاء النساك، سمع من غير واحد، وحدث.
وقال الدبيثي: شيخ فاضل، له معرفة بالأدب، وقور، حسن الطريقة واختص بخدمة الخلفاء في أيام المستضيء.
سمع منه عمر القرشي، والمبارك بن أبي شتكين، وخلق كثير.
وقال ابن النجار: كان من أعيان العلماء بالأدب، صحيح النقل، كثير المحفوظ، حجة ثقة نبيلاً، مليح الخط. قرأ الأدب على أبيه حتى برع فيه. وكانت له حلقة بجامع القصر الشريف، يقرىء فيها الأدب كل جمعة. وكان يكتب أولاد الخلفاء، ويقرئهم الأدب، وكان على منهاج أبيه في حسن السمت، والديانة والنزاهة والعفة، وقلة الكلام، والرواية.
روى لنا عنه ابن الأخضر، وأثنى عليه ثناءً كثيرًا.
أحمد بن أبي الوفاء، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الصمد بن محمد بن الصائغ البغدادي
الفقيه الإمام أبو الفتح، نزيل حران: ولد ببغداد سنة تسعين وأربعمائة. قاله ابن القطيعي عنه.
وقال أبو المحاسن القرشي عنه: سنة سبعين.
ولزم أبا الخطاب الكلوذاني، وخدمه وتفقه عليه. وسمع منه، ومن أبي القاسم ابن بيان، وسافر إلى حلب وسكنها. ثم استوطن حران إلى حين وفاته. وكان هو المفتي والمدرس بها.

وقرأ عليه الفقه جماعة، منهم: الشيخ فخر الدين ابن تيمية.
وحدث بحلب وبحران.
سمع منه جماعة من أصحابنا ومن غيرهم، منهم: أبو الفتح بن عبدوس، والشيخ العماد المقدسي، والبهاء عبد الرحمن المقدسي، ومحمود بن الصقال، وأبو الحسن بن الصقال، وأبو الحسن بن القطيعي. وروى عنه في تاريخه.
قال: وأنشدني أبو الخطاب الكلوذاني لنفسه:
أنا شيخ وللمشايخ بالآداب

علم يخفى على الشبـان
فإذا ما ذكرتني فـتـأدب

فهو قرض يرد بالميزان
وروى عنه ابن صصري في معجمه، وابن الأستاذ، وغيرهما.
توفي رحمه الله بحران سنة ست وسبعين وخمسمائة، فيما ذكره ابن القطيعي.
وذكر الذهبي في تاريخه: أنه مات سنة خمس وسبعين.
علي بن محمد بن المبارك بن أحمد بن بكروس البغدادي، الفقيه، أبو الحسن، أخو أبي العباس أحمد السابق ذكره: ولد يوم الإثنين ثالث رجب سنة أربع وخمسمائة.
وسمع الحديث من ابن الحصين، والمزرفي، وأبي القاسم بن السمرقندي، وأبي غالب الماوردي، وأبي الحسن علي بن محمد الهروي، وزاهر بن طاهر الشحامي، وغيرهم.
وتفقه في المذهب، وبرع، وأفتى وناظر، ودرس بمدرسة أخيه آخرًا، وصنف في المذهب، وله كتاب "رؤوس المسائل"، وكتاب "الأعلام".
وحدث، وسمع منه جماعة، منهم: أبو الحسن بن القطيعي. وروى عنه في تاريخه.
ولزم بيته في آخر عمره لمرض حصل له، إلى أن توفي يوم الإثنين ثالث ذي الحجة، سنة ست وسبعين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد، رضي اللّه عنه.

علي بن أبي المعالي المبارك- وقيل: أحمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم بن الأحدب الوراق الدارقزي، ثم المحولي، الفقيه أبو الحسن، المعروف بابن غريبة:
وقال ابن النجار: رأيت نسبه بخط ابن مشق علي بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم، أبو الحسن بن أبي المعالي بن أبي الفضل.
ولد في منتصف رمضان سنة ست وخمسمائة.
وسمع الكثير من أبي القاسم بن الحصين، سمع منه المسند بكماله، ومن القاضي أبي بكر الأنصاري، والقاضي أبي الحسين بن الفراء، وأبي غالب بن الفراء، وأبي القاسم بن السمرقندي.
وسمع بمرْو من الخطيب أبي الفتح الكشميهني، وغيرهم.
وتفقه في المذهب على أبي القاسم بن قثامي، وأبي الفضل بن سيف، وقرأ الفرائض على القاضي أبي بكر. وكان ثقة، صحيح السماع، ذا عقل وتجربة، ولاه الوزير ابن هبيرة المظالم، يرفعها إليه. وانقطع في آخر عمره بالمحوّل، إلى أن مات، وأفلج قبل موته بشهر، وحدث، وسمع منه جماعة.
قال ابن النجار: كان فقيهًا، فاضلاً، حسن الكلام في مسائل الخلاف. وكان يكتب خطًا رديئًا.
وسمع منه من أصحابنا: أبو الفرج عبد الرحمن بن الحنبلي، وابن القطيعي، وابن الغزال، وروى عنه ابن الجوزي حكايات عدة.
وتوفي يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالمحول، وحمل على أعناق الرجال، فدفن بمقبرة الإمام أحمد، رضي الله عنه بباب حرب.
دلف بن عبد الله بن محمد بن عبد اللّه بن عمر بن التبان الأزجي، الفقيه أبو الخير:
سمع من ابن ناصر، وسعد الخير الأنصاري، وعبد الصبور الهروي، وأبي حفص الحربي وغيرهم. وصحب الشيخ عبد القادر، وتفقه عليه، ثم خرج من بغداد، ودخل خراسان، وأقام بنيسابور، فقرأ على محمد بن يحيى الفقيه، وسمع بها من أبي البركات عبد اللّه بن محمد الفزاري.
ودخل خوارزم، ومضى إلى سمرقند، وسمع بها من أبي المعالي محمد بن نصر المديني، وأبي القاسم محمود بن علي النسفي، وحدث هناك.

وروى عنه أبو سعد بن السمعاني في ذيله حكايات، وروى عنه أبو المظفر بن السمعاني في مشيخته، وأبو بكر الفرغاني خطيب سمرقند، وذكر أنه سمع منه في صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة.
كرم بن بختيار بن علي البغدادي، الرصافي الزاهد أبو الخير وقيل: أبو علي: ولد في حدود سنة أربع وتسعين وأربعمائة.
وسمع من أبي القاسم بن الحصين. وحدث، وسمع منه جماعة، منهم: ابن القطيعي.
وقال الناصح بن الحنبلي: سمعت منه جزءًا بقراءة الشيخ طلحة العلثي، قال: وزرته يومًا، وهو مضطجع على جنبه، والفقيه ابن فضلان- يعني: شيخ الشافعية- عنده يزوره، فأخذ بيد الشيخ كرم يقبلها تبركًا. وكان زاهدًا، منقطعًا بالرصافة.
وقال القطيعي: كان زاهدًا، ورعًا، سريع الدمعة، كثير العبادة.
وفي بعض الأوقات تصدر منه كلمات على خاطر الحاضر عنده.
وقال الدبيثي: كان أحد الشيوخ الموصوفين بالصلاح.
وتوفي يوم الأربعاء سادس ذي الحجة سنة تسع وسبعين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد، في دكة بشر الحافي.
وكان حنبليًا.
إسماعيل بن نباتة الفقيه، الملقب وجيه الدين:
قال ناصح الدين بن الحنبلي: سمع درس عمي الإمام بهاء الدين عبد الملك بن شرف الإسلام لما قدم من خراسان، وعلق عنه من تعليق أبي الفضل الكرماني، ثم سمع درس والدي، وحفظ "الهداية" لأبي الخطاب، حفظًا متقنًا، وحفظ أصول الفقه للبستي، وحفظ كثيرًا من مسائل التعليق. وكان يدرس القرآن كثيرًا، ويقوم به من نصف الليل. وكان يصلي الفجر على نهر بردى بحضرة القلعة، ويصلي العصر على عين بعلبك، وبالعكس، وربما قرأ في طريقه القرآن- أو كتاب "الهداية"- الشك مني.
قال: ولما قدمت من بغداد سنة ست وسبعين، وتكلمت في المسألة فرح بي. ومات قبل الثمانين وخمسمائة، ودفن بالجبل، جوار دير الحوراني. رحمه الله.
عبد الله بن علي بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، القاضي أبي القاسم ابن القاضي أبى الفرج ابن القاضي أبي خازم، ابن القاضي أبي يعلى:

ولد ليلة الإثنين رابع عشر ذي الحجة سنة سبع وعشرين وخمسمائة.
وأسمعه أبوه الكثير في صباه من أبي منصور القزاز، وأبي منصور بن خيرون، وعبد الخالق بن البدن، وأبي سعد الزوزني، وأبي البدر الكرخي، وأبي الحسن بن عبد السلام، وأبي الفضل الأرموي، وأبي محمد سبط الخياط.
وسمع هو بنفسه من ابن ناصر الحافظ، وأبي بكر بن الزاغوني، وسعيد بن البناء، وخلق من أصحاب القاضي، وابن البطر، وطراد، وطبقتهم. وبالغ في السماع والإكثار، حتى سمع من جماعة من المتأخرين.
وكتب بخطه، وحصل الكتب، والأصول الحسان الكبيرة، وتفقه، وكتب في الفتاوى مع أئمة عصره، وشهد عند أبي الحسن بن الدامغاني من سنة خمس وخمسين وكانت داره مجمعًا لأهل العلم، يحضرها المشايخ، ويقرأ عليهم وتحضر الناس منزله للسماع، وينفق عليهم بسخاء نفس، وسعة صدر. وحدث باليسير.
سمع منه ابن عمه أبو العباس أحمد، وأبو الحسن الزيدي، وابن الأخضر. وروى عنه. وكان يصفه كثيرًا بالسخاء وسمعة النفس، والبذل والعطاء. وحسن الخلق، ولطف المعاشرة.
وروى عنه ابن القطيعي في تاريخه. وأجاز للخليفة الناصر، وخرجوا له عنه في كتاب "روح العارفين".
وقرأت بخط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي، قال: سمعت عليه كتاب "صحيح الترمذي " بسماعه من الكروخي، بقراءة الشيخ طلحة العلثي، وأجزاء أخر. وكان جميلاً جليلاً، محترمًا وفاضلاً، ومن أعيان العدول ببغداد.
ومن تصانيفه "الروض النضر في حياة أبي العباس الخضر" وكانت عنده كتب جليلة أصيلة على مذهب الإمام أحمد. وخط الإمام أحمد كان أيضًا عنده. حكاه الشيخ طلحة في غالب ظني.
وكان في سنة ثلاث وسبعين قد علاه الشيب الكثير. وكنت لا أشبع من النظر إلى جمال وجهه، وحسن أطرافه، وسكينة عليه. ولزمه دين كثير. وحمل منه الهم الغزير.
وقال ابن القطيعي: جمع بين حسن الرأي والسمت، وعارف بأحكام الشريعة، من الشهادة والقضاء، مهيب المجلس، لم يزل منزله محلاً لقراءة الحديث وتدريس الفقه بحضرة الشيوخ،

وجماعة أصحاب الحديث، معروف بالكرم والإفضال. وله الأصول الحسنة والفوائد الجمة.
وسمع الحديث عاليًا ونازلاً، وجمع وصنف أنواعًا من العلوم.
وحمله بذل يده، وكرم طبعه على أنه استدان ما لا يمكنه الوفاء، فغلبه الأمر حتى باع معظم كتبه، وخرج عن يده أكثر أملاكه، واختفى في بيته لما فدعه من الديون. وبلغ به الحال إلى أن اغتيل في شهادة على امرأة بتعريف بعض الحاضرين، وأنكرت المرأة المشهود عليها ذلك الإشهاد. وكان ذلك سببًا لعزله عن الشهادة، فهو عدل في روايته، ضعيف في شهادته.
وتوفي رحمه الله يوم الجمعة يوم عيد الأضحى سنة ثمانين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد عند آبائه. وأبوه القاضي أبو الفرج على ابن القاضي أبي خازم.
حدث بإجازته من العاصمي، وأبي الفضل بن خيرون، وابن الطيوري، وغيرهم.
وسمع منه ابنه هذا، وأبو العباس القطيعي الفقيه، والحسين بن مهجل غيرهم، وتوفي في ليلة الأحد ثاني عشر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة.
ووهم ابن السمعاني في نسبته، فقال: هو علي بن عبيد الله بن محمد بن الحسين وذكره في موضع آخر على الصواب، وقال: سمع الحسين بن طلحة، فمن دونه. كتبت عنه أحاديث. وعمه القاضي أبو محمد عبد الرحيم ابن القاضي أبي خازم. سمع من القاضي أبيه، وعمه أبي الحسين، وأبي الحصين، وأبي العز بن كادش، وأسعد بن صاعد النيسابوري، وغيرهم، وحدث.
كتب عنه ابن القطيعي، وقال: سألته عن مولده. فقال: سنة تسع خمسمائة.
وتوفي ليلة الجمعة عشرين ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. ودفن عند آبائه، وله عدة أولاد سمعوا الحديث أيضًا.
عبد الرحمن بن جامع بن غنيمة بن البنا البغدادي، الأزجي الميداني الفقيه الزاهد أبو الغنائم. ويسمى أيضًا غنيمة:
ولد سنة خمسمائة تقريبًا.
وسمع الحديث من ابن أبي طالب اليوسفي، وابن الحصين، سمع عليه المسند كله، والقاضي أبي بكر بن عبد الباقي، وأبي السعادات المتوكلي، والحسين بن عبد الملك الخلال وغيرهم.

وتفقه على أبي بكر الدينوري. وقرأ الخلاف على أسعد المنهني وغيره. وبرع وأفتى وناظر ودرس بمسجده. وكان عارفًا بالمذهب صالحًا تقياً.
قال ابن الدبيثي: كان شيخًا صالحًا، فقيهًا مناظرًا على مذهب الإمام أحمد.
وقال ابن النجار: كان فقيهًا فاضلاً، ورعًا زاهدًا، مليح المناظرة، حسن المعرفة بالمذهب والخلاف.
وقال الشيخ موفق الدين عنه: كان فقيهًا من أصحابنا، وتولى مدرسة ابن بكروس بعد موته. ومضينا إليه مع الشيخ أبي الفتح- يعني ابن المنى- على عادة فقهاء بغداد وتكلمت يومئذ في مسألة قتل المسلم بالذمي. وكان يسكن بالميدان من باب الأزج ولذلك قيل في نسبه، الميداني: سمع منه عمر بن علي القرشي، وابن الدبيثي، وابن القطيعي.
وحدث عنه الشيخ موفق الدين، والبهاء عبد الرحمن المقدسيان، والموفق بن صديق، وعمر بن شخانه الحرانيان، وابن الأخضر، وأحمد بن البندنيجي، وابن الغزال الواعظ. وأجاز للخليفة الناصر.
وتوفي ليلة الإثنين ثامن شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.
ودفن من الغد بمقبرة باب حرب. رحمه اللّٰه تعالى.
علي بن عكبر بن عبد الله، أبو الحسين الضرير المقرىء الأزجي الفقيه:
قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير من ابن ناصر، وابن البطي، وغيرهما. وتفقه على أبي حكيم النهرواني. وقرأ عليه القرآن جماعة، وكان يحفظ طرفاً من المذهب. وكان من أهل الدين والصلاح. ذكره ابن النجار عن أبي العباس بن الفراء، وأنه قال: توفي ليلة الأربعاء عاشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.
ودفن بباب حرب إلى جانب شيخه أبي حكيم. رحمهما الله تعالى.
عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي، المحدث الزاهد، أبو المعز بن أبي حرب:
ولد سنة خمسمائة تقريبًا.
وسمع من أبي القاسم بن الحصين، وأبي العز بن كادش، وأبي غالب، وأبي عبد الله بن أبي علي بن البناء، وأبي الحسين بن الفراء، والمزرفي، والقاضي أبي بكر الأنصاري، وهبة اللّٰه الجريري، وأبي القاسم السمرقندي، وأبي منصور القزاز، وعبد

الوهاب الأنماطي، وزاهر الشحامي، وخلق كثير، وعنى بهذا الشأن.
وقرأ بنفسه على المشايخ، وكتب بخطه، وحصل الأصول، ولم يزل يسمع حتى سمع من أقرانه. وتفقه على القاضي أبي الحسين بن الفراء.
وكان صالحًا متدينًا، صدوقًا أمينًا، حسن الطريقة، جميل السيرة، حميد الأخلاق مجتهدًا في اتباع السنة والآثار، منظوراً إليه بعين الديانة والأمانة. وجمع وصنف وحدث، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته، وبورك له حتى حدث بجميع مروياته وسمع منه الكبار.
قال الدبيثي: عني بطلب الحديث وسماعه، وجمعه من مظانه. فسمع الكثير وقرأ عليه الشيوخ. وكتب وحصل الأصول، وخرج وصنف. وكان ثقة صالحًا. صاحب طريقة حميدة. وحدث بالكثير وأفاد الطلبة. سمعنا منه، وكتبنا عنه. ونعم الشيخ كان.
وروى عنه ابن السمعاني في كتابه شعرًا، وقال عنه: رفيقنا.
وروى عنه الشيخ موفق الدين، والحافظ عبد الغني، والبهاء عبد الرحمن المقدسيون.
وقدم دمشق، وحدث بها سنة ثمان وثلاثين.
قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي: سمعت من عبد المغيث طبقات أصحاب الإمام أحمد لأبي الحسين ابن القاضي بسماعه منه، بقراءة طلحة العلثي ببغداد. وكان - يعني عبد المغيث- حافظًا زاهدًا ورعًا. كنت إذا رأيته خُيّل إليّ أنه أحمد بن حنبل، غير أنه كان قصيرًا.
وقال الحافظ المنذري عنه: اجتهد في طلب الحديث، وجمعه، وصنف وأفاد، وحدث بالكثير. حدثنا عنه الفقيه أبو عبد الله أحمد بن صديق بحران.
وقال ابن القطيعي: كان أحد المحدثين مع صلابته في الدين، واشتهاره بالسنة، وقراءة القرآن. وجرت بينه وبين صاحب المنتظم- يعني: أبا الفرج بن الجوزي- نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية. كان عبد المغيث يمنع من سبه. وصنف في ذلك كتابًا، وأسمعه. وصنف الآخر كتابًا سماه ة الرد على المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد" وقرأته عليه. ومات عبد المغيث وهما متهاجران.

قلت: هذه المسألة وقع بين عبد المغيث وابن الجوزي بسببها فتنة، ويقال: إن عبد المغيث تتبع أبا الحسن بن البنا، فقيل: إنه صنف في منع ذم يزيد ولعنه، وابن الجوزي صنف في جواز ذلك.
وحكى فيه: أن القاضي أبا الحسن صنف كتابًا فيمن يستحق اللعن، وذكر منهم يزيد، وذكر كلام أحمد في ذلك. وكلام أحمد إنما فيه لعن الظالمين جملة، ليس فيه تصريح بجواز لعن يزيد معينًا.
وقد ذكر القاضي في المعتمد: نصوص الإمام أحمد في هذه المسألة، وأشار إلى أن فيها خلافًا عنه.
وقرأت بخط يحيى بن الصيرفي الفقيه الحراني، قال: حكى لي: أنه كان يومًا في زيارة قبر الإمام أحمد- يعني الشيخ عبد المغيث- وأن الخليفة الناصر، وافاه في ذلك اليوم عند قبر الإمام أحمد، فقال له: أنت عبد المغيث الذي صنف مناقب يزيد. فقال: معاذ الله أن أقول: إن له مناقب، ولكن من مذهبي: أن الذي هو خليفة المسلمين إذا طرأ عليه فسق لا يوجب خلعه. فقال: أحسنت يا حنبلي، واستحسن منه هذا الكلام، وأعجبه غاية الإعجاب.
قال ابن الصيرفي: ولقد حكى لي شيخنا محب الدين أبو البقاء: أن الشيخ جمال الدين بن الجوزي كان يقول: إني لأرجو من الله سبحانه أن أجتمع أنا وعبد المغيث في الجنة. قال: وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبد المغيث من عباد الله الصالحين، فرحمة اللّه عليهما.
قلت: ووقع أيضاً تنازع بين عبد المغيث وابن الجوزي في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فصنف عبد المغيث تصنيفين في إثبات ذلك، تبعًا لأبي علي البرداني.
ورد عليه ابن الجوزي في كتاب سماه "آفة أصحاب الحديث، والرد على عبد المغيث". وكان عبد المغيث قد حفر لنفسه قبرًا خلف هدف الإمام أحمد الذي هو مدفون فيه.
فقال ابن الجوزي: لا يجوز ذلك لأنها بقعة مسبلة، فلا يجوز تحجيرها، ولأن تلك البقعة لا تخلو من دفين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كسر عظم الميت ككسره حياً".
فقال عبد المغيث: حفرت فلم أجد عظمًا.

فقال ابن الجوزي: تلك بليت، وبقي رضاضها المحترم، ولا يجوز نبشها.
قال: ولأنك إذا وضعت في هذا القبر تكون رجلاك عند رأس أحمد إذ ليس بينهما إلا الهدف، وهذا سوء أدب. أما علمت أن المروذي قال: ادفنوني بين يديه، كما كنت أجلس بين يديه؟ قال: فلم يلتفت إلى ما قلت، ومر مع هواه.
قلت: إذا بلي الميت، فلم يبق له عظم ولا أثر، فظاهر المذهب: جواز نبش قبره والدفن فيه، خلاف ما قاله ابن الجوزي.
وصنف عبد المغيث: "الانتصار لمسند الإمام أحمد" أظنه ذكر فيه: أن أحاديث السند كلها صحيحة. وقد صنف في ذلك قبله أبو موسى. وبذلك أفتى أبو العلاء الهمداني، وخالفهم الشيخ أبو الفرج بن الجوزي.
وللشيخ عبد المغيث مصنف في حياة الخضر في خمسة أجزاء.
وله كتاب "الدليل الواضح في النهي عن ارتكاب الهوى الفاضح" يشتمل على تحريم الغناء وآلات اللهو وذكر فيه: تحريم الدُّفّ بكل حال، في العرس وغيره.
وأجاب عن حديث "أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف" بأن معناه: أعلنوه إعلانًا يبلغ ما يبلغ صوت الدف لو ضرب به لتمحوا سنة الجاهلية من نكاح البغايا المستتر به.
وأجاب عن حديث الجاريتين اللتين كانتا تُغنيان في بيت عائشة، بأنهما لم يكونا مكلفتين لصغرهما.
قال: وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على تسميته "مزمار الشيطان" وربما أشار إلى أنه منسوخ. وهذا مذهب ضعيف.
وللشيخ عبد المغيث قصيدة في السنة رواها عنه ابن الدبيثي، يقول فيها:
أفق أخا اللب من سكر الحياة فـقـد

آن الرحيل وداعي الموت قد حضرا
هل أنت إلا كآحاد الـذين مـضـوا

بحسرة الفوت لما استيقن الخـبـرا
وأنت تحرص فيما أنـت تـاركـه

إن كنت تعقل يوماً حقق النـظـرا
أيام عمرك كـنـز لا شـبـيه لـه

وأنت تشري الحصبـاء والـمـدرا
توفي رحمه الله ليلة الأحد ثالث عشر محرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وصلى عليه الخلق الكثير من الغد بالحربية. ودفن بدكة قبر الإمام أحمد مع الشيوخ الكبار. رحمهم اللّه تعالى.
وذكر ابن النجار في ترجمة داود بن أحمد الضرير الظاهري: أنه سمعه يقول: سمعت يعقوب بن يوسف الحربي يقول: رأيت عبد المغيث بن زهير الحربي في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل اللّه بك؟ فقال:
العلم يحيي أناساً في قبورهم

والجهل يلحق أحياء بأموات
نصر بن فتيان بن مطر النهرواني، ثم البغدادي، أبو الفتح الفقيه الزاهد، المعرف بابن المنّي
ناصح الإسلام، وأحد الأعلام، وفقيه العراق على الإطلاق: قال ابن القطيعي: ورأيت في أكثر مسموعاته: يكتب له أبو الفتح عبد اللّه بن هبة الله، المعروف بفتيان بن مطر.
قال: وسألته عن مولده؟ فقال: سنة إحدى وخمسمائة. وهذا أصح مما قاله المنذري: أنه ولد- ظنًا- قبل سنة خمسمائة.
وسمع الحديث من أبي بكر بن الدنف سنة إحدى عشرة، ومن القاضي أبي بكر بن عبد الباقي، وعبد الوهاب الأنماطي، وأبي الحسن بن الزاغواني، وأبي منصور القزاز، وأبي القاسم بن الحصين، وأبي نصر اليونارتي، وأبي غالب بن البنا، وأبي عبد الله البارع، والحسين بن عبد الملك الخلال، والأرموي، وابن ناصر، وأبي الوقت، وغيرهم.
وتفقه على أبي بكر الدينوري، ولازمه حتى برع في الفقه، وتقدم على أصحابه، وأعاد له الدرس. وصرف همته طول عمره إلى الفقه، أصولاً وفروعًا، مذهبًا وخلافًا، واشتغالاً وإشغالاً، ومناظرة. وتصدر للتدريس والاشتغال والإفادة، وطال عمره، وبَعُدَ صيتُه،

وقصده الطلبة من البلاد، وشدت إليه الرحال في طلب الفقه، وتخرج به أئمة كثيرون.
قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي وقد ذكر شيخه ابن المني، فقال: رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقراء معمورًا، وكل فقيه عنده من فضله وإفضاله مغمورًا، فأنخت راحلتي بربعه، وحططت زاملة بغيتي على شرعه، فوجدت الفضل الغزير، والدين القويم المنير، والفخر المستطيل المستطير، والعالم الخبير، فتلقاني بصدر بالأنوار قد شرح، منطق بالأذكار قد ذكر ومدح، وبباب إلى كل باب من الخيرات قد شرع وفتح. فتح الله عليه. حفظ القرآن العظيم وهو في حداثة من سنه. ولاحت عليه أعلام المشيخة، فرجح منه على كل فن بفضل اللّه ومَنَه.
قال لي المهذب بن قيداس: كنا نسمي شيخك شيخ صبي- يعني في صباه- لعقله ووقاره، وتركه اللعب. ثم قال: لم ينقل عنه: أنه لعب ولا لها، ولا طرق باب طرب، ولا مشى إلى لذة ومشتهى.
حدثني شيخنا الإمام ناصح الإسلام بن المنيّ قال: حصل لي من ميراث والدي عشرون دينارًا، فاشتريت بها شيئًا وبعته فأربحت، فخفت أن تحلو لي التجارة فأشتغل بها، فنويت الحج فحججت، وتجردت للحلم، فسمعت درس الشيخ أبي بكر الدينوري صاحب الشيخ أبي الخطاب الكلوذاني قال: فتفقه به ومال الفقهاء من أصحاب شيخه إلى الاشتغال عليه. ودرس بعد موت شيخه.
قال لي: تقدمت في زمن أقوام ما كنت أصلح أن أقدم مداسهم.
وقال لي رحمه الله: ما أذكر أحدًا قرأ عليّ القرآن إلا حفظه، ولا سمع درسي الفقه إلا انتفع. ثم قال: هذا حظي من الدنيا.
قال ابن الحنبلي: أفتى ودرس نحوًا من سبعين سنة، ما تزّج ولا تسرى، لا ركب بغلة ولا فرسًا، ولا ملك مملوكًا، ولا لبس الثياب الفاخر إلا لباس التقوى. وكان أكثر طعامه يشرب له في قدح ماء الباقلاّ. وكان إذا فتح عليه بشيء فرقه بين أصحابه. وكان لا يتكلم في الأصل. ويكره من يتكلم فيه، سليم الاعتقاد، صحيح الانتقاد في الأدلة الفروعية. وكنا نزور معه في بعض السنين قبر الإمام أحمد.
وسمعت الشيخ الإمام جمال الدين بن الجوزي وقد رآه يقول له: أنت شيخنا.

وأضرَّ بعد الأربعين سنة، وثقل سمعه. وكان تعليقه الخلاف على ذهنه، وفقهاء الحنابلة اليوم في سائر البلاد يرجعون إليه، وإلى أصحابه.
قلت: وإلى يومنا هذا الأمر على ذلك. فإن أهل زماننا إنما يرجعون في الفقه من جهة الشيخ والكتب إلى الشيخين: موفق الدين المقدسي، ومجد الدين ابن تيمية الحراني.
فأما الشيخ موفق الدين: فهو تلميذ ابن المني. وعنه أخذ الفقه.
وأما ابن تيمية: فهو تلميذ تلميذه أبي بكر محمد بن الحلاوي. وقد جمع بعض فضلاء أصحابه له سيرة طويلة. وهو أبو محمد عبد الرحمن بن عيسى البزوري الواعظ. وقفت على بعضها مما ذكره فيها.
قال: وكان رحمه اللّه كثير الذكر والتلاوة للقرآن لا سيما في الليل، مُكرِمًا للصالحين، مُحِبًّا لهم، ليس فيه تيه الفقهاء، ولا عجب العلماء. إن مرض أحد من تلامذته ومعارفه عاده، أو كانت لهم جنازة شيعها ماشيًا غير راكب، على كبر السن، وضعف البِنْية. زاهدًا في الدنيا، يقنع منها بالبلغة، وإذا جاءه فتوح أو جائزة من بيت المال وزعها بين أصحابه، وإن ناله منها شيء أعاده عليهم في غضون الأيام.
قال: ولقد حدثني من أثق به من أصحابنا: أنه جاءته صلة من بعض الصدور نحو أربعين دينارًا، ففرقها في يومه بين أهله وأصحابه، وما أخذ منها شيئًا. فلما كان آخر النهار قال لي: لو كنا عزلنا من ذاك الذهب قيراطين للحمام؟ وكان قوته كل يوم قرصين وربما لم يغنهما. وقال لي بعض أصحابه: إنه يستفضل منهما بعض الأيام ما يدفعه إلى السقا.
وكان معظم إدامه: أن يشتري له برغيف ماء الباقلاّ. وما رأيته جعل عليه دهنًا قط، راضيًا بذلك مع قدرته.
وكان يخدم نفسه بنفسه، لا يثقل على أحد من أصحابه، ولا يكلفهم شيئًا. اللهم إلا أن يعتمد على يد أحدهم في الطريق.
ولقد كنا عنده يومًا جماعة من أصحابه، فأوذن بالصلاة، فنهض بنفسه فاستقى الماء للتطهير، وما ترك أحداً منا ينوبه في ذلك، ولقد قدمت له نعله يوماً، فشق عليه، وجعل يقول: إيش هذا. إيش هذا؟ مثلك لا نسامحه في هذا.

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي. فقال: شيخنا أبو الفتح كان رجلاً صالحًا، حسن النية والتعليم. وكانت له بركة في التعليم. قل مَن قرأ عليه إلا انتفع، وخرج من أصحابه فقهاء كثيرون منهم من ساد. وكان يقنع بالقليل، وربما يكتفي ببعض قرصة، ولم يتزوج وقرأت عليه القرآن. وكان يحبنا ويجبر قلوبنا، ويظهر منه البشر إذا سمع كلامنا في المسائل. ولما انقطع الحافظ عبد الغني عن الدرس لاشتغاله بالحديث، جاء إلينا، وظن أن الحافظ انقطع لضيق صدره.
وذكر ابن الجوزي في المنتظم: أن المستضيء في أول خلافته جعل للشيخ أبي الفتح حلقة بالجامع، ثم بعد مدة أمر ببناء دكة له في جامع القصر، وجلس فيها للمناظرة سنة أربع وسبعين. وله تعليقة في الخلاف كبيرة معروفة.
وقرأ عليه الفقه خلق كثير. قد ذكر أعيانهم ابن البزوري في سيرته على حروف المعجم.
فمن أكابرهم وأعلامهم من الشاميين: الشيخ موفق الدين المقدسي، ورحل إليه إلى بغداد، والحافظ عبد الغني، وأخوه الشيخ العماد، والبهاء عبد الرحمن، والشهاب بن راجح، وناصح الدين بن الحنبلي.
ومن أكابر البغداديين: أبو بكر بن الحلاوي، والفخر إسماعيل، وقاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق، وأبو محمد عبد المنعم بن أبي نصر الباجسرائي، وابن أخيه أبو عبد الله محمد بن مقبل بن المنيّ.
ومن الحرانيين: الشيخ فخر الدين ابن تيمية، والموفق بن صديق، ونجم الدين ابن الصقيل.
وممن قرأ عليه: السيف الآمدي الأصولي، ثم تحول شافعيًا. وحدث، وسمع منه جماعة.
وروى عنه الشيخ موفق الدين، وبهاء الدين عبد الرحمن المقدسيان، وابن القطيعي في تاريخه.
قال جامع سيرته: دخلت عليه يوم الأحد خامس ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين، فقال لي: رأيت في المنام منذ أيام كأن حلقة كبيرة في وسط الرحبة، وفيها أولاد المحتشمين. وكان في وسطها رجل يقول:
واعلموا أن النوى قـد كـدرت

صفو الليالي، فاحذروا أن تندموا
قال: فالتفت إلى بعض أصحاب الشيخ، وقلت له: هذا المنام كأنه ينعي إلى الشيخ نفسه، فعاش الشيخ بعد ذلك تمام ثلاثة- أو أربعة- أشهر كما هو ظاهر.
قال: وابتدأ به المرض بعد نصف شعبان. وكان مرضه الإسهال. وذلك من تمام السعادة لأن مرض البطن شهادة. ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى عيادته من الأكابر والعلماء، والتلامذة والأصحاب.
فحدثني صاحبه أبو محمد إسماعيل بن علي الفقيه، وهو الذي تولى تمريضه قال: قال لي الشيخ يوم الخميس ثاني رمضان: أي فخر، آخر تعبك معي يوم الأحد؟ قال: وهكذا كان. فإنه توفي يوم السبت رابع شهر رمضان، ودفناه يوم الأحد- يعني خامس رمضان- سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.
قال: ونودي في الناس بموته، فانثال من الخلائق والأمم عدد يفوت الإحصاء.
فازدحم الناس، وخيف من الفتن، فنفذ الولاة الأجناد والأتراك بالسلاح، وفتح له جامع القصر، وازدحم الناس ازدحامًا هائلاً، وحمله أصحابه وغلمانه.
وحكى لي بعضهم: أنهم في حال حمل سريره لم يبق في رجل أحد منهم مداس إلا وشد. لفرط الزحام. فلما فرغوا من دفنه أعيدت إليهم لم يفقدوا منها شيئًا. وقدم الشيخ الصالح سعد بن عثمان بن مرزوق المصري إمامًا في الصلاة عليه، بعدما اجتهد المماليك والأتراك والأجناد في إيصاله إلى عند نعشه. وكان الناس قد ازدحموا على الشيخ سعد أيضًا يتبركون به، حتى خيف عليه الهلاك. وكانت جنازته قد قدمت إلى عند المنبر والشباك.
وحدثني أبو عبد الله محمد بن طنطاش البزار قال: لما وصل الشيخ سعد إلى جنازة الشيخ أمسك عن التكبير، وأطال الوقوف حتى سكن الناس وسكتوا، وهدأت الأصوات، بحيث لم يسمع سوى التكبير، ثم كبر فأعجب الناس ما فعل فلما صلى عليه عاد الزحام الخصام والاحتشاد في أبواب الجامع، على وجه ما شوهد مثله إلا ما شاء الله.

وذكروا: أنه كان أوصى أن يدفن في دار بعض أهله جنب مسجده، فحمل إلى الموضع، ودفن فيه، وفتح موضع في المسجد إلى قبره لزيارة الناس.
وقال ابن القطيعي: حضر جنازته قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني، ودفن بداره الملاصقة لمسجده ثم قطع موضع قبره من الدار، وأدخل إلى مسجده بالمأمونية رأس درب السيدة.
رحمه الله تعالى.
وذكر جامع سيرته، قال: حدثني الحافظ أبو بكر محمد بن عثمان الحازمي، وكتبه لي بخطه، قال: رأيت الشيخ الإمام الفقيه أبا الفتح بن المني في المنام بعد موته، وكأنه في موضع كبير والمع، وهو فرحان مسرور، وعليه ثياب بيض شديدة البياض، وعلى رأسه طرحة، فجعلت أسلم عليه وأكلمه. وكان بيننا ثَمَ ستر كبير.
وكلام هذا معناه لم أحفظه.
قال صاحب سيرته: ورأيته أنا في المنام، فسلمت عليه، فالتفت إليَّ كالمعتب وكأنه يقول لي: استبشر بقدومي. وما زالوا من صلاة المغرب يضربون بالصَّوالي. ولو رأيت الجمع الذي كان.
وكلامًا آخر لم أفهمه. رضي اللّه عنه.
قال: ورثاه رفيقنا النجم عبد المنعم بن علي بن الصقال الحراني، أحد أصحابه، وأملاه عليَّ من لفظه:
إلام يشجيك ذكر الربع والطلل

ويستخف بهاك الفنج في المقل

فإن دعاك دَدِدٌ لبيت دعـوتـه

مدلهاً غير منقاد إلى الـعـذل

ذر الهوى فعطاياه معاطـبـه

وجده بالمنى شر من البخـل

ولا تُصِخْ لقريض بعدها أبـدًا

وإن توحد في مدح وفي غزل

ما لم تَرْثَ قوافيه التي جـمـعـت

صفاتُه الغربين: العلم والـعـمـل
ومن غدا ناصر الإسـلام يحـرسـه

بهمة لم يقصر عن سـمـا زُحَـل
وطال ما خدم الرحمن معـتـكـفـاً

على العبادة لا ينصاغ لـلـكـسـل
إن روق الليل جافى الحبر مضجعه

يتلو بدمع غزير واكـف هـطـل
أو أتحف الجو أنوار الـضـيا ابـن

ذكا غدا لتدريس علم واسع جـلـل
وإن بدا مشكل في الشرع متعـلـق

أتى به ظاهرًا حقاً علـى عـجـل
واهاً لما حاز من علم وكم قـدمـت

إلى خصائصه مهمـا مـن رجـل
فيشهد الفضل مبـذولاً لـطـالـبـه

ويدرك الفضل في أحلى من العسل
فما انثنى عمره المحروس عن زلل

واعتناقه الخير عن قول وعن عمل
حتى أفاد صحاباً كـلـهـم بـطـل

يوم الجدال عريق الأصل في الجدل
إن تأته تلق ليثـاً فـي عـرينـتـه

ذا همة غير نزاع إلى الـفـشـل
يريك قس أياد مـن فـصـاحـتـه

ويحسن القول في الأحكام والعلـل
يفرقون جموع الخـصـم فـي دعة

تفريق شمل جموع الكفر سيف علي

أخبرنا أحمد بن عبد الكريم البعلي، حدثنا عبد الخالق بن علوان، حدثنا أبو محمد بن قدامة قال: قرأت على شيخنا أبي الفتح نصر بن فتيان، أخبركم الإمام أبو الحسن بن الزاغوني، حدثنا أبو القاسم بن البسري، أنبأنا الإمام أبو عبد اللّه بن بطة، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا موسى بن عبد الرحمن بن العلاء، حدثنا عطاء بن مسلم عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مريم، قال: "رأيت على عليّ بن أبي طالب بردًا خلقًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة. قال: وما هي? قلت: تطرح هذا البرد وتلبس غيره، فقعد وطرح البرد على وجهه، وجعل يبكي، فقلت: لو علمت أن قولي يبلغ هذا منك ما قلته. فقال: إن هذا البرد كسانيه خليلي. قلت: ومن خليلك? قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. إن عمر ناصَحَ الله تعالى فنصحه".
اجتمع في هذا الإسناد خمسة من أئمة الحنابلة: أبو بكر بن أبي داود، وابن بطة، وابن الزاغوني، وابن المني، والشيخ موفق الدين. رضي الله عنهم أجمعين.
علي بن محمد بن علي بن الزيتوني، الفقيه أبو الحسن البغدادي. المعرف بالبراندسي

و "براندس" قرية من قرى بغداد: قال ابن القطيعي: سألته عن مولده؟ فقال: ما أعلم، ولكنني ختمت القرآن سنة ثمان وخمسمائة.
قال: وسمع من ابن الحصين. وذكر عبد المغيث: أنه سمع جميع مسند الإمام أحمد منه، وسمع من القاضي أبي الحسين بن الفراء وغيرهما. وتفقه وناظر، وأفتى ودرس.
قلت: ولما بنى الوزير ابن هبيرة مدرسته بباب البصرة ولاّه تدريسها، فكان يدرس بها. وحدث، وسمع منه غير واحد.
قال ابن القطيعي: كتبت عنه. وكان قليل الرواية، ثقة صالحًا.
قال: وسمعته يقول: استيقظت من منامي وأنا أنشد هذين البيتين، ولا أعلم قد قيلا قبلي، أو أنشدتهما لنفسي، إلا أني لم أسمعهما من أحد، وهما هذان:
ليت السباع لنا كانت مجاورة

وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا
إن السباع لتهدي في مواطنها

والناس ليس بهاد شرهم أبدا
قال ابن القطيعي: وهذان البيتان في العزلة للخطابي، بإسناده عن الربيع عن الشافعي أنه أنشدهما. ولفظه "ليت الكلاب".
وأنشدهما أبو بكر بن المرزبان عن أبي بكر العنبري "إن السباع، وإننا لا نرى" وزادهما ثالثًا:
فاهرب بنفسك واستأنس بوحدتها

تلقى السعود إذا ما كنت منفردًا
قلت: وهذه في العزلة لابن أبي الدنيا.
قال ابن القطيعي: وفي سنة اثنين وسبعين، عملت دعوة للصوفية والعلماء على اختلاف مذاهبهم، فمنهم من أكل وانصرف، ومنهم من حضر السماع، وكان البراندسي ممن عجز عن الخروج مع من أكل وانصرف، فأقام وأغلق الباب دونه، وحضر السماع، فحيث علم أهل باب البصرة تخلفه دون جميع أصحابه كابن الجوزي، وابن عبد القادر، قالوا فيه الشعر. وهجره

جماعة من عوامهم. فأنشدني الشيخ أبو عبد الله الخياري لنفسه فيه:

أيها الشيخ، من ينافق خلوة

يظهر الله ذلك الفعل جلوة
كنت تفتي أن الـسـماع حـرام

كيف حل السماع يوم الـدعـوة?
عشت ما عشت بين زهد ونـسـك

وتسميت فـي الـشـريعة قـدوة
ثم خلعت العذار في اللهو والرقص

وبين البلى وبـينـك خـطـوة
كنت حقاً لو رقص الطفل حوقلت

وأنكرت بـارتـعـادٍ وسـطـوة
كيف جاز الجلـوس بـين حُـداة

لم يفت في سماعهم غير قهـوة?
لا تبهرج فلـيس عـنـدك عـذر

يلزم القوم ما أتـوا بـك عـنـوة
إنما أنت حين خبرت أن الرقـص

من بعـده صـحـاح وكـسـوة
ودجاج وبـط حـثـك الـبـخـل

فلا تعتـر بـقـولـك شـقـوة
ودع الآن شغـلـك بـالـفـقـه

وخذ في لـبـاس دلـق وركـوة

قال: وسمعت ابن الجوزي يقول: دخل البراندسي الدعوة وأكل، وأراد الانصراف معنا، فأغلق الباب دونه. وما علم حقيقة ما يجري، وحصل هناك، لا أنه اختار هذا.
وتوفي يوم الثلاثاء لست عشرة خلت من ربيع الأول، سنة ست وثمانين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب. رحمه اللَّه تعالى.
وقد ذكره المنذري الحافظ في وفياته، فيمن توفي سنة ست وثمانين، فقال: وفي السادس عشر من شهر ربيع الأول توفي الفقيه الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرىء الضرير، ودفن عند قبلة جامع المنصور. ومولده سنة ثمانين وأربعمائة تفقه على مذهب الإمام أحمد، وسمع من ابن الحصين، وإسماعيل بن السمرقندي، وأبي غالب بن البنا، وغيرهم وحدث، وأقرأ، فخالف ما ذكره ابن القطيعي في مدفنه، فالله تعالى أعلم بالصحيح من ذلك.
وأما قوله: إن مولده سنة ثمانين وأربعمائة فغلط محض فإنه على قوله يكون قد جاوز المائة بست سنين، فأين آثار ذلك من تفرده عن أقرانه بالسماع من الشيوخ. ثم قد سبق أن القطيعي سأله عن مولده. فذكر ما يدل على أنه قبل الخمسمائة بنحو سنتين. وهذا هو الصحيح. ووصفه بأنه ضرير، ولم يصفه القطيعي بذلك.
نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي
لشيرازي الأصل، الدمشقي الأنصاري، الشيخ نجم الدين أبو العلاء بن شرف الإسلام ابن الشيخ أبي الفرج، شيخ الحنابلة بالشام في وقته: قرأت بخط ولده ناصح الدين عبد الرحمن: أنه ولد سنة ثمان وتسعين وأربعمائة. وأفتى ودرس وهو ابن نيف وعشرين سنة، إلى أن مات، وعاش هنيًا مرفهًا، لم يَلِ ولاية من جهة سلطان، وما زال محترماً معظمًا، ممتعًا قويًا.
قال لي قبل أن يموت بسنة: رأيت الحق عز وجل في منامي، فقال لي: يا نجم أما علمتك وكنت جاهلاً. قلت: بلى يا رب، قال:

أما أغنيتك وكنت فقيرًا. قلت: بلى يا رب، قال: أما أمت سواك وأحييتك. وجعل يعدد النعم، ثم قال: قد أعطيتك ما أعطيت موسى بن عمران.
ولما مرض مرض الموت، رآني وقد بكيت، فقال: إيش بك.
فقلت: خير، فقال: لا تحزن عليّ أنا ما توليت قضاء، ولا شحنكية، ولا حبست، ولا ضربت، ولا دخلت بين الناس، ولا ظلمت أحدًا، فإن كان لي ذنوب، فبيني وبين الله عز وجل. ولي ستون سنة أفتى الناس، واللّه ما حابيت في دين الله تعالى.
وكان يقول قبل موته بسنين: سَنَتي سنة ست وثمانين، إلى أن دخلت سنة ست وثلاثين، فقال: هذه سنتي، فقلنا: كيف تقول هذا? قال: هي سنة أبي وجدي لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وجده مات سنة ست وثمانين وأربعمائة، وكان الأمر كما قال.
قال: وكان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر، إذا أشكل عليهما شيء سألا والدي.
قال: وخرج له أبو الحسين سلامة بن إبراهيم الحداد شيخه، وسمعناها عليه بقراءته.
وذكر الحافظ المنذري في وفياته: أن له إجازة من أبي الحسن بن الزاغوني وغيره.
قال: وتوفي ثاني عشري ربيع الآخر، سنة ست وثمانين وخمسمائة، ودفن بسفح قاسيون.
وقاد غيره: شيعه خلائق. وقد سبق ذكر أخي بهاء الدين عبد الملك. وكان له أيضًا عدة إخوة.
منهم: الشيخ سديد الدين عبد الكافي بن شرف الإسلام.
قال ناصح الدين: كان فقيهًا متطهرًا، ووعظ في شبابه، وكان يذكر الدرس في الحلقة، مستندًا إلى خزانة أبيه، وكان صينًا، وربما خطب في الإملاكات المعتبرة.
وكان شجاعًا شديداً، مات بعد الثمانين والخمسمائة، وقبره تحت مغارة الدم.
ومنهم: الشيخ شمس الدين عبد الحق بن شرف الإسلام.
قال الناصح: كان فقيهًا عاقلاً، عفيفًا، حسن العشرة، كثير الصدقة، رحيم القلب. سافر في طلب العلم، وقرأ كتاب "لهداية" على الشيخ أحمد الحراني الحنبلي، دخل بلاد العجم،

ورأى أئمة خراسان، وعاد إلى دمشق، وصحب أخاه، والذي يسمع درسه ويعيد له وهو بين يديه كالحاجب. ومات ودفن بسفح قاسيون.
ومنهم: الشيخ شرف الدين محمد بن شرف الإسلام.
كان فقيهًا، فرضيًا، يعرف الغزوات، ويعبر المنامات، ويتجر، ولا يداخل الملك.
وتوفي ودفن بالباب الصغير.
ومنهم: الشيخ عز الدين عبد الهادي بن شرف الإسلام.
كان فقيهًا واعظًا، شجاعًا، حسن الصوت بالقرآن، شديدًا في السنة، شديد القوى، يحكى له حكايات عجيبة، في شدة قوته.
منها: أنه بارز فارسًا من الإفرنج، فضربه بدبوس فقطع ظهره وظهر الفرس فوقعا جميعًا، وكان في صحبة أسد الدين شيركوه إلى مصر، وشاهده جماعة رفع الحجر الذي على بئر جامع دمشق، فمشى به خطوات ثم رده إلى مكانه، وله أخبار في هذا الباب غريبة، وبنى مدرسة بمصر، ومات قبل تمامها، وتوفي بمصر.
ومما وقفت عليه من فتاوى نجم الدين بن عبد الوهاب بن الحنبلي: أن من أراد أن يحلف بالطلاق، فقال لامرأته: علي الطلاق ثلاث بتات، وأراد أن يقول: إن لم أتحول من الدار، ثم تفكر في ضرر التحويل، فسكت على قوله بتات، إعراضًا عن اليمين بالكلية، لا أراده لوقوع الطلاق: أنه إذا لم يقصد بذلك الإيقاع، بل قصد التعليق، ثم سكت عقيب ذكر الطلاق، لا قاصدًا له، بل أراد إبطال اليمين، فإنه يدين في ذلك فيما بينه وبين الله، ولا يلزمه الطلاق في الباطن.
وبمثل هذا صرح صاحب المحرر فيه، وهو قول مالك والليث بن سعد. وحكى عن الشافعي أيضًا، ولا أعلم في ذلك نصًا لأحمد، ولا لأحد من متقدمي أصحابنا.
وقياس نصوص أحمد وأصوله: أنه لا يدين في ذلك، بحيث أنه يمتنع وقوع الطلاق به. ولو وجد شرطه الذي أراد تعليقه عليه، فإن المنصوص عن أحمد، في مواضع متعددة من كلامه: أن الحلف بالطلاق ليس بيمين، وليس حكمه حكم سائر الأيمان، وإنما هو طلاق معلق بشرط، ولو قصد بتعليقه الحض والمنع،

وحينئذ فينبغي أن يكون حكم هذا حكم من طلق، وقال: نويت تعليق الطلاق بشرط.
والمذهب في ذلك عند القاضي ومن اتبعه من أصحابنا: أنه يدين في ذلك، ولا يقع به الطلاق في الباطن إلا بوجود الشرط. وهل يقبل منه في الحكم. خرجوه على روايتين.
ونص أحمد في رواية مهنا: على أنه لا يدين، كقول أبي حنيفة وأصحابه، وتأوله القاضي على أنه أراد أنه لا يقبل منه في الحكم. وهو تأويل بعيد.
فعلى ظاهر رواية مهنا: يقع الطلاق في الحال، وإن أراد الحلف به، ثم تركه.
وعلى المذهب عند القاضي وأصحابه: ينبغي أن لا يقع الطلاق حتى يوجد الشرط الذي أراد أن يحلف عليه، كما لو أراد تعليق الطلاق بشرط يأتي لا محالة، ثم بدا له أن يترك تعليقه، فإن هذا التعليق يمين على أشهر الوجهين للأصحاب، بل أومأ إليه أحمد. وقد حكى عنه صريحًا. فيكون تعليق الطلاق عنده كله يسمى يمينًا، وحكمه حكم الطلاق، لا حكم الأيمان، فيلزم من قال بالشرط: أنه إذا أراد اليمين بالطلاق، فتلفظ بالطلاق، ثم قطع بقية كلامه: أنه لا تطلق امرأته بذلك، ولو وجد الشرط أن يقول ههنا في التعليق بما يأتي: لا محالة كذلك. وهو في غاية البعد.
وقد استوفينا الكلام على هذا في كتابنا المسمى ب "الكشف والبيان عن مقاصد النذور والأيمان" وباللّه التوفيق.
عبد الله بن عمر بن أبي بكر المقدسي
الفقيه الإمام أبو القاسم سيف الدين: ولد سنة سبع وخمسين وخمسمائة بقاسيون.
ورحل إلى بغداد، وسمع بها من جماعة. وتفقه وبرع في معرفة المذهب والخلاف والمناظرة. وقرأ النحو على أبي البقاء، وحفظ الإيضاح لأبي علي، وقرأ العروض. وله فيه تصنيف.
قال الحافظ الضياء: اشتغل بالفقه والخلاف والفرائض والنحو، وصار إمامًا عالمًا، ذكيًا فطنًا، فصيحًا مليح الإيراد، حتى إني سمعت بعض الناس يقول عن بعض الفقهاء أنه قال: ما اعترض السيف على مستدل إلا ثلم دليله. وكان يتكلم في المسألة غير مستعجل بكلام فصيح، من غير توقف ولا تتعتع.

وكان رحمه اللّه حسن الخَلق والخُلق، أنكر منكرًا ببغداد، فضربه الذي أنكر عليه، وكسر ثنيته. ثم إنه مكّن من ذلك الرجل، فلم يقتص منه.
قال: وسافرت معه إلى بيت المقدس، فرأيت منه من ورعه وحسن خلقه ما تعجبت منه.
قال: وشهدنا غزاة مع صلاح الدين، فجاء ثلاثة فقهاء، فدخلوا خيمة أصحابنا فشرعوا في المناظرة، وكان الشيخ موفق الدين والبهاء حاضرين، فارتفع كلام أولئك الفقهاء، ولم يكن السيف حاضرًا، ثم حضر فشرع في المناظرة، فما كان بأسرع من أن انقطعوا من كلامه.
وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول: كان أبو القاسم عبد اللّه بن عمر فيه من الذكاء والفطنة ما يدهش أهل بغداد. وكان يحفظ درس الشيخ إذا ألقي عليه مرة أو مرتين. وكنت أنا أتعب حتى أحفظه. وكان مبرزًا في علم الخلاف. وكان ورعًا، يتعلم من العماد، ويسلك طريقه.
وسئل عنه الشيخ موفق الدين. فقال: سافر إلى بغداد صغيرًا، وسمع بها كثيراً، وتفقه بها وصار فقيهًا حسنًا، حسن الكلام في المناظرة، فصيح اللسان، حسن الخط. وقرأ في العربية. وشرع هو والمحب أبو البقاء في تصنيف كتاب فيها ثم قدم الشام، وخرج إلى الغزاة معنا، ثم سافر إلى حران، وتوفي بها شابًا رحمه الله تعالى في حياة أبيه.
توفي بحران في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة.
ورثاه سليمان بن النجيب بقوله:
على مثل عبد الله يفترض الحزن

وتسفح آماق ولم يغتمض جفـن
عليه بكى الدين الحنيفي واكتـفـا

كما قد بكاه الفقه والذهن والحسن
وهي طويلة.
ورثاه جبريل المصيصي المصري بقوله:
صبري لفقدك عبد الله مفقـود

ووجد قلبي عليك الدهر موجود
عدمت صبري لما قيل إنك في

قبر بحران سيف الدين مفقـود
نبكي عليك بشجو بالدماء كمـا

تبكي التعاليق حقاً والمسـانـيد
وللمشايخ تعديل علـيك كـمـا

للطير في الدوح تغريد وتعديد
وذكر باقيها. وهي ستة وعشرون بيتاً.
يحيى بن مقبل بن أحمد بن بركة بن عبيد الملك بن عبد السلام بن الحسين بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن ثابت بن عمرو بن عامر بن داود بن إبراهيم بن محمد السجاد بن طلحة بن عبد الله التيمي القرشي البغدادي الحريمي، أبو طاهر بن أبي القاسم بن أبي نصر، المعروف بابن الصدر
وهو لقب عبد الواحد المذكور في نسبه. ويعرف أيضًا بابن الأبيض: ولد في شعبان سنة سبع عشرة وخمسمائة.
وسمع من ابن الحصين، وأبي بكر الأنصاري، وأبي منصور القزاز، وغيرهم.
وتفقه في المذهب، وناظر في حلق الفقهاء، وحدث.
قال ابن القطيعي: كتبت عنه. وكان ثقة.
قال: وتوفي يوم الإثنين في شهر شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة. ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب.
وقال المنذري: توفي في العشر الأخير من ذي القعدة.
قال ابن الجوزي في كتاب "الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد" حدثني أبو طاهر بن الصدر الفقيه: أن هذا الشيخ- يعني عبد المغيث الحربي- زوج رجلاً، فقال له: زوجتك بحق وكالتي بنت أخي فلان.
قال الفقيه: فلقيت المتزوج. فقلت له: ما انعقد لك عقد، ولا يحل لك قربان المرأة لأن أبا هذه المرأة له أربع بنات. وهذا العاقد ما سمى المزوجة. فعجب الناس من عدم فهمه للفقه.

نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن ثال بن وزر بن عطاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار النميري، الأديب الشاعر، أبو المرهف، وأبو الفتح أيضًا:
كذا نقلت نسبه من خط القطيعي. وقال: أملاه عليّ وقال لي: ولدت يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة بالرافقة بقرب رقة الشام.
كان النميري من أولاد أمراء العرب. نشأ بالشام، وخالط أهل الأدب، وقال الشعر الفائق وهو مراهق. وأصابه جدري وله أربع عشرة سنة، فضعف بصره، حتى كان لا يرى إلا ما قرب منه. ثم قدم بغداد لمعالجة بصره، فآيسه الأطباء منه، فعمي. وأقام ببغداد، وسكن بباب الأزج، فحفظ القرآن العظيم. وسمع الحديث من ابن الحصين، والقاضي أبي بكر، وعبد الوهاب الأنماطي، وأبي الحسن بن الزاغوني، وأبي منصور القزاز، ويحيى بن حبيس الفارقي، وابن ناصر وغيرهم. وبالكوفة: من أبي الحسن بن غيره، وتفقه في مذهب الإمام أحمد.
وقرأ العربية والأدب على أبي منصور بن الجواليقي، وصحب العلماء والصالحين. كالشيخ عبد القادر، وغيره، ومدح الخلفاء والوزراء.
وله ديوان شعر حدث به. وكان فصيح القول حسن المعان، ذا دين وصلاح وتصلب في السنة.
قال ابن القطيعي: منع الوزير ابن هبيرة الشعراء من إنشاد الشعر بمجلسه، فكتب إليه النميري قصيدة سمعتها من لفظ النميري. فكتب الوزير على رأسها بخطه: لو كان الشعراء كلهم مثله في دينه وقوله لم يمنعوا، وإنما يقولون ما لا يحل الإقرار عليه، وهو فالصديق وما يذكر يوقف عليه، ورسومه تزاد ولا تنقص، والسلام.
وقد حدث النميري بحديثه وشعره، وسمع منه القطيعي، وغيره. وروى عنه عثمان بن مقبل الياسري، وبهاء الدين عبد الرحمن المقدسي، وابن الدبيثي، ويوسف بن خليل وغيرهم.

وتوفي يوم الثلاثاء عشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد عند الشهداء رحمه الله.
ومن شعره، وقد سئل عن مذهبه واعتقاده فأنشد:
أحب علياً والبتول وولـدهـا

ولا أجحد الشيخين حق التقدم
وأبرأ ممن نال عثمان بـالأذى

كما أبرأ من ولاء ابن ملجـم
ويعجبني أهل الحديث لصدقهم

فلست إلى قوم سواهم بمنتمي
وقد روي البيت الثالث على وجه آخر.
ومن شعره وقرأته بخط السيف بن المجد الحافظ:
سبرت شرائع العلماء طرًا

فلم أرَ كاعتقاد الحنبـلـي
فكن من أهله سرًا وجهـرًا

تكن أبدًا على النهج السوي
هم أهل الحديث وما عرفنا

سوى القرآن والنص الجلي
ومما أنشده عنه ابن القطيعي، وقال: أنشدني لنفسه:
وكفى مؤذناً باقتراب الأجـل

شباب تولـى وشـيب نـزل
وموت اللذات، وهل بـعـده

بقاء يؤملـه مـن عـقـل?
إذا ارتحلت قرناء الـفـتـى

على حكم ريب المنون ارتحل
هو الموت لا تحتمي للنفـوس

من خطبه بالرقى والـحـيل
إذا صال كان سـواءً عـلـيه

مَن عز من كـل حـي وذل
فيا ويح نفسي أما تـرعـوي

وقد ذهب العمـر إلا الأقـل
ومن شعره أيضًا:
أذاعت بأسراري الأدمـع

غداة استقلوا وما ودعـوا
جزعت لما أعتز من بينهم

وما كنت من مؤلم أجزع
تولوا فما قرّ لي بعـدهـم

فؤاد، ولا جف لي مدمـع
وأقسم لا حلت عن عهدهم

وفوا لي بالعهد أو ضيعوا
أأحبابنا هل لعصر مضـى

لنا ولكم باللوى مرجـع?
كان على كبدي بـعـدكـم

من الشوق نار غضا تسفع
ولي مقلة منذ فارقتـكـم

إذا هجع الناس لا تهجـع
يؤرقني كـل بـرق أراه

مات نحو أوطانكم يلمـع
وكم لي من عاذل فـيكـم

يطيل الملام فلا أسـمـع
وقال: من شعره في الغزل:
ولما رأى وردًا بخديه يجتني

ويقطف أحياناً بغير اختياره
أقام عليه حارساً من جفونـه

وسلّ عليه مرهفاً من عذاره
ومن شعره أيضًا:
يزهدني في جميع الأنـام

قلة إنصاف من يصحب
وهل عرف الناس ذو نهبة

فأمى له فيهم مـرغـب
هم الناس ما لم تجر بهـم

وطلس الذباب إذا جربوا
وليتك تسلم عند البـعـاد

منهم، فكيف إذا يقربوا?
أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد البغدادي، المقرىء أبو العباس، المعروف بالعراقي
نزل دمشق: قرأ القرآن على أبي محمد سبط الخياط، وسمع الحديث من محمد بن عبد الله بن سُهلون، وأبي الفتح الكروخي، وسعد الخير الأندلسي، ومهر في علم القراءات. ولقي المهذب بن منير الشاعر بحلب، وروى عنه. وقدم دمشق سنة أربعين، فسكنها إلى أن مات وتصدر للإقرار تحت النسر بالجامع، فختم عليه جماعة، وأمَّ بمسجد الخشابين، وأقام به سنين.

قال الشيخ موفق الدين: كان إمامًا في السنة، داعيًا إليها، إمامًا في القراءة. وكان دينًا، يقول شعرًا حسنًا، وشرح عبادات الخرقي بالشعر.
وقال ابن النجار: كان شيخنا فاضلاً متقنًا، طيب المحاضرة.
قلت: وكان متشددًا في السنة.
ويقال: إنه منع الحافظ عبد الغني من الاجتماع بابن عساكر الحافظ والسماع منه، وندم الحافظ على ذلك. وكان يقول: كان عندنا في الحربية قوم من المتشددين يسمون: السبعة، لا يسلمون على من سلم إلى شيعة على مبتدع. ورأيت له جزءًا في الرد على من يعير الحنابلة بالفقر وقلة المناصب.
وروى عنه الشيخ موفق الدين، والبهاء عبد الرحمن، وابن خليل.
وتوفي في شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بدمشق، وقد جاوز السبعين.
وقال الضياء: مات في جمادى الأولى سنة ست وسبعين. وهو وهم، فإن ناصح الدين بن الحنبلي: ذكر أنه زار معه القدس سنة سبع وثمانين- أو سنة ثمان- الشك منه. وذكر: أنه قرأ عليه، وسمع منه.
قال: وقال لي: قدمت من بغداد لأجل زيارة القدس، ولم يتفق لي زيارته إلى هذه المدة.
عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سلامة السبتي البغدادي الوراق المحدث المقرىء، الزاهد أبو جعفر بن أبي المعالي بن السمين نزيل الموصل: ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة.
وسمع الكثير من هبة الله الحريري، وأبي بكر بن عبد الباقي، وأبي منصور القزاز، وعلي بن هبة اللّٰه بن عبد السلام، وأبي الفضل الأرموي، وأبي الفتح الكرخي، وأبي الحسين بن الزاغوني، وأخيه أبي بكر، وابن الطلاية، وغيرهم.
وكتب بخطه الكثير لنفسه وللناس. وخرج التخاريج. وحدث بالكثير ببغداد والموصل. وكان صالحًا ثقة، دينًا صدوقًا من أهل التقشف والصلاح والنسك يأكل من كسب يده.
توفي في العشر الأخير من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بالموصل. ودفن بتل توبة رحمه الله تعالى.
علي بن مكي بن جراح بن علي بن ورخز البغدادي

الفقيه الزاهد أبو الحسن: تفقه على أبي الفتح بن المنيّ، وأبي يعلى بن أبي حازم وبرع في الفقه، وأفتى وناظر. وكان زاهدًا عابدًا.
توفي يوم حادي عشرين صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب حرب.
علي بن أبي العز بن أبي عبد اللّه الباجسرائي
الفقيه الزاهد أبو الحسن: كان يسكن بمدرسة الشيخ عبد القادر، وسمع الكثير من أبي الوقت، وابن البطي، وغيرها. وحدث باليسير.
سمع منه جماعة من الفقهاء. وكان صالحًا ورعًا، متدينًا ذا عبادة وزهد. جمع كتابًا في تفسير القرآن الكريم في أربع مجلدات.
توفي ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وصلى عليه بالمصلى بباب الحلبة. ودفن بباب حرب.
رحمه الله تعالى.
طغدي بن ختلغ بن عبد الله الأميري المسترشدي
البغدادي المقرىء الفرضي، أبو محمد المحدث ويسمى عبد المحسن أيضًا. نزيل دمشق: ولد سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.
وقرأ القرآن بالروايات العشرة على أبي الحسن البطائحي. وكان ربيبه، فأحسن تربيته، وأسمعه من الأرموي، وابن ناصر الحافظ، وأبي بكر بن الزاغوني، وأبي العباس أحمد بن محمد بن المكي، وسعيد بن البنا، وأبي الوقت، وأبي القاسم هبة الله بن الحاسب، وغيرهم.
وصحب أبا الفضل بن ناصر الحافظ، وأخذ عنه علم الحديث، وأصول السنة. وقرأ الفرائض على أبي النجم بن القابلة، وبرع فيها حتى صار فيها إمامًا متوحدًا، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها إلى حين وفاته.
وحدث ببغداد وحران ودمشق. وقرأ عليه الشيخ أبو عمر صحيح البخاري. روى عنه ابن خليل الحافظ.
قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي في حقه: المحدث الحافظ الفرضي الزاهد.
كان قيمًا بمعرفة البخاري، برجاله وألفاظ غريبه، وشرح معانيه. قرأته عليه، وسمع بقراءتي جماعة كثيرة. وكان قيمًا بأصول السنة، ومقالة أصحاب الإمام أحمد وكان متعبدًا معتزلاً للناس.

حضر معي فتح البيت المقدس. وقرأ عليه جماعة من أولاد الدمشقيين الحساب والفرائض. وكان لا يفارقني إلى أن حججت سنة تسع وثمانين، ورجعت من الحج فوجدته قد مات رحمه الله. ودفن في تربة عمي عبد الحق بالجبل.
قلت: وذكر المنذري: أنه توفي في المحرم سنة تسع وثمانين. وكذا ذكره الدبيثي أنه بلغهم وفاته.
وذكر القطيعي: أنه بلغهم ببغداد حين موته في ربيع الأول سنة تسع وثمانين فيكون قول ابن الحنبلي: حججت سنة تسع فيه تسامح. ومراده: أنه رجع من الحج إلى دمشق سنة تسع، فوجده قد مات. لكنه ذكر في أول كتابه: أن أول سنة حجّ سنة تسع وثمانين.
?بدل بن أبي طاهر بن شيرد شهر بن حاكاه بن عبد الله بن محمد الجيلي
الفقيه المقرىء أبو محمد. نزيل بغداد: قرأ القرآن بالروايات على أبي العلاء الهمداني. وسمع من أبي الفتح محمد بن الحسن الصيدلاني، وغيره. وسمع من محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب الكشميهني المروزي.
وتفقه ببغداد على ابن بكروس، وأقرأ الناس، وحدث.
قرأت عليه بالروايات الكثيرة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الدوري، وغيره. وسمع منه القاضي أبو العباس بن الفراء، وغيره.
وتوفي يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة سنة تسع وثمانين وخمسمائة. رحمه الله تعالى.
محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأصبهاني الجورتاني بن الحمامي
العابد الأديب، مصلح الدين أبو عبد الله. من أهل أصبهان و "جورتان" من قراها: ولد سنة خمسمائة في رجب. وقيل: سنة إحدى وخمسمائة.
وسمع من أبي علي الحداد، وأبي نهشل عبد الصمد العنبري، وسعيد بن أبي الرجاء.
قال ابن النجار: وكان فقيهًا فاضلاً، كامل المعرفة بالأدب وأكثر أدباء أصبهان من تلامذته. وكان متدينًا، حسن الطريقة صدوقًا.

سمعت أبا عبد الله الخليلي بأصبهان يقول: كان جدي لأمي محمد بن أحمد الحنبلي المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من عمره يختم القرآن في يومين. فلما جاوز الثمانين كان يختم كل يوم القرآن. وكانت قراءته بالليل قراءة تذكر وتفكر.
قال أبو عبد الله: وسمعت محمد بن محمد الخبازي المديني جارنا- وكان من أهل الخير والصلاح، تلاّءً للقرآن، ملازمًا للمسجد في أكثر أوقاته، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادرًا يقول-: لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال: أسأل الله أن يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كل يوم لختمة، فاستجيبت دعوته، فكان يختم كل يوم ختمة.
قال أبو عبد اللّه: وسمعت الحسين بن محمد بن أحمد الحمامي الحنبلي يقول: قام عمي- يعني: محمد بن أحمد المصلح- ليلة لورده قبل الوقت الذي كان يقوم فيه لورده في سائر لياليه.
قال: فسمعت صوتًا من السماء- وأنا بين النائم واليقظان- أيها المصلح، ما أسرع ما قمت الليلة.
حدث المصلح بأصبهان وبغداد حين قدمها حاجًا. وسمع منه أبو المحاسن القرشي، ومات قبله لخمس عشرة سنة، والشريف الزيدي علي بن أحمد.
وروى عنه من أهل بغداد أحمد البندنيجي، ويوسف بن سعيد المقرىء وغيرهما.
قال ابن النجار: سمعت أبا البركات بن الرويدشتي بأصبهان يقول: توفي محمد بن أحمد بن الحنبلي- يعرف بالحمامي- أستاذ الأئمة في يوم الأربعاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وخمسمائة.
قال: وذكر لنا سبطه: أنه دفن بداره، ثم نقل إلى باب درية رحمه الله تعالى.
وقال المنذري: ليلة الحادي عشر. وكذا ذكره ابن نقطة، وقال: ليلة الثلاثاء حادي عشر.
قال المنذري: وتوفي قبله بيسير ولده أبو بكر أحمد. وكان سمع سعيد بن أبي رجاء وغيره.
قلت: وكان يلقب أمين الدين.

محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طلحة نصر بن أحمد بن محمد بن جعفر البرمكي الهروي الإشْكِيْذَبَانِي، المحدث أبو عبد الله، ويقال: أبو الفتح
نزيل مكة، وإمام حطيم الحنابلة بها: ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.
وسمع بهمدان من أبي الوقت، وأبي الفضل أحمد بن سعد بن حمّان، وأبي المحاسن هبة الله بن أحمد بن محمد بن السماك.
وببغداد من أبي المعالي بن النحاس، وأبي المعمر بن الهاطر، وابن البطي، وخلق كثير وبمصر من أبي الطاهر إسماعيل بن قاسم الزيات. وبالإسكندرية من الحافظ السلفي. وحدث بمكة، ومصر والإسكندرية، وأقام بمكة في آخر عمره، وأمَّ بها في موضع الحنابلة سنين.
وحدث عنه أبو البناء حامد بن أحمد الأرتاحي.
قال ناصع الدين بن الحنبلي: كان رجلاً صالحًا، سمعت منه بقراءته جزءًا بمكة.
وكان في عزمي أنني أدخل اليمن، وقد هيأت هدية لصاحبها من طرف دمشق، فاستشرته، فقال: أنت أعلم. ثم قال: قرأنا ههنا جزءًا من أيام، فجاء فيه عن بعض السلف علامة قبول الحج: أن الإنسان ينصرف عن مكة في طالب للدنيا، فزهدت في اليمن، ورجعت عن ذلك العزم. قال: وذلك سنة تسع وثمانين.
قال المنذري: سمع منه والدي سنة تسعين. فإما أنه توفي في هذه السنة، أو بعدها بيسير.
قال و "الإشكيذباني" بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الكاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الذال المعجمة وبعدها باء موحدة مفتوحة وبعد الألف نون.
وذكره الفارسي في تاريخه، وقال: كان رجلاً صالحًا: توفي سنة إحدى وتسعين بمكة.
وذكر المنذري ممن توفي سنة تسعين: الشيخ الأجل إمام الحرم مكي بن نابت - بالنون- بن زهرة الحنبلي الفزاري بمصر ليلة السابع من شهر ربيع الآخر، ولم يزد على ذلك.
إسماعيل بن أبي سعد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن شاه شاه البنا الأصبهاني، المحدث أبو الحسن، يعرف بطاهريته:

سمع الكثير، وحصل الأصول. حدث ببغداد، قدمها حاجًا عن فاطمة الجوزدانية، وفاطمة بنت محمد بن أحمد البغدادي.
سمع منه أبو الفتوح بن الحصري، وأحمد بن طارق، وعبد الرحمن بن الغزال وكان شيخًا صالحًا صدوقًا.
توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. رحمه الله تعالى.
عبد المؤمن بن عبد الغالب بن محمد بن طاهر بن خليفة بن محمد بن حمدان الشيباني البغدادي الوراق
الفقيه أبو محمد: ولد في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة، ذكره القطيعي عنه.
وسمع ببغداد من القاضي أبي بكر بن عبد الباقي، وأبي القاسم بن السمرقندي، وابن الطلاية، وأبي الحسن، وأبي بكر بن الزاغوني، والأرموي.
وسمع بهمدان من أبي الخير الباغبان، وغيره، وحدث.
وسمع منه ابن القطيعي، وقال: كان له صلاح ودين وافر.
وروى عنه ابن الدبيثي، وابن خليل الحافظ، فقال: أنبأنا الإمام أبو محمد عبد المؤمن الفقيه الحنبلي، وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدبية.
قال ابن القطيعي: توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.
قال: وكتب إليَّ ابن شريك: أنه توفي ليلة العيد، سنة إحدى وتسعين.
قلت: وكذا ذكر المنذري: أنه توفي يوم عرفة، سنة إحدى وتسعين.
وذكر ابن النجار عن ابن الدبيثي: أنه توفي يوم الإثنين ثامن ذي الحجة، سنة إحدى وتسعين، وعن غيره: أنه دفن بباب حرب.
علي بن هلال بن خميس الواسطي الفاخراني الضرير، الفقيه أبو الحسن، ويلقب بمعين الدين:
ذكره المنذري، فقال: تفقه على مذهب الإمام أحمد، وسمع من أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق، وأبي الفتح صدقة بن الحسين الناسخ، وخديجة بنت أحمد النهرواني، وغيرهم، وحدث.
وهو منسوب إلى "الفاخرانية": قرية من سواد واسط.
توفي في حادي عشر ذي الحجة، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ودفن بباب حرب. رحمه الله تعالى.

حامد بن محمد بن حامد الصفار الأصبهاني
الفقيه المحدث، الإمام محب الدين أبو عبد الله: سمع أباه أبا جعفر محمد، وأبا طاهر محمد بن أبي نصر الهروي بهاجر، وأبا الخير الباغبان، ومسعود الثقفي والرستمي، وعبد الجليل كوتاه، وجماعة بأصبهان وبهمدان أبا زرعة المقدسي، وأبا العلاء العطار. وقدم بغداد حاجًا سنة ثمان وثمانين، وسمع بها من جماعة. وقرأ على ابن الجوزي مناقب الإمام أحمد له، وحدث باليسير.
كتب عنه أبو عبد الله محمد بن النفيس الرزاز.
ذكره ابن النجار، وقال: كان فقيهًا، حنبليًا فاضلاً، وله معرفة بالحديث والأدب.
وذكر أبو الفرج بن الحنبلي: أنه لقيه بأصبهان، وقال: كان فقيهًا على مذهب الإمام أحمد، عارفًا بالمذهب والخلاف، محدثًا، ووصفه بالمروءة التامة.
سعد بن عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي
المصري المولد البغدادي الدار، الفقيه الزاهد أبو الحسين ابن الشيخ أبي عمرو المتقدم ذكره: خرج من مصر قديمًا، واستوطن بغداد. وقد سبق في ترجمة أبيه سبب قدومه إلى بغداد، وتفقه بها في المذهب على أبي الفتح بن المني، ولازم درسه. وسمع من أبي محمد بن الخشاب وغيره، وحصل له القبول التام منّ الخاص والعام، وكان ورعاً زاهدًا عابداً.
قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي في حقه: كان مشتغلاً بحفظ كتاب الوجهين والروايتين، تصنيف القاضي أبي يعلى. وكان من الزهد، والصلاح، والتطهير، والتورع في المأكول على صفة تعجز كثيرًا من المجتهدين في العبادة.
وكان يمشي مطرق الرأس، يلتقط الأوراق المكتوبة، حتى اجتمع عنده من ذلك شيء كثير، فيحمله بحمال إلى الشاطىء فيتولى غسله، ويرسله مع الماء. وكان لا يستقضي أحدًا حاجة إلا أعطاه أجره، ولو أشعل له سراجاً.
وذاكرته في خلوة في القول بخلق أفعال العباد، فأقر به، ولم يكن على ما ذكره من مذهب والده في ذلك، فسررت بذلك.
ورأى رجل في بغداد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء، أو كما قال.

ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، فانعكف الناس به يتبركون به وازدحموا، فرموه مرات، وكأن مناديًا ينادي في قلوب الناس، وهو يقول: أعوذ باللّه من الفتنة، إيش بي؟ إيش بالناس؟ حتى ضرب الناس عنه وخلص منهم.
وقال القادسي: هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد، ومن تشد إليه الرحال، ومن كان لله عليه إقبال الصائم في النهار، القائم في الظلام.
قدم بغداد. وسكن برباط الشيخ عبد القادر، وما كان يقبل من أحد شيئًا، ولا يغشى باب أحد من السلاطين. كان ينفذ له في كل عام شيء من ملك له بمصر يكفيه طول سنته.
حكى لي والدي، قال: كنت أتردد إليه كثيراً، فأتيته يوماً، فهجس في نفسي أن لي مدة أتردد إليه، وما حلف عليّ قط، ولا قدم لي شيئًا، فما استتممت كلامي حتى قال لي: أيْ أحمد، واللّه ما أرضى لك طعامي، لأنه طعام شقي، فال: وأخذني من الوجد شيء عظيم، ثم دخل ليخرج لي من الزاد. فقلت: لو أخرج إلي رغيف فضله، لأنتفِض به لأقوام، فقال عجلا من داخل البيت: أي: شيخ أحمد، بل رغيفان. قال: فزاد تحيري ودهشتي. وكان الشيخ مسعد كثير البكاء والخشوع.
قال ابن النجار: كان عبدًا صالحاً مشهوراً بالعبادة والمجاهدة والورع، والتّقشف، والقناعة، والتعفف، وكان خشن العيش، مخشوشنا، كثير الانقطاع عن الناس. وكان على غاية من الوسوسة، والمبالغة في الطهارة.
قال ابن النجار: حدثني سعيد بن يوسف بن سعيد المقرىء، قال: سمعت سعد المصري الزاهد يقول: تجشأت مرة، فصعد إلى حلقي شيء من الجشأ، فغسلت حلقي ثلاث مرات، وابتلعته، ثم غسلت فمي ثلاث مرات أخر وأبصقه.
قلت: سامحه اللّه تعالى، هذه زلة فاحشة.
قال المنذري: كان يحمل إليه ما يقتات به من مصر من جهة كانت له بها.
وقيل: إن شيخه ابن المنّي لما احتضر أوصى أن يصلى عليه الشيخ سعد، وقد تقدم أنه صلى عليه يومئذ، وأن الناس ازدحموا عليه للتبرك به، حتى كاد يهلك.

قال المنذري: توفي في سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ساجداً في صلاته، ودفن من الغد.
وذكر القطيعي: أنه توفي يوم الثلاثاء، وأنه دفن بمقبرة باب الدير بالقرب من معروف الكرخي، رحمة الله عليه.
وذكر القادسي: أنه توفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ساجداً، وصلى عليه بمدرسة عبد القادر، ثم مرارًا عِدة بظاهر الحلبة، ثم حمل إلى باب حرب ليدفن به. وكان قد حفر له به قبر، فأقبل خدام أم الخليفة، واستخلصوه من العامة، وردوه إلى مقابر معروف، إلى التل المقابل لباب تربة أم الخليفة. وكان يوم موته مشهودًا، وتابوته بالحبال مشدوداً، رحمه الله.
وذكر بن النجار: أنه كان قد قرأ يوماً في الصلاة التي توفي فيها "فأما إن كان من المُقَّربين فروح وريحان وجنة نعيم" الواقعة 88، 89.
إلياس بن حامد بن محمود بن حامد بن محمد بن أبي الحجر الحراني
الفقيه المحدث تقي الدين أبو الفضل ابن الإمام أبي الفضل. وقد سبق ذكر أبيه: سمع إلياس ببغداد من أبي هاشم عيسى بن أحمد الروشابي، وشهدة، وغيرهما.
قال ناصح الدين بن الحنبلي: وكان رفيقي في درس شيخنا ابن المنّي. وسكن الموصل إلى أن توفي. وولي مشيخة دار الحديث بها. وكان حسن الطريقة، وحدث. سمع منه بدل التبريزي.
توفي في سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالموصل.
كذا ذكره غير واحد.
قال المنذري: وقيل: بل سنة ثلاث وتسعين.
مكي بن أبي القاسم عبد الله بن معالي بن عبد الباقي بن العراد البغدادي المأموني
الفقيه المحدث أبو إسحاق. ويقال: أبو الحرم أيضًا: ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة.
وسمع من ابن ناصر، والأرموي، والكروخي، وابن البطي، وهبة الله الشبلي، وسعد بن البنا، وأبي بكر بن الزاغوني، وأبي الوقت، وخلق كثير. واعتنى بهذا الشأن. قرأ على الشيوخ، وكتب بخطه. ولم يزل يقرأ ويسمع إلى آخر عمره. وهو ثقة.

وكان له مسجد كبير بالمأمونية يؤم فيه، ويقرأ الحديث على المشايخ. وكان يقرأ أيضًا بجامع القصر. وهو ثقة صحيح السماع. وقد نسبه القطيعي إلى التساهل والتسامح.
وذكر عن عبد الرزاق: أنه وجد بخطه طبقة أنكرها. ووثقه ابن نقطة، وقال: إنما تكلم فيه شيخنا ابن الحضري، لأنه قال: كان يكتب سماع أقوام كانوا يتحدثون إلى جانب حلقته. فأما سماعه فصحيح.
وقال الفارسي: كان صالحًا خيرًا دينًا. وقد تكلم فيه أصحاب الحديث. وقد روى عنه ابن خليل، وقال: أنبأنا أبو الحرم مكي بن أبي القاسم الفقيه الحنبلي.
وقرأت بخط أبي الحسن علي بن أحمد الزيدي الحافظ الزاهد. وقد سمع منه جزءًا الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو إسحاق مكي. وروى عنه البلداني. وأجاز لابن أبي الدينة.
وتوفي ليلة الجمعة سادس محرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. ودفن من الغد بباب حرب مجاورًا قبر بشر. رحمه الله تعالى.
عبد الوهاب بن عبد القادر بن أبي صالح الجيلي
ثم البغدادي الأزجي، الفقيه الواعظ، سيف الدين أبو عبد اللّه بن القدوة الزاهد أبي محمد. وقد سبق ذكر والده: وأما هو: فولد في ثاني شعبان سنة اثنين وعشرين وخمسمائة.
وذكر أبو شامة: أنه سمع من ابن الحصين، وابن السمرقندي وسنُّه يحتمل السماع من ابن السمرقندي، والحضور من ابن الحصين. لكن لم أرَ أحدًا من أهل بلده ذكروا ذلك، وهم أعلم بحاله. ولو كان ذلك صحيحًا لقدموا هذين على بقية شيوخه.
ولكن ذكر ابن القادسي: أنه سمع من ابن الحصين، وابن الزاغوني، وأبي غالب بن البنا، وغيرهم.
وأسمعه والده في صباه من أبي غالب بن البنا، وأبي منصور القزاز، وأبي الفضل الأرموي، وأبي الحسن بن صرما، وسعيد بن البنا، وأبي الوقت وغيرهم.
وقرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرس نيابة عن والده بمدرسته وهو حي، وقد نيف على العشرين من عمره. ثم استقل بالتدريس بها بعده، ثم نزعت منه لابن الجوزي لأجل عبد السلام بن عبد الوهاب، ثم ردت إليه بعد قبض ابن يونس.

قال ابن القادسي: كان فقيهًا مجودًا، زاهدًا واعظًا، وله قبول حسن. وتولى المظالم للناصر سنة ثلاث وثمانين. وكان كيسًا ظريفًا من ظرفاء أهل بغداد متماجنًا. ولم يكن في أولاد أبيه أفقه منه. كان فقيهًا فاضلاً، حسن الكلام في مسائل الخلاف. له لسان فصيح في الوعظ، وإيراد مليح مع عذوبة ألفاظ، وحدة خاطر، وكان ظريفًا لطيفًا، مليح النادرة، ذا مزح ودعابة وكياسة. وكانت له مروءة وسخاوة. وجعله الخليفة الناصر على المظالم. وكان يوصل إليه حوائج الناس. ذكر ذلك ابن النجار.
وذكر غيره: أنه يرسل به من الديوان إلى الشام، وأن الخليفة الناصر بنى رباط الخلاطية له. وكان له القبول التام عند العامة أيضًا.
قال ناصح الدين بن الحنبلي: قال الشيخ طلحة- يعني العلثي-: قلمه سديد في الفتوى.
قال أبو شامة: قيل له يومًا في مجلس وعظه: ما تقول في أهل البيت. قال: قد أعموني. وكان أعمش. أجاب عن بيت نفسه.
وقيل له يومًا: بأي شيء تعرف المُحقَّ من المُبْطِل؟ قال: بليمونة. أراد: من تخضب يزول خضابه بليمونة.
وقال ابن البزوري: وعظ يومًا، فقال له شخص: ما سمعنا بمثل هذا. فقال: لا شك يكون هَذَيَان. وكان له نوادر كثيرة.
وحدث، وسمع منه جماعة، منهم: ابن القطيعي.
وروى عنه ابن الدبيثي، وعبد الرحمن بن الغزال الواعظ، وابن خليل، وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدينة. وتوفي ليلة الأربعاء خامس عشرين شوال سنة ثلاث تسعين وخمسمائة وصلى عليه من الغد بمدرسة والده. وحضر خلق كثير. ودفن مقبرة الحِلبة عند عبد الدائم الواعظ الذي تنسب المقبرة إليه. رحمه اللّه تعالى.
طلحة بن مظفر بن غانم بن محمد العلثي
الفقيه الخطيب المحدث الفرضي النضار، المفسر الزاهد، الروع العارف، تقي الدين أبو محمد: نقلت هذه الترجمة له من خط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي. قال: نشأ في العلث، وهي قرية من قرى بغداد. وحفظ الكتاب العزيز. وقرأ على علي البطائحي، والبرهان بن الحصري، غيرهما.

وقرأ الفقه على ناصح الإسلام أبي الفتح بن المنّي، فصار معيدًا عليّ وعلى غيري. يعني: أنه كان يعيد لهم دروس الشيخ.
قال: وانتفعنا به كثيرًا. وسمع الحديث الكثير. وقرأ صحيح مسلم في ثلاث جالس. وكان يقرأ كتاب "الجمهرة" على ابن القصار، فمن سرعة قراءته وفصاحتها قال ابن القصار: هذا طلحة يحفظ هذا الكتاب. قالوا: لا. وكان يقرأ الحديث فيبكي. ويتلو القرآن في الصلاة ويبكي. وكان متواضعًا لطيفًا، أديبًا في مناظرته، لا يسفه على أحد، فقيرًا مجردًا، ويرحم الفقراء، ولا يخالط الأغنياء.
حدثني الشيخ: أن ناصح الإسلام بن المنّي، زار رجلاً من أرباب الدنيا. قال: وكنت معه يعتمد على يدي، فرأيت في زاوية الدار صحن حلواء، فاشتهته نفسي، وخرجنا ولم يقدمه لنا. فنمت تلك الليلة، فرأيت في منامي حلواء حضرت إليّ، فأكلت منها حتى شبعت، فأصبحت ونفسي لا تطلب الحلواء.
قال: وكان يقرأ عليه القرآن والفقه والحديث في جامع العلث.
وقاك الحافظ المنذري: تفقه ببغداد على أبي الفتح بن المني، وأبي الفرج بن الجوزي. وسمع بها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي، ويحيى بن ثابت بن بندار، وأحمد بن المبارك المرقعاتي، وعبد الحق بن عبد الخالق، وشهدة، وتجنى الوهبانية وجماعة كثيرة.
وقرأ بلفظه على الشيوخ. وكان حسن القراءة. وانقطع في آخر عمره إلى العبادة، وتعليم العلم.
قلت: وسمع على أحمد بن المقرب الكرخي أيضًا. وعني بالحديث، ولازم أبا الفرج بن الجوزي. وقرأ عليه كثيرًا من تصانيفه، فكان أديبًا شاعرًا فصيحًا، واشتهر اسمه، ورزق القبول من الخلق، وكثر أتباعه، وانتفع به الناس.
وروى عنه يوسف بن يوسف بن خليل، وغيره.
وروى عنه ابن الجوزي في تاريخه حكاية، وقال: حدثني طلحة بن مظفر الفقيه: أنه ولد عندهم بالعلث مولود لستة أشهر، فخرج له أربعة أضراس.
قال المنذري: توفي في ثالث عشر ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بزاويته بالعلث. ودفن هناك رحمه اللّه.
و "العَلْث": ناحية قريبة من الحضيرة من نواحي دجيل. وهي بفتح العين المهملة وسكون اللام وبعدها ثاء مثلثة.

وخلف الشيخ ثلاثة أولاد وهم أبو الفرج عبد الرحمن. وكان قدوة صالحًا عالمًا. ومكارم، ومظفر. وكلهم سمعوا الحديث وحدثوا.
محمود بن أحمد بن ناصر البغدادي الحرمي، الحذاء أبو البركات ويقال: أبو الثناء: سمع من ابن الطلاية، وعبد الخالق بن يوسف، وغيرهما. وتفقه في المذهب. وأقرأ الفقه، وحدث.
توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ببغداد. رحمه الله.
عبد الله بن يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البغدادي الأزجي
الفقيه الفرضي الأصولي المتكلم الوزير، وزير الخليفة الناصر جلال الدين أبو المظفر بن أبي منصور بن أبي المعالي: كان والده وكيلاً لأم الخليفة الناصر. وكان ذا صدقات وإفضال على العلماء.
سمع من ابن الحصين، وأبي منصور القزاز، وحدث. وحج في آخر عمره، فتمتع عملاً بالمذهب. وعاد ولزم بيته. ونابه ولده هذا.
وتوفي في محرم سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. وشيعه الأعيان. ودفن بالمدائن إلى جانب قبر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.
وأما ولده هذا أبو المظفر: فإنه اشتغل بالعلم، ورحل في طلبه إلى همدان، وقرأ بها ببعض الروايات على الحافظ أبي العلاء.
وسمع الحديث من المتأخرين، مثل أبي الوقت، وأبي بكر بن الزاغوني ونصر العكبري، وابن البطي، وغيرهم.
وتفقه في المذهب على أبي حكيم النهرواني، ثم على صدقة بن الحسين. وقرأ عليهما القرآن، وعلى صدقة الأصول والكلام.
واختلف إلى جماعة من العلماء في طلب فنون جمة من العلوم، وبرع في علم الفرائض والحساب والأصلين والهندسة. صنف كتابًا في أوهام أبي الخطاب الكلوذاني في الفرائض والوصايا، وكتابًا في أصول الدين والمقالات. وحدث به في ولايته الأخيرة.
وسمعه منه الفضلاء. ولم يتم سماعه. وسمع منه الحديث عبد العزيز بن دلف، وأبو الحسن بن القطيعي، وبالغ في مدحه والثناء عليه.
وقال جمع: فيه خصال، الخصلة منهن تكون في الرجل، فيكون من الكاملين إذ كان الله رزقه حفظ القرآن، والعلم بالحلال

والحرام، الفرائض والكتاب والحساب، والعلم بالنحو، والسنَة والأخبار، وأعطاه من شرف الأخلاق، وكرم الأعراق، والمجد المؤثل، والرأي المحصل، والفضل والنجابة، والفهم والإصابة، والقريحة الصافية، والمعرفة بكل فضل وفضيلة، والسمو إلى كل درجة رفيعة نبيلة من محمود الخصال، والفضل والكمال ما يطول شرحه.
ثم ذكر تنقله في الولايات حتى ولاه الخليفة الوزارة في شوال سنة ثلاث وثمانين وجلس الخليفة له وخواص الدولة لخلعته. ثم ركب إلى الديان وبين يديه جميع أرباب الدولة: قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني، والنقيبان، وجميع الأمراء.
وذكر غيره: أنه كان يومًا وعثًا ذا وجل، وهم مشاة بين يديه. وكان قاضي القضاة قد توقف في قبول شهادة ابن يونس، فلم يقبلها إلا بكُرْه. حتى صار من شهوده. فكان يمشي في ذلك اليوم ويعثر، ويقول: لعن الله طول العمر. ومات القاضي رحمه الله في آخر تلك السنة.
وفي سنة أربع وثمانين أرسل الخليفة الناصر الوزير ابن يونس مع عسكر عظيم لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان، فلقيهم طغرل بقرب همدان فتفرق عسكر الوزير، وثبت وبيده سيف مشهور ومصحف، فلم يقدموا عليه، حتى أخذ بعض خواص السلطان بعنان دابته وقادها إلى خيمته، ثم أنزله وأجلسه، فجاء إليه السلطان في خواصه ووزيره، فلزم معهم قانون الوزارة، ولم يقم لهم فعجبوا من فعله. وكلمهم بكلام خشن، وقال لهم: أمير المؤمنين لما بلغه عبثكم في البلاد، وخروجكم عن الأوامر الشرعية أمر بمجاهدتكم، فاحترموه وأكرموه، وبقي عندهم مدة. وكان في تلك المدة يسرد الصيام، ويديم التهجد والتلاوة، ويحافظ على الجماعات في الفرائض. ثم نقلوه معهم إلى بعض بلاد أذربيجان فتلطف في التخلص منهم، حتى خلص. وسار إلى الموصل. وكان الخليفة قد استوزر في هذه المدة غيره. وكان هذا الوزير الجديد قد بعث إلى أقطار البلاد في إهلاك ابن يونس. فلما وصل إلى الموصل، خرج أميرها وسأله المقام ليقبض عليه، فانفلت منه، ونزل في سفينة وبعض حواشيه، وانحدروا ليلاً إلى تكريت، ففعل به من في قلعتها كما في صاحب الموصل، فتفلت منهم أيضًا، ووصل إلى بغداد، فانتقل إلى بعض سفنها، وتنكَر،

ووصل إلى بيته بباب الأزج. ثم شاع خبره، فطلبه الخليفة إلى داره. ولم يزل في هذه المدة يدرس القرآن، ويدارس الفقه ويتحفظ ما كان نسيه من أنواع العلوم. ثم ولاه الخليفة سنة خمس وثمانين أمر المخزن والديوان، ثم جعله أستاذ الدار سنة سبع وثمانين، وفي ولايته هذه عقد المجلس لقاضي القضاة العباسي، وأحضر القضاة والعلماء، أفتوا وأثبتوا فسقه لقضية كان قد حكم فيها، وعزله، وبقي على ولايته إلى رجب سنة تسعين، فعزل وقبض عليه. وذلك في ولاية ابن القصاب الوزارة. وكان ابن القصاب رافضيًا خبيثًا. وكان الناصر يميل إلى الشيعة، فسعى في القبض على ابن يونس ونفي الشيخ أبا الفرج إلى واسط وبقي ابن يونس معتقلاً إلى سنة ثلاث وتسعين، فأخرج في سابع عشر صفر ميتًا. ودفن بالسرداب رحمه الله وسامحه.
وقد ذكر ابن النجار: أنه لم يكن في ولايته محمودًا. وقد علمت أن الناس لا يجتمعون على حمد شخص ولا ذمه.
وأما أبو شامة فبالغ في ذمه والحط عليه بأمور لم يقم عليها حجة. وإنما قال: ويقال: إنه فعل كذا. ومثل هذا القدح لا يكفي في مستنده. ويقال كذا.
وكذلك ابن القادسي في تاريخه يذمه كثيرًا. وقد ذكر: أنه إذا آباه فصار ذا غرض معه.
وأما ابن الدبيثي فقال: كان فيه فضل، وحسن سمت ووقار.
وذكر: أنه لما عزل في المرة الأخيرة أقام بمنزله.
وذكر ابن القادسي: أنه لما قبض عليه استفتى عليه أنه كان تسبب إلى كسر عسكر الخليفة، وقتلهم ونهبهم، وأظهر موت الحليفة وهو حي. فكتب ابن فضلان كلاماً مضمونه: إباحة دم من فعل هذا. وكتب ابن الجوزي: أنه يلزمه غرامة ما خان فيه وتقام عليه السياسة الرادعة. وذكر: أنه بعد القبض عليه في داره نقل إلى محبس ضنك وَعْر بالتاج. وقيل: إنه ضيق عليه وقيد.
قال: وكان فقيهًا أصوليًا جَدَلياً، عالمًا بالحساب والفرائض، والهندسة والجبر والمقابلة. وصنف كتابًا في الأصول. وكان يقرأ عليه كل أسبوع، ويحضره جماعة من العلماء، إلا أنه شان أفعاله بسوء أعماله بأغراضه الفاسدة، والحسد الذي كان معه، والطرائق التي كانت غير مرضية، فأبغضه الناس وسبُّوه وكان فيه سودنة وجنون.

قال: وتوفي في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين. ودفن بالسرداب بدار الخلافة.
?الحسن بن مسلم بن الحسن. ويقال أبي الحسن بن أبي الجود الفارسي، ثم الحوري، الزاهد أبو علي، زاهد وقته: أصله من "حوراء": قرية من قرى دجيل من سواد بغداد، ثم انتقل منها إلى قرية يقال لها: الفارسية من نهر عيسى. وكان يكتب في الإجازة: الفارسي، ثم الحوري.
ولد سنة أربع وخمسمائة.
وقرأ القرآن وتفقه في المذهب. وسمع الحديث من أبي البدر الكرخي وغيره. وصحب الشيخ عبد القادر، ثم اشتغل بالعبادة والانقطاع إلى الله عز وجل.
وكان كثير البكاء، دائم العبادة على منهاج السلف، ذا كرامات.
ويقال: إنه كان يختم كل يوم وليلة ختمة.
ذكره ابن الدبيثي، فقال: كان رجلاً صالحًا كثير العبادة، منقطعاً إلى الاشتغال بالخير. قد قرأ القرآن، وتفقه. وسمع الحديث، ولم يزل على طريقة حميدة، روى عن الكرخي، ونعم الرجل كان.
وقرأت بخط أبي الفرج بن الحنبلي الدمشقي قال: سمعت الشيخ طلحة- يعني العلثي- يقول للشيخ: حسن هذا عشرون سنة ما رئي نائمًا أو مضطجعاً.
قال: وكان مشهوراً، تزوره العامة والخاصة، وزرناه في قريته الفارسية، وبتنا عنده، وتحدث معنا، وفرح بنا. وقال- وقد خضنا في أخبار الصفات-: قال بعض مشايخنا: أخبار الصفات صناديق مقفلة، مفاتيحها بيد الرحمن.
وذكره أبو شامة: فقال: كان من الأبدال، لازمًا لطريق السلف. أقام أربعين سنة لم يكلم أحدًا. كذا قال. وهو بعيد جدًا من حاله. وذكر من بعض كراماته من تسخير السباع له. وليس تحته كبير أمر.
قال: وسمع قاضي المارستان، وابن الحصين، وابن الطيوري، وغيرهم كذا قال. ولم يذكر هذا ابن نقطة، ولا الدبيثي، ولا القطيعي، ولا المنذري. فما أدري من أين له هذا. نعم كان في زمنه رجل يقال له: الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن الفارسي الصوفي، من صوفية رباط الزوزني، روى عن القاضي أبي بكر

وغيره، فلعله اشتبه عليه وهذا توفي بعد الحسن بن مسلم بسنتين، سنة ست وتسعين.
ثم رأيت ابن القادسي ذكر: أن الحسن هذا سمع من قاضي المارستان. قال: وكان أحد الزهاد الأوتاد، والأبدال العباد، الموصوفين بالتقى والسداد، يصوم النهار ويقوم الليل، بقي أربعين سنة لم يكلم فيها أحدًا، كثير الاجتهاد في العبادة، كثير البكاء غزير الدمعة رقيق القلب له الفراسة الصائبة.
حدثني والدي قال: كنت عنده وعنده شخص وهما يتحادثان في الزراعة، فقلت في نفسي: هذا زاهد، وهو يتكلم في حديث الدنيا؟! فالتفت إليّ عاجلاً، وقال: أي أحمد، ما نصل إلى الآخرة إلا بالدنيا. وهذه الحكاية تردُّ قوله: إنه كان لا يتكلم أربعين سنه.
وحدث الحسن بن مسلم، وسمع منه جماعة، وروى عنه ابن خليل وغيره.
وتوفي في يوم الأحد حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة بالقادسية. ودفن من الغد برباط له بها.
وقيل: توفي يوم عاشوراء. وقيل: يوم ثاني عشر المحرم. والأول الأصح. وهو الذي ذكره ابن نقطة والدبيثي والقادسي والمنذري.
?سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد القباني الدمشقي
المحدث أبو الخير. ويلقب تقي الدين: سمع من أبي المكارم عبد الواحد بن هلال، وابن الموازيني، وغيرهما من مشايخ دمشق.
وعني بالحديث، وكتب بخطه، وقرأ وخرج التخاريج للشيوخ، وأمَّ بحلقة الحنابلة بجامع دمشق. وكان ثقة صالحًا فاضلاً. وابن نقطة الحافظ يعتمد على خطه، وينقل عنه في استدراكه.
قرأت بخط أبي الفرج بن الحنبلي عنه: كان حسن السمت، يحفُّ شاربه، ويقصر ثوبه، ويأكل من كسب يده، يعلم القبابين، ويعتمد عليه في تصحيحها إلى أن مات.
قال: قال لي القاضي ابن الزكي: تعجبني طريقة أبي الخير- يعني: سلامة.
روى عنه ابن خليل في معجمه، فقال: أخبرنا الإمام أبو الخير قراءة عليه من لفظه..
وتوفي في سابع عشرين ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وخمسمائة. ودفن بسفح قاسيون. رحمه اللّه تعالى.

محمد بن عبد الملك بن إسماعيل بن عبد الملك بن إسماعيل بن علي الأصبهاني
الواعظ أبو عبد اللّه: ولد سنة إحدى- أو اثنتين- وثلاثين وخمسمائة.
وسمع من إسماعيل بن علي الحمامي، والحسن الرستمي، وعبد الجليل بن محمد الحافظ، وأبو الخير الباغبان، ومسعود الثقفي.
وسمع ببغداد من أحمد بن محمد العباسي، وهبة الله بن الشبكي.
وكان له قبول كثير عند أهل بلده. وقدم بغداد غير مرة، وأملى بجامع القصر عشر مجالس، كتبت عنه.
سمع منه ابن القطيعي، وابن النجار، وقال: كان شيخًا فاضلاً، متدينًا صدوقًا.
قال!: وأخبرني ولده عبد المعز الواعظ بأصبهان: أن أباه توفي ليلة الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين وخمسمائة بأصبهان. رحمه الله.
عبد العزيز بن ثابت بن طاهر البغدادي المأموني الشمعي الخياط المقرىء، الفقيه الزاهد أبو منصور. ويلقب تاج الدين: قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير من أبي المكارم البادرائي، وأبي الحسن بن يوسف، وابن الخشاب، وشهدة، وأكثر عن المتأخرين بعدهم.
وقرأ الفقه على الشيخ أبي الفتح بن المنّي. وكتب بخطه الكثير من الحديث وغيره. وكان يقرىء الناس القرآن، ويؤم بمسجده بالشمعية: محلة ببغداد.
قرأ عليه خلق كثير، وحدث باليسير من رواياته لأنه مات في أول سن الكهولة.
قال ابن النجار: كان صالحًا ورعًا، متدينًا كثير العبادة، آثار الصلاح لائحة على وجهه.
وقال أبو الفرج بن الحنبلي: كان رفيقنا في سماع درس ابن المنّي، وبلغ من الزهد والعبادة إلى حد يقال به تمسك بغداد.
وكان لطيفًا في صحبته خرجنا نزور قبر الإمام أحمد. ثم عدلنا إلى الشط، فنزل الفقهاء يسبحون في الشط، فقالوا للشيخ أبي منصور: انزل معنا، فنزع ثوبه، ونزل يسبح معهم، ولعبوا في الماء، فعمل مثلهم، فقال له بعض الفقهاء: أين الشيخ محمد

النعال يبصرك؟ فقال: يا مسكين، الحقّ تعالى يبصرنا. فطاب بعض الجماعة بقوله.
قال ابن النجار: توفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين وخمسمائة. ودفن بباب حرب. رحمه الله.
تميم بن أحمد بن أحمد بن كرم بن غالب بن قتيل البنديجي ثم البغدادي الأزجي، المفيد أبو القاسم بن أبي بكر بن أبي السعادات: ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة تقريبًا قاله ابن القطيعي.
وقال المنذري: سنة أربع أو خمس.
وقال ابن النجار: قرأت بخطه قال: ولدت في رجب سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
وسمع الكثير من أبي بكر بن الزاغوني، وأبي الوقت، وأبي حكيم النهرواني، والشيخ عبد القادر، والوزير ابن هبيرة، والقاضي أبي يعلي بن أبي خازم بن الفراء، أبي محمد بن المادح، والمبارك بن خضير، وأحمد بن المقرب، وابن البطي والكروخي وخلق كثير من هذه الطبقة، وممن بعدهم.
وكتب بخطه كثيرًا لنفسه وللناس، وأفاد أهل البلد، ومواليدهم، والغرباء كثيرًا.
وكان يعتني بحفظ أسماء الشيوخ، ومعرفة مروياتهم، ومواليدهم ووفياتهم. حدث باليسير لأنه مات قبل الشيخوخة.
سمع منه ابن النجار، وتكلم فيه هو وشيخه ابن الأخضر، وأجاز للحافظ المنذري.
توفي يوم السبت ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ودفن من الغد بمقبرة باب حرب. رحمه الله.
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد اللّه بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه
القرشي التيمي البكري البغدادي، الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبو الفرج، المعروف بابن الجوري، شيخ وقته، وإمام عصره.
واختلف في هذه النسبة، فقيل: إن جده جعفر نسب إلى فرضه من فرض البصرة، يقال لها: جوزة.

وفرضة النهر: ثلمته التي يستقي منها، وفرضة البحر: محط السفن. ذكر هذا غير واحد.
قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له: فرضة الجوز.
وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش: أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز.
وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها.
واختلف أيضاً في مولده، فقيل: سنة ثمان وخمسمائة.
وقال القادسي: ذكره الشيخ عن أخيه أبي محمد: أنه أخبره بذلك.
وقيل: سنة تسع. وقيل: سنة عشر.
ووجد بخطه: لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين. فعلى هذا: يكون مولده سنة إحدى عشرة، أو اثني عشرة.
وقال ابن القطيعي: سألته عن مولده. فقال: ما أحق القت، إلا أنني أعلم أني احتلمت في سنة وفاة شيخنا ابن الزاغوني: وكان توفي سنة سبع وعشرين.
قلت: وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة.
ووجد بخطه تصنيف له في الوعظ، ذكر: أنه صنف سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وقال: ولي من العمر سبع عشرة سنة.
قال ابن القطيعي: وحكي لي أنه كان يسمى المبارك إلى سنة عشرين وخمسمائة. وقال: سماني وأخواي شيخنا ابن ناصر: عبد اللّه، وعبد الرحمن، وعبد الرازق.
وإنما كنا نعرف بالكنى.
وكان مولده ببغداد بدرب حبيب. فلما توفي والده- وهو صغير- كفلته أمه وعمته. وكان أهله تجارًا في النحاس، فلهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن جوزي الصفار. ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر، فاعتنى به أسمعه الحديث. وقد قيل: إن أول سماعاته سنة ست عشرة وخمسمائة.
وحفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء. وقد قرأ بالروايات في كبره بواسط على ابن الباقلاني. وسمع بنفسه الكثير، وقرأ وعني بالطلب.

قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم. فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدد لا تكثير العدد. ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحدٍ منهم حديثًا. ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.
وقد سمع من جماعة غيرهم، لكنه اقتصر على أكابر الشيوخ ومواليهم، فمنهم ابن الحصين، والقاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو بكر المزرفي، وأبو القاسم الحريري، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وأبو السعادات المتوكلي، وأبو غالب بن البنا، وأخوه يحيى، وأبو عبد اللّه البارع، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحد، وأبو غالب الماوردي، و الحسن بن الزاغوني، وأبو منصور بن خيرون، وأبو القاسم السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي، وعبد الملك الكروخي، وأبو القاسم عبد اللّه بن محمد الأصبهاني خطيبها، وأبو سعد الزوزني، وأبو سعد البغدادي، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم علي بن معلى العلوي الهروي الواعظ، وأبو منصور القزاز، وعبد الجبار بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن مندة. وتفرد بالرواية عن طائفة منهم، كالمتوكل والدينوري.
وسمع الكتب الكبار، كالمسند، وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب. وله فيه فوات جزء واحد.
وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت، وصحيح مسلم بنزول، وما لا يحصى من الأجزاء وتصنيف ابن أبي الدنيا وغيرها. ووعظ وهو صغير جداً.
قال: حملني ابن ناصر إلى أبي القاسم العلوي الهروي في سنة عشرين، فلقنني كلمات من الوعظ، وجلس لوداع أهل بغداد مستندًا إلى الرباط الذي عند السور في الحلبة، ورقاني يومئذ المنبر، فقلت الكلمات، وحرز الجمع بخمسين ألفاً. ثم صحب أبا الحسن بن الزاغوني، ولازمه، وعلق عنه الفقه والوعظ.
وذكر القادسي: أنه تفقه على أبي حكيم، وأبي يعلى بن الفراء.

وكذا ذكر ابن النجارة أنه بعد وفاة ابن الزاغوني قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى الصغير، وأبي حكيم النهرواني. وصار مفيد المدرسة.
وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي. ولما توفي ابن الزاغوني في سنة سبع وعشرين طلب حلقته، فلم يعطها لصغره فإنه كان في ذلك العام قد احتلم كما تقدم فحضر بين يدي الوزير، وأورد فصلاً في المواعظ، فأذن له في الجلوس في جامع المنصور.
قال: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم عبد الواحد بن سيف، وأبو علي بن القاضي، وأبو بكر بن عيسى، وابن قثامي وغيرهم. ثم تكلمت في مسجد معروف، وفي باب البصرة، وبنهر المعلى، فاتصلت المجالس، وقوي الزحام، وقوي اشتغالي بفنون العلوم. وسمعت على أبي بكر الدينوري الفقه، وعلى أبي منصور بن الجواليقي اللغة. تتبعت مشايخ الحديث، وانقطعت مجالس أبي علي الراذاني- يعني الذي أخذ حلقة شيخه ابن الزاغوني- واتصلت مجالسي لكثرة اشتغالي بالعلم.
واشتهر أمر الشيخ أبو الفرج من ذلك الوقت، وأخذ في التصنيف والجمع. وقد كان بدأ بالتصنيف من قبل ذلك.
وذكر: أنه سرد الصوم مدة، واتبع الزهاد، ثم رأى أن العلم أفضل من كل نافلة فانجمع عليه، ونظر في جميع الفنون، وألف فيها. وكانت أكثر علومه يستفيدها من الكتب، ولم يحكم ممارسة أهلها فيها، وعظم شأن الشيخ في ولاية الوزير ابن هبيرة. وكان يتكلم عنده في داره كل جمعة. ولما ولي المستنجد الخلافة خلع عليه خلعة مع الشيخ عبد القادر، وغيره من الأكابر، وأذن له في الجلوس بجامع القصر.
قال: فتكلمت. وكان يحزر جمع مجلسي على الدوام بعشرة آلاف، وخمسة عشر ألفاً.
قال: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعانني الله سبحانه وتعالى عليهم. وكانت كلمتنا هي العليا.
وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة، والإمام أحمد وأصحابه، ويذم من يخالفهم، يصرح بمذاهبهم في مسائل الأصل، لا سيما في مسألة القرآن. وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً.

وقال يومًا على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبيّ، ثلاث عورات لكم.
وقدم مرة إلى بغداد واعظ يقال له: البروي، فتعصب في كلامه على الحنابلة كثيراً، فلم تطل مدته حتى هلك. وكان في تلك الأيام قد غدا ساع أسود للشيعة، - خرجوا للقائه، فانبط ووقع ميتًا، فضاقت صدورهم لذلك، فجلس الشيخ عقيب ذلك، وقال في أثناء كلامه: كم أبرق مبتدع بأصحاب أحمد وأرعد فحظي يومًا له وهو بالعيش الأرغد، وأما أنت يا أبعد، فإن أردت أن تموت، وإن أردت أن تحرد. مات البروي وانبط الأسود.
ومن كلامه في بعض المجالس: من مبلغ أحمد بن حنبل، إن زرع كيف أقول ما لم يقل سنبل?.
وقيل له مرة: قلّل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن، فأنشد:
أتوب إليك يا رحمن مـمـا

جنيت، فقد تعاظمت الذنوب
وأما من هوى ليلى وتركي

زيارتها، فإنـي لا أتـوب
وقال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنبلي، فأنشد:
وعيرني الواشون أني أحبهـا

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
ثم قال: أهذا عيبي، ولا عيب في وجه نقط صحنه بالخال. وأنشد:
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب
وكتب إليه رجل في رقعة: والله، ما أستطيع أراك، فقال أعمش وشمس، كيف يراها. ثم قال: إذا خلوت في البيت غرست الدُّرَّ في أرض القراطيس، إذا جلست للناس دفعت بدرياق العلم سموم الهوى أحميكم عن طعام البدع، وتأبون إلا التخليط، والطبيب مبغوض.
وكان الشيخ أبو الفرج معيدًا عند الشيخ أبي حكيم النهرواني.
وكان قد قرأ عليه الفقه أيضًا والفرائض بالمدرسة التي بناها ابن

السمحل بالمأمونية. وكان لأبي حكيم مدرسة بباب الأزج فلما احتضر أسندها إلي أبي الفرج فأخذها جميعاً بعده.
وفي خلافة المستضيء قوي اتصال الشيخ أبي الفرج وصنف له الكتاب الذي سماه "المصباح المضيء في دولة المستضيء" وصنف كتابًا آخر لما خطب للمستضيء بمصر، وانقطع أثر العبيديين عنها، سماه: "النصر على مصر" وعرضه علبه، وحضر عنده، ثم أذن له في سنة ثمان وستين أن يجلس للوعظ في باب بدر بحضرة الخليفة، وأعطاه مالاً.
قال الشيخ: فأخذ الناس أماكن من وقت الضحى للمجلس بعد العصر وكانت هناك دكاك فأكريت، حتى إن الرجل كان يكتري موضعاً لنفسه بقراطين وثلاثة.
قال: وكنت أتكلم أسبوعًا، وأبو الخير القزويني أسبوعًا، وجمعي عظيم وعنده عدد يسير. ثم شاعَ أن أمير المؤمنين لا يحضر إلا مجلسي، وذلك في الأشهر الثلاثة.
قال: ثم تقدم إليَّ بالجلوس بباب بدر يوم عرفة، فحضر الناس من وقت الضحى. وكان الحرّ شديدًا، والناس صيام.
قال: ومن أعجب ما جرى أن حمالاً حمل على رأسه دار بونة من وقت الظهر إلى وقت العصر ظلل بها من الشمس عشرة أنفس، فأعطوه خمس قراريط، واشتريت مراوح كثيرة بضعف ثمنها، وصاح رجل يومئذ: قد سرق مني الآن مائة دينار في هذه الزحمة، فوقع له أمير المؤمنين بمائة دينار.
قال: وفي هذه السنة عقدت المجلس بجامع المنصور يوم عاشوراء، وحضر من الجمع ما حرز بمائة ألف، وجرى في سنة تسع مثل ذلك أيضاً.
قال: وسألني أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلسًا للوعظ ليلة. فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول- يعني سنه تسع- وانقلبت بغداد، وعبر أهلها عبورًا زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم فلما خرجت من باب البصرة رأيت أهل الحربية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها، فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة، فحزرت بألف شمعة. وما رأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء. وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون وكان الزحام في البرية كالزحام

بسوق الثلاثاء، فدخلت الحربية وقد امتلأ الشارع وأكريت الرواشين من وقت الضحى. ولو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف، ما أبعد القائل.
قال: وفي هذا الشهر ختن الوزير رئيس الرؤساء أولاده وعمل الدعوة العظيمة وأنفذ إلي أشياء كثيرة، وقال: هذا نصيبك لأني علمت أنك لا تحضر مكانًا يغنى فيه. ثم إن الشيخ أبا الفرج بنى مدرسة بدرب دينار، ودرس بها سنة سبعين. وذكر أول يوم تدريسه بها أربعة عشر درسًا من فنون العلم.
قال: وفي هذه السنة انتهى تفسيري في القرآن في المجلس على المنبر، إلى أن تم، فسجدت على المنبر سجدة الشكر، وقلت: ما عرفت أن واعظًا فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، ثم ابتدأت في ختمة أفسرها على الترتيب والله قادر على الإنعام والإتمام، والزيادة من فضله.
قال: وتقدم إليَّ بالجلوس تحت المنظرة في رجب، فتكلمت يوم الخميس خامس رجب بعد العصر، وحضر السلطان، وأخذ الناس أماكنهم من بعد صلاة الفجر، وأكريت دكاكين، فكان موضع كل رجل بقيراط، حتى إنه اكترى دكاناً لثمانية عشر رجلاً بثمانية عشر قيراطًا، ثم جاء رجل فأعطاهم ستة قراريط حتى جلس معهم. وكان الناس يقفون يوم مجلسي من باب بدر إلى باب النوبي كأنه العيد، ينظر بعضهم بعضًا، وينظرون قطع المجلس.
قال: وفي شعبان سلمت إلى المدرسة التي للجهة "بنفشا" وكانت قد سلمتها إلى أبي جعفر بن الصباغ، فبقي المفتاح معه أيامًا، ثم استعادت منه المفتاح، وسلمته إلي من غير طلب كان مني، وكتبت في كتاب الوقف: إنها وقف على أصحاب أحمد، وأسندتها إليّ، ثم كتبت على حائطها: اسم الإمام أحمد، وأنها مفوضة إلى ناصر السنة ابن الجوزي. وتقدم إليّ بذكر الدرس فيها. وحضر قاضي القضاة وحاجب الباب، وفقهاء بغداد وخلعت عليّ خلعة، وخرج الدعاة بين يدي والخدم، ووقف أهل بغداد من باب النوبي إلى باب المدرسة كما يكون في العيد وأكثر. وكان على باب المدرسة ألوف، وألقيت يومئذ دروسًا كثيرة من الأصول والفروع وكان يومًا مشهودًا لم ير مثله، ودخل على قلوب أهل المذاهب غم عظيم. وتقدم ببناء دكة لنا في جامع القصر. فانزعج

لهذا جماعة من الأكابر، وقالوا: ما جرت عادة الحنابلة بدكة، فبنيت، فجلست فيها يوم الجمعة ثالث رمضان.
وذكر بعض أصحاب أبي حنيفة في الإفطار بالأكل- يعني ناسيًا- واعترضت عليه يومئذ، وازدحمت العوام حتى امتلأ صحن الجامع، ولم يمكن الأكثرين حصول النظر إلينا، وحفظ الناس بالرجالة، خوفًا من فتنة، وما زال الزحام على حلقتنا كل جمعة. ثم ذكر مجالسه سنة إحدى وسبعين بباب بدر، وحضور الخليفة عنده غير مرة، وازدحام الناس من نصف الليل. وكان يعظ هو وأبو الخير القزويني.
قال: وبعث إليّ بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين: والله، ما أحضر أنا ولا أمير المؤمنين غير مجلسك، وإنما تلمحنا مجلس غيرك يومًا وبعض يوم آخر.
قال: حدثني بعض خدم الخليفة: أن الخليفة حضر يومًا المجلس متحاملاً لمرض حصل له، ولولا شدة محبتك لما حضر، لما كان اعتراه من الألم.
وحدثني صاحب المخزن، قال: كتب إليّ أمير المؤمنين في كلام كنت ذكرته: هل وقع ما ذكره فلان بالفرض؟ فكتب أمير المؤمنين: ما علي ما ذكره فلان مزيد.
قال: وكان الرفض في هذه الأيام قد كثر، فكتب صاحب المخزن إلى الخليفة: إن لم تُقَوِّ يدَ ابن الجوزي لم يطق دفع البدع. فكتب الخليفة بتقوية يديّ، فأخبرت الناس ذلك على المنبر، وقلت: إن أمير المؤمنين، قد بلغه كثرة الرفض، وقد خرج توقيعه بتقوية يديّ في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبروني حتى أنقض داره، وأخلده الحبس، فإن كان من الوعاظ حفرته إلى المثال، فانكفّ الناس.
قال: وتكلمت يوم عرفة بباب بدر، فكان مجلسًا عظيمًا، تاب فيه خلق كثير، وقطعت شعور كثيرة، وكان السلطان حاضرًا، ثم في يوم عاشوراء سنة اثنين وسبعين، تكلمت بباب بدر، وامتلأ المكان من السحرَ، وطلع الفجر وليس لأحد طريق، فرجع الناس وامتلأت الطرق بالناس قيامًا، يتأسفون على فوت الحضور، وقام من يتكلم في المجلس، فبعث أمير المؤمنين فكتبت ظلامته.
قال: وفي جمادى الآخرة عبرت إلى جامع المنصور، فوعظت فيه بعد العصر، واجتمع الناس، فحرز الجمع مائة ألف، ورجعنا إلى

نهر معلّى والناس ممتدون من باب البصرة كالشراك إلى الجسر. وكان يومًا مشهودًا. ثم ذكر مجالسه في هذه السنة، قريبًا مما تقدم بباب بدر.
قال: وكان يوم المجلس تغلق أبواب المكان بعد الظهر لشدة الزحام، فإذا جئت بعد العصر فتح لي، وزاحم معي من يمكنه أن يزاحم.
قال: وفي رمضان، تقدم إليَّ بالجلوس في دار ظهير الدين صاحب المخزن، وحضر أمير المؤمنين، وأذن للعوام في الدخول، وتكلمت فأعجبهم، حتى قال ظهير الدين: قد قال أمير المؤمنين: ما كان هذا الرجل آدمي لما يقدر عليه من الكلام، وذكر مجالسه سنة ثلاث وسنة أربع بنحو ما تقدم.
قال: وتكلمت يوم عاشوراء سنة أربع تحت منظرة باب بدر وأمير المؤمنين حاضر، فقلت: لو أني مثلت بين يدي السدة الشريفة، لقلت: يا أمير المؤمنين. كن للّه سبحانه مع حاجتك إليه، كما كان لك مع غناه عنك، إنه لم يجعل أحدًا فوقك، فلا ترضى أن يكون أحد أشكر له منك. فتصدق أمير المؤمنين يومئذ بصدقات، وأطلق محبوسين.
قال: وتقدم أمير المؤمنين في هذه السنة بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد، ونقضت السترة جميعها، وبنيت بآجر مقطوع جديد، وبني لها جانبان، وبني اللوح الجديد، وفي رأسه مكتوب: هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام المستضيء بالله. وفي وسطه مكتوب: هذا قبر تاج السنة، وحيد الأمة، العالي الهمة، العالم العابد، الفقيه الزاهد. زاد القطيعي: الورع المجاهد، العامل بكتاب الله، وسنة رسول الله.
قال: واستعظم كثير من الناس أمره بكتابة الإمام أحمد على لوحة، فإن عادة الخلفاء لا يقال لغير الخليفة: إمام الإمام أبي عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله. وكتب تاريخ وفاته، وآية الكرسي.
قال: وتكلمت في جامع المنصور هذه الأيام. فبات ليلته في الجامع خلق كثير. وختمت الختمات. واجتمع الناس بكثرة. فحرز الجمع بمائة ألف. وتاب خلق كثير. وقطعت شعورهم، ثم نزلت فمضيت إلى قبر أحمد. فتبعني خلق كثير حرزوا بخمسة آلاف.

قال: وبني للشيخ أبي الفتح بن المني دكة في موضع جلوسه في الجامع. فتأثر أهل المذاهب من ذلك، وجعل الناس يقولون لي: هذا بسببك، فإنه ما ارتفع هذا المذهب عند السلطان حتى مال إلى الحنابلة إلا بسماع كلامك، فشكرت اللّه تعالى على ذلك.
ولقد قال لي صاحب المخزن: ما يخرج إليَّ شيء من عند السلطان فيه ذكرك، إلا ويثني عليك، وقال له يومًا بختاج الخادم: أنت تتعصب لفلان? فقال له: واللّه ما يتعصب له سيدك إلا بقدر ما تتعصب له خمسين مرة، وما يعجبه كلام غيره.
وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء يقول: ما دخلت قط على الخليفة إلا أجري ذكر فلان، يعنيني.
قال الشيخ: وصار لي اليوم خمس مدارس، ومائة وخمسين مصنفًا في كل فن وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف، وقطعت أكثر من عشرة آلاف طائلة، ولم ير واعظ مثل جمعي، فقد حضر مجلسي الخليفة والوزير، وصاحب المخزن، وكبار العلماء والحمد لله على نعمه.
وذكر في هذه السنة: أنه تكلم يومًا بحضرة الخليفة، وحكى له موعظة شيبان للرشيد، قال: وقلت له في كلامي: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك.
قال ابن القطيعي: سمعت من أثق به. قال: لما سمع أمير المؤمنين المستضيء ابن الجوزي ينشد تحت داره:
ستنقلك المـنـايا عـن ديارك

وَيُبْدِلُكَ الـردى دارًا بـدارك
وتترك ما عنيت بـه زمـانًـا

وتنقل من غناك إلى افتقـارك
فدود القبر في عينيك يرعـى

وترعى عين غيرك في ديارك
فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول: أي والله: وترعى عين غيرك في ديارك ويكررها ويبكي حتى الليل.

وحاصل الأمر: أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثلها. وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويسلم فيها المشركون. وقد ذكر في تاريخه: أنه تكلم مرة، فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل، وقطعت شعور مائة وعشرين منهم.
وقال في آخر كتاب القصاص، والمذكرين له: ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل: وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائلة. وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف.
قال: ولا يكاد يُذكر لي حديث إلا ويمكنني أن أقول: صحيح، أو حسن أو محال. ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قرئت عندي في المجلس خمسة عشرة آية، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال.
وقال سبطه أبو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مائة ألف، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة. وكان زاهدًا في الدنيا، متقللاً منها، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعيّ هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني.
قال: وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس. وما مازح أحدًا قط، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقّن حِلهَا. وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.
وقال ابن القطيعي: انتفع الناس بكلامه، فكان يتوب في المجلس الواحد مائة وأكثر في بعض الأيام. وكان يجلس بجامع المنصور يومًا أو يومين في السنة. فتغلق المحال، ويحرز الجمع بمائة ألف.
قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره. وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد، ونظاف الناس، وحسن الكلمات المسجعة والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة،

والنغمات المطربة، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين، والإحسان بما يفاض على المستمعين، من رحمة أرحم الراحمين. ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات، ولم يشغله عن الاشتغال بالعلم شاغل، ولا لعب ولا لها، ولا سافر إلا إلى مكة. ولقد كان فيه جمال لأهل بغداد خاصة، وللمسلمين عامة، ولمذهب أحمد منه ما لصخرة بيت المقدس من المقدس. حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدرب دينار في مدرسته ومجالسه بباب الأزج على شاطىء دجلة، وسمعت عليه مناقب الإمام أحمد، وبعثت إليه من دمشق، فنقل سماعي بخطه وسيره إليَّ، حضرت معه في دعوتين. فكان طيب النفس على الطعام. وكانت مجالسه أكثر فائدة من مجالسته.
وذكره الحافظ ابن الدبيثي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني، فقال: شيخنا الإمام جمال الدين بن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ، وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه. والوقوف على صحيحه من سقيمه. وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال. ومعرفة ما يحتج به في أبواب الأحكام والفقه، وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية الموضوعة. والانقطاع والاتصال. وله في الوعظ العبارة الرائقة. والإشارات الفائقة. والمعاني الدقيقة. والاستعارة الرشيقة.
وكان من أحسن الناس كلامًا. وأتمهم نظامًا، وأعذبهم لسانًا، وأجودهم بيانًا.
وبورك له في عمره وعمله. فروى الكثير، وسمع كالناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مرارًا.
قال: وأنشدني بواسط لنفسه:
يا ساكن الدنيا تـأهـب

وانتظر يوم الفـراق
وأعدَّ زاداً للـرحـيل

فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بـأدمـع

تنهل من سحب المآقي
يا من أضاع زمـانـه

أرضيت ما يفنى بباق
قال: وأنشدني:
إذا رضيت بميسور مـن الـقـوت

أصبحت في الناس حرًا غير ممقوت
يا قوت نفسي إذا ما در خلقـك لـي

فلست آسـى عـلـى درّ وياقـوت
وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة. يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون. لا يضيع من زمانه شيئًا، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدًا إلى ستين.
وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كافٍ. وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية، إن ارتجل أجاد، وإن روى أبدع.
وله في الطب كتاب "اللقط" مجلدان. وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة، وذهنه حِدّة. جُل غذائه الفراريج والمزاوير. ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات. ولباسه أفضل لباس: الأبيض الناعم المطيب.
ونشأ يتيمًا على العفاف والصلاح. وله ذهن وقّاد، وجواب حاضر، ومجون لطيفة، ومداعبات حلوة، لا ينفك من جارية حسناء.
وذكر غير واحد: أن الشيخ أبا الفرج تشرب حب البلاد، فسقطت لحيته، فكانت قصيرة جدًا. وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات.
وصنف في جواز الخضاب بالسواد مجلدًا.
وذكره ابن البزوري في تاريخه، وأطنب في وصفه، وقال: أصبح في مذهبه إمامًا يشار إليه، ويعقد الخنصر في وقته عليه. ودرس بعدة مدارس، وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار، ووقف عليها

كتبه. وبرع في العلوم، وتفرد بالمنثور والمنظوم، وفاق على أدباء عصره، وعلا على فضلاء دهره. وله التصانيف العديدة. سئل عن عددها. فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا. منها ما هو عشرون مجلدًا ومنها ما هو كراس واحد. ولم يترك فنًا من الفنون إلا وله فيه مصنفًا. كان أوحد زمانه، وما أظن الزمان يسمح بمثله.
قال: وكان إذا وعظ اختلس القلوب وتشققت النفوس دون الجيوب.
وذكره العماد الكاتب في الخريدة، وابن خلكان والحموي، وابن النجار، وأبو شامة وغيرهم، وأثنوا عليه مع أن اشتهاره بالعلوم والفضائل يغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره. فلقد بلغ ذكره مبلغ الليل، وسارت بتصانيفه الركبان إلى أقطار الأرض، وانتفع الناس بها انتفاعًا بينًا.
قال ابن النجار- بعد ذكره نبذة من أسماء مصنفاته-: من تأمل ما جمعه بان له حفظه وإتقانه، ومقداره في العلم. وكان رحمه الله مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله، وله نصيب من الأذواق الصحيحة، وحظ من شرب حلاوة المناجاة. وقد أشار هو إلى ذلك. ولا ريب أن كلامه في الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي مجرد عن الذوق، بل كلام مشارك فيه.
وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه: أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار. وله معاملات. ويزور الصالحين إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر عن ذكر اللّه. وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن.
كذا قال. وهذا بعيد جدًا. مع اشتغاله بالتصانيف.
قال: ورأى رب العزة في منامه ثلاث مرات. ومع هذا فللناس فيه- رحمه اللّه- كلام من وجوه.
منها: كثرة أغلاطه في تصانيفه. وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثرًا من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره. وربما كتب في الوقت الواحد من تصانيف عديدة. ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقنًا لذلك العلم منا جهة

الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مُرتب، ولست بمصنف.
ومنها: ما يوجد في كلامه من الثناء، والترفع والتعاظم، كثرة الدعاوى. ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، والله يسامحه.
ومنها- وهو الذي من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين- من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكرهم عليه في ذلك. ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعًا على الأحاديث والآثار في هذا الباب، فلم يكن خبيرًا بحل شبهة المتكلمين، وبيان فِسادها. وكان معظمًا لأبي الوفاء بن عقيل يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه وإن كان قد ورد عليه في بعض المسائل. وكان ابن عقيل بارعًا في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار. فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه. وأبو الفرج تابع له في هذا التلون.
قال الشيخ موفق الدين المقدسي: كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة. وكان صاحب قبول. وكان يدرس الفقه ويصنف فيه. وكان حافظًا للحديث. وصنف فيه، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة، ولا طريقته فيها. انتهى.
وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفًا وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل لقوة فهمه، وحِدَّة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه. وقد كان شيخه ابن ناصر يثني عليه كثيرًا. ولما صنف أبو الفرج كتابه المسمى ب "التلقيح" وله إذْ ذاك نحو الثلاثين من عمره، عرضه على ابن ناصر، فكتب عليه: قرأ عليَّ هذا الكتاب جامعه الشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الفرج، فوجدته قد أجاد تصنيفه، وأحسن تأليفه، وجمعه ولم يسبق إلى مثل هذا الجمع فقد طالع كتبًا كثيرة، وأخذ أحسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ، فنظمه عقدًا زان به التصانيف، التي تجمعت من التواريخ، ومعرفة الصحابة وأسمائهم وكناهم وأعمارهم، وأبان عن فهم وعلم غزير مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم، فنفعه الله بعلمه، ونفع به، وبلغه غاية

العمرة لينفع المسلمين، وينصر السنة وأهلها، ويدحض البدع وحزبها.
قال الشيخ أبو الفرج: ولقد كنت أرُدّ أشياء على شيخنا أبي الفضل بن ناصر، فيقبلها مني.
وحدثني أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر عن شيخنا أنه كان يقول عني: إذا قرأ عليّ فلان استفدت بقراءته، وأذكرني ما قد نسيته.
وأما تصانيفه فكثيرة جداً. وقد تقدم عنه أنه ذكر أنها مائة وأربعون، أو مائة وخمسون وزيادة على ثلاثمائة وأربعين. وقد قيل: أكثر من ذلك.
قال الإمام أبو العباس ابن تيمية في أجوبته المصرية: كان الشيخ أبو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف. وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف. ورأيت بعد ذلك له ما لم أره.
قال: وله من التصانيف في الحديث وفنونه ما لم يصنف مثله. قد انتفع الناس به.
وهو كان من أجود فنونه: وله في الوعظ وفنونه ما لم يصنف مثله.
ومن أحسن تصانيفه: ما يجمعه من أخبار الأولين، مثل "المناقب" التي صنفها، فإنه ثقة، كثير الاطلاع على مصنفات الناس، حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والكتابة. وكان من أحسن المصنفين في هذه الأبواب تمييزًا فإن كثيرًا من المصنفين فيه لا يميز الصدق فيه من الكذب.
وكان الشيخ أبو الفرج فيه من التمييز ما ليس في غيره. وأبو نعيم له تمييز وخبرة، لكن يذكر في الحلية أحاديث كثيرة موضوعة. فهذه المجموعات التي يجمعها الناس في أخبار المتقدمين من أخبار الزهاد ومناقبهم، وأيام السلف وأحالهم، مصنفات أبي الفرج أسلم فيها من مصنفات هؤلاء، ومصنفات أبي بكر البيهقي أكثر تحريرًا لحق ذلك من باطله من مصنفات أبي الفرج فإن هذين كان لهما معرفة بالفقه الحديث، والبيهقي أعلم بالحديث، وأبو الفرج أكثر علومًا وفنونًا.
قال ابن القطيعي في تاريخه: ناولني ابن الجوزي كتابًا بخطه فيه فهرست التصانيف لي، وأظن ابن القطيعي زاد فيها أشياء أخر.

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت- ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة-: "ثبت التصانيف المتعلقة بالقرآن وعلومه"، كتاب "المغني، في التفسير، أحد وثمانون جزءًا، كتاب "زاد المسير في علم التفسير" أربع مجلدات، كتاب "تيسير البيان في تفسير القرآن" مجلد، كتاب "تذكرة الأريب في تفسير الغريب" مجلد، و "غريب الغريب" جزء، كتاب "نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر" مجلد. واختصرت من هذا الكتاب كتابًا يسمى ب "الوجوه النواضر في الوجوه والنظائر" مجلد، كتاب "الإشارة إلى القراءة المختارة" أربعة أجزاء، كتاب "تذكرة المنتبه في عيون المشتبه" جزء، كتاب "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" مجلد، كتاب "ورد الأغصان في فنون الأفنان" جزء، كتاب "عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ" خمسة أجزاء "المصفا بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ" جزء، "ثبت التصانيف في أصول الدين" كتاب "منتقد المعتقد" جزء، كتاب "منهاج الوصول إلى علم الأصول خمسة أجزاء"، كتاب "بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد" جزء، "غوامض الإلهيات" جزء، "مسلك العقل" جزء، "منهاج أهل الإصابة"، "السرّ المصون" مجلد، "دفع شبه التشبيه " أربعة أجزاء "الرد على المتعصب العنيد"، "ثبت التصانيف في علم الحديث والزهديات"، كتاب "جامع المسانيد بألخص الأسانيد"، كتاب "الحدائق" أربعة وثلاثون جزءًا، كتاب "نفى النقل" خمسة أجزاء، كتاب "الحدائق" أربعة وثلاثون جزءاً كتاب "نفي النقل" خمسة أجزاء كتاب "المجتبى" مجلد كتاب "النزهة" جزآن كتاب "عيون الحكايات" مجلد كتاب "ملتقط الحكايات" ثلاثة عشر جزءاً كتاب "إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين " مجلد، كتاب "روضة الناقل" جزء، كتاب "غرر الآثر" ثلاثون جزءًا كتاب "التحقيق في أحاديث التعليق" مجلدان، كتاب "المديح" سبعة أجزاء، كتاب "الموضوعات من الأحاديث المرفوعات" مجلدان، كتاب "العلل المتناهية في الأحاديث الواهية" مجلدان، كتاب "الكشف لمشكل الصحيحين" أربع مجلدات، كتاب "الضعفاء والمتروكين" مجلد، كتاب "إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه" مجلد، كتاب "أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث" جزء، كتاب "السهم المصيب جزآن "أخاير

الذخائر" ثلاثة أجزاء "الفوائد عن الشيوخ " ستون جزءًا، "مناقب أصحاب الحديث" مجلد، "موت الخضر" مجلد "مختصرة" جزء، "المشيخة" جزء، "المسلسلات" جزء، "المحتسب في النسب" مجلد، "تحفة الطلاب" ثلاثة أجزاء، "تنوير مدلهم الشرف" جزء، "الألقاب" جزء. إلى هنا.
زاده ابن القطيعي: كتاب "فضائل عمر بن الخطاب" مجلد "فضائل عمر بن عبد العزيز" مجلد، "فضائل سعيد بن المسيب" مجلد، "فضائل الحسن البصري" مجلد، "مناقب الفضيل بن عياض" أربعة أجزاء، "مناقب بِشْر الحافي" سبعة أجزاء، "مناقب إبراهيم بن أدْهَم" ستة أجزاء، "مناقب سفيان الثوري" مجلد، "مناقب أحمد بن حنبل" مجلد، "مناقب معروف الكرخي" جزآن. "مناقب رابعة العدوية" جزء، "مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن" مجلد، "صفوة الصفوة" خمس مجلدات، "منهاج القاصدين" أربع مجلدات "المختار من أخبار الأخيار" مجلد، "القاطع لمحال للحجاج بمحال الحجاج " جزء، "عجالة المنتظر، لشرح حال الخضر" جزء. كتاب "النساء وما يتعلق بآدابهن " مجلد، كتاب "علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أمَّ الرسول" جزء كتاب "الجوهر"، كتاب "المغلق "، "ثبت ما يتعلق بالتاريخ " "تلقيح فهوم أهل الأثر، في عيون التواريخ والسير" مجلد، كتاب "المنتظم، في تاريخ الملوك والأمم" عشر مجلدات، كتاب "شذور العقود، في تاريخ المعهود" مجلد، كتاب "طرائف الظرائف، في تاريخ السوالف" جزء، "مناقب بغداد" مجلد، "ثبت المصنفات في الفقه" "الإنصاف في مسائل الخلاف" كتاب "جنة النظر، وجنة النظر" وهي التعليقة الوسطى، كتاب "معتصر المختصر في مسائل النظر" وهي دون تلك، كتاب "عمد الدلائل، في مشتهر المسائل" وهي التعليقة الصغرى، كتاب "المذهب في المذهب"، "مسبوك الذهب" مجلد، كتاب "النبذة" جزء، كتاب "العبادات الخمس" جزء، كتاب "أسباب الهداية لأرباب البداية" مجلد كتاب "كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى" كتاب "رد اللوم والضيم في صوم يوم الغيم" "ثبت المصنفات في علم الوعظ" كتاب "اليواقيت في الخطب" مجلد، "المنتخب في النوب" مجلد، "منتخب المنتخب" مجلد، "مصنفاته في الوعظ" أكثر من مائة مجلدة قاله ابن القادسي، "منتخب المنتخب"

مجلد، "نسيم الرياض" مجلد، "اللؤلؤ" مجلد، "كنز المذكر" مجلد، كتاب "الأزج" مجلد، كتاب "اللطائف" مجلد، كتاب "كنوز الرموز" مجلد، كتاب "المقتبس" مجلد، "زين القصص" مجلد، "موافق المرافق" مجلد، "شاهد ومشهود" مجلد، "واسطات العقود من شاهد ومشهود" مجلد، "اللهب" جزآن، "المدهش" مجلدان، "صبا نجد" جزء، "محادثة العقل" جزء، "لقط الجمان" جزء، "معاني المعاني" جزء، "فتوح الفتوح" مجلد، "التعازي الملوكية" جزء، "العقد المقيم" جزء كتاب "إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات" جزآن، "نكث المجالس البدرية" جزآن، "نزهة الأديب" جزآن، "منتهى المنتهى، مجلد "تبصرة المبتدىء" عشرون جزءًا، كتاب "الياقوتة" جزآن، كتاب "تحفة الوعاظ " مجلد، "ثبت تصانيف في فنون ذم الهوى" مجلدان، "صيد الخاطر" خمسة وستون جزءًا، كتاب "أحكام الإشعار، بأحكام الإشعار" عشرون جزءًا، كتاب "القصاص، والمذكرين" كتاب، "تقويم اللسان" مجلد كتاب "الأذكياء" مجلد، "الحمقى" مجلد، "تلبيس إبليس" مجلدان، "لقط المنافع في الطب" مجلدان، "الشيب والخضاب" مجلد، "أعمار الأعيان" جزء، "الثبات عند الممات" جزرآن، "تنوير الغبش، في فضل السود والحبش" مجلد، "الحث على حفظ العلم، وذكر كبار الحفاظ " جزء، "إشراف الموالي " جزآن، كتاب "إعلام الأحياء، بأغلاط الأحياء"، كتاب "تحريم المحل المكروه" جزء، كتاب "المصباح المضيء لدعوة الإمام المستضيء" مجلد. كتاب "عطف العلماء على الأمراء، والأمراء على العلماء" جزء، كتاب "النصر على مصر" جزء، "المجد العضدي" مجلد، "الفجر النوري" مجلد، "مناقب الستر الرفيع" جزء، "ما قلته من الأشعار" جزء، "المقامات " مجلد، "من رسائلي" جزء، "الطب الروحاني" جزء.

فهذا ما نقله ابن القطيعي من خطه، وقرأهَ عليه، وزاد فيه. ومع هذا، فلأبي الفرج تصانيف كثيرة غير ما ذكر في هذا الفهرست، كأنه صنفها بعد ذلك.

فمنها: كتاب "بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب" ستة عشر جزءًا، كتاب "الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب" وهو تعليقه في الفقه كبير، كتاب "الوفا بفضائل

المصطفى صلى الله عليه وسلم" مجلدان، كتاب "النور في فضائل الأيام والشهور" مجلد، "تقريب الطريق الأبعد، في فضائل مقبرة أحمد"، كتاب "مناقب الإمام الشافعي"، كتاب "العزلة" كتاب "الرياضة"
كتاب "منهاج الإصابة في محبة الصحابة" "فنون الألباب" "الظرفاء والمتحابين" "تقويم الأسنان" "مناقب أبي بكر" مجلد "مناقب عليّ" مجلد "فضائل العرب" مجلد، "درة الإكليل في التاريخ" أربع مجلدات. ذكره سبطه، "الأمثال" مجلد، "المنفعة في المذاهب الأربعة" مجلدان، "المختار من الأشعار" عشر مجلدات، "رؤوس القوارير" مجلدان، "المرتجل في الوعظ " مجلد كبير، "نسيم الرياض" مجلد، "ذخيرة الواعظ" أجزاء، "الزجرُ المخوف"، "الأنس والمحبة" "المطرب الملهب" "الزند الوري في الوعظ الناصري"، جزآن، "الفاخر في أيام الإمام الناصر" مجلد، "المجد الصلاحي" مجلد، "لغة الفقه" جزآن.
وقيل: إن له غيره، عقد الخناصر في "ذم الخليفة الناصر" وكتاب في ذم عبد القادر، "غريب الحديث" مجلد، "ملح الأحاديث" جزآن "الفصول الوعظية على حروف المعجم"، "سلوة الأحزان" عشر مجلدات "المعشوق في الوعظ"، "المجالس اليوسفية في الوعظ " كتبها لابنه يوسف، "الوعظ المقبري" جزء، "قيام الليل" ثلاثة أجزاء، "المحادثة" جزء، "المناجاة" جزء، "زاهر الجواهر في الوعظ " أربعة أجزاء، "كنز المذكر" "النحاة الخواتيم" جزآن، "المرتقى لمن اتقى" وتصانيف أخر غير هذه.
وسمعت أن له حواشي على صحاح الجوهري، وما أخذ عليها.
واختصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلدًا.
قال الحافظ الذهبي: ما علمت أن أحدًا من العلماء، صنف ما صنف هذا الرجل.
ومن لفظ كلامه الحسن في المجالس، قال: قال يومًا وقد طوب أهل مجلسه: فهمتم. فهمتم. وقام إليه سائل، فقال: كيف أصادق من ذا وقته. فقال: ماذا وقته.
وقال يومًا: شهوات الدنيا أنموذج، والأنموذج يعرض ولا يقبض.
وقال مرة: من وقف على صراط الاستقامة، وبيده ميزان المراقبة، ومحك الورع يستعرض أعمال النفس، ويرد البهرج إلى كير التوبة، سلم من رد الناقد يوم التنقيض.

وقال يومًا: بقايا الشهوات، في سوق الهوى متبهرجات، يمسكن ثياب الطبع، فإن خرج الزاهد من بيت عزلته خاطر بذنوبه.
وسأله رجل يومًا: أيما أفضل، أُسَبِّحُ، أمْ أستَغْفر. فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.
وقال في حديث "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين": إنما طالت أعمار الأوائل لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة. قيل: حُثّوا المطي.
ومن كلامه الحسن: من قنع طاب عيشه. ومن طمع طال طيشه.
وقال لصاحب له: أنت في أوسع العذر من المتأخر عني لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك.
وسأله سائل فأجاب، فقال السائل: ما فهمت، فأنشد:
عليَّ نصب المعاني في مناصبها

فإن كبت دونها الأفهام لم أُلَـم
وسئل: وكيف ضرب عمر بالدرَّة الأرض. فقال: الخائن خائف، والبريء جريء.
وذكر الوفاء، فقال: ما أعرف الوفي. وما فيّ.
وتاب على يده يومًا بعض الخدم، فقال: لما عدم آلة الشهوة صلح لصحبة الملوك. فخرج الخادم على وجهه، فقال: من يعطيه قصة يوصلها? وقال: الدنيا دار الإله، والمتصرف في الدار بغير أمر صاحبها لصّ.
وقيل له: إن فلانًا وصى عند موته. فقال: يا مفرطين ما تطينون سطوحكم إلا في كانون.
وسأله سائل: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي? فقال: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها. فلا تشغلها بالملاهي ملاهي.
قال يومًا في قول فرعون: "وَهذهِ الأَنهَارُ تَجْرِي مِنْ تحْتي" الزخرف: 51، ويحه. افتخر بنهر ما أجراه، ما أجراه.
وقرىء بين يديه "تتجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ" السجدة: 116 فقال: لا تحلوا، رزمة رفيعة، فما عندنا مشترى.
وسئل يومًا: ما تقول في الغناء. فقال: أقسم بالله لهوَ لَهْوٌ.
وقال: ما عَزّ يوسف إلا بترك ما ذل به ما عز.
وقال: ما نفشت غنم العيون النواظر في زروع الوجوه النواضر إلا وأغير على السرح.

وقال: المتعرض للنبلة أبله.
وقرىء بين يديه يومًا "كل مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" الرحمن: 26. فقال: والله هذا توقيع بخراب البيوت.
وقال يومًا في مناجاته: إلهِي لا تعذب لسانًا يخبر عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدل عليك ولا قدماً تمشي إلى خدمتك ولا يداً تكتب حديث رسولك. فبعزتك لا تدخلني النارة فقد علم أهلها أني كنت أذبّ عن دينك.
ومنه: ارحم عبرة ترقرق على ما فاتها منك. وكبدًا تحترق على بعدها عنك.
إلهي، علمي بفضلك يطمعني فيك، ويقيني بسطوتك يؤيسني منك، وكلما رفعت ستر الشوق إليك، أمسكه الحياء منك. إلهي، لك أذل، وبك أذل، وعليك أدُل، وأنشد:
أحيى بذكرك ساعة وأموت

لولا التعلل بالمنى لفنـيت
وللشيخ أبي الفرج أشعار حسنة كثيرة. قال أبو شامة: قيل: إنها عشر مجلدات، فمما أنشده عنه القطيعي:
ولمـا رأيت ديار الـصـفـا

أقوت من إخوان أهل الصفاء
سعيت إلى سد بـاب الـوداد

وأحزن قلبي وفاة الـوفـاء
فلما اصطحبنا وعاشرتـكـم

علـمــت أن رأيي ورائي
قال: وأنشدنا لنفسه:
يا صاحبي، هذه رياح أرضهم

قد أخبرت شمائل الشـمـائل
نسيمهـم سـحـيري الـريح

ما تشبهـه روائح الأصـائل?

ما للصبا مولعة بذي الصـبـا

أو صبا فوق الغرام القـاتـل
ما للهوى العذري في ديارنـا

أين العذيب من قصور بابـل
لا تطلبوا ثاراتنا يا قـومـنـا

ديارنا في أذرع الـرواحـل
لله در العيش في ظـلالـهـم

ولي وكم أسار في المفاصـل
واطربي إذا رأيت أرضـهـم

هذا وفيها رميت مقـاتـلـي
يا درة الشيخ سقيت أدمـعـي

ولا ابتليت بالهوى مسـائلـي
ميلك عن زهو وميلي عن أسى

ما طرب المخمور مثل الثاكل
قال: وأنشدنا لنفسه:
سلام على الدار التي لا نزورهـا

على أن هذا القلب فيها أسيرهـا
إذا ما ذكرنا طيب أيامـنـا بـهـا

توقد في نفس الذكور سعـيرهـا
رحلنا وفي سر الفـؤاد ضـمـائر

إذا هب نجدي الصبا يستثـيرهـا
سحت بعدكم تلك العين دموعـهـا

فهل من عيونْ بعدها تستعيرهـا.
أتنسى رياض الروض بعد فراقها

وقد أخذ الميثاق منك غـديرهـا
يجعده مـر الـشـمـال وتـارة

يغازله كر الصبـا ومـرورهـا
ألا هل إلى شم الخزامى وعرعـر

وشيخ بوادي الأثل أرض تسيرها
ألا أيها الركب العراقي بـلـغـو

رسالة محزون حواه سطـورهـا
إذا كتبت أنفاسه بعـض وجـدهـا

على صفحة الذكرى محاه زفيرها
ترفق رفيقي، هل بدت نار أرضهم

أم الوجد يذكي نـاره ويثـيرهـا
أعد ذكرهم فهو الشفـا وربـمـا

شفى النفس أمر ثم عاد يضيرهـا
ألا أين أيام الوصال التي خـلـت

وحيث خلت حلت وجا مريرهـا
سقى الله أيامًا مـضـت ولـيالـيا

تضوع رياها وفاح عـبـيرهـا
قال: وأنشدنا لنفسه:
إذا جزت بالفور عرج يمينـاً

فقد أخذ الشوق منا يمـينـا
وسلم علـى بـانة الـواديين

فإن سمعت أوشكت أن تبينا
ومل نحو غصن بأرض النقى

وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وصح في مغانيهم: أين هم?

وهيهات أموا طريقاً شطونا
وروّ ثرى أرضهم بالدمـوع

وخل الضلوع على ما طوينا
أراك يشوقـك وادي الأراك

أللدار تبكي أم الظاعـينـا?
سقى الله مرتعنا بالـحـمـى

وإن كان أورث دآء دفـينـا
وعاذله فوق داء الـمـحـب

رويدًا رويدًا بنا قد بـلـينـا
لمن تعذلين أمـا تـعـذرين

فلو قد تبعت دفعت الأنـينـا
إذا غلب الحب ضاع العتـاب

تعبت وأتعبت لو تعلمـينـا
وما ينسب إليه من الشعر:
تملكوا واحـتـكـمـوا

وصار قلـبـي لـهـم
تصرفوا في ملـكـهـم

فلا يقـال: ظـلـمـوا

إن واصلوا محـبـهـم

أو قطعوا فـهـم هـم
أصبـر لـمـا شـاءوا

وإن ساء الذي قد حكموا
يا أرض سلع خـبـري

وحدثـيـنـي عـنـهـم
يا ليت شعري إذْ حـدوا

أأنجدوا أم اتـهـمـوا
تشتاقهـم أرض مـنـى

وتشـكـيهـم زمـزمُ
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني- سماعًا- قال: قرىء على الإمام أبي الفرج بن الجوزي- وأنا أسمع- لنفسه:
يا نادباً أطلال كل نـادي

وباكياً في إثر كل حادي
مستلب القلب بحب غادة

غدت فإن البيت بالفؤادي
مهلاً فما اللذات إلا خدع

كأنها طيف خيال غادي
أين المحب الحبيب بعـدا

وانذرا من بعد بالبعـاد
فكل جمع فإلى تـفـرق

وكل باق فإلـى نـفـاد

مواعظ بليغة فيا لـهـا

مواعظ واربة الـزنـاد
قرأ على الشيخ أبي الفرج العلم جماعة، منهم طلحة العلثي ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حران. وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه "زاد المسير" في التفسير قراءة بحث ومراجعة.
وسمع الحديث وغيره من تصانيفه منه خلق لا يحصون كثرة من الأئمة والحفاظ والفقهاء وغيرهم.
وروى عنه خلق، منهم ولده الصاحب محيي الدين، وسبطه أبو المظفر الواعظ، والشيخ موفق الدين، والحافظ عبد الغني وابن الدبيثي، وابن القطيعي، وابن النجار، وابن خليل، وابن عبد الدائم، والنجيب عبد اللطيف الحراني. وهو خاتمة أصحابه بالسماع.
وروى عنه آخرون بالإجازة. آخرهم الفخر علي بن البخاري. وقد نالته محنة في آخر عمره رحمه الله. وحديثها يطول.
وملخصها: أن الوزير ابن يونس الحنبلي الذيَ قدمنا ترجمته كان في ولايته قد عقد مجلسًا للركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي، وأحرقت كتبه. وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورأى الأوائل شيء كثير، وذلك بمحضر من ابن الجوزي وغيره من العلماء، وانتزع الوزير منه مدرسة جده، وسلمها إلى ابن الجوزي.
فلما ولي الوزارة ابن القصاب- وكان رافضيًا خبيثًا- سعى في القبض على ابن يونس، وتتبع أصحابه، فقال له الركن: أين أنت عن ابن الجوزي فإنه ناصبي ومن أولاد أبي بكر، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرقت كتبي بمشورته. فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر وكان الناصر له ميل إلى الشيعة ولم يكن- له ميل إلى الشيخ أبي الفرج، بل قد قيل: إنه كان يقصد أذاه، وقيل: إن الشيخ ربما كان يعرض في مجالسه بذم الناصر، فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى دار الشيخ وشتمه، وأغلظ عليه وختم على كتبه وداره، وشتت عياله.
فلما كان في أول الليل حمل في سفينة وليس معه إلا عدوه الركن، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل وعلى رأسه تخفيفة فأحدر

إلى واسط. وكان ناظرها شيعياً. فقال له الركن: مكني من عدوي لأرميه في المطمورة، فزبره، فقال يا زنديق، ارميه بقولك، هات خط الخليفة، والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي. ومالي في خدمته، فعاد الركن إلى بغداد.
قال ابن القادسي: لما حضروا واسط جمع الناس، وادعى ابن عبد القادر على الشيخ: أنه تصرف في وقف المدرسة، واقتطع من مالها كذا وكذا، وكذب فيما ادعاه، وأنكر الشيخ، وصدق وبر، أفرد للشيخ دار بدرب الديوان، وأفرد له من يخدمة، وبقي الشيخ محبوسًا بواسط في دار بدرب الديوان، وعلى بابها بواب. كان بعض الناس يدخلون عليه، ويستمعون منه، ويملي عليهم. كان يرسل أشعارًا كثيرة إلى بغداد. وأقام بها خمس سنين يخدم نفسه بنفسه، ويغسل ثوبه ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، ولا يتمكن من خروج إلى حمام ولا غيره وقد قارب الثمانين. ويقال: إنه بقي خمسة أيام في السفينة حتى وصل إلى واسط لم يأكل فيها طعامًا.
وذكر عنه أنه قال: قرأت بواسط مدة مقامي بها كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف.
والذي ذكره أبو الفرج بن الحنبلي عن طلحة العلثي: أن الشيخ كان يقرأ في تلك المدة ما بين المغرب العشاء ثلاثة أجزاء أو أربعة من القرآن. وبقي على ذلك من سنة تسعين إلى سنة خمس وتسعين، فأفرج عنه، وقدم إلى بغداد وخرج خلق كثير يوم دخوله لتلقيه، وفرح به أهل بغداد فرحًا زائدًا، ونودي له بالجلوس يوم السبت، فصلى الناس الجمعة، وعبروا يأخذون مكانات موضع المجلس عند تربة أم الخليفة. فوقع تلك الليلة مطر كثير ملأ الطرقات، فأحضر في الليل فراشون وروز جارية، فنظفوا موضع الجلوس وفرشوا فيه دقاق الجص والبواري، ومضى الناس وقت المطر إلى قبر معروف تحت الساباط، حتى سكن المطر، ثم جلس الشيخ بكرة السبت وعبر الخلق، وحضر أرباب المدارس والصوفية ومشايخ الربط، وامتلأت البرية حتى ما كان يصل صوت الشيخ إلى آخرهم.
وكان السبب في الإفراج عن الشيخ: أن ولده محيي الدين يوسف ترعرع وأنجب، وقرأ الوعظ ووعظ، وتوصل وساعدته أم الخليفة، وكانت تتعصب للشيخ أبي الفرج فشفعت فيه عند ابنها

الناصر، حتى أمر بإعادة الشيخ، فعاد إلى بغداد، وخلع عليه، وجلس عند تربة أم الخليفة للوعظ، وأنشد:
شقينا بالنوى زمناً فـلـمـا

تلاقينا كأنا مـا شـقـيـنـا
سخطنا عندما جنت الليالـي

فما زالت بنا حتى رضينـا
سعدنا بالوصال وكم شقـيـنـا

بكاسات الصدود وكم فَنِينـا
فمن لم يحيى بعد الموت يوماً

فإنا بعدما متـنـا حـيينـا
ولم يزل الشيخ على عادته الأولى في الوعظ، ونشر العلم وكتابته إلى أن مات.
قال سبطه أبو المظفر: جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان- يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة- تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي. وكنت حاضرًا، فأنشد أبياتًا قطع عليها المجلس، وهي هذه.
اللـه أسـأل أن يطـول مـدتـي

وأنال بالإنعام مـا فـي نـيتـي
لي همة في العلم ما من مثلـهـا

وهي التي جَنت النحول هي التي
حلفت من الفلق العظيم إلى المنى

دعيت إلى نيل الكمال فـلـبَّـت
كم كان لي من مجلس لو شبهـت

حالاته لتشـبـهـت بـالـجـنة
اشتاقه لـمـا مـضـت أيامـه

عللاً تعـذر نـاقة إن حـنـت
يا هل لليلات بـجـمـع عـودة

أم هل إلى وادي منى من نظرة?
قد كان أحلى من تصاريف الصبي

ومن الحمام مغنـياً فـي الأيكة
فيه البديهات التي مـا نـالـهـا

خلق بغير مخـمـر ومـبـيت
برجـاحة وفـصـاحة ومـلاحة

تقضي لها عدنان بـالـعـربـية
وبــلاغة وبـــراعة ويراعة

ظن النباتي أنهـا لـم تـنـبـت
وإشارة تبكي الجنيد وصـحـبـه

في رقة ما نالـهـا ذو الـرمة
قال أبو شامة: هذه الأبيات أظنها كان نظمها في أيام محنته، إذْ كان محبوسًا بواسط فمعانيها دالة على ذلك. والله أعلم.
ثم قال أبو المظفر: ثم نزل عن المنبر، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشائين في داره يقطتفنا.
قال: وحكت لي والدتي أنها سمعته يقول قبل موته: إيش أعمل بطواويس? يرددها. قد جئتم لي هذه الطواويس. وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكينة وضياء الدين بن الجبير وقت السحر. واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وجاء أهل المحال، وشددنا التابوت بالحبال، وسلمناه إليهم، فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه، فصلى عليه ابنه أبو القاسم عليه اتفاقاً لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس. وكان يومًا مشهوداً لم يصل إلى حفرته عند قبر الإمام أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة.

وكان في تموز، وأفطر خلق كثير ممن صحبه، رموا أنفسهم في خندق الطاهرية في الماء، وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا القليل، ونزل في الحفرة والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن الناس عليه حزنًا شديدًا، وبكوا عليه بكاءً كثيرًا، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات.
قال: ورآه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربي على منبر من ياقوت مُرصَّع بالجوهر، والملائكة جلوس بين يديه، والحق تعالى حاضر يسمع كلامه.
قلت: وأنبأني أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش عن أبيه قال: قال عفيف الدين معتوق القليوبي: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول:
لعمرك قد أوذي وعطل منبـر

وأعيى على المستفهمين جواب
قال: فانتبهت من نومي، فقلت: ترى أي شيء قد جرى. فجاءنا الخبر وقت العصر بموت الشيخ ابن الجوزي، فقلت:
ولم يبق من يرجى لإيضاح مشكل

وأصبح ربع العلم وهو خـراب
ثم قال أبو المظفر: أصبحنا عملنا عزاه، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وأنشد القادري العلوي:
الدهر عن طمع يغـرّ ويخـدع

وزخارف الدنيا آلَدنية تطـمـع
وأعنة الآمال يطلقهـا الـرجـى

طمعاً وأسياف المنية تـقـطـع
والموت آتٍ، والـحـياة مـريرة

والناس بعضهم لبعـض يتـبـع
واعلم بأنك عن قـلـيل صـائر

خبرًا فكن خبرًا بخير يسـمـع

لعُلاَ أبي الفرج الذي بعد التقـى

والعلم يوم حواه هذا المجـمـع
خبرٌ، عليه الشرع أصبح والهِـاَ

ذا مقلة حرًا عـلـيه تـدمـع
مَن للفتاوى المشكلات وحلّـهـا

من ذا لخرق الشرع يوماً يرفع?
من للمنابر أن يقوم خطـيبـهـا

ولرد مسألة يقول فـيسـمـع?
من للجدال إذا الشفاه تقلـصـت

وتأخر القوم الهزبر المصقـع?
من للدياجي قائمـاً ديجـورهـا

يتلو الكتاب بمقلة لا تـهـجـع
أجمال دين محمد، مات التـقـى

والعلم بعدك، واستحم المجمـع
يا قبره جادتـك كـل غـمـامة

هطـالة ركـانة لا تـقـلــع
قيل الصلاة مع الصلاة فِتْه بـه

وانظر به يا رمل ماذا يصـنـع
يا أحمد أخذ أحمد الثانـي الـذي

ما زال عندك مدافعاً لا يرجـع
أقسمت لو كشف الغطا لـرأيتـم

وفد الملائك حوله تـتـسـرع

ومحمد يبـكـي عـلـيه وآلـه

خير البرية والبـطـين الأنـزع
وذكر تمام القصيدة.
قال: ومن العجائب: أنا كنا جلوسًا عند قبره بعد انفضاض العزاء، وإذا بخالي محي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فعجبنا وقلنا: ترى من مات في الدار. وإذا بها خاتون أم ولد جدي، والدة محيي الدين، وعهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية، قائمة ليس بها مرض، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعدّ الناس ذلك من كراماته لأنه كان مغري بها في حال حياته، وأوصى جدي أن يكتب على قبره:
يا كثير العفو عمن كثـر الـذنـب لـديه

جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسـان إلـيه

فرحمه اللّه تعالى وغفر له، ورحم سائر علماء المسلمين.
قال أبو المظفر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة، أولهم: أبو بكر عبد العزيز. وهو كبر أولاده، تفقه على مذهب أحمد. وسمع أبا الوقت، وابن ناصر، والأرموي، وجماعة من مشايخ والده.
وسافر إلى الموصل، ووعظ، وحصل له القبول التام، فيقال: إن بني الشهرزوري حسدوه، فدسُوا إليه من سقاه السم، فمات بالموصل سنة أربع وخمسين في حياة والده.
والثاني: أبو القاسم علي. كتب الكثير. وسمع من ابن البطي وغيره. وكانت طريقته غير مرضية، وهجره أبوه سنين.
توفي سنة ثلاثين وستمائة. وله ثمانون سنة.
وأبو محمد يوسف، أستاذ دار المستعصم. وسنذكره إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب.
ومما يذكر من مناقب الشيخ أبي الفرج: ما ذكره هو في تاريخه في ترجمة مرجان الخادم. وكان قد قرأ القرآن وشيئًا من الفقه، وتزهد. وله مكانة عند الخليفة، إلا أنه كان يتعصب على الحنابلة

فوق الحد، حتى إن الوزير ابن هبيرة عمل بمكة حطيمًا يصلي فيه إمام الحنابلة فمضى مرجان وقلعه من غير إذن الخليفة.
قال أبو الفرج: وناصبني دون الكل، وبلغني: أنه كان يقول: مقصودي قلع المذهب. فلما مات الوزير ابن هبيرة سعى إلى الخليفة، فقال: عنده كتب من كتب الوزير، فقال الخليفة: هذا محال فإن فلانًا كان عند أحد عشر دينارًا لأبي حكيم، وكان حشريًا، فما فعل فيها شيئًا، حتى طالعنا. قال: فنصرني الله عليه ودفع شره.
قال: وحدثني سعد الله البصري- وكان رجلاً صالحًا. وكان مرجان حينئذ في عافية- قال: رأيت مرجان في المنام ومعه اثنان، كل واحد قد أخذ بيد، فقلت إلى أين. قالا: إلى النار، قلت: لماذا? قالا: كان يبغض ابن الْجوزي.
قال: ولما قويت عصبته لجأت إلى اللّه تعالى ليكفيني شره، فما مضت إلا أيام حتى أخذه السلال، فمات في ذي القعدة سنة ستين بعد ابن هبيرة بأشهر.
أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدوي- بفسطاط مصر- أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزي الحافظ، أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن عبد الله الأصبهاني سنة عشرين وخمسمائة، أخبرنا عبد الرزاق عن موسى بن شمة سنة سبع وخمسين وأربعمائة، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء، أخبرنا أبو يعلى الموصلي، وعبد الله بن محمد بن عبد العزيز قالا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة وهشيم وحماد بن سلمة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث".
أخرجه البخاري عن آدم عن شعبة، ومسلم عن يحيى عن هشيم، كلاهما عن عبد العزيز. وبه قال ابن الجوزي.
وأنبأنا أبو الحسن علي بن عبد الواحد الدينوري، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر القزويني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة، حدثني أبو حمزة، سمعت ابن عباس يقول: "إن وفد عبد القيس، لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالإيمان بالله، قال: أتدرون ما الإيمان بالله?

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس منا المغنم".
أخرجه البخاري عن علي بن الجعد، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن غندر، كلاهما عن شعبة.
ذكر شيء من فتاويه وفوائده: ذكر: أنه استفتى في زمن المستضيء في إقامة الجمعة بجامع ابن المطلب ببغداد، قال: فلم أرَ جوازه لأن الجمعة إنما جعلت لتكون علمًا للإسلام بكثرة الجموع، وإظهار ما يكبت المشركين، فإذا كان في كل محل جمعة، صارت كصلاة الظهر.
قال: وأجاز ذلك بعض من ينسب إلى الفقه، وعلل بأن كل محلة صارت منقطعة عن غيرها للخراب الذي استولى على الأرض، فأشبهت القرى، قال: ولا أرتضي هذا التعليل.
قلت: وهذا يقتضي اتفاقهم على أنه مع اتصال العمارة لا يجوز ذلك، لكن هذا مع عدم الحاجة.
وذكر أنه استفتى في رجل من الفقهاء، قال: إن عائشة قاتلت عليًا رضي الله عنهما. فصارت من البغاة. كان قد خرج توقيع المستضيء بتعزيره.
قال: فقلت- بعدما قال الفقهاء عليه- هذا رجل ليس له علم بالنقل، وقد سمع أنه قد جرى قتال، ولعمري أنه قد جرى قتال، ولكن ما قصدته عائشة ولا علي، إنما أثار الحرب سفهاء الفريقين، ولولا علمنا بالسير. لقلنا مثل ما قال وتقرير مثل هذا أن يقر بالخطأ بين الجماعة، فيصفح عنه.
قال: فكتب إلي الخليفة بذلك، فوقع: إذا كان قد أقر بالخطأ، فيشترط عليه أن لا يعاود، ثم أطلق.
وذكر في كتابه "تلبيس إبليس" إنكار الذكر بالليل على المآذن، ونحوها، فإنه قال: قد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة، فيعظ ويذكر، ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع، فيمنع الناس من نومهم، ويخلط على المتهجدين قراءتهم، وكل ذلك من المنكرات.
هبة الله بن عبد الله بن هبة الله بن محمد السامري، ثم البغدادي الحريمي

ثم الأزجي، الفقيه الواعظ أبو غالب بن أبي الفتح: سمع من أبي البدر الكرخي، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ومن سعد الخير الأنصاري، ويوسف بن عمر الحربي. وتفقه في المذهب، وأفتى، وتكلم في المسائل، ووعظ. وكان مقيمًا بمدرسة أبي حكيم، ولازم أبا الفرج بن الجوزي.
قال القادسي: كان فقيهًا مجودًا، واعظًا، خيرًا، ديّنًا، وحدث. وسمع منه ابن القطيعي، وروى عنه ابن خليل في معجمه.
وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر محرم، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد، قريبًا من بشر الحافي، رضي اللّه عنهم أجمعين.
حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضل الفضيلي
الحراني التاجر السفار المحدث المؤرخ أبو الثناء: ولد في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة بحران. وسمع ببغداد من أبي القاسم بن السمرقندي، وأبي بكر بن الزاغوني، وسعيد بن البنا، وجماعة.
وبهراة من مسعود بن محمد بن غانم، وعبد السلام بن أحمد بكيرة. وبمصر من ابن رفاعة السعدي، وبالإسكندرية من الحافظ السلفي، وغيرهم.
وجمع تاريخًا لحران، وحدث به فيما ذكره ابن الدبيثي.
وقيل: إنه لم يكمله، وجمع جزءًا فيمن اسمه حماد، وله شعر جيد، وحدث ببغداد ومصر والإسكندرية وحران.
روى عنه الشيخ موفق الدين، وعبد القادر الرهاوي، والعلم السخاوي المقرىء، والحافظ الضياء، وابن عبد الدائم، والنجيب الحراني، وغيرهم.
وتوفي يوم الأربعاء، ثاني عشرين ذي الحجة، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بحران، ودفن بها. رحمه اللّه.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا حماد بن هبة اللّه بحران، أخبرنا إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ، أخبرنا محمد بن هبة اللّه الطبري، أخبرنا هلال الحفار، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، حدثني محمد بن محمد بن سليمان صاحب البصري، حدثني أبو عمران السلمي، قال: أنشدني أبو نواس:
ألا رُبَّ وجهٍ في التراب عتـيق

ألا رب رَامي في التراب رفيق
أرى كل حي هالكاً وابن هالـك

وذو حسب في الهالكين عـريق
فقل لمقيم الدار: إنك ظـاعـن

إلى سفر نائي المحل سـحـيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشـفـت

له عن عدو في ثـياب صـديق
محمد بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الباقي بن العكبري البغدادي الطفري
الفقيه المحدث، الواعظ أبو عبد الله: ذكره ابن النجار، وقال: جارنا بالطفرية.
حفظ القرآن في صباه، وقرأه بالروايات على أبي بكر بن الباقلاني الواسطي، وعلى عبد الله بن بكران الداهري. وتفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وقرأ العربية على أبي البركات الأنباري، وأبي محمد بن الخشاب، وصحب شيخنا أبا الفرج بن الجوزي، وقرأ عليه شيئًا من مصنفاته في الوعظ وغيره.
وسمع الحديث من أبي العباس أحمد بن محمد المرقعاتي، وعبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، وشهدة الكاتبة، ومن خلق كثير دونهم، وكتب بخطه كثيرًا من الكتب والأجزاء، وكان يعقد مجلس الوعظ بجامع ابن بهليقا في كل جمعة، فبقي على ذلك مدة طويلة، ثم انقطع في بيته، لا يخرج منه إلا إلى الجمعة والجماعة، وكان يكثر الجلوس في المقابر، سمعت منه. وكان يسمع بقراءتي على مشايخنا، وكان صدوقًا متدينًا عفيفًا، قليل المخالطة للناس، محبًا للخلوة والانزواء، فقيهًا فاضلاً، في المحفوظ للأحاديث، وحكايات السلف ويعرف طرفًا صالحًا من الحديث، وقد جمع معجمًا لشيوخه الذين سمع منهم في خمسة أجزاء، ثم روى عنه حديثًا عن شهدة، ثم قال: ذكر أن مولده في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

وتوفي ليلة الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة. وصلينا عليه من الغد، ودفن بالجديدة من باب أبرز، رحمه الله تعالى.
قرىء على أبي الفتح الميدومي- بمصر، وأنا أسمع- أخبركم أبو الفرج الحراني، قال: أنشدنا أبو عبد اللّه محمد بن عثمان بن عبد اللّه العكبري الواعظ، من لفظه وحفظه، قال: أنشدني شيخي ابن الباقلاني المقرىء الواسطي:
كتبي لأهل العلم مبذولة

أيديهم مثل يدي فـيهـا
متى أرادوها بـلا مـنة

عارية فليستعـيروهـا
حاشاي أن أكتمها عنهموا

يُخْلاً كما غيري يخفيها
أعارنا أشياخنا كتبـهـم

وسنة الأشياخ نحـييهـا
وقد روى هذه الأبيات ابن السمعاني عن ابن الباقلاني، قال: أنشدني خميس الجوزي لنفسه.
علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي، الفقيه الواعظ المفسر زين الدين أبو الحسن بن رضي الدين أبي طاهر، المعروف بابن نجية
نزيل مصر، سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي: ولد بدمشق سنة ثمان وخمسمائة، فيما ذكره ابن نقطة والمنذري وغيرهما.
وقال ناصح الدين بن الحنبلي: إنه ولد سنة عشر.
وسمع بدمشق من أبي الحسن علي بن أحمد بن قيس. وسمع درس خاله شرف الإسلام عبد الوهاب. وتفقه به، وسمع التفسير منه، وأحب الوعظ وغلب عليه، فاشتغل به.
قال ناصح الدين: قال لي: حفظني خالي مجلس وعظ، وعمري يومئذ عشر سنين ثم نصب لي كرسيًا في داره، وأحضر لي

جماعته، وقال: تكلم، فتكلمت، فبكى. قال: وكان ذلك المجلس يذكر بعضه وهو ابن تسعين، وكان بطيء النسيان. وكان أسماء الفصول الذي يحفظ مجلدة. كان لا يخطب في مجلسه، إنما يدعو عقيب القراء، ثم يقرأ مقرىء آيات من القران فيفسرها، ويوسع في ذكره، ثم يذكر فصولاً وعنده من كلام العرب والعجم، فيلقن من الفصول ما يختار.
وبعثه نور الدين محمود بن زنكي رسولاً إلى بغداد سنة أربع وستين وخمسمائة وخلع عليه هناك أهبة سوداء، فكانت عنده يلبسها في الأعياد. وسمع هناك الحديث من سعد الخير بن محمد الأنصاري كثيرًا. وصاهره على ابنته فاطمة، ونقلها معه إلى مصر، وانتقلت كتب سعد الخير إليه. ومن عبد الصبور بن عبد السلام الهروي وعبد الخالق بن يوسف وغيرهم. واجتمع هناك بالشيخ عبد القادر وغيره من الأكابر، ووعظ بجامع المنصور.
قال ناصح الدين: سمعته يقول: أول مجلس جلسته في بغداد في جامع المنصور، فنزلت سحرًا إلى الجامع متنكرًا، حتى أرى هيئة المجلس وأسمع ما يقال، وإذا رجل أعمى قد جلس على درج المنبر، فذكر من الفصول من كلام التميمي وابن عقيل وغيرهما جميع ما قد حررته للمجلس، وتعبت عليه. قال: فأصابني هَمٌّ، وما بقي لي زمن أحفظ غير ذلك، فاستخرت الله تعالى، ثم جلست وتكلمت، وذكرت حكاية طاب بها المجلس.
قال: وسمعته يقول: أول ما دخلت بغداد جاءني الشيخ أبو الفضل بن شافع وتعصب لي، فدخل عليّ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي مهنئاً بالسلامة، وتحدثنا، فقال لي: تحفظ شيئًا من شعر ابن الكيزاني؟ فأنشدته له:
رأتني خاضباً شيبي

فسمتني أبا العيب
فظهر الغيظ في وجهه، ثم قام فذهب. فقال ابن شافع: إيش عملت؟ هذا أول من جاءك من الحنابلة لقيته بما يكره، فقلت: كيف. قال: هو يخضب، فقلت: والله ما علمت، ولا حضرني من شعر ابن الكيزاني إلا هذا. ثم عاد ابن نجية وانتقل إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين، وأقام بها إلى أن مات. وكان يعظ بها بجامع القرافه مدة طويلة. وله فيها وجاهة عظيمة عند الملوك.

وقال ناصح الدين: كان ذا رأي صائب. وكان صلاح الدين- يعني ابن يوسف بن أيوب- يسميه عمرو بن العاص، ويعمل برأيه.
وقال أبو شامة: كان صلاح الدين يكاتبه، ويحضر مجلسه هو وأولاده: العزيز، وغيره. وكان له جاه عظيم، وحرمة زائدة.
وقال ناصح الدين: كان أهل السنة بمصر لا يخرجون عما يراه لهم زين الدين - يعني ابن نجية- وكثير من أرباب الدولة. وقال له الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين: إذا رأيت مصلحة في شيء فاكتب إليّ بها، فأنا ما أعمل إلا برأيك.
وقضيته مع عمارة اليمنى ومن وافقه على السعي من إعادة دولة العبيديين معروفة. وهو عبد الصمد الكاتب وهبة الله بن كامل القاضي وابن عبد القوي داعي الدعاة وعمارة الشاعر، وغيرهم من الجند والأعيان. وكانا قد عينوا خليفة ووزيرًا، وتقاسموا الدور، واتفقوا على استدعاء الفرنج إلى مصر، ليشتغل بهم صلاح الدين، ويخلو لهم الوقت ليتم أمرهم ومكرهم، فأدخلوا في الشورى معهم زين الدين ابن نجية، فأظهر لهم أنه معهم، ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره، وطلب منه ما لابن كامل من الحواصل والعقار، فبذله له، وأمره بمخالطتهم، وتعريف شأنهم، فصار يعلمه بكل متجدد. ويقال: إن القاضي الفاضل استراب من بعض أولئك الجماعة، فأحضر ابن نجا الواعظ، وأخبره الحال. فطلب منه كشف الأمر، فأخبره بأمرهم، فبعثه إلى صلاح الدين، فأوضح له الأمر. فطلب صلاح الدين الجماعة وقررهم، فأقروا، فصلبهم بين القصرين.
ولما كان السلطان صلاح الدين في الشام سنة ثمانين كتب إليه الشيخ زين الدين كتابًا يشوقه إلى مصر، ويصف محاسنها. فكتب إليه السلطان كتابًا بإنشاء العماد الكاتب، يتضمن تفضيل الشام على مصر. وفي آخره:
ونحن لا نجفوا الوطن كما جفوته

وحب الوطـن مـن الإيمـان
ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه، وتكلم أول جمعة أقيمت فيه على كرسي الوعظ. وكان يومًا مشهودًا.

وذكر أبو شامة: أن الشهاب الطوسي لما دخل مصر كان يجري بينه وبين زين الدين العجائب من السباب ونحوه، فإن الطوسي كان أشعريًا، وهذا حنبلي. وكلاهما واعظ.
قال: وجلس ابن نجية يومًا في القرافة بالجامع، فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف، فعمل الطوسي خطبة، وذكر فيها قوله تعالى "فخرَّ عليهم السَّقْفُ مِنْ فَوْقهم" النحل: 26،. وجاء يومًا كلب يشق الصفوف، فقال ابن نجية: هذا من هناك، وأشار إلى مكان الطوسي.
وذكر ناصح الدين بن الحنبلي: أن ابن نجا نشأ له ولد حسن الصورة. فلما بلغ أخذ في سبيل اللهو، فدعا عليه، فمات. فحضر الناس والدولة لأجله، فلما وضعوا سريره في المصلى نصبوا للشيخ كرسيًا إلى جانبه، فصعد عليه، وحمد الله تعالى، وقال: اللهم إن هذا ولدي بلغ من العمر تسع عشرة سنة، لم يجهر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة، بقي له ثلاث سنين، نصفها نوم، بقي عليه سنة ونصف، قد أساء فيها إليّ وإليك. فأما جنايته عليّ، فقد وهبتا له. بقي الذي لك فهبه لي. فصاح الناس بالبكاء فنزل وصلى عليه.
قال: وكان زين الذين كريمًا. وله سماط يؤكل عنده، وتوسعة في النفقة.
وقال ابن المظفر سبط ابن الجوزي: كان ابن نجية قد اقتنى أموالاً عظيمة وتنعم تنعمًا زائداً، بحيث أنه كان في داره عشرون جارية للفراش، كل جارية تساوي ألف دينار. وأما الأطعمة فكان يعمل في داره ما لا يعمل في دور الملوك. وتعطيه الملوك والخلفاء أموالاً عظيمة كثيرة. قال: ومع هذا مات فقيرًا، كفنه بعض أصحابه.
والذي ذكره ناصح الدين بن الحنبلي: أن ابن نجا ضاق صدره في آخر عمره من دين عليه، وأن الملك العزيز عثمان لما عرف ذلك أعطاه ما يزيد على أربعة آلاف دينار مصرية.
قال وقال لي: ما احتجت في عمري إلا مرتين.
قال ناصح الدين: قال لي: والدي زين الدين سعد بدعاء والدته، كانت صالحة حافظة تعرف التفسير.
قال زين الدين. كنا نسمع من خالي التفسير، ثم أجيء إليها، فتقول: إيش فسر أخي اليوم. فأقول: سورة كذا وكذا، فتقول:

ذكر قول فلان، وذكر الشيء الفلاني. فأقول: لا، فتقول: ترك هذا، وسمعت والدي يقول: كانت تحفظ كتاب "الجواهر" وهو ثلاثون مجلد، تأليف والدها الشيخ أبي الفرج، وأقعدت أربعين سنة في محرابها.
حدث الشيخ أبو الحسن بن نجا ببغداد، ودمشق، ومصر والإسكندرية وغيرها، وسمع منه خلق كثير، وحكى عنه الحافظ السلفي في معجم شيوخ بغداد.
وروى عنه الحافظ عبد الغني، وابن خليل، والضياء المقدسي، وأبو سليمان بن الحافظ عبد الغني، وعبد الغني بن سليمان، وخطيب مردا، وجماعة، وأجاز للمنذري، وأحمد بن أبي الخير سلامة، ومحمد بن أبي الدبية.
وتوفي في شهر رمضان- قال المنذري: في سابعه، وقال ابن نقطة: في ثامنه- سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالشارع، ظاهر القاهرة، ودفن من الغد بسفح المقطم. وقال ناصح الدين بن الحنبلي: مات بعد الستمائة. وهو وهم فإنه كان يكتب هذه التواريخ من حفظه. وقد بعد عهده بها.
قال: ودفن بتربة سارية، بجوار عز الدين ابن خاله، عن وصية منه. وكان يوم دفنه مشهوراً لكثرة الخلق. وذكر: أنه سمع منه كثيراً.
إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الصقال الطيبي، ثم البغدادي الأزجي الفقيه الإمام أبو إسحاق
مفتي العراق، ويلقب موفق الدين: ولد في خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة، كذا ذكره القطيعي عنه.
وقال المنذري: في نصف شوال.
وسمع من ابن الطلاية، وابن ناصر، وأبي بكر بن الزاغوني، وأبي الوقت، وأحمد بن عبد الله بن مرزوق، وأبي علي بن شاتيل، وأبي المعمر الأنصاري، وسعيد بن البنا، وعبد الخالق بن يوسف، وأحمد بن محمد العباسي النقيب، وغيرهم. وسمع من أبي عبد اللّه الحسني بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجوزقاني الهمداني. قدم عليهم بغداد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وكتابًا جمعه وسماه "الترغيب".
وقرأ الفقه على القاضي أبي يعلى بن أبي خازم، وأبي حكيم النهرواني، ويقال: إنه قرأ على أبي الفتح بن المنّي أيضًا، وبرع

في الفقه مذهبًا وخلافًا وجدالاً، وأتقن علم الفرائض، والحساب، وشدا طرفًا من العربية، وكتب خطًا حسنًا، ودرس، وأفتى وناظر.
وكان من أكابر العدول، وشهود الحضرة، وأعيان المفتيين المعتمد على فتاويهم وأقوالهم في المجالس والمحافل، متين الديانة، حسن المعاشرة، طيب المفاكهة.
قال القادسي: كان خيرًا صالحًا، حسن الطريقة، جميل السيرة، بعيد المثال، وإياه عني الصرصري بقوله في قصيدته اللامية المعرفة، في مدح الإمام أحمد وأصحابه:
ومن يتبع المنى أوحـد وقـتـه

أبا الفتح والصقال في الفقه ينبل
حدث، وسمع منه ابن القطيعي، وروى عنه ابن الدبيثي، والحافظ الضياء، وابن النجار.
توفي آخر يوم الإثنين، ثاني ذي الحجة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وصلي عليه من الغد عند المنظرة بباب الأزج، وحمل على الرؤوس، ودفن بباب حرب، وشيعه خلق عظيم. رحمه اللّه.
وقيل: كانت وفاته في مستهل ذي الحجة.
و "الطيبي" منسوب إلى بلدة قديمة بين واسط، والأهواز تسمى الطيب.
محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي
الزاهد أبو بكر، ويلقب جمال الدين، ابن أخي البهاء عبد الرحمن، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى: ولد سنة ثلاث وستين وخمسمائة.
وسمع الحديث بدمشق: ودخل مع أخيه بغداد، وأقام بها مدة، واشتغل وحصل فنوناً من العلم، ثم عاد.
وكان فقيهًا زاهدًا، ورعًا، كثير الخشية والخوف من الله تعالى، حتى كان يعرف بالزاهد، وكان يبالغ في الطهارة، وَأمَّ بدمشق بمسجد دار البطيخ، وهو مسجد السلالين.
حدث مدة، وحج في آخر عمره، ثم توجة إلى القدس، فأدركه أجله بنابلس سنة سبع وتسعين وخمسمائة. رحمه الله تعالى.
عبيد الله بن علي بن نصر بن حُمرة بن علي بن عبيد الله البغدادي التيمي المعروف بابن المارستانية، الأديب، الفقيه المحدث، المؤرخ أبو بكر. ويلقب فخر الدين:

كان يذكر أنه من ولد أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، ويذكر شيئًا متصلاً إليه. وقد قرأت بخطه في نسبه: المحمدي، ولا أدري إلى ما هذه النسبة.
ذكر أنه ولد في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.
وسمع الحديث من أبي المظفر بن الشبلي، وابن البطي، ويحيى بن ثابت بن بندار، وعبد الحق بن عبد الخالق، وشهدة، وأبي الفتح بن شاتيل.
وقرأ كثيرًا على المشايخ المتأخرين بعدهم، وكتب بخطه، وحصل الأصول وعنى بهذا الفن، وطلب العلم في صباه، فتفقه في المذهب.
وقرأ الأدب. وكان أديبًا، فاضلاً فصيحًا، مليح العبارة، بليغًا، حسن التصنيف، ذكر ذلك ابن النجار وغيره.
وقال أبو المظفر سبط بن الجوزي: أحد الفضلاء المعروفين بجمع الحديث، والطب، والنجوم، وعلوم الأوائل، وأيام الناس.
وصنف كتابًا سماه "ديوان الإسلام، في تاريخ دار السلام" قسمه ثلاثمائة وستين كتابًا، إلا أنه لم يشتهر، وصنف سيرة الوزير ابن هبيرة.
وقال ابن النجار: كان قد قرأ كثيرًا من علم الطب، والمنطق والفلسفة. وكانت بينه وبين عبيد اللّه بن يونس صداقة ومصاحبة، فلما أفضت إليه الوزارة اختص به، وقوي جاهه، وبنى دارًا بدرب الشاكرية، وسماها: دار العلم، وجعل فيها خزانة كتب، ووقفها على طلاب العلم. وكانت له حلقة بجامع القصر، يقرأ فيها الحديث يوم الجمعة، ويحضر عنده الناس، فيسمعون منه، ورتب ناظرًا على أوقاف المارستان العضدي، فلم تحمد سيرته، فقبض عليه وسجن في المارستان مدة مع المجانين مسلسلاً، وبيعت دار العلم بما فيها من الكتب مع سائر أمواله وقبضت، وبقي معتقلاً مدة، ثم أطلق، فصار يطب الناس، ويدور على المرضى في منازلهم، وصادف قبولاً في ذلك، فأثرى، وعاد إلى حالة حسنة، وحصل كتبًا كثيرة، ثم إنه انتدب للتوجه في رسالة من الديوان، فخلع عليه خلعة سوداء: قميص وعمامة، وطرحة، وأعطى سيفًا وأركب مركوبًا جميلاً، وتوجه إلى تفليس في صفر سنة تسع وتسعين إلى الأمير أبي بكَر بن إيلد كزين البهلوان، زعيم تلك البلاد، فأدركه أجله هناك.

قلت: القبض عليه إنما كان بعد عزل ابن يونس والقبض عليه، وتتبع أصحابه، وفي تلك الفتنة كانت محنة ابن الجوزي أيضًا كما تقدم. وبالغ ابن النجار في الحط عليه بسبب ادعائه النسب إلى أبي بكر الصديق، وبسبب أنه روى عن مشايخ لم يدركهم كأبي الفضل الأرموي.
قال: واختلق طباقًا على الكتب بخطوط مجهولة، تشهد بكذبه وبزوره، وجمع مجموعات في فنون من التواريخ وأخبار الناس، من نظر فيها ظهر له من كذبه وقبحه وتهوره ما كان مخفيًا عنه، وبان له تركيبه الأسانيد على الحكايات والأشعار الأخبار، إلى أن قال: قد حدث بكثير مما اختلقه، وعن جماعة لم يلقهم.
سمع منه الغرباء، ومن لا يعرف طريقة الحديث. ورأيته كثيراً، ولم أكتب عنه شيئًا.
قال: وقد نقلت في هذا الكتاب من خطه وقوله وروايته أشياء، العهدة عليه في صحتها فإني لا أطمئن إلى صحتها، ولا أشهد بحقيقة بطلانها. ثم قال: قرأت على أبي عبد الله الحنبلي بأصبهان عن معمر بن عيد الواحد بن الفاخر القرشي ونقلته من خطه. قال: أنشدني أبو بكر عبيد الله بن علي بن علي بن نصر بن حمزة التيمي لنفسه:

أفردتني بالهـمـوم

ذات دل ونـعـيم
أودعت قلبي سقاماً

والحشا نار الجحيم
ليس لي شغل سواها

من خليل وحمـيم
هي داء للمعـافـى

ودواء للـسـقـيم
شغلت قلبي بأمـر

مقعد فيها مـقـيم

قلت: العجب أنه تبرأ وتنزه عن الرواية عنه نفسه، ثم روى عن اثنين عنه. ولقد بالغ في الحط عليه، وزاد في ذلك اعترافه بأنه نقل عنه في هذا الكتاب أشياء، ولعله لا يبين في بعضها أو كثير منها أنها من جهته. وقد وقفت على كتابه الذي جمعه في سيرة ابن هبيرة، فلم أجد فيه ما ينكر بل غالب ما نقل فيه من الحكايات عن الوزير من كلامه قد نقله ابن الجوزي وغيره.
وكذلك بلغ ابن الدبيثي في تاريخه في الحط عليه، وقال: إنه ادعى الحفظ وسعة الرواية عمّن لم يلقه لم يوجد بعد. وتابعه على ذلك المنذري. وهذا غير صحيح فإن أقدم من ادعى السماع منه الأرموي. هو كان موجوداً في حياته، وسماعه منه ممكن. نعم ينبغي أن يقال: لم يصح سماعه منه، أو لم يعرف، ونحو ذلك.
ومن مبالغته في الحط قال أبو شامة: هذا غلوٌّ من قائله. وهو كما قال. ولا ريب أنه مطعون فيه من جهتين: من جهة ادعائه النسب إلى أبي بكرة فإن هذا أنكره الناس كلهم عليه، واشتهر إنكاره، حتى قال بعضهما:
دع الأنساب لا تعرض لْـتَـيْم

فأين الهجن من ولد الصمـيم
لقد أصبحت مـن تـيم دَعِـيًّا

كَدعوى حيص بيص إلى تميم
ومن جهة ادعائه سماع ما لم يسمع، فإذ هذا صحيح عنه.
قال ابن نقطة: سألت أبا الفتوح الحصري عنه بمكة. فقال: سامحه اللّه. كان صديقي. وكان يكرمني. وكان غير ثقة.
حدثني علي بن أحمد الشريف الزيدي أنه استعار منه مغازي الأرموي فردها إليه وقد طبق عليها السماع على كل جزء، ولم يسمعها.
قال ابن نقطة: وكان شيخنا ابن الأخضر الحافظ ينهى أن يقرأ أحد على شيخ بطبقة تكون بخطه أو بخط أبي بكر بن سوار. ذكر حكايتين عن أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق أنه كذبه، وقال: إنه سمع لنفسه منه أجزاء لم يقرأها عليه. وأما ما نسبوه إليه من تركيب الأسانيد، وتصرفه بالكذب في تصانيفه، حتى إن ابن الدبيثي قال: لو تم كتابه "ديوان الإسلام" لظهرت فضائحه.

فهذا أمر لم يثبت عنه. وقد ذكر ابن نقطة: أنه رأى بعض تاريخه، ولم يذكر فيه طعنًا. والله أعلم.
وقال ابن القادسي عنه: كان خطيبًا، بليغًا شاعرًا، حافظًا محدثًا، فصيحًا.
سافر، وسمع الحديث من أمم لا تحصى واستشهدهم. وصنف عدة مصنفات في التواريخ وغيرها. وله "تاريخ مدينة السلام" على وضع كتاب الخطيب. وهو كتاب نفيس، وقد ذكر فيه أقوامًا، ذكر أنهم لا يعرفون. وقد عظمهم هو ووصفهم.
وقد طعن أصحاب الحديث عليه وجرحوه، منهم شيخنا ابن الجوزي، وعبد العزيز بن الأخضر.
وحدث ببغداد. وروى عن أبي الوقت، وقرأ على أبي محمد بن الخشاب.
قال أبو المظفر السبط: كان ابن المارستانية هو الذي قرأ كتب عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر يوم أحرقت. كان يقرأ الكتاب، ويقول: يا عامة، هذا عبد السلام يقول: من بخّر زحل بكذا وكذا. وقال: يا إلهي يا علة العلل، نال ما أراد، فيلعنه الناس ويضجون بذلك. فلما خلع على ابن المارستانية، وأرسل إلى تفليس، خرج من دار الوزير وبين يديه الحجاب، وأرباب الدولة فوقف له عبد السلام وتقدم إليه، وقال له سرًّا فيما بينهما: الساعة من بخر زحل أنا أو أنت؟ فقال: أنا.
وتوفي ابن المارستانية في رجوعه من تفليس بموضع يعرف بخرج بند ليلة الأحد غرة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن هناك. سامحه اللّه.
وقال القادسي: توفي بحرختيد في سلخ ذي القعدة. وقيل: توفي في صفر. وهو وَهْم.
و "حُمره" في نسبه بضم الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الراء المهملة. كذلك قيده ابن النجار، وابن نقطة، والمنذري وغيرهم. ورأيت بخطه "حمزة" وفوق الزاي نقطة. ولا يلتفت إلى ذلك.
وقيل له: ابن المارستانية لأن أبويه كانا قيّمي المارستان التنستي ببغداد.
نصر الله بن عبد العزيز بن صالح بن محمد عبد عثمان بن عبدوس الحراني

الفقيه الزاهد، شمس الدين أبو الفتح. أحد شيوخ حران وفقهائها: أخذ العلم بها عن جماعة كأبي الحسن بن عبدوس، وأبي الفضل حامد بن أبي الحجر، وأبي الكرم فتيان بن ميَّاح.
ورحل إلى بغداد، وسمع درس أبي الفتح بن المنّي. وسمع بها الحديث من أبي الفتح بن البطي، وأبي الفضل بن شافع، وفوارس بن موهوب بن الشباكية، والمبرّد بن الطباخ، وغيرهم.
ثم عاد إلى حران.
قال أبو الفرج بن الحنبلي: لقيته بدمشق وحران. وكان فقيهًا صالحًا، ينقل المذهب جيدًا. وكان ينكر المنكر، ضربه مظفر بن زين الدين على الإنكار، ثم ندم واستغفر منه، وأحسن القاضي الفاضل ظنه به.
وكان أبيض قصيرًا جدًا. وشعر لحيته أحمر. وحكى لي. أنه يأخذ اللحمة من المقلى، فيضعها في فيه، ولا يتضرر بذلك.
وقال أبو عبد اللّه بن حمدان: كان رجلاً صالحًا، فقيهًا فاضلاً. وهو شيخ شيخنا ناصح الدين عبد القادر بن أبي الفهم.
أنكر مرة على مظفر الدين صاحب أربل لما كانت له حران، وأراق له خمرًا، فأحضره، وقال: أتعرفني. قال: نعم، بالظلم والفسق، أو معنى ذلك. فهم بضربه، فأشير عليه: أن لا يفعل لأجل العامة وميلهم إليه.
وله كتاب "تعليم العوم ما السنة في السلام?" وسبب تصنيفه له: أنه لما قدم أبو المعالي بن المنجا قاضيًا على حران أمر المؤذنين بالجهر بالتسليمتين في الصلاة وكانوا إنما يجهرن بالأولى خاصة.
فرد عليه أبو الفتح في هذا الكتاب، وبيَّن أن المذهب إنما هو الجهر بالأولى خاصة. وذكر نصوص أحمد وأصحابه في ذلك، والأحاديث والآثار الدالة عليه، وبالغ في الإنكار عليه، وحدث به غير مرة بحران، وسمعه منه ابن أبي الفهم وغيره.
وسمع منه الحديث أحمد بن سلامة النجار، وغيره.
قال ابن الحنبلي: مات ابن عبدوس قبل الستمائة بآمد. رحمه الله.
آخر الجزء الأول، ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني، وأوله: ترجمة الشيخ الإمام العالم الحافظ تقي الدين أبو محمد، حافظ الوقت عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله.
/بسم اللّه الرحمن الرحيم

وصلَّى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وفيات المائة السابعة
من سنة 601- إلى سنة 700 ه
عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الجماعيلي
المقدسي، الحافظ الزاهد أبو محمد: ويلقب تقي الدين حافظ الوقت ومحدثه، ولد بجماعيل- من أرض نابلس من الأرض المقدسة- سنة إحدى وأربعين وخمسمائة.
قال الحافظ الضياء: أظنه في ربيع الآخر من السنة؛ لما حدثتني والدتي قالت: الحافظ أكبر من أخي الموفق بأربعة أشهر، ومولد الموفق في شعبان من السنة المذكورة.
وقال المنذري: ذكر عنه أصحابه ما يدل على أن مولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
وكذا ذكر ابن النجار في تاريخه: أنه سأل الحافظ عبد الغني عن مولده? فقال: إما في سنة ثلاث أو في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
قال الحافظ: والأظهر أنه في سنة أربع. وقدم دمشق صغيراً بعد الخمسين، فسمع بها من أبي المكارم بن هلال، وأبي المعالي بن صابر، وأبي عبد اللّه بن حمزة بن أبي جميل القرشي وغيرهم. ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين، هو والشيخ الموفق، فأقاما ببغداد أربع سنين. وكان الموفق ميله إلى الفقه، والحافظ عبد الغني ميله إلى الحديث. فنزلا على الشيخ عبد القادر. وكان يراعيهما وبحسن إليهما، وقرأ عليه شيئاً من الحديث والفقه.
وحكى الشيخ الموفق: أنهما أقاما عنده نحواً من أربعين يوماً، ثم مات، وأنهما كانا يقرآن عليه كل يوم درسين من الفقه، فيقرأ هو من "الخرق" من حفظه، والحافظ من كتاب "الهداية".
قل الضياء: وبعد ذلك اشتغلا بالفقه والخلاف علي ابن المنّي وصارا يتكلمان في المسألة ويناظران. وسمعا من أبي الفتح بن البّطي وأحمد بن المقري الكرخي، وأبي بكر بن النقور وهبة اللّه بن ا!سن بن هلال الدقاق، وأبي زرعة، وغيرهم. ثم عادا إلى دمشق.
ثم رحل الحافظ سنة ست وستين إلى مصر والإسكندرية وأقام هناك مدة، ثم عاد، ثم رجع إلى الإسكندرية سنة سبعين. وسمع

بها من الحافظ السلفي وأكثر عنه، حتى قيل: لعله كتب عنه ألف جزء، وسمع من غيره أيضاً.
وسمع بمصر من أبي محمد بن برِّي النحوي وجماعة، ثم عاد إلى دمشق، ثم سافر بعد السبعين إلى أصبهان. وكان قد خرج إلها، وليس معه إلا قليل فلوس فسهّل اللّه له من حَمله وأنفق عليه حتى دخل أصبهان، وأقام بها مده، وسمع بها الكثير، وحصل الكتب الجيدة، ثم رجع.
وسمع بهمدان من عبد الرزاق بن إسماعيل القرماني، والحافظ أبي العلاء، وغيرهما.
وبأصبهانْ من الحافظين: أبي موسى المديني، وأبي سعد الصائغ وطبقتهما.
وسمع بالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي. وكتب بخطه المتقن ما لا يوصف كثره. وعاد إلى دمشق. ولم يزل ينسخ ويصنف، ويحدث ويفيد المسلمين، ويعبد اللّه، حتى توفاه اللّه على ذلك.
وقد جمع فضائل الحافظ وسيرته الحافظ ضياء الدين في جزأين.
وذكر فيها: أن الفقيه مكي بن عمر بن نعمة المصري جمع فضائله أيضاً.
قال الحافظ الضياء: كان شيخنا الحافظ لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له وبيَّنه، وذكر صحته أو سقمه. ولا يسأل عن رجل إلا قال: هو فلان ابن فلان الفلاني، ويذكر نسبه، وأنا أقول: كان الحافظ عبد الغني المقدسي أمير المؤمنين في الحديث.
قال: وسمعت شيخنا الحافظ عبد الغني يقول: كنت يوماً بأصبهان عند الحافظ أبي موسى. فجرى بيني وبين بعض الحاضرين منازعة في حديث. فقال: هو في صحيح البخاري فقلت: ليس هو فيه. قال: فكتب الحديث في رقعة ورفها إلى الحافظ أبي موسى يسأله عنه. قال: فناولني الحافظ أبو موسى الرقعة وقال: ما تقول، هل هذا الحديث في البخاري، أم لا؟ قلت: لا. قال: فخجل الرجل وسكت.
قال: وقد رأيت فيما يرى النائم- وأنا بمدينة مَرْو- كأن الحافظ عبد الغني جالس والإمام محمد بن إسماعيل البخاري بين يديه يقرأ عليه من جزء، أو كتاب وكان الحافظ يرد عليه شيئاً أو ما هذا معناه.

قال: وسمعت أبا طاهر بن إسماعيل بن ظفر النابلسي يقول: جاء رجل إلى الحافظ- يعني: عبد النبي- فقال: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال: لو قال أكثر لصدق.
قال الضياء: وشاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر، اقرأ لنا أحاديث من غير أجزاء فيقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه.
وسمعت أبا سليمان بن الحافظ يقول: سمعت بعض أهلنا يقول: إن الحافظ سئل: لم لا تقرأ الأحاديث من غير كتاب؟ فقال: إنني أخاف العجب.
وسمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن الحافظ، قال: سمعت علي بن فارس الزجاج العلثي الشيخ الصالح، قال: لما جاء الحافظ من بلاد العجم، قلت: يا حافظ، ما حفظت بعد مائة ألف حديث. فقال: بلى، أو ما هذا معناه.
قال: وسمعت أبا محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيباني- بمرو- يقول: سمعت التاج الكندي- يعني: أبا اليمن- يقول: لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني.
وسمعت أبا الثناء محمود بن همام الأنصاري يقول: سمعت التاج الكندي يقول: لم يرَ الحافظ- يعني: عبد الغني- مثل نفسه.
قلت: وذكر ابن النجار عن يوسف بن خليل، قال: قال تاج الدين الكندي: رأيت ابن ناصر والحافظ أبا العلاء الهمداني وغيرهما من الحفاظ. ما رأيت أحفظ من عبد الغني المقدسي.
ثم قال الضياء: سمعت أبا العز مفضل بن علي الخطيب الشافعي، قال: سمعت بعض الأصحاب يقول: إن أبا نزاز- وهو الإمام ربيعة بن الحسن اليمني الشافعي- قال: قد رأيت الحافظ السلفي، والحافظ أبا موسى- وكان الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد أحفظ منهما- قال: وشاهدت في فضائل الحافظ الإمام الفقيه مكي بن عمر المصري، سمعت أبا نزار ربيعة بن الحسن الصنعاني يقول: قد حضرت الحافظ أبا موسى، وهذا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد، فرأيت عبد الغني أحفظ منه.
قلت الضياء: وأنشدنا إسماعيل بن ظفر قال: أنشدنا أبو نزار ربيعة بن الحسن في الحافظ عبد الغني:
يا أصدق الناس في بَدْو وفي حضر

وأحفظ الناس فيم قالت الـرُسـل
إن يحسدوك فلا تعبأ بـقـائلـهـم

هم الغثاء وأنت السيد الـبـطـل
قال: وأنشدنا:
إن قيس علمك في الورى بعلومهم

وجدوك سحباناً وغيرك بـاقـل
قال: وشاهدت بخط الحافظ أبي موسى المديني على كتاب "تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة" الذي أملاه الحافظ عبد الغني، وقد سمعه عليه أبو موسى، وأبو سعد الصائغ، وأبو العباس بن نبال برك، وخلق كثير، يقول أبو موسى عفا الله عنه: قل من قَدِم علينا من الأصحاب يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الإمام ضياء الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، زاده اللّه توفيقاً. وقد وفق لتبيين هذه الغلطات، ولو كان الدارقطني وأمثاله في الإحياء لَصَوَّبوا فعله، وقَل من يفهم في زماننا لما فهم زاده الله علماً وتوفيقاً.
قال الضياء: وكل من رأينا في زماننا من المحدثين ممن رأى الحافظ عبد الغني، وجرى ذكر حفظه ومذكراته، قال: ما رأينا مثله، أو نحو هذا.
قال: وسمعت الحافظ- أو من يحكى عنه- قال: لما قدمت على السلفي سألني عن أشياء، وقال: من هو محمد بن عبد الرحمن الذهبي?. فقلت: المخلص.
وسمعت الحافظ يقول: كنت عند ابن الجوزي يوماً، فقال وزيره: أين محمد الغساني? فقلت: إنما هو وزيره، فقال: أنتم أعرف بأهل بلدكم، وحكى حكاية عن بعض من سلف في هذا المعنى.
ذكره ابن النجار في تاريخه، فقال: حدث بالكثير، وصنف تصانيف حسنة في الحديث. وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، قيماً بجميع فنون الحديث، عارفاً بقوانينه، وأصوله وعلله، وصحيحه، وسقيمه، وناسخه ومنسوخه وغريبه، وشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته، ومعرفة أحوالهم.
وكان كثير العبادة، ورعاً متمسكاً بالسنة على قانون السلف، ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس إلى أن تكلم في الصفات

والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل مش الفقهاء، وشنعوا به عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان حضره القضاة والفقهاء، غ صر على قوله، وأباحوا إراقة دمه، فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء والأكراد، وتوسطوا أمره على أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر، فأخرج إلى مصر، وأقام بها خاملاً إلى حين وفاته.
وسمعت يوسف بن خليل بحلب يقول عن عبد الغني: كان ثقة، ثبتاً، ديناً مأموناً، حسن التصنيف، دائم الصيام، كثير الإيثار. كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، دعي إلى أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فأبى، فمنع من التحديث بدمشق، فسافر إلى مصر، فأقام بها إلى أن مات.
وقرأت بخط السيف بن المجد: قال أبو الربيع سليمان بن إبراهيم الأسعردي: سمعت عبد القادر الرهاوي الحافظ يقول للحافظ عبد الغني: سمعت وسمعنا، وحفظت، ونسينا.
وقال أبو الثناء محمود بن همام: سمعت أبا عبد الله محمد بن أميرك الجويني المحدث، يقول: ما سمعت السلفي يقول لأحد: الحافظ، إلا لعبد الغني المقدسي.
وقال الحافظ الضياء: كان رحمه الله مجتهداً على طلب الحديث، وسماعه للناس من قريب وغريب، فكان كل غريب يأتي يسمع عليه، أو يعرف أنه يطلب الحديث يكرمه ويبره، ويحسن إليه إحساناً كثيراً، وإذ صار عنده طالب يفهم شيئاً، أمره بالسفر إلى المشايخ بالبلاد، وأحيى الله به حديث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فمن سمع حديثاً من أصحابنا كان يَسُبُّه، ومن كان من غير أصحابنا كان طلبهم حسداً له؛ لما يرون من حرصه وكثرة طلبه.
قال: وسمعت الإمام الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن محمد العراقي، يقول: ما رأيت الحديث في الشام كله، إلا ببركة الحافظ عبد الغني؛ فإنني كل من سألته يقول: أول ما سمعت عليه، وهو الذي حرضني، وذكر جماعة من المحدثين ثم ذكر عنه أنه كان يفضل الرحلة للسماع على الغزو، وعلى سائر النوافل.
قال: وكان رحمه الله؛ يقرأ الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع دمشق، وليلة الخميس بالجامع أيضاً ويجتمع خلق كثير، وكان يقرأ ويبكي، ويبكي الناس بكاءً كثيراً، حتى إن من حضر مجلسه

مرة، لا يكاد يتركه، لكثرة ما يطيب قلبه، وينشرح صدره فيه. وكان يدعو بعد فراغه دعاءً كثيراً.
وسمعت شيخنا أبا الحسن علي بن نجا الواعظ بالقرافة يقول على المنبر: قد جاء الإمام الحافظ، وهو يريد أن يقرأ الحديث، فاشتهى أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات، وبعدها أنتم تعرفونه، ويحصل لكم الرغبة فجلس، أول يوم وكنت حاضراً بجامع القرافة، فقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه، وقرأ جزءاً، ففرح الناس بمجلسه فرحاً كثيراً، فقال ابن نجا: قد حصل الذي كنت أريده في أول مجلس.
وسمعت بعض من حضر مجلسه بمصر بمسجد المصنع، يقول: إن الناس بكوا حتى غشي على بعضهم، قال: وقال بعض المصريين: ما كنا إلا مثل الأموات حتى جاء الحافظ، فأخرجنا من القبور.
وسمعت الإمام أبا الثناء محمود بن همام الأنصاري يقول: سمعت الفقيه نجما- هو الإمام العالم نجم بن الإمام عبد الوهاب بن الإمام أبي الفرج الحنبلي يقول وقد حضر مجلس الحافظ-: يا تقي الدين، والله لقد جملت الإسلام، وأقسم والله، لو أمكنني ما فارقت مجلساً من مجالسك.

قال الضياء: سأل خالي الإمام موفق الدين عن الحافظ، فكتب بخطه، وقرأه عليه: كان جامعاً للعلم والعمل. وكان رفيقي في الصبا، وفي طلب العلم وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة، وعداوتهم إليه؛ وقيامهم عليه، ورزق العلم، وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه في روايتها، ونشرها، رحمه الله تعالى.
قال الضياء: وسمعت الإمام الزاهد إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلي يقول: سمعت العماد- يعني: أخا الحافظ- يقول: ما رأيت أحداً أشد محافظة على وقته من الحافظ عبد الغني.
قال الضياء: كان شيخنا الحافظ رحمه الله، لا يكاد يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة؛ فإنه كان يصلي الفجر، ويلقن الناس القرآن، وربما أقرأ شيئاً من الحديث، فقد حفظنا منه أحاديث جمة تلقيناً، ثم يقوم يتوضأ، فيصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل وقت الظهر، ثم ينام نومة يسيرة إلى وقت الظهر، ويشتغل

إما للتسميع بالحديث، أو بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر بعد المغرب، وإن كان مفطراً صلَى من المغرب إلى عشاء الآخرة، فإذا صلَّى العشاء الآخرة، نام إلى نصف الليل أو بعده، ثم قام كأن إنساناً يوقظه، فيتوضأ ويصلِّي لحظة كذلك، ثم توضأ وصلَّى كذلك، ثم توضأ وصلَّى إلى قرب الفجر، وربما توضأ في الليل سبع مرات أو ثمانية، أو أكثر فقيل له في ذلك، فقال: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه، وكان لا يكاد يصلِّي صلاتين مفروضتين بوضوء واحد.
قال: وسمعت الحافظ أبا عبد الله محمد بن محمد بن غانم بأصبهان يقول: كان الحافظ عبد الغني عندنا، وكان يقول لي: تعال حتى نحِافظ على الوضوء لكل صلاة.
قال الضياء: وكان يستعمل السواك كثيراً، حتى كأن أسنانه البرد.
وسمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحراني التاجر بأصبهان غير مرة يقول: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان وما كان ينام من الليل إلا القليل، بل يصلِّي ويقرأ ويبكي، حتى ربما منعنا النوم إلى السحر.
سمعت الحافظ يقول: أضافني رجل بأصبهان، فلما قمنا إلى الصلاة، كان هناك رجل لم يصل، فقيل: هو شمسي- يعني: يعبد الشمس- فضاق صدري، ثم قصت بالليل أصلي والشمسي يستمع، فلما كان بعد أيام جاء إلى الذي أضافني. وقال: إن الشمسي يريد أن يسلم، فمضيت إليه فأسلم، وقال من تلك الليلة: لما سمعتك تقرأ القرآن، وقع الإسلام في قلبي.
قال: وكان الحافظ لا يرى منكراً إلا غيره بيده أو لسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولقد رأيته مرة يهريق خمراً، فجبذ صاحبه السيف، فلم يخف من ذلك وأخذه من يده، وكان رحمه الله قوياً في بدنه، وفي أمر الله، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات.
وسمعت أبا بكر بن أحمد بن محمد الطحان، قال: كان بعض أولاد صلاح الدّين قد عملت لهم طنابير، وحملت إليهم، وكانوا في بعض البساتين يشربون، فلتي الحافظ الطنابير تحمل إليهم، فكسرها ودخل المدينة فلما خرج منها لحقه قوم كثير بعصي، ومعه رجل، فلحقوا صاحبه، وأسر الحافظ فقال لهم الرجل: أنا ما كسرت

شيئاً، هذا الذي كسر، قال: فإذا رجل يركب فرساً، فترجل عن الفرس، وجاء إلي وقبل يدي، وقال: يا شيخ، الصبيان ما عرفوك.
وسمعت بعض أصحابنا يحدث عن الأمير درباس المهراني، أنه كان دخل مع الحافظ إلى الملك العادل، فلما قضى الملك كلامه مع الحافظ، جعل يتحدث مع بعض الحاضرين في أمر ماردين وحصارها، وكان حاصرها قبل ذلك، فسمع الحافظ كلامه، فقال: إيش هذا؟ وأنت بعد تريد قتال المسلمين، ما تشكر الله فيما أعطاك إماماً؟ قال: وسكت الملك العادل، فما أعاد ولا بدى، ثم قام الحافظ وقمت معه، فلما خرجنا، قلت له: إيش هذا؟ نحن كنا نخاف عليك من هذا الرجل: ثم تعمل هذا العمل؟ فقال: أنا إذا رأيت شيئاً لا أقدر أصبر.
وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحان قال: كان في دولة الأفضل بن صلاح الدين قد جعلوا الملاهي عند درج جيرون، فجاء الحافظ فكسر شيئاً كثيراً منها، ثم جاء فصعد المنبر يقرأ الحديث، فجاء إليه رسول من القاضي يأمره بالمشي إليه، يقول حتى يناظره في الدفّ والشبابة، فقال الحافظ: ذلك عندي حرام، وقال: أنا لا أمشي إليه، إن كان له حاجة، فيجيء هو، ثم قرأ الحديث، فعاد الرسول فقال: قد قال: لا بد من المشي إليه، أنت قد بطلت هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبته، ورقبة السلطان. قال: فمضى الرسول، وخفنا أن تجري فتنة. قال: فما جاء أحد بعد ذلك.
قال الضياء: وكان قد وضع الله لي الهيبة في قلوب الخلق.
سمعت أبا محمد فضائل بن محمد بن علي بن سرور المقدسي، قال: سمعتهم يتحدثون بمصر: أن الحافظ كان قد دخل على الملك العادل، فلما رآه قام له، فلما كان في اليوم الثاني من دخوله عليه، إذ الأمراء قد جاءوا إلى الحافظ إلى مصر، فقالوا: آمنا بكرامتك يا حافظ، وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد، ما خفت من هذا، فقلنا: أيها الملك، هذا رجل فقيه، إيش خفت من هذا؟ قال: لما دخل ما خيل إلي إلا أنه سبع يريد أن يأكلني، فقلنا: هذه كرامة الحافظ.
قال: وشاهدت بخط الحافظ، يذكر أنه بلغه عن العادل ذلك. قال: وما أعرف أحداً من أهل السنة رأى الحافظ إلا أحبه حباً شديداً، ومدحه مدحاً كثيراً.

سمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحراني بأصبهان، قال: كان الحافظ بأصبهان، يصطف الناس في السوق، فينظرون إليه.
وسمعته يقول: لو أقام الحافظ بأصبهان مدة وأراد أن يملكها، لملكها- يعني من حبهم له- ورغبتهم فيه، ولما وصل إلى مصر أخيراً كنا بها، فكان إذ خرج يوم الجمعة إلى الجامع، لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق يتبركون به، ويجتمعون حوله.
قال: وكان رحمه الله، ليس بالأبيض الأمهق، بل يميل إلى السمرة، حسن الشعر، كثّ اللحية، واسع الجبين، عظيم الخلق، تام القامة، كأن النور يخرج من وجهه، فكان قد ضعف بصره من كثرة البكاء، والنسخ والمطالعة. وكان حسن الخلق، رأيته وقد ضاق صدر بعض أصحابه في مجلسه، وغضب، فجاء إلى بيته وترضاه، وطيب قلبه.
وكنا يوماً عنده نكتب الحديث ونحن جماعة أحداث، فضحكنا من شيءٍ وطال الضحك فرأيته يتبسم معنا ولا يحرد علينا. وكان سخياً جوادً كريماً لا يذَخِر ديناراً ولا درهماً. ومهما حصل له أخرجه. ولقد سمعت عنه أنه كان يخرج في بعض الليالي بقفاف الدقيق إلى بيوت المحتاجين، فيدق عليهم، فإذا علم أنهم يفتحون الباب ترك ما معه ومضى لئلا يعرفه أحد.
وقد كان يفتح له بشيء من الثياب والبرد فيعطي الناس، وربما كان عليه ثوب مرقع.
وقد أوفى غير مرة سراً ما يكون على بعض أصحابه من الدَيْن ولا يعلمهم بالوفاء.
قال الشيخ الموفق عنه: كان جواداً يؤثر بما تصل إليه يده سراً وعلانية.
وسمعت أبا الثناء محمود بن همام يحكي عن رجل كان بمسجد الوزير، فجرى بينه وبين أصحاب الموفق شيء فلم يعطوه جامكية. قال: فبقينا ثلاثة أيام ليس لنا شيء، فدخلت يوم الجمعة أصلي، وسلمت بعد العصر على الحافظ، فقال لي: اقعد، فقعدت. فلما قام مشيت معه إلى خارج الجامع، فناولني نفقة وقال: اشترِ لبيتك شيئاً، ومضر فاشتريت نصف خروف مشوي وخبزاً كثيراً، وحلواء واكتريت حمالاً، ومضيت إلى أهلي فعددت ما بقي، فإذا هو خمسة وأربعون عرهماً.

وذكر غير واحد: أنه وقع بمصر غلاء وهو بها، فكان يؤثر بعشائه عدة ليالي ويطوي.
قال: وقال لي أبو الفتح ولده: والدي يعطي الناس الكثير، ونحن لا يبعث إلي شيئاً.
وسمعته يقول: أبلغ ما سأل العبد ربه ثلاثة أشياء: رضوان الله عز وجل، والنظر إلى وجهه الكريم والفردوس الأعلى.
وسمعت خالي أبا عمر قال: قال الحافظ: يقال: من العصمة أن لا تجد، ثم قال: هي أعظم العصمة، فإنها عصمة النبي صلى الله عليه وسلم.
وسمعت أبا محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي قال: سألت الحافظ، فقلت: هؤلاء المشايخ يحكى عنهم من الكرامات ما لا يحكى عن العلماء، إيش السبب في هذا؟ فقال: اشتغال العلماء بالعلم كرامات كثيرة- أو قال: يريد للعلماء كرامة أفضل من اشتغالهم بالعلم- وقد كان للحافظ كرامات كثيرة.
قال الضياء: سمعت أحمد بن عبد الله بن علي العراقي، حدثني أبو محمد بن أبي عبد الله الدمياطي قال: اكتريت في مركب فرأيته غائباً، فضاق صدري فذكرت قصتا للحافظ، فكتب لي كتاباً، وقال: اتركه فيه: فإذا قضيت سفرك وخرجت منه، فخذ الكتاب ولا تتركه فيه، فمضيت وعلقته في المركب، فمضينا في سفرنا. فلما نزلنا منه وأخذنا قماشنا ولم يبقَ فيه شيء ذكرت الكتاب فأخذته منه، فمن ساعته دخل الماء فيه، وغرق.
وقال: حدثني أبو محمد فضائل بن محمد المقدسي، حدثني ابن عمي بدران بن أبي بكر بن علي بن سرور: أن الحافظ قام ليلة ليتوضأ على البركة، وماؤها مقطوع فقال: ما كنت أشتهي الوضوء إلا من البركة، ثم صبر قليلاً، فإذا الماء قد خرج من الأنبوب، فانتظر حتى فاضت البركة، ثم انقطع الماء فتوضأ، فقلت: هذه والله كرامة لك، قال لي: قل: أستغفر الله، هذا الماء لعله كان محتبساً، لا تقل هذا.
وحدثني رجل جندي بالقدس: أن الحافظ نزل عندهم بالقدس. وكان في دارهم صهريج قد نقص ماؤه قال لي الحافظ ليلة: قد ضيقنا عليكم في الماء فقلت: بل يجعل الله فيه البركة، فقال: نعم جعل الله فيه البركة. فلما كان الفجر إذا بالماء قد زاد نحو أربعة أذرع.

وسمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقري قال: كان لأهل بيتي في ثوب من ثياب الحافظ يدخرونه للموت، وملحفة من أثر أمه. قال: فسرق ما في بيتنا من الثياب، ففتشوا على الثوب والملحفة فلم يجدوهما، فحزنوا عليهما. فلما كان بعد مدة وجدوهما في الصندوق، وقد كانوا فتشوا قبل ذلك ولم يجدوهما.
قال الضياء: وكنت أنا وجماعة نسمع على الحافظ بالمصلى الذي جبلنا في شدة الحر، فقال: لو كنا نقوم من هذا الحر إلى المسجد، فهممنا بالقيام ولعل بعضنا قام، فإذا سحابة قد غطت الشمس، فقال: اقعدوا، فرأيت بعض أصحابنا ينظر إلى بعض، ويسرڈن الكلام بينهم: إن هذه كرامة، ويقولون: ما كان يُرى في السماء سحابة. وذكر الضياء أشياء كثيرة من هذا الجنس.
قال: وسمعت الحافظ يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يمشي وأنا أمشي خلفه، أن بيني وبينه رجلاً.
قال: وسمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله المحولي عن رجل فقيه- وكان ضريراً، - ويبغض الحافظ- فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ومعه الحافظ ويده في يده في جامع عمرو بن العاص، وهما يمشيان، وهو يقول: يا رسول الله، حدثت عنك بالحديث الفلاني؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: صحيح، ويقول: حدثت عنك بالحديث الفلاني؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: صحيح حتى عددت مائة حديث. فأصبح فتاب من بغضه.
وسمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ عبد الغني قال: حدثني رجل من أصحابنا قال: رأيت الحافظ في النوم يمشي مستعجلاً، فقلت: إلى أين؟ فقال: أزور النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: وأين هو؟ قال: في المسجد الأقصى، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أصحابه، لما رأى الحافظ قام له النبي صلى الله عليه وسلم، وأجلسه إلى جانبه. قال: فبقي الحافظ يشكو إليه ما لقي، ويبكي ويقول: يا رسول الله، كذبت في الحديث الفلاني، والحديث الفلاني؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: صدقت يا عبد الغني، صدقت يا عبد الغني.
ذكر تصانيفه.

كتاب "المصباح في عيون الأحاديث الصحاح" ثمانية وأربعين جزءاً، يشتمل على أحاديث الصحيحة. كتاب "نهاية المراد، من كلام خير العباد" لم يبيضه كله، في السنن، نحو مائتي جزء كتاب "المواقيت" مجلد، كتاب "تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين" كتاب "الآثار المرضية، في فضائل خير البرية" أربعة أجزاء، كتاب "الروضة" أربعة أجزاء، كتاب "الذكر" جزآن، كتاب "الأسرار" جزآن، كتاب "التهجد" جزآن، كتاب "الفرج" جزآن، كتاب "الصلات من الأحياء إلى الأموات" جزآن، كتاب "الصفات" جزآن "محنة الإمام أحمد" ثلاثة أجزاء، كتاب "ذم الرياء" جزء كبير، كتاب "ذم الغيبة" جزء ضخم، كتاب "الترغيب في الدعاء" جزء كبير، كتاب "فضائل مكَة" أربعة أجزاء، كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" جزء، كتاب "فضائل رمضان" جزء، وجزء في "فضائل عشر ذي الحجة" وجزء في "فضائل الصدقة" وجزء في "فضائل الحج" وجزء في "فضائل رجب" وجزء في "وفاة النبي صلى الله عليه وسلم" وجزء في "الأقسام التي أقسم بها النبي صلى الله عليه وسلم"، وكتاب "الأربعين" وكتاب "الأربعين"، وكتاب "الأربعين من كلام رب العالمين" وكتاب "الأربعين" بسند واحد، وكتاب "اعتقاد الإمام الشافعي" جزء كبير، وكتاب "الحكايات" سبعة أجزاء، وكتاب "نية الحفاظ في تحقيق مشكل الألفاظ" في مجلدين، وكتاب "الجامع الصغير لأحكام البشير النذير" لم يتمه، وخمسة أجزاء من كتاب لم يتمه، على صفة كتاب "من صبر ظفر" وجزء "في ذكر القبور" وأجزاء أخرجها من الأحاديث والحكايات. كان يقرؤها في المجالس، تزيد على مائة جزء، وجزء في "مناقب عمر بن عبد العزيز" هذه كلها بالأسانيد.

ومن الكتب بلا إسناد: "الأحكام على أبواب الفقه" ستة أجزاء كتاب "العمدة في الأحكام" مما اتفق عليه البخاري ومسلم، جزآن، وكتاب "درر الأثر على حروف المعجم" تسعة أجزاء، كتاب "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" جزء كبير، كتاب "النصيحة في الأدعية الصحيحة" جزء كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" جزء كبير، كتاب "تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة" الذي ألفه أبو نعيم الأصبهاني في جزء كبير، وكتاب "الكمال في معرفة الرجال" يشتمل على رجال الصحيحين وأبي داود

والترمذي والنسائي وابن ماجة في عشر مجلدات، وفيه إسناد ذكر محنته.
قال الحافظ الضياء: سمعت الإمام أبا محمد عمر بن سالم بن محمد الأنصاري المعبر يقول: رأيت في النوم- يعني: قبل الفتنة التي جرت للحافظ- كأن قائلاً يقول لي: يمنع الحافظ من القراءة، ويجري على أصحابه شدة، ويمشي إلى مصر وبها يموت، وهو من الأربعة، والشيخ أبو عمر- وسمى رجلين من العراق- ولم أحفظ أسماءهما. فلما انتبهت جاءني رجل، فقال لي: الحال مثلى ما رأيت في النوم، ولم أرجع أره بعد ذلك.
وسمعت الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي قال: سمعت الحافظ يقول: سألت الله تعالى أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد فقد رزقني صلاته قال: ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي.
وسمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبد الله بن أبي الحسن الجبائي بأصبهان يقول: كان أبو نعيم الحافظ قد أخذ على الحافظ أبي عبد الله بن مَنْدَة أشياء في كتاب "معرفة الصحابة" وكان الحافظ أبو موسى المديني يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم- يعني: في كتاب "معرفة الصحابة"- فما كان يحسن. فلما جاء الحافظ عبد الغني إلى إصبهان أشار إليه بذلك. قال: تأخذ على أبي نعيم في كتابه "معرفة الصحابة"، نحواً من مائتين وتسعين موضعاً.
قال: فلما سمع بذلك الصدر عبد اللطيف بن الخُجندي طلب الحافظ عبد الغني، وأراد إهلاكه فاختفى الحافظ.
وسمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحراني قال: ما أخرجنا الحافظ من إصبهان إلا في أزار. وذلك أن بيت الخجندي أشاعرة، كانوا يتعصبون لأبي نعيم. وكانوا رؤساء البلد.
قلت: هذا في غاية الجهل والهوى. وإلا فما الذي يتعلق بهذا من المذاهب واختلاف المقالات؟.
قال الضياء: وسمعت الحافظ يقول: كنا بالموصل نسمع الجرح والتعديل للعُقيلي، فأخذني أهل الموصل، وحبسوني، وأرادوا قتلي من أجل ذكر أبي حنيفة فيه. فجاءني رجل طويل ومعه سيف، فقلت: لعل هذا يقتلني وأستريح. قال: فلم يصنع شيئاً، ثم إنهم أطلقوني.

قال: وكان يسمع هو والإمام ابن البرني الواعظ، فأخذ ابن البرني الكراس التي فيها ذكر أبي حنيفة فاشتالها، فأرسلوا وفتشوا الكتاب فلم يجدوا شيئاً. فهذا سبب خلاصه. والله أعلم.
قال: وكان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق، ويجتمع الخلق عليه، ويبكي الناس، وينتفعون بمجالسه كثيراً، فوقع الحسد عند المخالفين بدمشق، وشرعوا يعملون وقتاً يجتمعون في الجامع، ويقرأ عليهم الحديث، ويجمعون الناس من غير اختيارهم. فهذا ينام، وهذا قلبه غير حاضر، فلم تشتف قلوبهم بذلك، فشرعوا في المكيدة بأن أمروا الإمام الناصح أبا الفرج عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي الواعظ بأن يجلس يعظ في الجامع تحت قُبة النسر بعد الجمعة وقت جلوس الحافظ. فلما بلغني ذلك قلت لبعض أصحابنا: هذه مكيدة والله، ما ذلك لحبهم الناصح وإنما يريدون أن يعملوا شيئاً. فأول ذلك: أن الحافظ والناصح أرادا أن يختلفا للوقت. ثم اتفقا على أن يجلس الناصح بعد صلاة الجمعة، ثم يجلس الحافظ بعد العصر. فلما كان بعض الأيام، والناصح قد فرغ من مجلسه. وكان قد ذكر الإمام أحمد رحمه الله في مجلسه- فدسوا إليه رجلاً ناقص العقل من بيت ابن عساكر فقال للناصح كلاماً معناه: إنك تقول الكذب على المنبر فضرب ذلك الرجل وهرب، فأتبع، فخبئ في الكلاسة، فتصت لهم المكيدة بهذه الواقعة، فمشوا إلى الوالي، وقالوا له: هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا، ثم إنهم جمعوا كبراءهم، ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن يحضر الحافظ عبد الغني. وكانت مشايخنا قد سمعوا بذلك، فانحدروا إلى دمشق- خالي الإمام موفق الدين؛ وأخي الإمام أبي العباس أحمد البخاري، وجماعة الفقهاء، وقالوا: نحن نناظرهم، وقالوا للحافظ: اقعد أنت لا تجيء، فإنك حادٍ ونحن نكفيك. فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ من القلعة وحده فأخذوه، ولم يعلم أصحابنا بذلك، فناظروه. وكان أجهلهم يغري به فاحتدّ وكانوا قد كتبوا شيئاً من اعتقاداتهم وكتبوا خطوطهم فيه، وقالوا له: اكتب خطك، فلم يفعل، قالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم. وكان الوالي لا يفهم شيئاً فاستأذنوه في رفع منبره، فأرسلوا الأسرى فرفعوا ما قي جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين، وقالوا: نريد أن لا يجعل في الجامع إلا صلاة

أصحاب الشافعي، وكسروا منبر الحافظ، ومنعوه من الجلوس، ومنعوا أصحابنا من الصلاة في مقامهم في الجامع، ففاتهم صلاة الظهر. ثم إن الناصح بن الحنبلي جمع السوقة وغيرهم، وقال: إن لم يخلونا نصلّي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم. فبلغ ذلك القاضي- وهو كان صاحب الفتنة- فأذن لهم بالصلاة وخاف أن يصلى بغير إذنه. وكان الحنفية قد حموا مقصورتهم بالجند.
ثم إن الحافظ ضاق صدره، ومضى إلى بعلبك، فأقام بها مدة يقرأ الحديث. وكان الملك العادل في بلاد الشرق فقال أهل بعلبك للحافظ: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من أذاك، فقال: لا، ثم إنه توجه إلى مصر، ولم يعلم أصحابنا بسفره، فبقي مدة بنابلس يقرأ الحديث.
قال الضياء: وهذا سمعته من أصحابنا. وكنت أنا في ذلك الوقت بمصر أسمع الحديث.
قلت: وقد ذكر بعض المخالفين هذه القضية على غير هذا الوجه، فقال: اجتمع الشافعية والحنفية والمالكية عند المعظم عيسى، والصارم برغش والي القلعة. وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم. قال: وكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة، وموافقة أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلي الجماعة، وإصرار الفقيه عبد الغني المقدسي على لزوم ما ظهر به من اعتقاده، وهو الجهة والاستواء والحرف. وأجمع الفقهاء على الفتوى بكفره، وأنه مبتدع، لا يجوز أن يترك بين المسلمين، ولا يحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام معهم. وسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد، فأجيب
وذكر غيره: أنهم أخذوا عليه مواضع، منها قوله: ولا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول. ومنها قوله: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان. ومنها: مسألة الحرف والصوت، فقالوا له: إذ لم يكن على ما قد كان، فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه تنزيهاً تنفي حقيقة النزول، فقد أجزت عليه الانتقال. وأما الحرف والصوت، فإنه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء، وإنما المنقول عنه: أنه كلام اللّه عز وجل غير مخلوق. وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلال، وأنت على الحق؟ قال: نعم.

ثم ذكر منعهم من الصلاة بالجامع، قال: خرج عبد الغني إلى بعلبك، ثم سافر إلى مصر، فنزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وكتب أهل مصر إلى الصفي بن شكر وزير العادل: أنه قد أفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد، فكتب إلى والي مصر ينفيه إلى المغرب، فمات قبل وصول الكتاب.
فأما قولهم: "أجمع الفقهاء على الفتوى بكفره وأنه مبتدع" فيا للّه العجب، كيف يقع الإجماع، وأحفظ أهل وقته للسنة، وأعلمهم بها هو المخالف؟ وما أحسن ما قال أبو بكر قاضي القضاة الشامي الشافعي، لما عقد له مجلس ببغداد، وناظره الغزالي، واحتج عليه بأن الإجماع منعقد على خلاف ما عملت به، فقال الشامي: إذا كنت أنا الشيخ في هذا الوقت أخالفكم على ما تقولون، فبمن ينعقد الإجماع؟ بك، وبأصحابك؟ هذا مع مخالفة فقيه الإسلام في وقته الذي يقال: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفقه منه، ومعه خلق على أئمة الفقهاء، والمناظرين والمحدثين، هذا في الشام خاصة، دع المخالفين لهؤلاء المجتمعين في سائر بلاد المسلمين- بغداد ومصر وغيرهما من أمصار المسلمين- مع إجماع السلف المنعقد على موافقة هؤلاء المخالفين لهم، ولم يكن في المخالفين للحافظ من له خبرة بالسنة والحديث والآثار.
ولقد عقد مرة مجلس لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية، فتكلم فيه بعض أكابر المخالفين، وكان خطيب الجامع، فقال الشيخ شرف الدين عبد اللّه أخو الشيخ: كلامنا مع أهل السنة، أما أنت: فأنا أكتب لك أحاديث من الصحيحين، وأحاديث من الموضوعات- وأظنه قال: وكلاماً من سيرة عنتر- فلا تميز بينهما- أو كما قال- فسكت الرجل.
وأما قولهم: لا إن بني الحنبلي، "وافقوا الجماعة"، فهذا إما أن يكون صحيحاً، أو غير صحيح، فإن كان صحيحاً، فهو تقية ونفاق منهم، وإلا فكلام بني نجم الدّين الحنبلي، وكلام أبيهم في إثبات الصوت كثير موجود، وسنذكر إن شاء اللّه مما نقله الناصح الحنبلي خاصة في إثبات الصوت ما نذكره في مواضعه.
وأما قوله: "ولا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول" فإن صح هذا عنه، فهو حق، وهو كقول القائل: لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة

وجوده، أو حقيقة كلامه، أو حقيقة علمه، أو سمعه وبصره، ونحو ذلك.
وأما المكان: ففيه نزاع وتفصيل. وفي الصحيحين: إثبات لفظ المكان.
وأما الانتقال: ففيه جوابان.
أحدهما: لا نسلم لزومه، فإن نزوله ليس كنزول المخلوقين، ولهذا نقل عن جماعة من الأئمة: أنه ينزل، ولا يحلو منه العرش.
الثاني: أن هذا مبني على إثبات الأفعال الاختيارية، وقيامها بالذات. وفيها قولان لأهل الحديث المتأخرين من أصحابنا وغيرهم وأما إنكار إثبات الصوت عن الإمام الذي ينتمي إليه الحافظ، فمن أعجب العجب، وكلامه في إثبات الصوت كثير جداً.
قال عبد اللّه ابن الإمام أحمد في كتاب السنة "سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم اللّه موسى لم يتكلم بصوت. فقال أبي: بلى، تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت". والمقصود ههنا: الإشارة إلى ما وقع في حق الحافظ، من التحامل عليه، والتعصب.
وقرأت بخط الإمام الحافظ الذهبي- رداً على ما نقل الإجماع على تكفيره- أما قول "أجمعوا" فما أجمعوا، بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممن كفروه، وكفرهم هو، ولم يبد من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين: من أن الصفات الثابت محمولة على الحقيقة، لا على المجاز، أعني أنها تجري على مواردها، لا يعبر عنها بعبارات أخرى، كم فعلته المعتزلة، أو المتأخرون من الأشعرية. هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شيء.
قال الحافظ الضياء: وجاء شاب من أهل دمشق بفتاوى من أهلها، إلى صاحب الحافظ بمصر- وهو العزيز عثمان- ومعه كتب: أن الحنابلة يقولون كذا وكذا، مه يشنعون به ويفترونه عليهم.
وكان ذلك الوقت قد خرج نحو الإسكندرية يتفرج، فقال: إن رجعنا من هذه السفرة أخرجناك من بلادنا، من يقول بهذه المقالة. فلم يرجع إلا ميتاً، فإن عدا به الفرس خلف صيد، فشب به الفرس وسقط، فخسف صدره. كذا حدثني شيخنا يوسف بن الطفيل، وهو الذي تولى غسله، وأقام ولده موضعه، وأرسلوا إلى الأفضل بن صلاح الدين- وكان بصرخد- فجاء وأخذ مصر، وذهب

إلى دمشق، فلقى الحافد عبد الغني في الطريق، فأكرمه إكراماً كثيراً وبعث يوصي به بمصر.
فلما وصل الحافظ إلى مصر، تُلِقِّي بالبشر والإكرام، وأقام بها يُسمع الحديث بمواضع منها، وبالقاهرة. وقد كان بمصر كثير من المخالفين، لكن كانت رائحة السلطان تمنعهم من أذى الحافظ لو أرادوه، ثم جاء الملك العادل، وأخذ مصر، وأكثر المخالفون عنده على الحافظ. وسمعت أن بعضهم بذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار. قال: وقرأت بخط الحافظ كتبه إلى دمشق: والملك العادل اجتمعت به، وما رأيت منه إلا الجميل، فأقبل عليّ وأكرمني، وقام لي والتزمني، ودعوت له. ثم قلت: عندنا قصور، فهو الذي يوجب التقصير، فقال: ما عندك لا تقصير ولا قصور، وذكر أمر السنة، فقال: ما عندك شيء يعاب في أمر الدين ولا الدنيا، ولا بد للناس من حاسدين، وقد تقدم ذكر هيبة العادل له، واحترامه، وتعجب الناس من ذلك.
قال: ثم سافر العادل إلى دمشق، وبقي الحافظ بمصر، والمخالفون لا يتركون الكلام فيه، فلما أكثروا عزم الملك الكامل على إخراجه من مصر واعتقل في دارٍ سبع ليال، فقال: ما وجدت راحة بمصر مثل تلك الليالي.
وقال: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني، يقول: حدثني الشجاع بن أبي ذكرى الأمير، قال: قال لي الملك الكامل يوماً: ههنا رجل فقيه، قالوا: إنه كافر، قلت: لا أعرفه، قال: بلى، هو محدث، فقلت: لعله الحافظ عبد الغني؟ فقال: نعم، هذا هو، فقلت: أيها الملك، العلماء: أحدهم يطلب الآخرة، والآخر يطلب الدنيا، وأنت ههنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك، وأرسل إليك شفاعة، أو رقعة، يطلب منك شيئاً؟ فقال: لا، فقلت: أيها الملك: والله هؤلاء القوم يحسدونه، فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا، فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء، كما أنت أرفع الناس ههنا، فقال: جزاك الله خيراً كما عرفتني هذا.
ثم إني أرسلت رقعة إلى الملك الكامل أوصيه به، فأرسل إليّ: تجيء، فمضيت إليه، وإذا عنده جماعة، منهم: شيخ الشيوخ- يعني: ابن حمويه- وعز الدين الزنجاني، فقال لي الملك: نحن في أمر الحافظ، فقلت: أيها الملك القوم يحسدونه، ثم بيننا هذا الشيخ- أعني شيخ الشيوخ- وقلت: بحق كذا وكذا، هل سمعت

من الحافظ كلاماً يخرج عن الإسلام. فقال: لا والله، ما سمعت منه إلا كل جميل، وما رأيته قط، ثم تكلم ابن الزنجاني، فمدح الحافظ مدحاً كثيراً، ومدح تلامذته، وقال: أنا أعرفهم، فما رأيت مثلهم. فقلت: وأنا أقول شيئاً آخر، فقال: ما هو. فقلت: لا يصل إليه شيء يكرهه، حتى يقتل من الأكراد ثلاثة آلاف، قال: فقال: لا يؤذى الحافظ، فقلت: اكتب خطك بذاك، فكتب.
كذا؛ لقول لله كذا، وأقول كذا، لقول رسول الله كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل، قال: إيش في هذا?. يقول بقول الله عز وجل، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم. قال: فخلى عنه.
ثم ذكر الضياء طرفاً من فراسته، وهي نوع من فراسته، وهي ملتحقة بنوع من كراماته.
فمنها ما قال: سمعت نصر بن رضوان بن ثروان العدوي يقول: لما كان الحافظ يجلس في الجامع بعد العصر، كان المنبر الذي يجلس عليه فيه قصر. وكان الناس يشرفون إليه، فخطر في نفسي لو كان يرفع قليلاً. وكان الحافظ على المنْبر يقرأ في جزء، فترك القراءة، فقال بعض الإخوان: نشتهي أن يعلى هذا المنبر قليلاً، فلما كان الغد زاد بعض الجماعة في رجل المنبر قليلاً.
قال: وسمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ قال: كنت عند والدي، وهو يذكر فضائل سفيان الثوري، فقلت في نفسي: إن والدي مثله، فالتفت إلي وقال: أين نحن من أولئك?.
وسمعت أبا موسى أيضاً يحدث عن رجل بدمياط قال!: كنت يوماً عند الحافظ فقلت في نفسي: كنت أشتهي لو أن الحافظ يعطيني الثوب الذي بلى جسده حتى أكفن فيه. فلما أردت القيام قال: لا تبرح، فلما انصرف الجماعة خلع ثوبه الذي بلى جسده وأعطانيه. قال: فبقي الثوب عندنا، وكل من مرض أو وجع رأسه تركوه عليه حتى يبرأ بإذن الله تعالى.
وسمعت أبا الرضى محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي قال: وقع لي أن أسأل الحافظ عن شيء من ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمضيت إليه فوجدت عنده جماعة فاستحييت أن أسأله وقعدت، فذكر ما كنت أريد أن أسأله عنه وبينه.

وسمعت أبا علي فارس بن عثمان بن عبد الله الدمشقي يذكر عن رجل عن آخر قال: خرجنا جماعة إلى الجبل، فقعدنا على النهر. فقال بعضنا: اشتهينا لو أن الحافظ- ومعه جزء يقرأ لنا فيه أخباراً، فقال آخر: ويجيء معه بحلاوة، فلم نلبث إلا والحافظ قد جاء، فقال له بعضنا: لو كنت جئت معك بشيء تقرأ لنا فيه؟ فأخرج جزءاً من كمه، وقال: قد جئت بالجزء والحلاوة.
وسمعت الحافظ أبا موسى يقول: قالت لي والدتي: قدمنا يوماً لوالدك طبيخاً من طبيخ فلان- لرجل سماه لي- وكان الحافظ لا يشتهي أن يأكل من طعامه، فأخذ لف ورفعها إلى فيه، ثم نظر إليه وقال: هذا من طبيخ فلان، ارفعوه، ولم يأكل منه شيئاً.
قال الضياء: فسألت خالتي رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة- امرأة الحافظ- بعد ذلك عن هذه الحكاية؟ فحدثتني بها.
قال: وسمعت أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي قال: كنت يوماً عند الحافظ بالقاهرة، فدخل رجل فسلم عليه، ثم أخرج دينارين فدفعهما إلي؛ وقال: ما كان قلبي يطيب بهما، فسألت الرجل؟ إيش شغلك؟ فقال: أنا أكتب على النطرون، والنطرون بمصر ماء يجمد مثل الملح وعليه ضمان.
وسمعته يحدث عن رجل- وأثنى عليه خيراً- قال: كنت مرة قد تحرقت ثيابي، فجئت يوماً بدمشق للحافظ، فقلت: يا سيدي لك حاجة أحملها إلى الجبل؟ قال: نعم. خذ معك هذا الثوب، فحمله إلى الجبل. فلما صعدت، جئت بالثوب إليه، فقال: اقعد فَصِّل لك ثوبين وسراويل، ففصلت ثوبين وسراويل، وفضلت فضلة فأخذها.
سمعت الحافظ أبا موسى قال: مرض والدي رحمه الله في ربيع الأول سنة ستمائة مرضاً شديداً منعه من الكلام والقيام، واشتد به مدة ستة عشر يوماً، وكنت كثيراً ما أسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله تعالى، لا يزيد على ذلك.
فلما كان يوم الإثنين جئت إليه. وكان عادتي أبعث من يأتي كل يوم بكرة بماء حار من الحمام يغسل أطرافه. فلما جئنا بالماء على العادة مدَّ يده، فعرفت أنه يريد الوضوء، فوضأته وقت صلاة الفجر، ثم قال: يا عبد الله، قم فصل بنا وخفف، فقمت فصليت بالجماعة، وصلَّى معنا جالساً. فلما انصرف الناس جئت، فجلست عند رأسه وقد استقبل القبلة، فقال لي: اقرأ عند رأسي سورة

يس، فقرأتها، فجعل يدعو الله وأنا أؤمن، فقلت: ههنا دواء قد عملناه تشربه؟ فقال: يا بنيّ ما بقي إلا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي النظر إلي وجه الله تعالى. فقلت: ما أنت عني راض؟ قال: بلى والله، أنا عنك راض وعن إخوتك، وقد أجزت لك ولإخوتك ولابن أختك إبراهيم.
قال: وسمعت أبا موسى يقول: أوصاني أبي عند موته: لا تضيعوا هذا العلم الذي تعبنا عليه- يعني الحديث- فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: مالي على أحد شيء، ولا لأحد علي شيء. قلت: توصيني بوصية. قال: يا بني، أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته. فجاء جماعة يعودونه فسلموا عليه فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون، ففتح عينيه وقال: ما هذا الحديث؟ اذكروا الله تعالى، قولوا: لا إله إلا الله، فقالوها، ثم قاموا. فجعل يذكر الله، ويحرك شفتيه بذكره، ويشير بعينيه، فدخل رجل فسلم عليه، وقال له: ما تعرفني يا سيدي؟ فقال: بلى، فقمت لأُناوله كتاباً من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه. وذلك يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ستمائة.
وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل، ودفناه يوم الثلاثاء بالقرافة، مقابل قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق في مكان ذكر لي خادمه عبد المنعم أنه كان يزور ذلك المكان، ويبكي فيه إلى أن يبل الحصى، ويقول: قلبي يرتاح إلى هذا المكان رحمه الله ورضي عنه، وألحقه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
قلت: ووقع لابن الحنبلي في وفاته وهم، فقال: سنة خمس وتسعين وخمسمائة.
ورثاه غير واحد، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن سعد المقدسي الأديب بقصيدة طويلة، أولها:
هذا الذي كنت يوم البين أحـتـسـب

فليقض دمعي عنك بعض ما يجـب
يا سائرين إلـى مـصـر بـربِّـكـم

رفقاً علي، فإن الأجر مـكـتـسـب
قالوا لساكنها: حُـييت مـن سـكـن

يا منية النفس، ماذا الصد والغضب?
بالشام قوم وفي بغـداد قـد أسـفـوا

لا البعد أخْلَق بلواهم ولا الـحـقـب
قد كنت بالكتب أحياناً تـعـلـلـهـم

فاليوم لا رسل تـأتـي ولا كـتـب
أنسيتَ عهدهـم أم أنـت فـي جـدث

تسفى وتبكي عليك الريح والسـحـب
بل أنت في جنة تجنى فـواكـهـهـا

لا لغو فيها، ولا غـول ولا نـصـب
يا خير من قال بعد الصحب "حدثـنـا"

ومن إليه التقى والـدين ينـتـسـب
لولاك مادَ عمود الدين، وانـهـدمـت

قواعد الحق، واغتال الهدى عـطـب
فاليوم بعدك جمر الغيّ مـضـطـرم

بادي الشرار، وركن الرشد مضطرب
فلَيبكِيِنَّك رسول اللـه مـا هـتـفـت

ورق الحمام، وتبكي العجم والعـرب
لم يفترق بكما حال، فـمـوتـكـمـا

في الشهر واليوم هذا الفخر والحسب
أحييت سنته من بـعـدمـا دفـنـت

وشِدْتها وقد انـهـدت لـهـا رتـب
وصنتها عن أباطـيل الـرواة لـهـا

حتى استنارت، فـلا شـك ولا ريب
ما زلت تمنحها أهلاً، وتمـنـعـهـا

من كان يلهيه عنها الثغر والشـنـب
قوم بأسماعهم عن سمعـهـا صـمـم

وفي قلوبهم من حفظـهـا قُـضـب
تنوب عن جمعها منهم عـمـائمـهـم

أيضاً، ويغنيهم عن عرسها اللـقـب
يا شامتـين وفـيـنـا مـا يسـوؤهـم

مستبشرين وهذا الدهر محـتـسـب
ليس الفناء بمقصور عـلـى سـبـب

ولا البقاء بـمـمـدود لـه سـبـب
ما مات من عز دين اللـه يعـقـبـه

وإنما الميت منكم مـن لـه عـقـب
ولا تـقـوض بـيت كـان يعـمـده

مثل العماد، ولا أودى لـه طـنـب
علا العلى بجمال الدين بعـد، كـمـا

تحيى العلوم بمحيي الدين والـقـرب
وتسبق الخيل تـالـيهـا، إن بـعـدت

وغاية السبق لا تعيى له الـنـجـب
مثل الدراري السواري شيخـنـا أبـداً

نجم يغور ويبقـى بـعـده شـهـب
من معشر هجروا الأوطان وانتهكـوا

حُمر الخطوب وأبكار العلى خطبـوا
شُمُّ العرانين ملح، لـو سـألـتـهـم

بذل النفوس لما هابوا بـأن يهـبـوا
بيض مفارقهم، سـود عـواتـقـهـم

يمشي مسابقهم من حظه الـتـعـب
نور إذا سألـوا، نـار إذا حـمـلـوا

سحب إذا نزلوا، أسـد إذا ركـبـوا
الموقدون ونـار الـحـرب خـامـدة

والمقدمون ونار الحرب تلـتـهـب
هذا الفخار، فإن تجـزع فـلا جـزع

على المحب، وإن تصبر فلا عجـب
قال الضياء: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمود البعلي قال: جاء قوم من التجار إلى الشيخ العماد- وأنا عنده- فحدثوه أن النور يرى على قبر الحافظ عبد الغني كل ليلة أو كل ليلة جمعة.
قال: وسمعت الحافظ أبا موسى بن الحافظ قال: حدثني صنيعة الملك هبة الله بن علي بن حيدرة قال: لما خرجت للصلاة على الحافظ لقيني هذا المغربي- وأشار إلى رجل معه- وقال: إلى أين تروح؟ فقلت: إلى الصلاة على الحافظ، فجاء معي، وقال: أنا رجل غريب، ورأيت البارحة في النوم كأني في أرض واسعة، وفيها قوم عليهم ثياب بيض، وهم كثيرون، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هؤلاء ملائكة السماء نزلوا لموت الحافظ عبد الغني.
فقلت: وأين هو الحافظ؟ فقيل لي: اقعد عند الجامع حتى يخرج صنيعة الملك، فامضِ معه. قال: فلقيته واقفاً عند الجامع.
قال: وسمعت الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني- سنة اثنتي عشرة وستمائة- قال: رأيت البارحة الكمال- يعني أخي عبد الرحيم، وكان توفى في تلك السنة- في النوم، وعليه ثوب أبيض، فقلت له: يا فلان، أين أنت؟ قال: في جنة عدن،

فقلت: أيما أفضل: الحافظ عبد الغني، أو الشيخ أبو عمر؟ فقال: ما أدري. وأما الحافظ فكل ليلة جمعة ينصب له كرسي تحت العرش، ويقرأ عليه الحديث، وينثر عليه الدر والجوهر، وهذا نصيبي منه. وكان في كمه شيء، وقد أمسك بيده على رأسها.
قال: وسمعت الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الله الكردي- بحران- يقول: رأيت الحافظ في المنام، فقلت له: يا سيدي، أليس قدمِت؟ فقال: إن الله عز وجل بقى عليَّ وردى من الصلاة.
سمعت عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن سرور يحدث عن الشيخ الزاهد عبد الرحمن عشم المقري عن وجل حدثه بمصر- وكان يبغض الحافظ- أنه رأى قائلاً يقول له في المنام: إن أراد الله بك خيراً فأِنت تكون على ما هو عليه. وقال: الحافظ عبد الغني يدخل الجنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أو قال: على أثر النبي صلى الله عليه وسلم.
قال: وسمعت الإمام عبد الساتر بن يوسف بن علي العجمي قال: رأيت في المنام كأن أصحابنا في الجنة وأنا معهم. قلت: مثل من؟ قال: مثل الشيخ أبي عمر، والموفق، والحافظ. وكأن النار قد أقبلت ولها قتام وظلام، وهي تقرب إلينا حتى كادت أن تصل إلينا، فقال قائل: يا حافظ، اخرج إليها، فخرج الحافظ- رجل طويل فيه سمرة، ووصفه بجميع صفته، قال: ولم أبصر الحافظ قط- ومعه نهر مثل نهر يزيد ثلاث مرات، فبقي يجيء منها حجارة، فتقع في ذلك النهر فتطفى، وتبقى مثل الطواحين السود.
وقد ذكر الضياء غير ذلك من المنامات المرئية له في حياته وبعد مماته. رضي الله عنه.
وقد سمع الحديث من الحافظ عبد الغني الخلقُ الكثير. وحدث بأكثر البلاد التي دخلها، كبغداد ودمشق ومصر ودمياط وإصبهان. وحدث بالإسكندرية سنة سبعين وخمسمائة.
وروى عنه خلق كثير منهم: ولداه أبو الفتح، وأبو موسى، وعبد القادر الرهاوي، والشيخ موفق الدين، والحافظ الضياء، وابن خليل، والفقيه اليونيني، ويعيش بن ريحان الفقيه، وأحمد بن عبد الدائم، وعثمان بن مكي الشارعي، وأحمد بن حامد الأرتاحي، وإسماعيل بن عزون، وعبد الله بن علاف.

وآخر من سمع منه: محمد بن مهلهل الحسيني. وآخر من روى عنه بالإجازة أحمد بن أبي الخير سلامة الحداد.
ذكر شيء من فتاوى الحافظ عبد الغني ومسائله
نقلته من خط السيف بن المجد سئل عن حديث: "من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة" هل هو منسوخ?.
فأجاب: بل هو محكم ثابت، لكن زيد فيه وضم إليه شروط أخر، وفرائض فرضها على عباده. وذكر قول الزهري في ذلك.
وسئل عمن كان في زيادة من أحواله، فحصل له نقص? فأجاب: أما هذا، فيريد المجيب عنه أن يكون من أرباب الأحوال وأصحاب المعاملة، وأنا أشكو إلى الله تقصيري وفتوري عن هذا وأمثاله من أبواب الخير. وأقول: وبالله التوفيق: إن من رزقه الله خيراً من عمل أو نورِ قلب، أو حالة مرضية في جوارحه وبدنه، فليحمد الله عليها، وليجتهد في تقييدها بكمالها، وشكر الله عليها، والحذر من زوالها بزلة أو عثرة. ومن فقدها فليكثر من الاسترجاع، ويفزع إلى الاستغفار والاستقالة، والحزن على ما فاته، والتضرع إلى ربه، والرغبة إليه في عودها إليها، فإن عادت، وإلا إليه ثوابها وفضلها إن شاء الله تعالى.
وسئل مرة أخرى في معنى ذلك?
فأجاب: أما فقدان ما نجده من الحلاوة واللذة، فلا يكون دليلاً على عدم القبول فإن المبتدىء يجد ما لا يجد المنتهى، فإنه ربما مَلَّت النفس وسئمت لتطاول الزمان، وكثرة العبادة. وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان ينهى عن كثرة العبادة والإفراط فيها، ويأمر بالاقتصاد، خوفاً من الملَل. وقد روى "أن أهل اليمن لما قدموا المدينة جعلوا يبكون، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا حتى قست القلوب".
وسئل عن يزيد بن معاوية? فأجاب: خلافته صحيحة. قال: وقال بعض العلماء: بايعه ستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم ابن عمر. وأما محبته: فمن أحبه فلا ينكر عليه، ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك؛ لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيلتزم محبتهم إكراماً لصحبهم وليس ثمَّ أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين، كعبد الملك وبنيه. وإنما يمنع من التعرض للوقوع فيه؛ خوفاً من التسلق إلى أبيه، وسدّاً لباب الفتنة.

وقال: روى عن إمامنا أحمد: أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق، فهو كافر ومن قال: قديم، فهو مبتدع. قال: وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله عز وجل. ومن قال بخلق ذلك كفر. وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون، ومن قال بقدم ذلك ابتدع.
وسئل عن دخول النساء الحمام؟ فأجاب: إذا كان للمرأة عذر فلها أن تدخل الحمام لأجل الضرورة. والأحاديث في هذا أسانيدها متقاربة. قد جاء النهي والتشديد في دخولهن. وجاءت الرخصة للنفساء والسقيمة. والذي يصح عندي: أنها إذا دخلت محن عفر فلا بأس إن شاء الله، وإن استغنت عن الدخول، وكان لها عنه عناء، فلا تدخل. وهذا رأينا في أهلنا، ومن يأخذ بقولنا. نسأل الله التوفيق والعفو والعافية.
محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد بن الدجاجي الواعظ، أبو نصر بن
أبي الحسن: وقد سبق ذكر والده. ولد في رجب سنة أربع وعشرين وخمسمائة.
وسمع بإفادة أبيه، وبنفسه من أبيه، وأبي جعفر السمناني، والقاضي أبي بكر، وأبي منصور القزاز، وأبي القاسم
السمرقندي، وعبد الوهاب الأنماطي وغيرهم. ورحل إلى الكوفة، فسمع بها من أبي الحسن بن غبرة الحارثي.
قال ابن نقطة: كان صحيح السماع.
وقال الدبيثي: شيخ حسن، فيه فضل وتمييز.
وقال القادسي: كان صالحاً خيراً، فاضلاً واعظاً، يقرض الشعر.
وقال ابن النجار: كان من أعيان المشايخ، ووجوه وعاظ مدينة السلام، مليح الوعظ، حسن الإيراد، حلو الألفاظ، كيساً متوداً، حسن الأخلاق، متواضعاً، فاضلاً صدوقاً. وله النثر والنظم الجيد. وكان يتكلم في عزاء الخلفاء والأفاضل والأماثل. وله تقدم ومكانة. ومما ذكر له من الشعر قوله- أنشده عنه ابن النجار-:
نفس الفتى إن صلحت أحوالها

كانت إلى نيل التقى أحوى لها
وإن تراها سددت أقـوالـهـا

كانت إلى حمل العلا أقوى لها
فلو تبدّت حال من لهـا لـهـا

في قبره عند البلا لهـالـهـا
وله:
يقول عيسى أدميتها بالمسـير

رفقاً بـنـا يا هـاشـمـي
إن شئت أن تلقى الغنى والمنى

عج بإمام من بنـي هـاشـمِ
فقل إذ لاح سـنـا قـصـره

يا نوق هذا نوره هاشـمـي
قال ابن القطيعي: أنشدته هذه الأبيات:
من لم يعدك إذ مرضـت

فلا تعـده ولا كـرامة
فإنِ الإلـهُ أمـاتـــه

فقد استرحت من الملامة
وإن الإلـهُ أقـامـــه

فالعذر تهنيكِ السـلامة
فقال مرتجلاً:
وأنا على هـذا أكـون

مدى الحياة إلى القيامة
حدث بالكثير ببغداد وواسط والموصل. وسمع منه خلق. وروى عنه: الدبيثي، النجار، والنجيب الحراني، وأخوه عبد العزيز.
وتوفي يوم الأربعاء خامس عشر من ربيع الأول إحدى وستمائة.
ونودي له بجميع محال بغداد، فاجتمع له الناس من الغد، فصلّى عليه بجامع السلطان. ودفن بباب حرب.

أخبرنا أبو الفتح الميدومي أخبرنا أبو الفرج الحراني أخبرنا أبو نصر بن الدجاجي أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن غيرة أخبرنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن علان أخبرنا أبو عبد الله بن عبد الله النهرواني حدثنا محمد بن جعفر بن رباح الأشجعي حدثنا علي بن المنفر الطريفي حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا أبي عن أبي حازم أبي هريرة قال: "ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن هبة الله النميري الحراني الفقيه الواعظ، أبو محمد:

ويلقب نجم الدين. من أهل حران، رحل إلى بغداد في صباه سنة ثمان وسبعين لطلب العلم. فسمع من أبي الفتح بن شاتيل، وأبي السعادات القزاز، وغيرهما.

وتفقه على أبي الفتح بن المنى، حتى حصل طرفاً صالحاً من المذهب والخلاف. ثم عاد إلى حِران. ثم قدم بغداد مرة أخرى سنة ست وتسعين ومعه ولداه: النجيب عبد اللطيف، والعز عبد العزيز، فسمع، وأسمعهما الكثير. وقرأ على الشيوخ. وكتب وحصل وناظر في مجالس الفقهاء، وحلق المناظرين، ودرس وأفاد الطلبة، واستوطن بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ بعدّة أماكن.

ذكر ذلك ابن النجار. وقال: كان مليح الكلام في الوعظ، رشيق الألفاظ، حلو العبارة، كتبنا عنه شيئاً يسيراً. وكان ثقة صدوقاً، متحرياً حسن الطريقة، متديناً متورعاً نزهاً عفيفاً، عزيز النفس مع فقر شديد. وله مصنفات حسنة وشعر جيد. وكلام في الوعظ بديع. وكان حسن الأخلاق، لطيف الطبع متواضعاً، جميل الصحبة.

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: كان صالحاً ديناً، نزهاً عفيفاً، كيساً لطيفاً متواضعاً، كثير الحياء. وكان يزور جلى ويسمع معنا الحديث. وذكر أنه استوطن بغداد لوحشة جرت بينه وبين خطيب حران ابنّ تيمية فإنه خشي منه أن يتقدم عليه. فلما استشعر ذلك منه عاد إلى بغداد وسكنها.

قال: وحضر مجالسه بباب المشرعة. وكان يقصد التجانس في كلامه. وسمعته ينشد:

وأشتاقكم يا أهل وُدي وبينـنـا

كما زعم البين المُشتّ فراسخ
فأما الكرَى عن ناظري فمشرد

وأما هواكم في فؤادي فراسخ
وذكره الناصح ابن الحنبلي، فقال: اشتغل بالفقه. وسمع درس شيخنا ابن المنى. وتكلم في مسائل الخلاف، واشتغل بالوعظ، وفتح عليه بالنظم والنثر ورجع إلى حران، ووعظ بها مدة، ثم سافر إلى دمشق وحضر مجلسي، وسألناه أن يجلس فامتنع، وقال: ما أجلس في بلد تجلس أنت فيه. كأنه يكرمني بذلك. ثم عاد إلى بغداد.
وقال ابن القادسي: كان ديّناً، صالحاً ذا معرفة، عذب العبارة، مليح الكلام، كيساً، متواضعاً، عقد مجالس الوعظ ببغداد.
قلت: وقد سبق في ترجمة شيخه ابن المني مرثية له فيه. وكان يفتي ببغداد مع أكابر فقهائها.
قال ابن النجار: توفى يوم الخميس سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة. ونودي بالصلاة عليه في البلد. فاجتمع له الناس من الغد بجامع القصر، فصلينا عليه. وكان الجمع متوافراً، ثم صلّى عليه نوبة ثانية بالمدرسة النظامية، ودفن بباب حرب، وأظنه قارب االخمسين أو بلغها رحمه الله.
قلت: وله أخ يقال له محمود، يكنى أبا الثناء، كان فقيهاً بارعاً، رأيت له تصنيفاً، سماه "الإنبا، عن تحريم الربا"، تكلم فيه على بيع الفضة المغشوشة بالخالصة، ورأيت له سماعاً على أحمد بن أبي الوفاء الفقيه جزء ابن عرفة، وعلى حماد الحراني، وربما قيل في نسب كل منه ومن أخيه: ابن الصيقل، وابن الصقال.
محمد بن حمد بن حامد بن مُفَرِّج بن غياث الأنصاري
الأرتاحي المصري، أبو عبد الله بن أبي الثناء، ولد سنة سبع وخمسمائة تخميناً.
وسمع بمصر من أبي الحسن علي بن نصر بن محمد بن عفير الأراحي العابد وغيره، وبمكة: من المبارك بن الطباخ. وأجاز له أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء، وتفرد بإجازته، وحدث بها بشيء كثير.

قال المنذري: كتب عنه جماعة من الحفاظ، وغيرهم، من أهل البلد، والواردين عليها، وحدثوا عنها. وهو أول شيخ سمعت منه الحديث. ونعته بالشيخ الأجل الصالح أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأجل الصالح أبي الثناء حمد.
قال: وهو من بيت القرآن والحديث والصلاح. حدث من بيته غير واحد وأقرأ. وروى عنه ابن خليل في معجمه، ونعته بالإمام.
توفى في العشرين من شعبان سنة إحدى وستمائة بمصر. ودفن من الغد بتربتهم، بسفح جبل المقطم. رحمه الله.
وفي يوم السبت سلخ سنة إحدى وستمائة توفي يوسف بن سعيد البناء الأزجي الحنبلي، المحدث. ودفن يوم الأحد مستهل المحرم. سمع كثيراً وكتب بخطه.
جبريل بن صارم بن أحمد بن علي بن سلامة الصعبي المصري، أبو الأمانة، الأديب:
قدم بغداد سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وهو فقير. فتفقه في المذهب، وقرأ الخلاف. وصار يتكلم في المسائل مع الفقهاء، وجالس النحاة، وحصل طرفاً صالحاً من الأدب، وقال الشعر الجيد.
وسمع الحديث من أبي الفرج بن الجوزي وغيره، ومدح الخليفة الناصر بعدة قصائد، وأثرى، ونبل مقداره، واشتهر ذكره، فنفذ من الديوان في رسالة إلى الخوارزم شاه.
وسمع الحديث من مشايخ خراسان. وحصل نسخاً بما سمع. ثم عاد إلى بغداد، وقد صار له الغلمان الترك والمراكب، ولم يزل يرسل من الديوان إلى خوارزم شاه، إلى أن قبض عليه لسبب ظهر منه، فسجن بدار الخلافة، وانقطع خبره عن الناس.
روى عنه من شعره ابن القطيعي، وعلي بن الجوزي. ولم أقف على وفاته.
ومما أنشده عنه ابن القطيعي، وكناه أبا الآثار:
لا غرو إن أضحت الأيام توسعني

فقراً، وغيري بالإثراء مـوسـوم
فالحرف في كل حال غير منتقص

ويدخل الاسم تصغير وتـرخـيم

علي بن عمرو بن فارس الحداد الباجسرائي
ثم البغدادي، الأزجي الفرضْي، أبو الفرج: تفقه على أبي حكيم النهرواني وقرأ الفرائض والحساب. وكان فيه فضل ومعرفة.
وتقلب في الخدم الديوانية. ذكره المنذري. وقال: توفى ليلة رابع شعبان، سنة ثلاث وستمائة، ودفن من الغد بمشهد عبيد الله بالجانب الشرقي من بغداد. رحمه الله تعالى.
عبد الحليم بن محمد بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية، أبو محمد ابن الشيخ فخر الدين:
وسيأتي ذكر والده. ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.
وسمع الحديث ببغداد من ابن كليب، وابن المعطوش، وابن الجوزي، وأبي أحمد ابن سكينة وغيرهم.
وأقام ببغداد مدة طويلة. وقرأ الفقه، والأصول، والخلاف، والحساب، والهندسة، والفلسفة، والعلوم القديمة، حتى برع في ذلك كله. ذكر ذلك ابن النجار. أن الحافظ ضياء الدين سمع منه جزء ابن عرفة عن ابن كليب.
وتوفى سادس شوال، سنة ثلاث وستمائة بحران. رحمه الله.
وذكر والده في كتابه "الترغيب" أن لولده عبد الحليم هذا- كتاباً سماه "الذخيرة ". وذكر عنه فروعاً في دقائق الوصايا، وعويص المسائل الدورية، ونحوها.
عبد الرزاق بن عبد القادر بن أبي صالح الجيلي البغدادي، الحلبي، المحدث الحافظ، أبو بكر ابن الزاهد أبي محمد
وقد سبق ذكر والده وأخيه، عبد الوهاب.
ولد عبد الرزاق عشية يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ببغداد.
وسمع الكثير بإفادة والده، وبنفسه من أبي الحسين محمد بن أحمد بن صرما، وأبي الفضل الإرموي، وابن ناصر الحافظ، وأبي بكر بن الزاغوني، وأبي الكرم الشهرزوري، وأحمد بن طاهر الميهني، وسعيد بن البناء، وأبي الوقت وطبقتهم، وعني بهذا الشأن، وحصل الأصول، وتفقه على والده. وكانت له معرفة بالمذهب، ولكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه.
قال ابن نقطة: كان حافظاً ثقة مأموناً.
وقال الحافظ الضياء: لم أرَ ببغداد أحداً في تيقظه وتحريه مثله، وأثنى عليه الدبيثي. وغيره.

وقال ابن النجار: كان حافظاً متقناً، ثقة صدوقاً، حسن المعرفة بالحديث، فقيهاً على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ورعاً متديناً، كثير العبادة، منقطعاً في منزله عن الناس، لا يخرج إلا في الجمعات، محباً للرواية، مكرماً لأهل العلم، سخياً بالفائدة، ذا مروءة، مع قلة ذات يده، وأخلاق حسنة، وتواضع وكيس، وكان خشن العيش، صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً، على منهاج السلف.
قال أبو شامة في تاريخه: كان زاهداً عابداً ورعاً، لم يكن في أولاد الشيخ مثله، كان مقتنعاً من الدنيا باليسير، ولم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته.
قال الذهبي: حدث عنه أبو عبد الله الدبيثي، وابن النجار، والضياء المقدسي، والنجيب عبد اللطيف، والتقى البلداني، وابنه قاضي القضاة أبو صالح، وآخرون.
وتوفي ليلة السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة، وحمل من الغد على الرؤوس، وصلَى عليه بالمصلى، ثم بجامع الرصافة، وبمواضع متعددة، وشيعه الخلق الكثير. وكان يوماً مشهوداً.
ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه.
أخبرنا أبو الفتح الميدومي- بمصر- أخبرنا أبو الفرج الخراني، أنبأنا الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن عبد القادر، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن صرما، أخبرنا أبو منصور عبد الباقي بن محمد العطار، أخبرنا أبو طاهر المخلط، قال: قرىء على أبي كريب- وأنا أسمع- حدثكم عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر "أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، ضُرب وعُرَب، وأن أبا بكر ضرب وغرب، وأن عمر ضرب وغرب" رواه الترمذي، والنسائي عن أبي كريب.
عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن، علي بن الحسين البزوري البغدادي، البابصري، الواعظ، أبو محمد، وأبو الفرج... ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.
وسمع من أبي الوقت، وهبة الله بن السبكي، وأبي المظفر بن البرمكي، وأبي محمد المادح، وأبي المعالي بن النحاس وغيرهم.
وقرأ الوعظ، والفقه، والحديث، على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي. وكان خصيصاً به، ثم تهاجرا، وتباينا، إلى أن فرق الموت بينهما.

قال سبط ابن الجوزي: ثم حدثته نفسه بمضاهاة جدي، وكنى نفسه بكنيته، واجتمع إليه سفساف أهل باب البصرة، وانقطع عن جدي. ولما جاء من واسط، ما جاء إليه، ولا زاره. وتزوج صبية وهو في عشر السبعين، فاغتسل في يوم بارد، فانتفخ ذكره، فمات.
وقال القادسي: كان تلميذ شيخنا ابن الجوزي، وصحبه مدة وانتفع به، ووعظ بجامع المنصور.
قال: وسمعته يقول بعض الأيام على الكرسي: إن الثعبان لم يلدغ أبا بكر الصديق، ولم يصح ذلك، فذكرنا ذلك لشيخنا ابن الجوزي، فقال: إن هذا الحديث قد ذكره اللالكائي، وكان من سادة أهل الحديث، وأن ابن عيسى قال كلمات كتبها من عندي.
قال: وسمعته يقول: إن مشهد المستقة لم يصح أن علياً اشتراه بمستقته. وذكر قصته، وأن الرافضة وضعوا ذلك، قال: وقد صرح شيخنا ابن الجوزي بكذبه لما بان له منه.
قلت: لا ريب في وقوع العداوة بينهما.
قال: وهو منسوب إلى قرية بزور، قرية بدجيل.
وقال ابن القطيعي: رفيقنا، كان فيه دين. وأنشدني من شعره شيئاً.
وقال ابن النجار: وتفقه على مذهب الإمام أحمد ووعظ. وكان صالحاً، حسن الطريقة، خشن العيش، غزير الدمعة عند الذكر، كتبت عنه، وهو الذي جمع سيرة ابن المنى، وطبقات أصحابه، وذكر فيها: أنه لزمه، وقرأ عليه، وكلامه فيها يدل على فصاحته ومعرفته بالفقه والأصول والجدل.
وقد ذكره الحافظ الضياء، فقال: شيخنا الواعظ، أبو محمد. ولكن ابن الجوزي وأصحابه يذمونه.
توفي ليلة الإثنين السادس من شعبان سنة أربع وستمائة، وصلي عليه من الغد بجامع المنصور، وحمله الناس كلى رؤوسهم إلى باب حرب ودفن هناك. رحمه الله تعالى.
محمد بن النفيس بن مسعود بن أبي سعد بن علي السلامي الطحان الفقيه الأديب، أبو سعد ابن الفقيه أبي محمد، ويلقب شمس الدين: وقد سبق ذكر والده. ولد أبو سعد في ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

وقرأ القرآن، وسمع من أبي علي أحمد بن محمد بن أحمد الرحبي، وأبي محمد بن الخشاب النحوي، وشهده. وقرأ الفقه على ابن المنى.
وذكره القطيعي: فقال: شاب حسن الخلق والخلق، من أهل القرآن والفقه. كان يسمع معنا الحديث.
وقال ابن القادسي: كان فقيهاً حسناً، خيراً متميزاً.
وقال المنذري: حدث بشيء من تأليفه. توفى ليلة ثاني عشرين من شوال، سنة أربع وستمائة. ودفن من الغد بمقبرة الزرادين.
وكذا ذكره ابن القادسي، وزاد: ليلة الجمعة، وصلى عليه يوم الجمعة بجامع القصر. وقال ابن القطيعي: في ذي القعدة.
قرىء على أبي الفتح الميدومي- بمصر- وأنا أسمع- أخبركم أبو الفرج الحراني- سماعاً- قال: أنشدنا أبو عبد الله، وأبو سعد محمد بن النفيس، من شعره نفسه:

رِقَّ يا من قلبـه حـجـر

لجفون حشوها سـهـر
ولجسم مـا لـنـاظـره

منه إلا الرسـم والأثـر
فغرامي لو تـحـمـلـه

صخر رَضْوَى كاد ينفطر
إن لومـي فـي هـواك

لَمن شر ما يأتي به القدر
يا بديعاً جل عن شـبـه

ما يداني حسنك القمـر
صل ووجه الدهر مقتبل

فزمان الوصل مختصر
وقد كتب القطيعي عنه، وزاد بيتاً آخر، وهو:
كم رأينا وجنة فتنت

فمحى آثارها الشعر
عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الجبائي
الطرابلسي الشامي، الفقيه الزاهد أبو محمد، نزيل إصبهان.
وسمي المنذري جَدَّه أبا الفضلَ، والأول أصح، قال القطيعي: سأله عن مولده. قال: سنة إحدى وعشرين وخمسمائة تقريباً.
وقال المنذري: مولده سنة تسع عشرة- أو سنة عشرين- وخمسمائة.
وقال القطيعي: سألته عن نسبه. فقال لي: نحن من قرية يقال لها: الجبة، من ناحية بشري، من أعمال طرابلس، في جبل لبنان، وكنا قوماً نصارى، فتوفى أبي ونحن صغار. وكان أبي من علماء النصارى، وهم يعتقدون فيه أنه يعلم الغيب، فلما مات نفذت إلى المعلم، فقالت والدتي: ولدي الكبير للكسب وعمارة أرضنا، وولدي الصغير يضعف عن الكسب- وأشارت إليَّ- ولنا أخ أوسط، فقال المعلم: أما هذا الصغير- يعنيني- فلا يتعلم العلم، ولكن هذا- وأشار إلى أخي- فأخذه وعلمه ليكون مقام أبي. فقدر الله أن وقعت حروب. فخرجنا من قريتنا. فهاجرت من بينهم. وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرأون القرآن. فإذا سمعتهم أبكي. فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت، وعمري أحد عشر سنة. ثم بلغني إسلام أخي الكبير. وتوفي مرابطاً. ثم أسلم أخي الصغير الذي كان يعلمه المعلم. ودخلت بغداد في سنة أربعين وخمسمائة.
قلت: وقد أصابه سَبى واسترق.
فذكر أبو الفرج بن الحنبلي- ونقلته من خطه- قال: كان مملوكاً، فقرأ القرآن في حلقة الحنابلة- يعني بجامع دمشق- فحفظه، وحفظ شيئاً من عبادات المذهب الحنبلي، فقام قوم إلى الشيخ زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ، وهو على منبر الوعظ، فقالوا: هذا الصبي قد حفظ القرآن وهو على خير، نريد أن نشتريه ويعتق، فاشترى من سيده وأعتق، وسافر عن دمشق، وطلب همدان، ولقي الحافظ أبا العلاء الهمداني، فأقام عنده. وقرأ عليه القرآن. وسمع الحديث، وصار عند الحافظ مصدراً يقرىء الناس، ويأخذ عليهم. واشتهر بالخير والعلم، ودخل العجم. وسمع الكثير، ورجع إلى بغداد، وسمع حديثها، ولقي مشايخها.

قال: ولقيته ببغداد، واستزارني إلى بيته. وقال لجماعته: أنا مملوك بيت الحنبلي. ثم سافر إلى إصبهان.
وقال الشيخ موفق الدين المقدسي: كان- يعني الجبائي- رجلاً صالحاً. وهو من "جبة" طرابلس. وسُبي من طرابلس صغيراً، ثم اشتراه ابن نجية وأعتقه، فسافر إلى بغداد، ثم إلى إصبهان. وكان يستمع معنا الحديث. انتهى.
سمع الشيخ أبو محمد ببغداد من ابن ناصر الحافظ الإِرموي، وابن الطلاية وسعيد بن البنا، ودعوان بن علي الحسني وأبي علي حمد بن شاتيل القاضي، وأبي المعمر الأنصاري وغيرهم.
وسمع بإصبهان من أبي الخير الباغباني، ومسعود الثقفي، وغيرهما.
وتفقه ببغداد على أبي حكيم النهرواني. وأخذ عنه القطعة التي كتبها من شرح الهداية. وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي مدة، مائلاً إلى التزهد والصلاح والخير والانقطاع، وانتفع به. وكان يحكي عنه كثيراً من أحواله وكراماته.
قال ابن النجار: كتب إليّ عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ونقلته من خطه قال: كنت أسمع كتاب "حلية الأولياء" على شيخنا أبي الفضل بن ناصر، فرق قلبي، وقلت في نفسي: أشتهي أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة، ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر فلما صلى جلسنا بين يديه فنظر غلي وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه، وأنت فُرَيخ ما رَبشت فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك، وتسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته، ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.
قال: وكان الشيخ يوماً يتكلم في الإِخلاص والرياء والعجب، وأنا حاضو في المجلس، فخطر في نفسي: كيف الخلاص من العجب؟ فالتفت إلي الشيخ، وقال: إذا رأيت الأشياء من الله، وأنه وفقك لعمل الخير، وأخرجت نفسك من الشين سلمت من العجب.
يليه الجزء الثاني ...